ابراهيم خليل احمد

إسرائيل فتنة الأجيال

العصور القديمة

مكتبة الوعي العربي

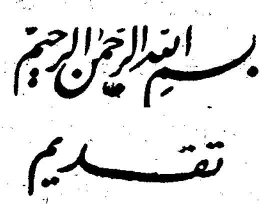
ابراهيم خليل احمد

إسرائيل فتنة الأجيال

العصور القديمة

الناشر
مكتبة الوعي العربي
٥ شارع كامل صدقي بالفجالة
تليفون ٩٩١٩٦٥

١٩٦٩



تقديم

بقلم الاستاذ على عبد العظيم
مدير الوثائق والمكتبات بوزارة الأوقاف

أجمعت الكتب السماوية الباقية بين أيدينا اليوم على أن الشعب اليهودى قد خرج على جميع القيم المثالية ، وأنه حطم جميع القواعد الخلقية ، وأنه شوه كل التعاليم الروحية ، وأنه أعطى أسوأ مثال للانحراف والفساد ، وأنه أصبح شر أنموذج للبغى والخسة والانحلال .

ونستطيع أن نسوق بعض الأمثلة من هذه الكتب المقدسة لأن ذكرها جميعها لا يتسع له المجال :

اولا – فى العهد القديم : وهو الكتاب المقدس عند اليهود — يقول لهم نبيهم إرمياء فى تأنيب شديد : « إنكم تتكلون على كلام الكذب الذى لا ينفع . أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتبخرون للبعل[1] وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ، ثم تأتون وتقفون أمامى فى هذا البيت الذى دعى باسمى عليه ، وتقولون قد أنقذنا . حتى تعملوا كل هذه الرجاسات ، هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينكم ؟ »[2] ، وبهذا دمغهم بالكذب والإسراف والقتل والزنا والأقسام الكاذبة وعبادة

(١) بعل مردوخ : صنم عبده الفينيقيون والكنعانيون والبابليون ثم انتقلت عبادته إلى اليهود ، وقد قال لهم إلياس عليه السلام : « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين » سورة الصافات ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) إرمياء ٧ : ٨ — ١١

الأصنام وتحويل الهيكل إلى مغارة لصوص . ثم يصفهم فى مكان آخر بأنهم ارتدوا إلى الشرك بعد التوحيد ، وانصرفوا إلى عبادة الأوثان حيث يقول معللا غضب الله عليهم : «من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلهم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها »[١]، وتوعدهم بما أوحاه إليه الرب : « وكالتين الردىء الذى لا يؤكل من رداءته — هكذا قال الرب — هكذا جعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية أورشليم الباقين فى هذه الأرض والساكنة فى أرض مصر وأسلمهم للقلق والشر فى جميع ممالك الأرض عاراً ومثلا وهزأة ولعنة فى جميع المواضع التى أطردهم إليها ، وأرسل عليهم السيف والجوع والوباء حتى يفنوا عن وجه الأرض التى أعطيتهم وآباءهم إياها »[٢].

ثانيا – فى العهد الجديد : يقول السيد المسيح عليه السلام : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل . .[٣] ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة[٤]... أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصدّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل

---

(١) إرمياء ٢٢ : ٩ . (٢) إرمياء ٢٤ : ٨ — ١٠ .
(٣) إنجيل متى ٢٣ : ١٣، ١٤ . (٤) إنجيل متى ٢٣ : ٢٧ .

والمذبح . . »[١] ووصفهم بأنهم جعلوا بيت الصلاة مغارة لصوص [٢].

ثالثاً — فى القرآن الكريم : منّ الله على بنى إسرائيل بإنقاذهم من بطش فرعون مصر وجبروته ، ولكنهم كفروا بأنعم الله وقابلوا حسناته بشر ألوان الإساءات ، فما كادوا يعبرون البحر ويرون مصرع أعدائهم حتى قالوا : « يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون »[٣]، وما كاد موسى يذهب لمناجاة ربه حتى ضل قومه : «واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين»[٤]. ومن العجيب أن يرتدوا عن عبادة الله إلى عبادة العجل ورسولهم حى بين أيديهم ، وأن يقطعوا شوطاً طويلا فى الفساد والضلال والانحراف حتى أصبحت هذه الصفات فيهم أصيلة لصيقة منذ عهد موسى ومن تلاه من الأنبياء عليهم السلام ، فقد كانوا « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون»[٥] وزعموا أنهم « أبناء الله وأحباؤه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق»[٦]، «وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا : أنؤمن بما أنزل علينا ؟ ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصدقا لما معهم ، قل : فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ؟ »[٧] ، «وترى كثيراً منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون»[٨] وبهذا استحقوا غضب الله ولعناته : « أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً»[٩].

وكانت النتيجة المحتومة أنهم « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس[١٠] وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة

---

(١) إنجيل متى ٢٣ : ٣٣ — ٣٥ . (٢) إنجيل متى ٢١ : ١٣ . (٣) الأعراف : ١٣٨. (٤) الأعراف : ١٤٨ . (٥) البقرة : ٧٥ . (٦) المائدة: ١٨ . (٧) البقرة : ٩١. (٨) المائدة : ٦٢ . (٩) النساء : ٥٢ . (١٠) لا يستطيعون أن يكون لهم كيان إلا بأمر الله وتحت حماية خارجية كحماية أمريكا الآن .

ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتــــدون »(١) ، « وما ظلمهم الله ولـكن أنفسهم يظلمون »(٢) .

التعصب الأكمه : إذا بالغ الباحثون فى وصف التعصب ، وصفوه بأنه تعصب أعمى ، ولـكن هذا الوصف يقصر عن تصوير أخلاق اليهود ، والوصف الجدير بهم هو التعصب الأكمه (الذى لا يرى ولا يسمع). ولا عجب فى هذا فقد بلغ بهم التعصب إلى درجة المرض الخطير الذى يسميه علماء النفس بالنرجسية وهو أن يعشق المريض نفسه فلا يرى فى الدنيا سواه ، فالـكون كله مسخر له، وجميع الـكائنات — ماعداه — ماوجدت إلا لخدمته ، وهو بهذا لا يفكر ولا يرى ولا يسمع ولا يحس إلا ذاته و كل ما عداه هباء ، وكما يصاب الأفراد بهذا المرض الخطير تصاب به الجماعات ، وأشد الطوائف إصابة بهذا المرض الخطير طائفة اليهود ، ولقد أصبح هذا المرض فيهم خطيراً مزمناً متوارثا عبر الأجيال وهو مفتاح شخصيتهم ، وعلة تصرفاتهم ، منذ ظهروا حتى الآن ، فقد ورد فى التلمود (٣) — وهو موضع تقديسهم ، ومصدر عقيدتهم : « إن أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده ، وإن أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح ، لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ، وإن نطفة غير اليهودى هى كنطفة باقى الحيوانات » .

ويزعمون أن النعيم مأوى أرواح اليهود ، وأنه لا يدخل الجنة إلا اليهود ،

---

(١) آل عمران: ١١٢ . (٢) آل عمران : ١١٧.

(٣) راجع الـكنز المرصود فى قواعد التلمود ، وسفر حزقيال ٢٣ : ١٩ — ٢١ ، وإسرائيل والتلمود ص ٩٠ للأستاذ صاحب هذا التصنيف .

وأن النار مأوى جميع الشعوب ؛ ولهذا أصبح من مبادئهم المقدسة المدونة في التلمود أنه « يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم ، وإذا تسلط غير اليهود على أوطان اليهود حق لهؤلاء أن يندبوا و يقولوا : يا للعار ! ويا للخزى ! وقبل أن تحكم اليهود نهائيا على باقى الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ، وأن يهلك ثلثا العالم » (١) .

وهم فى سبيل الظفر بحكم العالم لا يبالون أن يدمروا ثلثى العالم على أن يبقى الثلث الباقى لخدمتهم وكل منهم « معتبر عند الله أكثر من الملائكة ، فإذا ضرب أممى (٢) إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ، ويستحق الموت ، ولولم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس... والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقى الشعوب . . . والأجانب كالكلاب ، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب (٣) ولا للكلاب ، والكلب أفضل من الأجنبى لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبى أو أن يعطيه لحما بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منه ... وقد خلق الله الأجنبى على هيئة إنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم » (٤) .

ومن هنا نرى كيف استشرى فيهم هذا الداء الخطير ، وكيف قادهم إلى حافة الجنون حتى أصبحوا « يساوون أنفسهم مع العزة الإلهية ، فالدنيا وما فيها ملك لهم ويحق لهم التسلط على كل شىء فيها . والسرقة جائزة من اليهودى ،

---

(١) راجع الكنز المرصود وسفر حزقيال ٢٣ : ١٩ — ٢١ . (٢) يزعمون أن جميع الشعوب أمية بالنسبة إليهم ، وأنهم وحدهم انفردوا بالعلوم والفلسفة والفنون ، وقد نظروا إلى العرب هذه النظرة فقالوا : « ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .
(٣) جميع من عداهم من الشعوب . (٤) إسرائيل والتلمود ص ٦١ .

ومسموح بها إذا كانت من مال غير اليهود ، والسرقة من غير اليهودى لا تعتبر سرقة بل استرداداً لمال اليهودى . . . وأموال غير اليهود مباحة عند اليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحر التى يمتلكها من يضع يده عليها أولا ..».

ومن القواعد الأساسية فى التلمود « أنه مسموح بغش الأجنبى وسرقة ماله بواسطة الربا الفاحش »(١) ، وأن « حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله ؟ ؟ » . وقد أوصاهم سفر الخروج بأن «يستعيروا حلى المصريين وثيابهم وأمتعتهم وأموالهم ثم يستولوا عليها »(٢) .

ولا نستطيع أن نستطرد فننقل معظم نصوص التلمود والعهد القديم فحسبنا ما ذكرناه مثالا لما تركناه .

التدمير والتلويث : امتلأت حياة اليهود عبر القرون بالتطبيق الفعلى للانحلال الخلقى ، ولأحط ألوان الشر والفساد التى استقوها من التلمود ، ولهذا حرصوا على تدمير جميع القيم المثالية ، وعلى تشويه المقدسات السامية حتى الذات الإلهية فإنهم مع تقديسهم لله وتنزيه اسمه (يهوتاه) عن أن تنطق به الشفاه يستبدلون به اسم (أدناوى) ، وهم مع هذا يصفونه بالصفات البشرية فهو يقسم أوقاته بين العمل واللعب ، وهو ـ سبحانه ـ يقضى الساعات الأخيرة من النهار فى اللعب مع الحوت ملك الأسماك ، ويقضى ساعات الليل فى مذاكرة التلمود مع الملائكة ، ومع ملك الشياطين ، والإله عندهم يخطىء ويصيب ، ويستبد به الندم أحيانا حتى يحمله على البكاء ، بل هو يخصص ثلاثة أرباع

---

(١) أشار القرآن الكريم إلى هذه الصفة بقوله : « وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما» سورة النساء : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) خروج ٣ : ٢١ ، ٢٢ .

لليل للبكاء والندم ، وهو إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما فى الآفاق » (١) .

وإذا تساءلنا ما الذى يحمل الرب على الندم والأسف والبكاء ؟ إن الجواب طبعاً يدور حول بنى إسرائيل لأنهم شعب الله المختار أو هم أبناء الله وأحباؤه فإذا مسهم ضر أو حلت بهم كارثة استبد الغضب والحزن بالرب أعنف استبداد، وهتف فى ألم مرير قائلا : « تبا لى ! أمرت بخراب بيتى ، وإحراق الهيكل وتشريد أولادى ! ! » ، وإذا مجده الناس أدركه الندم وشعر بوخز الضمير لأنه سمح لأعداء شعبه المختار بهدم الهيكل ، وتشريد أبنائه الأعزاء فيقول : « طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك وويل للأب الذى يمجده أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك لأنه قضى عليهم بالتشريد والشقاء »(٢) .

وقد وصف القرآن الكريم تخبطهم الجنونى فى تصورهم للخالق المعبود ، فهم لا يستطيعون تصوره إلا فى صورة مادية مجسمة : « وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون »(٣) . وصوره لهم خيالهم المريض فى صورة تمثال ذهبى للعجل أبيس : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون »(٤) . ثم لج بهم الخيال فعقدوا موازنة بينهم وبين الله ، وفضلوا أنفسهم عليه فقالوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء »(٥) ، ثم قالوا « يد الله مغلولة »(٦) .

وأما تلويثهم للأنبياء فيعرضه التلمود والتوراة فى أقبح صورة وأشنع مثال: فآدم وحواء عليهما السلام عاهران : « فكان آدم يأتى شيطانة مهمة اسمها ليليت مدة ١٣٠ سنة فولد منها شياطين وكانت حواء لا تلد فى هذه المدة إلا شياطين ، بسبب نكاحها من ذكور الشياطين »(٧) .

---

(١) إسرائيل والتلمود للأستاذ إبراهيم خليل صاحب هذا التصنيف : ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٢) المصدر السابق: ٣٨ . (٣) البقرة : ٥٥ . (٤) البقرة ٩٢ .
(٥) آل عمران : ١٨٠ . (٦) المائدة : ٦٤ .
(٧) الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، وإسرائيل والتلمود ص ٥٨ للمؤلف .

ولوط عليه السلام صوره العهد القديم فى صورة رجل مخمور يتصل بابنتيه وينجب منهما : « فتلد الكبرى موآب ، وهو أبو الموآبيين ، وتلد منه ابنته الصغرى بن عمى وهو أبو عمون » (١).

وهرون عليه السلام هو الذى صنع التمثال الذهبي للعجل ، ودعا بنى إسرائيل لعبادته ، وليس السامرى كما ذكر القرآن الكريم (٢) ، فجعلوه داعية للشرك لا للتوحيد (٣) .

ويعقوب عليه السلام استباح لنفسه أن يحتال ويسرق مال صهره لابان ، وتتكرر منه الخديعة والسرقة عدة مرات (٤) .

وداود عليه السلام وقع بصره على امرأة مفرطة فى الجمال وهى تستحم متجردة من جميع ثيابها فشغف بها حباً وسأل عنها فأخبر أنها زوجة أوريا الحثى أحد جنوده المحاربين المشتركين فى حملة حربية بقيادة يوآب . فبعث داود فى طلبها فجىء بها إليه ، «واضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى »(٥) . وتحايل داود على أن ينسب الحمل إلى زوجها فاستدعاه من الميدان ، وأمره أن يبيت فى بيته قبل عودته ، فأبت شهامة الجندى الباسل أن يبيت منعما فى بيته وإخوانه فى ميدان القتال ، فرفض الذهاب إلى بيته وتكرر الطلب والرفض ، ولما ضاق داود ذرعاً أرسله إلى ميدان الكفاح وأرسل معه خطابا إلى القائد العام ليدبر قتله ، ويلقى مصرعه تنفيذاً لأمر داود ، « فلما سمعت امرأة أوريا أنه مات ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا »(٦).

---

(١) تكوين ١٩ : ٣٠ – ٣٨ .
(٢) طه : ٨٥ — ٩٧ .
(٣) أعمال الرسل ٧ : ٣٥ — ٤٣ .
(٤) تكوين ٣٠ : ٣٧ — ٤٣ .
(٥) صموئيل الثانى ١١ : ٢ — ٥ .
(٦) المصدر السابق : ٦ — ١٥ .

وسليمان عليه السلام ضم فى حريمه ألف امرأة من مختلف الجنسيات ، ولما تقدمت به السن ضعف أمام نسائه ، فترك عبادة الله واعتنق عبادة أصنامهن ، فبنى معبداً لعشتورث إلهة الصيدونيين ، وملكوم إلهة العمونيين ، وكموش إلهة الموآبيين ، ومولك صنم بنى عمون ومال قلب سليمان عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب (١) .

والسيد المسيح عليه السلام « موجود فى لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار، وأمه مريم جاءت به من العسكرى باندارا بمباشرة الزنا ، وأن الكنائس أشبه بالقاذورات ، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة »(٢).

وأما موقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم فقد عاهدوه ثم نقضوا عهده وناصروا المشركين عليه وانضموا إلى جيوش الأعداء فى غزوة الخندق ، ودبروا قتله بإلقاء حجر عليه فأنبأه الله بالمؤامرة ونجاه منها ، وحاولوا مرة أخرى قتله بالسم فدست إحدى نسائهم السم له فى ذراع شاة ، ونجاه منها الله .

ومن هذا يتضح أنهم شوهوا صورة الله ولوثوا أنبياءهم وقتلوا بعضهم وفضلوا أقوال الحاخامات على أقوال الأنبياء : « إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله . . . وقد وقع الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود فى أمر من الأمور ، وبعد أن طال الجدال تقرر إحالة الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ الإله مما اضطر سبحانه وتعالى إلى الاعتراف بالخطأ »(٣).

أما نظرتهم إلى بقية الشعوب فقد ذكرنا أنهم كانوا يعتقدون أن أرواحهم

---

(١) ملوك أول ١١ : ١ — ١٣ . (٢) الكنز المرصود ، وإسرائيل والتلمود ٦٠ — ٦١ .
(٣) الكنز المرصود ، وإسرائيل والتلمود ص ٥٧ .

أرواح حيوانات ، وأنهم خلقوا فى صورة الآدميين ليكونوا عبيدا وخدما لبنى إسرائيل .

إن هذا المرض الخطير الذى تفشى بين اليهود وتوارثوه جيلا بعد جيل (مرض النرجسية) قد أنتج فيهم مرضاً آخر يسميه علماء النفس بالسادية وهو التلذذ بإيقاع الأذى على الآخرين وحب تلويثهم ، وتبلغ النشوة قمتها عند هؤلاء المرضى بإراقة الدماء ، وبهذا تبخرت الإنسانية وامحت من نفوس هؤلاء الأشرار فأصبحوا ممسوخين فى آدميتهم مشوهين فى طبائعهم كالقردة والخنازير ، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين »(١)، والآية الكريمة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل »(٢).

هذه الطبيعة الإنسانية المشوهة الممسوخة أنتجت آثارا ممسوخة تقوم على أساس الفتك والتدمير عند المقدرة ثم المكر والدس والنفاق والذلة والهوان عند الضعف ، وتاريخ اليهود منذ أربعين قرنا يقوم على هذين الأساسين دون تغيير .

أما الفتك والتخريب والتدمير فمن أصول عقيدتهم المقدسة فى صحائف التلمود ، ومن أمثلتها المعبرة فى صراحة وقحة : « من العدل أن يقتل اليهودى بيت كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانا إلى الله » ، والكفار فى عقيدتهم هم كل من عدا اليهود ، وقد تكررت هذه النصيحة فى عشرات المواضع من التلمود مثل : « اقتل الصالح من غير اليهود ، ويحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من الأجانب من الهلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها بل عليه

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٦ . (٢) سورة المائدة : ٦٠ .

أن يسدها بحجر » ، ويحدثنا سفر التكوين عن تدمير بنى يعقوب لإحدى مدن أعدائهم وكيف قتلوا كل ذكر وكيف نهبوا كل ما فى المدينة وما فى الحقل أخذوه ، وسلبوا ونهبوا كل ثرواتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما فى البيوت [١].

ومن وصايا التلمود أن اليهودى لا يخطىء إذا اعتدى على عرض الأجنبية لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة والعقد لا يوجد بين البهائم .. ولليهود الحق فى اغتصاب النساء غير المؤمنات [٢] ... والزنا بغير اليهود ذكورا كانوا أم إناثا لا عقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات .

وأما المكر والنفاق والضعة والهوان وحبك الدسائس وتدبير المؤامرات فهى مشروعة مع غير اليهود طبقا لدستورهم المقدس، من وصايا التلمود ، ومن أمثلتها : « ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه أو يرحمهم ، ويحق لليهودى أن يغش الكفار ، ومحظور عليه أن يحيى الكافر بالسلام مالم يخش ضرره أو عدوانه ، والنفاق جائز فى هذه الحالة ، ولا بأس من ادعاء محبة الكافر إذا خاف اليهودى أذاه . . . وإذا جاء الأجنبى واليهودى أمامك بدعوى فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلى رابحا فافعل ، واستعمل الغش والخداع فى حق الأجنبى حتى تجعل الحق لليهودى . . . » .

ولا نستطيع أن نستطرد فننقل جميع فقرات التلمود وحسبنا ما ذكرناه مثالا لما أغفلناه [٣].

---

(١) تكوين ٣٤ : ١ — ٧ و ٢٥ — ٢٩ . (٢) غير اليهوديات .

(٣) راجع الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج ، وأيضا إسرائيل والتلمود للأستاذ إبراهيم خليل أحمد صاحب الكتاب القيم الذى نقدمه للقراء الآن .

ونتيجة لهذا كله أصبح اليهود منعزلين عن العالم محصورين فى نطاق ذواتهم المريضة وعقائدهم الدنسة الحقيرة ، يسرقون وينهبون ويستبيحون المحارم، فإذا كشفت المجتمعات أمرهم طاردتهم فى عنف ومزقتهم شر تمزيق؛ ليعودوا فى مجتمعات أخرى لتمثيل أدوارهم البغيضة فى تلويث الكرامة الإنسانية فى كل مجال . وهكذا أصبحوا أقليات عديدة تحيا فى مختلف الدول وبين شتى الشعوب فى انطواء ذاتى وتمسك عصبى بألوان الفساد والانحلال فإذا آنسوا فى أنفسهم القوة أمعنوا فى التخريب والتدمير والفساد ، وما أتيحت لهم القوة قط إلا تحت ظل الآخرين .

* * *

وكثير من المسلمين يتلون قوله تعالى : «لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون . ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »(١).

كثير من المسلمين يتلون هذا النص القرآنى المقدس ، ويقولون : إن الله لا يخلف وعده وإن وعد الله حق . ولكن كيف تم النصر لليهود على المسلمين منذ عام ؟ (عام ١٩٦٧) ، وكيف استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على الأرض المقدسة ، وأن يحتلوا المسجد الأقصى ، وهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومهبط الأنبياء ، وموطن الإسراء والمعراج ؟ ثم يمعن فى التساؤل قائلا: كيف عزوا بعد الذل ؟ وقووا بعد الضعف ، واستطالوا بعد الهوان ؟

ولهؤلاء نقول : إن الله لا يخلف وعده ، وإنهم من بعد غلبهم سيغلبون ،

---

(١) سورة آل عمران : ١١١ ، ١١٢ .

وإن الله سبحانه وتعالى يبتلى عباده المخلصين : « وليمحص الذين آمنوا ويمحق الـكافرين »[١] ، وقد ابتلى الله المسلمين فى غزوة أحد ، كما ابتلاهم فى غزوة الخندق وفى غزوة حنين، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وحتى «زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر »[٢] ، وحتى « ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا »[٣] ، ولـكن الإيمان والثقة بالله والتضحية والاستشهاد كانت عدة النصر ، وبشير الفوز ، وطليعة الأمان : «ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما »[٤] ، وإذا انطلقت الشائعات ونمت وتناقلتها الألسنة مشفوعة بعبارات الإرهاب والتخويف تـكسرت هذه الموجات على شواطىء اليقين والإيمان : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لـكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم »[٥] . وكانت النتيجة أن الله نصر أولياءه وخذل أولياء الشيطان : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً »[٦].

وإذا كان المؤمنون قد أصابهم عنت ومشقة فقد أصاب أعداءهم شتى ألوان العنت ، والمشقات : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله »[٧]، وعلى المؤمنين أن تظل ثقتهم بالله قوية وإيمانهم به فوق منال الريب والشكوك : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون »[٨]، فلا مجال للوهن ولا للتوجس والخوف بأى حال: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»[٩] .

---

(١) آل عمران : ١٤١ . (٢) الأحزاب : ١٠ . (٣) الأحزاب : ١١ .
(٤) الأحزاب : ٢٢ . (٥) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤ .
(٦) الأحزاب : ٢٥ . (٧) آل عمران : ١٤٠ . (٨) الحجرات : ١٥ .
(٩) آل عمران : ١٣٩ .

وعلى كل مسلم أن يعلم علما يقينيا لا يعتريه شك أو ارتياب أن الذلة التى ضربها الله على اليهود ظلت قائمة وستبقى قائمة إلى أن « تبدل الأرض غير الأرض والسموات »(١) ؛ لأنهم لا يشعرون بالعزة إلا وهم أذلاء ، ولا بالقوة إلا وهم ضعفاء ، ولا بالاستقلال إلا وهم محتـــلون ، فالذلة مضروبة عليهم : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، فحبل الله أن يهيىء لليهود فرصة النصر المؤقت لابتلاء المؤمنين ليتوبوا إلى الله وليستمسكوا بحبله المتين ، والله ينصر من ينصرونه: « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »(٢)، وإذا انتصر اليهود فى بعض المعارك فسينهزمون أخيراً فإن العاقبة للمتقين : « يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم »(٣)، ولقد نبه الله المؤمنين عقب غزوة أحد إلى علة ما أصابهم من هزيمة واندحار : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم . . . »(٤)، « وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور »(٥) ، فالفشل والانقسام وعصيان أوامر القادة كانت من أهم أسباب الانهزام . . ولكنه درس يلقنه الله لأوليائه لينقى نفوسهم وليلقنهم أن الإيمان والاستعداد والوحدة والطاعة المطلقة هى أساس النصر المبين .

فليس معنى انهزام المسلمين فى بعض المواقع استسلامهم للذلة والهوان ، وليس معنى انتصار اليهود فى بعض المواقع أنهم تخلصوا نهائياً من الذل والهوان .

وأما حبل الناس فإن التاريخ يحدثنا أن اليهود كانوا يلوذون دائما بالدول

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٨ . (٢) سورة الروم : ٤٧ . (٣) سورة محمد : ٧ ، ٨ .
(٤) سورة آل عمران ١٥٢ . (٥) آل عمران : ١٥٤ .

القوية والحكام الأقوياء يستظلون بحمايتهم ، ويعيشون فى كنفهم أذلاء .
وإلى هذا أشار التلمود بقوله : « نحن شعب الله فى الأرض ، وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا ، ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الإنسانى وهم كل الأمم والأجناس ، سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان : نوع أخرس كالدواب والأنعام والطير ، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب ، فسخرهم ليكونوا فى خدمتنا ، وفرقنا فى الأرض لنمتطى ظهورهم ونمسك بعنانهم ، ونستخرج فنونهم لمنفعتنا ، لذلك يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء ، وأن ندخل أبناءنا فى الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا فى الدول وأعمالها فنفتنهم ونوقع بينهم وندخل الخوف عليهم ليحارب بعضهم بعضا وفى ذلك كله نجنى الفائدة الكبرى »[1].

فهم يلتمسون العزة بتقديم بناتهم الجميلات للملوك والوزراء والعظماء ، وأن يدوس أبناؤهم عقائدهم المقدسة ويعتنقوا الديانات الأخرى ليخدعوا أرباب هذه الديانات ، وليستمدوا منهم القوة والاستعلاء ، وما كان حكام اليهود — كما يقرر المؤرخ الكبير ﻫ . ج . ولز[2] — إلا « قضاة من الكهنة ينتخبهم الشعب وأصبحوا بعد الوحدة ولايتين صغيرتين بين شقى الرحى تطحنهما على التوالى سوريا ثم بابل من الشمال ، ومصر من الجنوب . . » . هى قصة ملوك همج يحكمون شعبا من الهمج حتى إذا وافت سنة ٧٢١ ق.م. محت يد الأسر الأشورى مملكة إسرائيل من الوجود ، وزال شعبها من التاريخ زوالا تاما ، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى حل بها سنة ٦٠٤ ق . م . ما حل بإسرائيل .

---

(١) إسرائيل والتلمود لصاحب هذا المصنف ص ٧٢ .
(٢) موجز تاريخ العالم ص ٩٢ وما بعدها .

ولما كانت شوكة مصر قوية سنة ٦٠٨ ق.م . لجأ إليها اليهود وعاشوا فى ظلها أذلاء لها أقوياء — بقوتها — على أعدائهم . فلما ضعفت مصر وقويت شوكة البابليين كاد اليهود لمصر وانضموا إلى القوة الناشئة الجديدة تحت حكم نبوخذ نصر ، ولكن دسائسهم ومكائدهم حملتهم على احتراف الجاسوسية واعتقال بعض الناهين من البابليين ، «عندئذ صمم الملك الجديد أن يمزّق تلك الدولة الصغيرة كل ممزق بعد أن ظلت أمداً طويلا تستفيد من تأليب مصر على الإمبراطورية الشمالية فأمر الملك بسبى يهوذا ونهبت مدينة أورشليم ودمر الهيكل وأحرقت القصور وحمل من بقى بها من الناس أسرى إلى بابل » (١) .

ولما بزغت دولة الفرس القوية اتصل بها اليهود وقدموا فتاتهم الجميلة (استير) لملكها القوى فلقيت لديه مكانة أثيرة لأنها كانت « جميلة الصورة وحسنة المنظر.. وحسنت الفتاة فى عينيه ونالت نعمة بين يديه .. وكانت استير تنال نعمة فى عينى كل من رآها . . فأحب الملك استير أكثر من جميع النساء ، ووجدت نعمة وإحسانا قدامه أكثر من جميع العذارى فوضع تاج الملك على رأسها »(٢) فاستطاعت أن تشفع لقومها اليهود وترفع عنهم التشريد «وكان فرح وبهجة عند اليهود وولائم ويوم طيب» (٣) .

وقد وصف القرآن الكريم اليهود بالجبن والتمزق : «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين»(٤) كما وصفهم بأنهم :«لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » (٥) . أما جبنهم فأحداث تاريخهم فى

---

(١) موجز تاريخ العالم للمؤرخ الكبير هـ . ج . ولز ص٨٩.
(٢) سفر استير الإصحاح الثانى . (٣) استير الإصحاح الثامن.
(٤) سورة الحشر: ٢. (٥) الحشر : ١٤ .

أربعين قرنا تنطق به وتـــدل عليه ، وأما أن بأسهم بينهم شديد وأن قلوبهم شتى فهو أمر معروف منذ نشأتهم حتى الآن ، أما فى نشأتهم فقد انقسموا إلى ولايتين متدابرتين متناحرتين هما ولاية يهوذا فى الجنوب ، وولاية إسرائيل فى الشمال ، والمطالع لسفر الملوك الأول وسفر الملوك الثانى فى العهد القديم يرى كيف انحرفت الولايتان إلى عبادة الأصنام ، وكيف قامت بينهما الحروب المدمرة . وقد ذكر الإصحاح الثالث عشر من سفر أخبار الأيام الثانى أن الله نصر يهوذا على إسرائيل ، « فانهزم بنو إسرائيل من أمام يهوذا ودفعهم الله ليـــدهم وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من إسرائيل خمسمائة ألف » (١).

واستمر تاريخ اليهود على هذا المنوال حتى العصر الحديث ؛ فبعد قيام إسرائيل انقسم اليهود إلى طائفتين : طائفة ترى فى قيام إسرائيل خطراً على اليهودية وجناية على الطوائف اليهودية التى تعيش كرعايا فى الدول القوية لأنها تظهرهم فى مظهر الأجانب ، وهم بهـــذا يخضعون للقوانين التى تطبق على الأجانب فى هذه الدول ، فتسلبهم ما ظفروا به من نفوذ وثراء وجاه . وطائفة أخرى تهلل وتـكبر لقيام إسرائيل وتمدها بالأموال والسلاح والرجال . أما فى داخل إسرائيل فالجموع اليهودية منقسمة إلى طائفتين كبيرتين طائفة القرائين وطائفة الربانيين ، والخلاف بينهما شديد فى العقيدة الدينية . وهناك انقسام أشد خطراً وهو تعصب اليهود الوافدين من أوروبا على اليهود الوافدين من الشرق واستئثار الأولين بالمناصب والنفوذ ، وحصر الآخرين فى نطاق العمال والزراع والخدم ومن فى مستواهم من السوقة والغوغاء ، وهو اضطهاد عنصرى عجيب

---

(١) أخبار الأيام الثانى ١٣ : ١٣ — ١٧ (أبيا بن يربعام ملك يهوذا) .

جعل كثيرين من اليهود الشرقيين يتسللون هربا من إسرائيل .

* * *

وتاريخ اليهود ملىء بالعجائب حافل بالمتناقضات ، وقد صدرت عدة كتب بمختلف اللغات تناولت هذا التاريخ من زوايا مختلفة ولكن الكتابة فى هذا الموضوع تحتاج إلى مؤرخ عالم دقيق ، درس جميع الأسفار المقدسة دراسة علمية عميقة ، وألم إلماماً كبيراً بالتلمود ، وتعمق فى الأبحاث التاريخية العامة ، وعرف البواعث والأسباب ، والأهداف ، ولمس ماوراء الظواهر ، وكشف ماخلف الأستار من دسائس ومكائد ومؤامرات ، وبحث أهداف الصهيونية ، وعرف وسائلها الظاهرة والخفية وأدرك أسرار الجمعيات التى أنشأها اليهود فى صورة غير يهودية ، وعلم أغراضها العلنية والمستورة ، ودرس إلى هذا كله التاريخ الإسلامى ، وبحث الصراع الدينى بين مختلف العقائد وهذا كله يحتاج إلى مجمع علمى يتكون من صفوة الباحثين المنصفين .

ولكن الأستاذ إبراهيم خليل أحمد تقدم لحمل هذا العبء وحده فى ثقة واطمئنان ويقين، ومما لاشك فيه أن غيره لا يستطيع النهوض وحده بهذا العمل والقيام به على خير وجه والاستقلال به فى أحسن أداء .

فقد تيسرت له وسائل لم تتيسر لغيره من الباحثين ومن أهمها :

اولا — انه بدا حياته العلمية مسيحيا ماعصبا متخصصا فى الكتاب المقدس:

حيث درس نصوصه وعرف فلسفته ، وقرأ شروحه قراءة مستوعبة وآمن به إيمانا عميقا سواء بأسفار العهد القديم أم بأسفار العهد الجديد ، كما ألم إلماما تاما بالعقائد اللاهوتية وتاريخ اليهود ورجال الكنيسة فى شتى العهود .

ثانيا — اهلته مواهبه العقلية للحصول على اجازات علمية عديدة ، من اهمها:

١ — دبلوم كلية أسيوط الأمريكية الثانوية سنة ١٩٤٢ م .

٢ ـ دبلوم كلية اللاهوت الإنجيلية المشيخية بالقاهرة سنة ١٩٤٨ .

٣ ـ تعمق فى دراسة اللغة العبرية ، واللغة اليونانية إلى جانب إجادته للغة الإنجليزية .

٤ ـ ثم ابتدأ حياته العملية ، وكان يحمل لقب (القس إبراهيم خليل فيلبس) راعياً للكنيسة الإنجيلية بباقور / محافظة أسيوط .

٥ ـ ولما ظهر نبوغه وتعمقه فى الدراسات اللاهوتية **والاسلامية من وجهة نظر المستشرقين** تم تعيينه أستاذا للعقائد المسيحية والإسلامية بكلية اللاهوت الإنجيلية بأسيوط .

٦ ـ تم اختياره مبشرا وسكرتيراً عاما للإرسالية الألمانية السويسرية بأسوان ، وكان مستشفى الجرمانية فى أسوان مركزا للعمل التبشيرى بين المسلمين فى محافظتى أسوان وقنا .

٧ ـ وكانت طبيعة عمله تحتم عليه أن يدرس الفلسفة الدينية وأن يتعمق فى دراسة علم « مقارنة الأديان ونقدها » وبالتالى أن يدرس الإسلام دراسة علمية دقيقة فى مصادره الأولى الأصيلة ، فدرس القرآن الكريم ، واستظهر كثيراً من آياته البينات ، كما خاض بحاراً عديدة من كتب التفسير ، ثم درس الحديث الشريف ، واستوعب منه ـ ماشاء الله له أن يستوعبه ـ من النصوص النبوية الكريمة . ثم قرأ كتب السيرة النبوية ، وصحب الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وهديه ، منذ أن هبط عليه الوحى السماوى حتى لقى الرفيق الأعلى .

وكان شأنه فى هذه الدراسات العلمية شأن العلماء الباحثين المنصفين ، يتلمس الحقائق ، وينشد الإنصاف ، ويستهدف المثل العليا فى الحق والخير والجمال بعيداً

عن التعصب ساميا عن التحزب مترفعاً عن الميول الذاتية ، طليقا من التقاليد الوراثية ، فإذا اقتنع بأمر أعلنه وتمسك به ودافع عنـــه ، ودعا إليه وجاهد فى سبيله بكل ما يملك من طاقات .

وكانت النتيجة الحتمية لهـــذا كله أن اقتنع بالإسلام عن بصيرة وأعلن إسلامه مضحيا فى سبيل عقيدته الجديدة بمصالح مادية عديدة . وخاض فى سبيل إسلامه أهوالا شداداً ، وتعرض لعـــداوات وحزازات ، وتحمل مشقات ونـــكبات .

وحاول المحاولون أن يفتنوه وأن يرهبوه أو يمنوه ، لـــكنه صبر وصابر ، وطاول وجاهد وبذل من ماله وجهده وصحته ما بذل ، وشرع قلمه ، وأدار لسانه فى خدمة الدعوة الإسلامية وإبراز ماتحمله من الحقائق ، وإظهار ماتمتاز به من القيم المثالية والتعاليم الربانية والومضات الروحانية ، واستطاع أن يخرج فى سنوات معدودات كتبا قيمة نفع الله بها الـــكثيرين وسدت فراغا كبيراً فى المـــكتبة العربية منها :

١ ــ محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن .

٢ ــ المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى الإسلامى .

٣ ــ إسرائيل والتلمود « دراسة تحليلية » .

ها هو ذا اليوم يقدم موسوعته الكبرى فى تاريخ اليهود (إسرائيل فتنة الأجيال) والآن ندع القارىء يستمتع بهذا الـــكتاب القيم .

ونتمنى لهذا القلم أن يبارك الله فيه وأن يمنحه الخير والبركات ، وأن ينتج منه أطيب الثمرات .

على عبد العظيم

تمهيد

لفلسطين أهمية بالغة فى نظر الفلسطينيين لأنها وطنهم ، وفى نظر العرب لأنها قلب البلاد العربية ، وفى نظر المسيحيين لأن فيها مقدساتهم : من المسجد الأقصى إلى كنيسة القيامة .

كما أنها موضع تقديس أهل الكتاب جميعا من مسيحيين ويهود ، وهى مهد الأنبياء وموطىء قدم المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وهى ذات موقع جغرافى له خطورته ، فهى نافذة على البحر الأبيض المتوسط ، وتتاخم بلدانا كثيرة فى آسيا ، والجسر البحرى بين آسيا وإفريقيا .

فإذا سيطر عليها شعب من غير جنس أبناء البلاد هدد السلام فى المنطقة كلها .

هذه المنطقة التى شهدت مواقع بطولية تاريخية من موقعة اليرموك إلى موقعة حطين إلى موقعة عين جالوت غيرت التاريخ فبدلت العصر الإسلامى بالعصر الرومانى وطهرت البلاد من الصليبيين ، وأنقذت العالم بأسره من التتار .

اغتصبها بمؤازرة الاستعمار البريطانى شعب قد قضى الله عليه بالذلة ، وسلط عليه بذنوبه من لا يرحمه من دول أوربا . . . اغتصبها الصهيونيون الذين أراد الغرب أن يتخلص منهم فأغراهم بفلسطين متحدياً إرادة الشعوب ومبدأ حق تقرير المصير ، وانتزع البلاد بعد أن طرد أصحابها بقوة النار والإرهاب .

ووجود إسرائيل فى أرض فلسطين وصمة تلطخ جبين الإنسانية ، ولعلها تهز الشعور والضمير العالميين ، بل إنها فضيحة لاتليق بحضارة هذا العصر

ومدنية القرن العشرين أن تتواطأ بعض حكومات الأمم الحرة على طرد هذا الشعب المتجانس من موطن آبائه وأجداده ، ليحل محله أناس من شذاذ الأرض ، مختلفو المذاهب والأجناس واللغات والثقافة ، والعادات والتقاليد والأمزجة .

ولقد سجل التاريخ هذا الجرم الفاحش الذى يرتد بالجنس البشرى إلى أحط تصرفات الهمج فى ظل قانون الغاب .

إن أفظع الجرائم التى يسجلها التاريخ ليست اعتداء فرد على فرد ، أو استبداد قبيلة بقبيلة أو إخضاع شعب لشعب ، وإنما هى طرد أمة آمنة من وطنها دفعة واحدة ، ونهب مالها ، وتقتيل أفرادها : رجالا ونساء ، وأطفالا وشيبا ، وتشريد من بقى منهم وهو ما وقع على الشعب الفلسطينى اليوم فى هذا العصر الذى يلقبونه عصر النور والمدنية .

وكانت نكبة فلسطين سببا لما اجتاح الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٦ من عدوان إسرائيلى فرنسى إنجليزى ، ولما اجتاح سوريا والأردن ومصر من عدوان إسرائيلى سنة ١٩٦٧ الأمر الذى يحملنا بوصفنا أدباء أن نكون من الأزمة فى موقف المواجهة الشجاعة نتصدى لها ، بما أوتينا من فكر ووجدان ، وبما يعمر قلوبنا من ثقة وإيمان . . بأن نتدارس حقائق اغتصاب فلسطين ، ونتدارس كيف حيكت الدسائس ؟ وكيف نفذت المؤامرات ؟ وكيف ضاع هذا البلد العربى ؟ وكيف شرد أهله فى الآفاق ؟ حتى يدرك الملأ أن بلادنا كلها فى خطر ، وأن مأساة فلسطين ستعقبها مآس ونكبات ، ومن ثم فإن من حتمية الأمور تبصير الأمة والأجيال الصاعدة بهذا حتى يدركوا الواجب الذى تحتمه المعركة على كل فرد منا .

إن أمة مثل أمتنا لحرى بها ، بما أوتيت من عمق التاريخ ورحابة الآفاق ، وسعة المساحات ، وكثرة الممكنات ، وتعدد المواهب ، أن تتسع لمأساة أو نكسة مهما تكن هذه العبارات قاسية أليمة ، فتستوعبها لتضيع فى مساحاتها الشاسعة ، وتغرق فى تاريخها العميق وتقتلها مواهبنا وإمكانياتنا .

ولما كانت قضية فلسطين فذة فى أسبابها ونتائجها ، فريدة فى تطوراتها وملابساتها ، غريبة فى الدسائس التى حيكت حولها ، كان لزاما أن نفهم الصهيونية على حقيقتها ، وأن نتعرف الصلة بينها وبين اليهود ، وأن نقف على الأسباب التى دفعت بعض الحكومات إلى مناصرة أولئك الذين دبروا تلك المؤامرة لاجتياح فلسطين ، وما فتئوا يدبرون ويعملون لتحقيق مآرب أصبحت غير خافية .

مقدمة

ستزول إسرائيل

إن قيام إسرائيل فى فلسطين هو أثر مباشر من آثار الصدام بين حركة القومية العربية ، وبين قوى الاستعمار الغربى . وهى على حد تعبير ونستون تشرشل مفسراً لوعد بلفور: « تحقق فاصلا على الأرض العربية يحجز مصر بإمكانياتها عن المشرق باحتمالاته ، ومركزاً لحماية المصالح البريطانية إذا ما اضطرت بريطانيا وحلفاؤها إلى الجلاء عن البلاد العربية » .

فإسرائيل رغم هذا كله لا بد لها أن تزول للأسباب الآتية :

١ ـ لأنها أداة استعمار ، والاستعمار مهما طال فى سيطرته على مقدرات الشعوب النامية فإنه لا بد سيحمل عصاه ويرحل .

٢ ـ ولأنها تقوم على مساندة الغرب لها ، ومن ثم فهى لا تملك فى ذاتها مقومات البقاء .

٣ ـ ولأنها قامت بطريقة استفزازية ضد إرادة الشعوب العربية ، قامت فى أرض عربية شاسعة الأوطان فكان قيامها عدواناً صريحاً على الأمة العربية .

٤ ـ ثم إن هذه الأمة العربية قد عقدت العزم وصممت كل التصميم على الدفاع عن أرضها واسترداد ما اغتصب من وطنها .

٥ ـ بل إن التاريخ يؤكد زوالها ، والأنبياء قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد تنبأوا بغضب الله عليهم وأنه بوأهم بالذلة والمسكنة ، فتنبأ المسيح عن

خراب الهيكل بقوله: «هوذا بيتكم يترك لكم خرابا»[١]، وقوله: «أتنظر هذا البناء العظيم . فلا يترك هنا حجر على حجر إلا وينقض»[٢] . وحاولوا إعادة مملكة داود فشقوا عصا الطاعة على الدولة الرومانية وقاموا بثورة دامية ما إن ترامت أنباؤها لمسامع الإمبراطور تيطس حتى أسرع إليها سنة ٧٠ م فأخمدها ودمر الهيكل تدميراً وخرب مدينة أورشليم .

ولما أعاد اليهود الكرة ثانية بثورة أشد من الأولى دخلت جحافل الجيش الرومانى أرض فلسطين سنة ١٣٥ م ، ودمروا القدس تدميراً كاملا ، وأجلوا اليهود بكاملهم عن أرض فلسطين إلى الأجزاء النائية من الإمبراطورية الرومانية، وهكذا فإن صلة اليهود الرسمية بفلسطين انتهت فى عام ١٣٥م ولم يعد لها وجود طوال السنوات الألف والثمانمائة وست عشرة التى تلت. ويذكر Will Durant «وول ديورانت» فى موسوعته The Story of Civilizition «قصة الحضارة» أنه فى سنة ٣٦١ م صرح الإمبراطور جوليان لليهود بإعادة بناء الهيكل من مال الإمبراطورية ــ والهيكل فى نظر اليهود إلى جانب الذكرى المقدسة عبر القرون عن أمجاد مملكة سليمان وداود فإنه رمز لرضا الله عنهم وحمايته لهم ــ وساندهم الإمبراطور جوليان لتشييد الهيكل الذى سبق تخريبه وتدميره فى عهد الإمبراطور تيطس سنة ٧٠م ، وفى سنة ١٣٥م ، كما ساندهم كورش ملك فارس من قبل الذى صرح لهم بالعودة إلى فلسطين وشجعهم على إعادة بناء الهيكل الذى خرّبه الملك نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م.

وما إن بدأوا يحفرون الأرض لوضع حجر الأساس فى نشوة وفرح ليوم كانوا يحلمون به ، حتى تبدد فرحهم وتبدّل بحزن وأسى ، إذ خرج من باطن الأرض لهيب نار أحرق العمال القائمين بالعمل ، إلا أنهم عادوا إلى العمل من

---

(١) متى ٢٣ : ٣٨ .   (٢) مرقس ١٣ : ٢ .

جديد فعادت هذه الظاهرة مرة أخرى ، فأوقفت العمل وثبطت همة القائمين بالمشروع .

وخرج المسيحيون فى غبطة وسرور ، إذ بدا لهم أن الله غير راض عن إعادة بناء الهيكل ، وعجب اليهود من هذا وحزنوا له .

وفى هذا يقول العزيز الحكيم : « ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين »(١) .

لكن اليهود فى عنجهيتهم وتفاخرهم بعنصريتهم وتساميهم بتعاليمهم على الجنس البشرى كافة ـ الأمر الذى يبرأ منه الله ذو الجلال والإكرام ـ قد انطووا على أنفسهم فى مجتمع له نهجه فى الحياة ، وتحاملوا على البشرية فى حقد وكراهية فانقلبوا شراً على المجتمع ، وتحول المجتمع ليدرأ عن نفسه هذا الشر بطردهم أو استئصال شأفتهم من الوجود كما حاول ذلك أدولف هتلر عاهل ألمانيا السابق . وهؤلاء بنزعتهم هذه صدق فيهم قوله تعالى: « بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب »(٢) .

فما رعوا للإنسانية حقوقاً ، ولا للأنبياء والرسل قدسية وعصمة ، حتى أن نبيهم إيليا استغاث بالله قائلا: « تركوا عهدك ونقضوا مذابحك ، وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى ، وهم يطلبون نفسى ليأخذوها» (٣) .

وتؤكد الأناجيل الأربعة على لسان يحيى بن زكريا ، والمسيح عيسى بن مريم لمدانتهم بالقول : « أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون

---

(١) آل عمران : ١٧٨ . (٢) البقرة : ٩٠ . (٣) ١ مل ١٩ : ١٠ .

ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ؛ لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصدّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح »(١) .

ومات جوليان حاميهم ، وبموته تشتت اليهود فى كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية وسجل هذه الأحداث المؤرخ « جيروم »Jerome (٢) : « إن أهل فلسطين من اليهود كانوا لايزيدون على عشر ما كانوا عليه من قبل». وهذا تأييد لنبوءة إشعياء:« وتخرب الأرض وتقفر ، ويبعد الرب الإنسان ، ويكثر الخراب فى وسط البلاد . وإن بقى فيها عشر بعد فيعود ويصير للخراب »(٣) .

ولم يأت عام ٤٢٥ م حتى ألغى ثيودسيوس الثانى الحاخامية الفلسطينية ، وفى عام ٦١٤ م تخلت فلسطين عن زعامة العالم اليهودى .

منظمة الأمم المتحدة خالقة اسرائيل:

لقد ولدت إسرائيل عام ١٩٤٧ بقرار اتخذته منظمة الأمم المتحدة ، وكانت مدة المؤامرة من ١٨٩٧ إلى ١٩٤٧ أى نصف قرن بدأت بالمؤتمر الصهيونى الأول سنة ١٨٩٧ . الذى حددت فيه الحركة الصهيونية أهدافها بأنها « إقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ، يؤمنه القانون العام » .

وقد كانت هذه الحركة منذ نشأتها حركة هرمية بدأت من فوق إلى تحت . فقد قام بها نفر من قادة اليهود الغربيين ، وعلى رأسهم ثيودور هيرتزل مؤلف كتاب « الدولة اليهودية » ولا يعدو عمل هؤلاء القادة أن يكون انتهاكاً لأسلوب الحق والعدالة لإيجاد المبررات للاستعمار الغربى لكى يسيطر

---

(١) متى ٢٣ : ٣٣ ـ ٣٥ ، متى ٣ : ٧ ـ ٩ ، لوقا ١١ : ٤٧ ـ ٥٠ ، يوحنا ٨ : ٤٤ ـ ٤٧ .

(٢) Baron 1, 261 .

(٣) إش ٦ : ١١ ـ ١٣ .

على منطقـــة الشرق العربى ، ذات الموقع الاستراتيجى الهام ، والثروات الطبيعية الهائلة .

الرحلة الصهيونية تحبو الى اعتاب الدول العظمى :

ونحن نلمس هذا المعنى فى الاتصالات التمهيدية التى قام بها ثيودور هيرتزل من أجل كسب المؤيدين لمشروعه :

فقد اتصل ببسمارك ، وبعم قيصر ألمانيا وليم الثانى ، كما قابل فى فلسطين سنة ١٨٩٨ القيصر نفسه ، وكان فى جميع هذه المقابلات يؤكد أن الدولة المقترحة ستكون دولة نموذجية وجسراً يربط بين الغرب والشرق ، ونقطة إشعاع للحضارة الغربية . ولم تستطع ألمانيا القيصرية أن تستجيب لطلب هيرتزل ، لأنها كانت على يقين من أن تأييد مثل هذا المشروع يجب أن يسبقه انتصارها على بريطانيا المنافسة لها فى المنطقة . وهكذا أخذت تعد عدتها لخوض الحرب ضدها ، فكانت الحرب العالمية الأولى .

وأخذ ثيودورهيرتزل يبحث عن دولة أخرى تحتضنه وتحميه فاتجه بأنظاره إلى بريطانيا ، واتصل بوزير المستعمرات تشمبرلن ، ودار الحديث حول إقامة هـــذه الدولة فى صحراء سيناء بالمنطقة المحيطة بالعريش . وقد أكد هيرتزل لتشمبرلن بأن دولتهم ستخدم المصالح البريطانية فى المنطقة فقـــد كتب إليه يقول :

« حينما يجىء الوقت الذى نعيش فيه تحت ظل العلم البريطانى فى العريش فان فلسطين بدورها ستقع فى فلكه ».

ولـــكن هـــذا المشروع لم يـــكتب له النجاح ، فاتجه زعماء الصهيونيـــة عام ١٩٠٣ إلى روسيا ، وعرضوا خدماتهم عليها ، فلم يجدوا عندها الاستجابة الـــكافية لمخططهم .

وهكذا كان على زعماء الصهيونية أن ينتظروا حتى الحرب العالمية الأولى، وتهيأت لهم الفرصة للتحدث عن مشروعهم الذى لقى من بريطانيا ترحيبا حاراً لأنه يحقق لها ما تريد فى المنطقة ، فمثل هذه الدولة لن تكون سوى أداة فى يدها .

ويؤكد هذا الترابط الوثيق بين الصهيونية والإمبريالية رسالة بعث بها حاييم وايزمن زعيم الصهيونية بعد هيرتزل ، إلى صحفى مقرب من الحكومة البريطانية ورد فيها ما يلى : « نستطيع القول بصدق أنه إذا سقطت فلسطين فى فلك النفوذ البريطانى ، وإذا ما شجعت بريطانيا إقامة اليهود فيها ، فإنه سيصبح فيها بعد خمس وعشرين سنة أو ثلاثين سنة مليون يهودى أو أكثر ، وسوف يكون هؤلاء خير دفاع فعلى لقناة السويس » .

وفى الثانى من نوفمبر « تشرين الثانى » عام ١٩١٧، صدر بيان الحكومة البريطانية على صورة رسالة موجهة من أرثر بلفور الوزير البريطانى إلى روتشيلد الزعيم الصهيونى وهو بيان يعلن فيه : « أن حكومة جلالته تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين » ، وهو بيان متناقض مع الوعود التى قطعتها بريطانيا على نفسها للعرب .

وانتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء على تركيا وألمانيا واقتسام الحلفاء للولايات العثمانية ، وكانت الاتفاقات والمعاهدات فالانتداب البريطانى على فلسطين بعد تفتيت الشام إلى الإسكندرونة ولبنان وسوريا وفلسطين وشرق الأردن .

وخلال الفترة الواقعة بين ١٩٢٢ و ١٩٣٩ صدرت أربعة « كتب بيضاء » عن المسألة الفلسطينية على التوالى سنة ١٩٢٢ ، سنة ١٩٣٠ ، سنة ١٩٣٧ وأخيراً سنة ١٩٣٩ والأخير منها أهمها إذ بدا فيه أن بريطانيا قد غيرت

من سياستها تحت ضغط كفاح الشعب الفلسطينى . فهو يسلم بقيام دولة فلسطينية عربية فى المستقبل ، ويتخلى عن فكرة إقامة وطن قومى يهودى فيها .

ولكن بريطانيا إزاء نهجها سياسة الصواب والتعقل إحقاقا للحق لم تعد للصهيونية فارس أحلامها ، وفى هذه الأثناء برزت الولايات المتحدة لتأخذ صولجان السيادة العالمية ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية . وللولايات المتحدة الأمريكية فى منطقتنا مطامع : فالمنطقة العربية تقع جنوب المعسكر الاشتراكى الأوروبى ، بالإضافة إلى أنها تحتوى على ثلثى احتياطى البترول فى العالم .

ويؤكد مطامع الولايات المتحدة فى المنطقة العربية ما كشفته الأيام مما ذكرته صحيفة Daily Expres البريطانية فى مقال لها فى أول ديسمبر سنة ١٩٦٧ من أن حكومة الولايات المتحدة تفضل أن تظل قناة السويس مغلقة وأنها أبلغت بلغاريا بهذه الرغبة .

وقالت الصحيفة إن ذلك يرجع إلى سببين رئيسيين :

الأول : أن قناة السويس هى الطريق الطبيعى لمرور السفن السوفيتية التى تحمل الأسلحة إلى فيتنام .

والثانى : أنه طبقا للتفكير الأمريكى فإن إغلاق القناة يسد طريق الاتحاد السوفيتى إلى البحر الأحمر والمحيط الهندى .

ووضح من هذا أن الولايات المتحدة تريد من وراء تحريضها لإسرائيل وتشجيعها لها بالعدوان على الدول العربية ، السيطرة الاحتكارية على القارة الأوروبية من ناحية وإغلاق قناة السويس فى وجه التجارة مع آسيا وإفريقيا من ناحية أخرى .

وقد أوضحت صحيفة تريبون دى ناسيون الفرنسية ، أن الولايات المتحدة

الأمريكية بالاشتراك مع إسرائيل قد تمكنت لأول مرة فى التاريخ من سجن أوروبا فى البحر الأبيض المتوسط، ومنع الطرق المؤدية إلى الشرق الأقصى عنها وقطع مواصلاتها مع جزر الهند والمحيط الهندى خاصة وأن ما يقرب من ٨٠٪ من البترول الذى تستورده أوروبا يأتى عادة عن طريق البحر الأبيض المتوسط.

فإذا كانت وزارة الزراعة الأمريكية قد ذكرت بعد هذا كله أن أزمة الشرق الأوسط أثرت تأثيراً كبيراً على اقتصاد إفريقيا ومنطقة غرب آسيا وأن إغلاق قناة السويس منذ ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ قد غير بصورة خطيرة من طرق التجارة لكثير من دول آسيا وإفريقيا فقد كان واجبا عليها أن تضيف إلى ذلك أن السبب الرئيسى فى هذا هو اشتراك الاحتكارات الأمريكية فى المؤامرة ضد المصالح الحقيقية للشعوب لخدمة المصالح الإمبريالية العالمية وحليفتها إسرائيل.

وكان زعماء الصهيونية يدركون هذا التحول فى الزعامة من بريطانيا إلى أمريكا. فقد كتب بن جوريون فى عام ١٩٤٠: «أما أنا فلم أكن أشك فى أن مركز الثقل، بالنسبة لعملنا السياسى، كان قد انتقل من بريطانيا إلى الولايات المتحدة التى كانت قد احتلت المرتبة الأولى فى العالم».

واشنطن تحمى اسرائيل وتؤيدها:

وقد تبنت أمريكا أحلام الصهيونية بحماسة واندفاع لا نظير لهما؛ فكتب حاييم وايزمن فى كتابه «مولد إسرائيل» يصف مقابلته للرئيس الأمريكى روزفلت عام ١٩٤٢، قائلا: «كان موقف الرئيس روزفلت إيجابيا للغاية.. وقد عبر عن اعتقاده بأن أمريكا على استعداد للإسهام فى إقامة الوطن القومى اليهودى ...».

ونشطت المنظمة الصهيونية الأمريكية فأصدرت «برنامج بلتيمور» الذى أصبح برنامج الصهيونية العالمية ، وهو برنامج ينص على إقامة دولة يهودية فى فلسطين كلها ، وبناء جيش يهودى ، ورفض الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ ، وتيسير الهجرة إلى فلسطين دون حدود أو قيود .

وهكذا أصبح صهاينة فلسطين وصهاينة أمريكا هم المسيطرين على الحركة الصهيونية ، وقد بدا هذا واضحا فى المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرين، الذى عقد فى عام ١٩٤٧ .

وأخيراً رضخت بريطانيا للضغوط الأمريكية ، وأحالت القضية إلى هيئة الأمم المتحدة ، التى أقرت فى شهر نوفمبر « تشرين الثانى » سنة ١٩٤٧ تقسيم فلسطين بين العرب واليهود . وقد اعترف حاييم وايزمن بالدور الهام الذى لعبته أمريكا فى قيام إسرائيل ، وذلك فى رسالة بعث بها إلى ترومان فى ١٣ مايو «أيار» ١٩٤٨ وفيها يقول : « إن الدور القيادى الذى قامت به الحكومة الأمريكية بوحى منكم ، جعل من الممكن إقامة دولة يهودية » .

ومنذ قيام إسرائيل فى ١٥ مايو «أيار» ١٩٤٨ ، وهى تعتمد اعتماداً تاماً على الولايات المتحدة الأمريكية،فيقول جورج فريدمان ، الكاتب المعروف بميوله الصهيونية فى كتابه « هل ينتهى الشعب اليهودى ؟ » : « يجب على إسرائيل أن تحصل سنوياً على مايقرب من ٢٥٠ مليون دولار من الإيرادات الخارجية حتى تتمكن من موازنة ميزانيتها فى حدودها الراهنة » .

والسؤال كيف استطاعت إسرائيل أن تحمى نفسها وأن تظل قائمة ؟ لم يكن قيام إسرائيل إلا بفضل المساعدات الأمريكية التى تدفقت على إسرائيل منذ ١٩٤٨ أمطاراً غزيرة من الذهب ، وهذه المساعدات أنواع :

١ ــ فهناك القروض التى تمنحها الحكومة الأمريكية لإسرائيل ...

٢ ـ وهناك الأموال التى تتبرع بها الجاليات اليهودية فى أمريكا وتحول إلى إسرائيل كتبرعات خيرية معفاة من الضرائب .

٣ ـ وكذلك المساعدات الفنية .

٤ ـ وفائض المواد الغذائية .

٥ ـ وما يباع فى الولايات المتحدة الأمريكية من سندات القرض الإسرائيلى التى اشترت منها الحكومة الأمريكية وحدها بما قيمته ٦٥ مليون دولار .

٦ ـ وقد تلقت إسرائيل فى السنة الأولى من قيامها مساعدات أمريكية تبلغ ٤٥٠ مليون دولار .

٧ ـ وبلغ مجموع المساعدات الاقتصادية التى تلقتها إسرائيل مابين عامى ١٩٦٠ ، ١٩٦٥ ماقيمته ٦٠٠٠ مليون دولار عدا مساعدات الجاليات اليهودية .

٨ ـ واشترى الرأسماليون الأمريكيون اثنتى عشرة مؤسسة كبرى فى إسرائيل .

٩ ـ ومنذ شهر يونيو « حزيران » ١٩٦٧ ازدادت المساعدات الأمريكية لإسرائيل ، فجمع مبلغ ٤٧٥ مليون دولار « لتعويض نفقات إسرائيل الناجمة عن العمليات العسكرية فى يونيو ١٩٦٧ ضد مصر » .

١٠ ـ وفى التاسع من شهر أغسطس « آب » ١٩٦٧ عقد أصحاب الملايين من الصهاينة اجتماعاً فى القدس ، للبحث فى الوسائل الكفيلة بمنع « انهيار الاقتصاد الإسرائيلى » ووضعوا تحت تصرف إسرائيل الملايين من الدولارات .

١١ ـ وليس المال هو الوسيلة الوحيدة التى تلجأ إليها أمريكا لتأمين بقاء إسرائيل . فهناك المساعدات العسكرية التى بلغت ذروتها عام ١٩٦٧ تمهيداً للعدوان : ففى خلال الفترة من شهر مارس إلى شهر مايو سنة ١٩٦٧

حصلت إسرائيل على أكثر من ٤٠٠ دبابة حديثة الصنع ، ٢٥٠ طائرة جديدة ، وصواريخ تطلق من الأرض للجو من طراز « هوك » وكميات ضخمة من العتاد الحربى اللازم للقوات البرية .

١٢ ـ وتعاونت أجهزة الاستخبارات الأمريكية مع إسرائيل ، وأمدتها بالمعلومات السياسية والعسكرية اللازمة لها .

١٣ – وكذلك فإن الأسطول السادس موجود فى البحر الأبيض المتوسط لحماية شواطىء إسرائيل ، وتهديد الشواطىء العربية .

وقد نشرت الصحف الأمريكية تصريحا لرئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول جاء فيه أن الحكومة الأمريكية قالت له : « لا تنفقوا أموالكم هدراً ، فنحن موجودون .. والأسطول السادس موجود أيضاً » .

ولم تتخل الحكومة الأمريكية عن إسرائيل حتى فى الأمم المتحدة وفى مجلس الأمن ، بعد عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧ على الدول العربية .

كل هذا يقودنا إلى حقيقة واضحة وهى أنه لم يكن بالإمكان أن تبقى إسرائيل لولا المساعدات الأمريكية الضخمة .

الأركان الثلاثة التى تقوم عليها اسرائيل :

فإذا تركنا هذا إلى النظر فى تركيب إسرائيل الداخلى وجدنا أنها تقوم على ثلاثة أركان : (١) العنصرية .

(٢) والعنف والإرهاب .

(٣) والتوسع .

١ ـ والعصبية العنصرية هى الأساس الذى تقوم عليه العقيدة الصهيونية .

وهذه العنصرية تؤدى إلى القول بنقاء السلالة اليهودية وتفوقها . ويقول هيرتزل فى كتابه « الدولة اليهودية » : « إن الفضل الأول والأخير للحفاظ على اليهود كشعب واحد ، وجنس واحد نقى خالص ، يرجع إلى قوانين الزواج التى كانت حجر عثرة فى تداخل السلالات » .

ولو عاد هيرتزل إلى التوراة لانقلبت نظريته رأساً على عقب ولفطن إلى أن شعب إسرائيل قد ذاب فى الأمم منذ القدم إذ قرر رؤساء إسرائيل أمام عزرا قائلين : « لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأراضى حسب رجاساتهم من الكنعانيين ، والحثيين ، والفرزيين ، واليبوسيين ، والعمونيين، والموآبيين، والمصريين ، والأموريين . لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضى . وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الخيانة أولا »[١] .

٢ — ومما يؤسف له أنهم بعدوا عن الحق وعصبوا أعينهم عن الحقيقة ، وهذه العصبية هى التى تدفع وتحفز الصهيونية إلى التخلص من العناصر غير المرغوب فيها بوسائل شرسة وحشية ، تبرأ منها التوراة ، وجاء بها حاخاماتهم فى التلمود .

وقد لجأت الصهيونية إلى العنف والإرهاب لطرد العرب من فلسطين فكانت المذابح الكثيرة التى منها مذبحة دير ياسين فى ٩ أبريل « نيسان » سنة ١٩٤٨ التى سقط فيها ٢٥٠ صريعا ضحية الإرهاب الصهيونى من

---

(١) عزرا ٩ : ١ — ٣ .

رجال ونساء ، وأطفال وشيب ، من مجموع سكان القرية الذين يبلغ عددهم نحو أربعمائة نسمة .

كما حدث مثل هذا فى قرية أبو غوش فى سبتمبر « أيلول » سنة ١٩٥٣ وقرية كفر قاسم فى أكتوبر « تشرين أول » ١٩٥٦ وفى عكا فى يونيو « حزيران » ١٩٦٥ .

وما حدث فى كفر قاسم يستحق أن يروى ، فبعد أن احتلت القوات الإسرائيلية القرية ، فرضت نظام منع التجول ، ثم تصدت للمزارعين العائدين من حقولهم ، وهؤلاء لا علم لهم بما جرى ، فقتلت منهم فى دقائق واحداً وخمسين وجرحت ثلاثة عشر .

واليوم يتعرض العرب فى المناطق المحتلة لشتى أنواع القمع والإرهاب ونسف المنازل ، بحجة أنهم يساندون كفاح الفدائيين الفلسطينيين .

٣ — أما الدعامة الثالثة فهى التوسع الدائم منذ قيامها .

فمن خطاب لبن‌جوريون لطلبة الجامعة العبرية والمعاهد العليا فى مستهل العام الدراسى سنة ١٩٥٠ : « إن هذه الخريطة — يعنى خريطة إسرائيل — ليست خريطة دولتنا ، بل إن لنا خريطة أخرى عليكم أنتم مسئولية تصميمها ، وهى خريطة الوطن الإسرائيلى الممتد من النيل إلى الفرات . فليفهم الجميع أن إسرائيل قد قامت بالحرب وأنها لن تقنع بحدودها ، وأن الامبراطورية الإسرائيلية سوف تمتد من النيل إلى الفرات » .

وفى ١٢ ، ١٣ من يونيو ١٩٥١ علقت صحيفة «الجيروزاليم بوست» على أهداف الأحزاب ومواقفها السياسية فقالت: «إن حزب المابای اليسارى يعمل من أجل ضم جميع أراضى فلسطين إلى إسرائيل . . . وكذلك فإن تحالف

حيروت — الإصلاحيين اليميني يعمل من أجل تحرير فلسطين ضمن حدودها التاريخية » .

وقال مناحم بيجن في ١٢ أكتوبر ١٩٥٥ : « إنني أومن بشدة بشن حرب ضد الدول العربية دون تردد ، فبهذه الحرب نستطيع تحقيق هدفين :

١ — القضاء على القوة العربية .

٢ — توسيع أراضينا » .

وصرح مناحم بيجن رئيس حزب حيروت وهو يخطب في مؤتمر المحاربين القدماء يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٥٥ : « إن الأعداء يحيطون بنا من كل جانب ، وإن لم نبادر بمهاجمتهم في عقر دارهم ونحطم قوتهم الحربية سبقونا هم إلى تحطيم إسرائيل ... فعليكم يقع واجب المحافظة على الوطن وتوسيع حدوده » .

وصرح كذلك في مؤتمر صحفي بواشنطن في ١٩ مايو ١٩٥٧ : « إن الأردن يمكن تمزيقها في يوم واحد ، وإن على إسرائيل أن تضمها كلها بكل الوسائل العسكرية إذا تطلب الأمر ذلك ، وإنها جزء لا يتجزأ من وطن الشعب اليهودي ... » ، وقال : « إن توحيد إسرائيل هو الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين العرب وللسلام في الشرق الأوسط » .

ويصرح فلاديمير جابو تنسكي رئيس الحزب الإصلاحي في مؤتمر المحاربين القدماء في ٢ سبتمبر ١٩٥٥ : « سنطرد العرب من فلسطين وشرق الأردن ، وسنقذف بهم إلى صحاريهم ، وسنقيم الدولة اليهودية على ضفتي الأردن أولا ثم نمتد بها إلى ما وراء حدود فلسطين » .

الأحزاب الإسرائيلية ووحدة الهدف :

ورغم وجود أربعة عشر تشكيلا سياسياً فى إسرائيل ، فإن كل الأحزاب أعضاء فى الوكالة اليهودية ، التى تقوم بتنسيق جميع قوى الصهيونية فى العالم ، والوكالة اليهودية هى التى تمثل القيادة السياسية الحقيقية فى إسرائيل .

وما برامج الأحزاب المتراوحة بين أقصى اليسار وأقصى اليمين ، سوى دعاوى لا حقيقة لها .

ومن أهم الأحزاب السياسية الإسرائيلية ما يلى :

١ - حزب « ماباى » :

وجميع رؤساء الوزارة فى إسرائيل منه .

فقد تولى الرئاسة ثلاثة هم : بن جوريون لمدة ١٣ سنة ، وموسى شاريت لمدة سنتين ، وليفى أشكول منذ سنة ١٩٦٣ وكلهم من الماباى .

ويدعى هذا الحزب أنه يسارى اشتراكى ، ومع هذا نجد أنه حليف لكل استعمار : فقد أيد الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ، وتعاون مع بريطانيا وفرنسا فى الاعتداء على الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٦ ويناصر أمريكا فى حربها ضد فيتنام ، ويحتل هذا الحزب مع منظمة قريبة منه تدعى «أهدوت ها عافودا» ٥٤ مقعداً فى البرلمان الإسرائيلى الذى يبلغ مجموع المقاعد فيه ١٢٠ مقعداً .

٢ - حزب « مابام » :

ويدعى أنه أكثر اشتراكية من حزب ماباى ، وأنه يناصر مبدأ التعايش السلمى بين مختلف الطبقات ، ولكنه فى الحقيقة ليس أقل صهيونية من جميع الأحزاب الإسرائيلية الأخرى : فقد أيد بحماسة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ على مصر ، ونظم المظاهرات مطالبا بضم قطاع غزة إلى إسرائيل .

٣ ـ حزب « رافى » :

أما حزب رافى فيستحق أن نقف عنده وقفة أطول ، فهو حزب جديد نجم عن الانشقاق الذى حدث فى صفوف « ماباى » وقادة هذا الحزب هم بن جوريون ، وموشى ديان ، وسيمون بيرنز ، وهو حزب يمثل الصهيونية الأكثر تصلبا وتشدداً ، ويؤمن بحتمية الحرب ضد الدول العربية .

ولهذا فهو ينادى دوما بضرورة شن هجوم عسكرى على الدول العربية قبل أن تتقوى ، وبإعطاء الأولوية لشراء الأسلحة الحديثة .

ويعتمد هذا الحزب فى قوته على الجيش الذى له فيه شعبية طاغية ، وعلى الجيل الجديد الذى ولد فى إسرائيل . وفى هذا أدلى موشى ديان بحديث للبرنامج العربى للإذاعة الإسرائيلية فى فبراير ١٩٥٢ ، جاء فيه : « إن مهمة الاستعداد للحرب تقع على عاتق الشعب ، ومهمة القتال لتحقيق إقامة الإمبراطورية الإسرائيلية تقع على عاتق الجيش » .

وقد اكتسب حزب « رافى » فى السنوات الأخيرة تأييداً أكثر من ذى قبل ، بسبب المشاكل الاقتصادية ، والبطالة المتزايدة فى إسرائيل ، مما جعل سياسته الداعية إلى التوسع تبدو هى السياسة الصالحة إذا أريد لإسرائيل البقاء .

وهناك حزبان يمثلان الدوائر الدينية وهما أغودات إسرائيل ، ومزراحى .

٤ ـ حزب اغودات اسرائيل :

وهو ضد النزعة الصهيونية فى العودة إلى فلسطين تحت أسنة الرماح ، ويقرر « أغودات إسرائيل » أن أية محاولة للقيام بجهود إنسانى بغية العودة إلى أرض فلسطين لن تكون أكثر من تجن واغتصاب يتجاوز حدود الدين ، ولا يقبل به الرب .

٥ ـ حزب مزراحي :

ويختلف مع أغودات إسرائيل فى وجهات النظر فيرى أن الابتعاد عن أى عمل سياسى لإعادة اليهود إلى أرض فلسطين لا وجود لما يسنده سنداً أكيداً فى المعتقد اليهودى .

وبهذا أضحى مزراحي مضاداً للرأى المتأصل فى عقول أتقياء اليهود ومنهم أغودات إسرائيل .

بهذا الاتجاه ظهرت الصهيونية وظهر دعاتها والمتحمسون لها مستندين إلى ما كان يمارسه اليهود بين سنتى ٥٣٨ ق . م ، و ١٣٥ م وهى الفترة التى كان يثور فيها اليهود مراراً وتكراراً عندما يدعوهم إلى ذلك مواطنوهم المتعاقبون من جماعات « تيوداس » و « جوداس » بعد أن رحبوا بالمحرر اللايهودى « كورش ملك فارس » ، وكانت ثوراتهم تهدف إلى تحقيق أمل موعود ، هو إعادة بعث الحياة فى مملكة داود الخامدة ، وعن طريق قوة السلاح اليهودى .

وظل الأمل يراود إسرائيل منذ إخضاع ثورة « باركوكيبه » سنة ١٣٥ م حتى ابتداء الحركة الصهيونية سنة ١٨٩٧ م . وظلوا فى إصرارهم على أن عودتهم إلى فلسطين وقف على « يهوه القدير » الذى سيقوم بنفسه بهذا العمل دون أن يكون لشعبه المختار أية مبادرة فى ذلك .

اصرار الأمة العربية على النضال ضد اسرائيل :

لقد صرح السيد محمود رياض فى مؤتمر صحفى عقده فى كوبنهاجن ٣ يوليو ١٩٦٨ بقوله : « إن الدول العربية المحيطة بإسرائيل سبق أن وقعت اتفاقية هدنة معها عام ١٩٤٩ ، وقد تنكرت إسرائيل لهذه الاتفاقية ، وأعلنت عام ١٩٥٦ انتهاءها لخدمة أهدافها التوسعية . وقامت فعلا باحتلال منطقة العوجة . وأعلن بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت أن

اتفاقية الهدنة أصبحت لاغية ودفنت ، وأعلن أيضاً ضم سيناء إلى إسرائيل .

« وفى عام ١٩٤٩ وقعت إسرائيل على بروتوكول لوزان الذى يستهدف حل مشكلة اللاجئين ، إلا أن إسرائيل رفضت تنفيذ البروتوكول بعد دخولها الأمم المتحدة .

« إن إسرائيل تعلن على الدوام رفضها لكافة القرارات التى تتخذها الأمم المتحدة ، ويؤكد هذه الحقيقة تصريحات المسئولين الإسرائيليين الذين أعلنوا ضم الأراضى العربية إليهم متحدين فى ذلك القرارات المتوالية التى صدرت فى الجمعية العامة وفى مجلس الأمن .

« من كل هذه الحقائق يتضح أن المفاوضات مع إسرائيل أو توقيع اتفاق معها معناه الاستسلام لإرادة إسرائيل وليس معناه السلام الذى نفهمه ، وتريده دول العالم من الشرق الأوسط . ونحن من جانبنا نريد السلام ولكننا نرفض الاستسلام بشدة .

« إن الأمن الذى تريده إسرائيل هو ضمان أمنها للقيام بعدوان جديد ، ونحن لا نقبل بأى حال التنازل عن شبر واحد من الأراضى العربية » .

ثم أضاف رداً على أحد الصحفيين عن مفهوم الحل السياسى فقال : « إنه هو الحل الذى ينبثق من احترام جميع الدول لميثاق الأمم المتحدة ، وقرار مجلس الأمن ، وهو القرار الذى ترفضه إسرائيل » .

وإسرائيل ليست موضع ثقة ، حتى تطمئن إليها الدول ، وقد قال الدكتور فوزى فى عام ١٩٥١ أمام مجلس الأمن : « إن بيان المندوب الإسرائيلى عن السلام قد سبق أن علق عليه إذ قال : « إن السلام ليس مجرد أقوال ، وإنما

هو أفعال لا أقوال» ، والسلام لا يكون فى مطاردة مليون إنسان ، وإخراجهم من بلادهم ، وحرمانهم من بيوتهم ، وأسباب عيشهم ، وإنكار أبسط الحقوق الإنسانية عليهم .

« هذه هى التجربة الحقيقية للسلام . ففى الحياة التى يعيشها المليون من اللاجئين العرب أكثر من مليون دليل يظهر بطلان الزعم الذى تدعيه إسرائيل عن السلام » .

الباب الأول

الوجهة التاريخية والجغرافية للشرق الأوسط

١ — شبه جزيرة سيناء

شبه جزيرة سيناء وهجرة الآباء عليهم صلوات الله :

لشبه جزيرة سيناء موقع جغرافى خطير يجعلها بمثابة حلقة الوصل بين أكثر بلاد الشرق وحوض البحر الأبيض المتوسط ، وتزداد قيمتها وتنقص تبعاً لحاجة كل قطر أو علاقته بها .

فمن شعوب تلك الأقاليم من كان يتصل بها قاصداً إليها . ومنها من كان يتصل بها ليعبرها مشرقاً أو مغرباً .

وتقع شبه جزيرة سيناء بين ذراعى البحر الأحمر إلى الشرق من دلتا النيل، ثم إلى الشمال الغربى من شبه جزيرة العرب ، وإلى الغرب والجنوب الغربى من شرق الأردن وفلسطين وسوريا .

فشبه جزيرة سيناء كانت بذلك معبراً بين الجنوب الغربى لقارة آسيا والشمال الشرقى لقارة إفريقيا وإلى الغرب منها دلتا النيل وهى معروفة بخصبها .

وبهذا فإن شبه الجزيرة تشكل صمام أمن للحدود المصرية فمنها يعبر المغيرون لغزو مصر ، وفيها باب المدخل الشرقى إلى وادى النيل ، ثم محطة تستريح بها قوافل التجار الفينيقيين فى ترددهم بين مدائن الساحل الفينيقى وشمال أفريقيا الغربى . ومصر منذ القديم اشتهرت بغناها وبوفرة الغلال التى كانت تفيض عن حاجة سكانها ، فتحملها القوافل إلى بلاد الشرق وعلى الأخص إلى أرض الكنعانيين . وكان القحط يشتد بأرض كنعان « الشام » فيجىء رجالها إلى مصر يمتارون لأنفسهم وأهليهم . وحوادث مجيئهم إلى مصر قد سجلتها التوراة وسجلتها الآثار المصرية الفرعونية .

ففى إبان حكم الأسرة الثانية عشرة ٢٠٠٠ ق . م ـ ١٧٨٥ ق . م . وفد على مصر الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم صلوات الله يمتارون لأنفسهم .

وتسجل التوراة وفادة إبراهيم : « وحدث جوع فى الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديداً »(١) ، وعن إسحق : « وكان فى الأرض جوع غير الجوع الذى كان فى أيام إبراهيم »(٢) . وعن يعقوب الذى «سكن فى أرض غربة أبيه فى أرض كنعان» (٣) « لما رأى يعقوب أنه يوجد قمح فى مصر قال يعقوب لبنيه إنى سمعت أنه يوجد قمح فى مصر . انزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت » (٤) .

وقد سبق أن وفد إلى مصر يوسف الصديق : « وأما يوسف فأنزل إلى مصر » (٥) فأعطاه الله نعمة فى عينى فرعون وجعله وزيراً له يدبر شئون الدولة . وفى هذه الفترة « أتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا لأن الجوع كان فى أرض كنعان . وكان يوسف هو المسلط على الأرض وهو البائع لكل شعب الأرض » (٦) . « وكان الجوع شديداً فى الأرض » (٧) ، فارتحل يعقوب من أرض كنعان « وجاءوا إلى مصر يعقوب وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر » (٨) ، « وسكن إسرائيل فى أرض مصر فى أرض جاسان وتملكوا فيها

---

(١) تك ١٢ : ١٠ .
(٢) تك ٢٦ : ١ .
(٣) تك ٣٧ : ١ .
(٤) تك ٤٢ : ١ ، ٢ .
(٥) تك ٣٩ : ١ .
(٦) تك ٤٢ : ٥ ، ٦ .
(٧) تك ٤٣ : ١ ـ ١٥ .
(٨) تك ٤٦ : ٥ ـ ٧ .

وأثمروا وكثروا جداً »(١) .

وصورت قوافلهم فى قبر أمير من حكام الإقليم السادس عشر « بنى حسن » وعبروا منها فى ركاب يوسف حينما حملوا جدث يعقوب ليدفنوه فى مغارة حقل المكفيلة ، وتسجل التوراة هذا الحدث بقولها : « فوقع يوسف على وجه أبيه وبكى عليه وقبله . وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه ، فحنط الأطباء إسرائيل ، وكمل له أربعون يوماً ، لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين ، وبكى عليه المصريون سبعين يوماً . . حمله بنوه إلى أرض كنعان ودفنوه فى مغارة حقل المكفيلة التى اشتراها إبراهيم مع الحقل ملك قبر فى عفرون الحثى أمام ممرا . . **ثم رجع يوسف الى مصر واخوته وجميع الذين صعدوا معه لدفن أبيه بعد ما دفن اباه . ولما راى اخوة يوسف ان اباهم قد مات قالوا : لعل يوسف يضطهدنا ويرد علينا الشر الذى صنعناه** ..فقال لهم يوسف : لا تخافوا . لأنه هل أنا مكان الله . أنتم قصدتم لى شرا أما الله فقصد به خيراً لكى يفعل كما اليوم ليحيى شعبا كثيرا . فالآن لا تخافوا . أنا أعولكم وأولادكم فعزاهم وطيب قلوبهم . وسكن يوسف فى مصر هو وبيت أبيه وعاش يوسف مائة وعشر... سنين ثم مات يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطوه ووضع فى تابوت فى مصر »(٢).

والقصة تؤكد أن إسرائيل نزل مصر ضيفاً بسبب الجوع الذى كان فى الأرض وظلوا بمصر حتى رحلوا منها فى ركاب موسى عليه السلام : « فهرب موسى من وجه فرعون وسكن فى أرض مديان وجلس عند البئر »(٣)

« وارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت »(٤) .

---

(١) تك ٤٧ : ٢٧ .

(٢) تك ٥٠ : ١ ــ ٢٦ .

(٣) خر ٢ : ١٥ :

(٤) خر ١٢ : ٣٧ .

وقد ظل بنو إسرائيل فى ضيافة مصر حوالى ٤٣٠ سنة « وأما إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت أربعمائة وثلاثين سنة » (١) عاصروا فيها نهـــاية الأسرة الثالثة عشرة حتى عصر رعمسيس الثانى ١٢٩٨ — ١٢٣٢ ق . م . وكان رحيلهم من مصر هروبا « فسعى المصريون وراءهم وأدركوهم . جميع خيـــل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث أمام بعل صفون» (٢). وبالتالى فإن شبه جزيرة سيناء كانت معمورة منذ فجر التاريخ البعيد بأقوام ألفوا فيها حياة الاستقرار. ومن المرجح أن بنى إسرائيل كانوا يرعون أنعامهم فى ذلك المـكان من شرق الدلتا المعروف بأرض « جاسان » المنتشرة حول مدينة رعمسيس المعروفة .

وتشتهر سيناء بمناجمها الفنية التى استغلها المصريون وطمعت فيها بابل وأشور ، وأشارت البحوث إلى أن التماثيل المصنوعة من الديورنت والتى عثر عليها فى جنوب بابل إنما قدت من صخور سيناء .

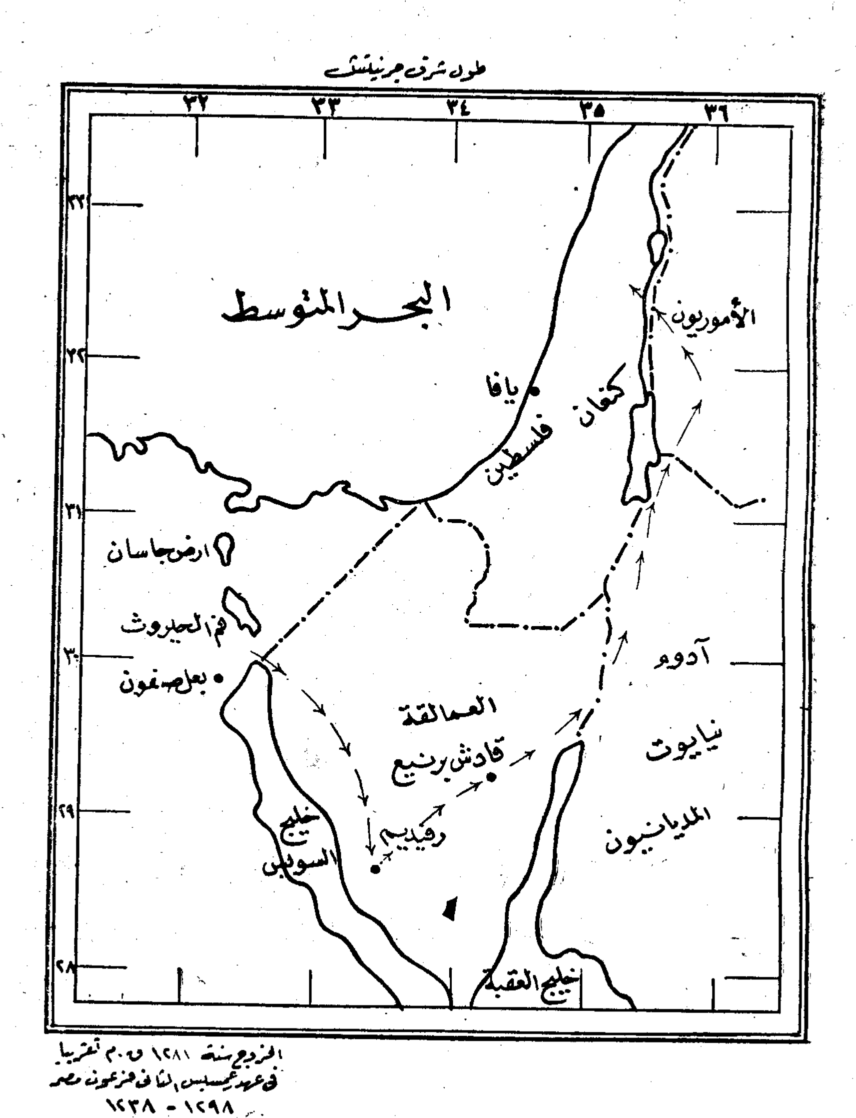
وسيناء كانت ملتقى الحضارة والعرفان فقد كانت مركزاً يلتقى فيه المصريون والبابليون والأشوريون منذ أقدم العصور، ولعل ذلك اللقاء كان له أكبر الأثر فى تشابه الحضارات المختلفة التى قامت فى كل وادى النيل ووادى ما بين النهرين (الفرات ودجلة) .

شبه جزيرة سيناء والدين :

ولعل فى اسم شبه جزيرة سيناء ، ما يشير إلى اتصالها بتلك الشعوب السامية الشرقية ، لأن اسمها فى الغالب متصل باسم إله القمر « سين » معبود الساميين

---

(١) خر ١٢ : ٤٠ .   (٢) خر ١٤ : ٩ .



الخروج سنة ١٢٨١ ق.م تقريبا
في عهد رعمسيس الثاني فرعون مصر
١٢٩٨ - ١٢٣٨

المعروف ، فهو قد عرف وقدس بهذا الاسم فى « بابل » وبلاد « ما بين النهرين » وأخيراً فى جنوب بلاد العرب .

وفى شبه جزيرة سيناء قدس المصريون معبودتهم « حاتحور » وجعلوها ربة للمناجم التى استغلوها فى صخور سيناء .

وفيها قدست الشعوب السامية وفى مقدمتها شعوب ما بين النهرين معبودهم « سين » وكان إله القمر ، وقد كان من المعبودات الشهيرة وكان معبده العظيم فى « أور »[١] وكان الملوك يفاخرون بالانتساب إليه .

ثم لعبت شبه جزيرة سيناء دورها مرة أخرى فى الحياة الدينية ، فإليها خرج موسى هاربًا من وجه فرعون[٢] وظهر له الله : « فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه ، وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم ، وقال الله أيضًا لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم »[٣] وبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل . وقصة ظهور الله لموسى تستحق وقفة قصيرة ، فإن موسى كان قد عرف « يهوه » ذلك المعبود الذى عرفته كنعان ، وجعلته رمزاً للهواء والبرق والرعد . فظهر له الله « وجاء إلى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى: أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة ؟ فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى موسى . فقال : هأنذا . فقال : لا تقترب إلى هاهنا . اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة »[٤] .

هنالك فى مدين لقى موسى ربه الذى ناداه من جانب الطور الأيمن ثم بعث به إلى فرعون : « وهل أتاك حديث موسى . إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها

---

(١) أور : هى المدينة التى خرج منها إبراهيم طاعة وإيمانا واحتسابا لله « فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك » تكوين ١١ : ٣١ .

(٢) خروج ٢ : ١١ — ١٥ . (٣) خر ٣ : ١٤ ، ١٥ .

(٤) خر ٣ : ١ — ٥ .

نودى يا موسى . إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى »[١] .
فلما أصغى موسى إلى ربه حمله بالرسالة قائلا : « وأنا اخترتك فاستمع
لما يوحى . إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى »[٢] .

وعن طريق شبه جزيرة سيناء أخذت المعبودات المصرية طريقها إلى ربوع
الشرق فقدّست « حاتحور » فى « ببلوص » وانتشرت عبادة « آمون » على
ساحل فينيقيا منذ أيام الأسرة الثامنة عشرة ، ومن قبل اتصلت عبادة
« أوزيريس » بوادى النيل — بوادى الأرز فى غاب لبنان . واتصلت الحياة
الدينية وطقوس الجنازة عند المصريين بمحاصيل لبنان .

وعن طريق شبه جزيرة سيناء عرفت المعبودات السامية طريقها إلى مصر
فدخلها « بعل » فى ركاب الهكسوس فى الفترة التى ضعفت فيها الأسرة
الفرعونية من الأسرة الثالثة عشرة إلى الأسرة السابعة عشرة من
١٧٣٠ ق . م . — ١٥٨٠ ق . م .

ودخل بعضها مع أسرى الحرب من الكنعانيين مثل معبودهم « حورون »
وكان يعبد على هيئة الصقر ، فساووا بينه وبين صاحب صنم « أبى الهول »
القائم فى صحراء الجيزة .

وتأثر المصريون من أهل العصور المتأخرة فى تسمية معبودهم باسم
« حورون » هذا الذى عكف الكنعانيون على عبادته فى مصر وحرف الاسم
أخيرا إلى « بوصول » ثم إلى « بوهول » حتى وصل إلى التسمية المعروفة
« أبو الهول » .

وكان الفينيقيون الذين يحلون بشبه جزيرة سيناء للراحة والاستجمام

---

(١) طه : ٩ — ١٢ .
(٢) طه : ١٣ ، ١٤ .

قد رأوا فى صخورها من الصور والرسوم الهيروغليفية ما راعهم وأعجبهم فأخذوا بها يهذبونها ويربعون إشاراتها ، حتى خرجوا من ذلك بالحروف الأبجدية التى أذاعوها فيما عرفوا من أقطار الدنيا حتى عمت العالم المعروف يومئذ من حول بحر الروم ، وظهر أثرها الخطير فى تقدم العلم وخدمة الإنسانية وستظل كذلك إلى أبد الآبدين .

شبه جزيرة سيناء والشئون السياسية :

تجرى العلاقات بين مصر وأقاليم الشرق فى طريق ودى لا تكاد تعدو أمور التجارة ، ولسنا نستبعد أن بعض المصريين كانوا يقيمون فى تلك البلاد للتجارة أزمانا تختلف طولا وقصرا ، خصوصا فى بعض مدن الساحل الفينيقى مثل « جيبيل » وهى « ببلوص » . وفى حديث « سنوحى » ما يشير إلى كثرة تردد المصريين على البلاد السورية ، وظواهر الأمور كلها تدل على أن العلاقات بين مصر وجيرانها قد كانت على أحسن مايرام من الود والصفاء ، وتستقر الأمور فى أيام سنوسرت الثانى ١٩٠٦ ق . م — ١٨٨٨ ق . م . وتتمتع البلاد فى أيامه بقسط وافر من الرخاء وينتشر السلام على ربوع الأرض فتأخذ بعض قبائل الشرق فى الهجرة إلى مصر رجاء الإفادة من خيرها والتمتع بما أفاء الله على أهلها من رزق ، بل يمتاز عصر « سنوسرت الثانى » بحسن العلاقات بين مصر والأقاليم الآسيوية ، وليس أدل على ذلك من تسجيل منظر الوافدين من قبائل الكنعانيين إلى مصر على صفحات قبر أمير من أمراء إقليم الوعل « بنى حسن » يدعى « خنوم حتب الثانى » [1] .

---

(١) سجلت مناظر الوفد الكنعانى على جدران قبر « خنوم حتب » حاكم إقليم الوعل وقد بلغ عدد أفرادها ٣٧ سبعة وثلاثين من ذكر وأنثى بملابسهم المزركشة ولحى رجالها المرسلة يتقدمهم « ابشاى » حاكم البلاد الأجنبية . ولعل فى اسم « ابشاى » رنينا عبريا مما يدل على أن القبيلة كانت من الكنعانيين ، وقد حاول المؤرخون من علماء الآثار أن يربطوا بين هذه الرسوم وقدوم إبراهيم إلى مصر ، أو مقدم يعقوب إلى مصر . ورجح Weigall =

ولعل من الطريف بهذه المناسبة أن نذكر أن بعض علماء الآثار قد ظنوا أن تلك الصور التى سجلها « خنوم حتب » المذكور تمثل مجىء يعقوب من كنعان مع آل بيته إلى مصر ، عندما جاءوا إليها فى أعقاب النبى يوسف الصديق الذى اشتهرت قصته بين أحاديث التاريخ الإسرائيلى . « وأما يوسف فأنزل إلى مصر » (١) ، غير أنه ثبت بعد ذلك أن تلك الصورة لا تكاد تتفق مع ما جاء فى التوراة عن وفود الإسماعيليين « وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط رجل مصرى من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك » ، (٢) والإسرائيليين « فقام يعقوب من بئر سبع وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم فى العجلات التى أرسل فرعون لحمله ، وأخذوا مواشيهم ومقتناهم الذى اقتنوا فى أرض كنعان وجاءوا إلى مصر . يعقوب وكل نسله معه . بنوه وبنو بنيه معه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر » (٣) ، سواء فى أيام إبراهيم « وحدث جوع فى الأرض . فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى الأرض كان شديداً » (٤) ، أو فى أيام يوسف بن يعقوب (٥) .

= أن مجىء إبراهيم إلى مصر كان فى زمان فرعون مصر امنمحات الأول ٢٠٠٠ ق . م — ١٩٧٠ ق . م . فى عصر الأسرة الثانية عشرة Weigall, History of The pharaos, Vol .II.p. 40. لكن التاريخ لا يكاد يقدم برهانا ثابتا على صحة ما ذهب إليه Weigall حتى يتبين أن « امرافيل » الذى حاربه إبراهيم من أجل ابن أخيه لوط « تكوين ١٤ : ١ — ١٦ » قد كان فى أيام « حورابى » البابلى الذى عاش حوالى ١٩٤٠ ق . م . مما يحتمل أن مجىء إبراهيم إلى مصر فى أيام سنوسرت الأول ١٩٧٠ ق . م . — ١٩٣٦ ق . م .
Smith Sidny : The Early history of Assyria p.p. 70 — 71 .

(١) تكوين ٣٩ : ١ .
(٢) تك ٣٩ : ١ .
(٣) تك ٤٦ : ٥ — ٧ .
(٤) تك ١٢ : ١٠ .
(٥) تك ٤٦ : ٥ — ٧ .

شبه جزيرة سيناء والمعارك الحربية :

ولم تقتصر أهمية سيناء على ما قدمنا ، بل لعبت دورا هاما فى تاريخ الحرب فى مختلف الأزمنة ، فهى قد شهدت إغارات البدو على حدود مصر الشرقية ، وشهدت بعثات فرعون العسكرية منذ أيام الأسرات الأولى لضرب أولئك البدو من أهل شبه الجزيرة وما حولها . ولما تقدمت الأيام بمصر واتسعت آفاق فرعون السياسية جعل المصريون من شبه جزيرة سيناء مرقبا يحرسون عنده حـــدود الوادى ويذودون عن حياضه ويدبرون أمر تأمينها من شر المغيرين .

ولم تــكد حرب الاستقلال على يد « أعح موسى » أحمس الأول تنتهى إلى ما انتهت إليه من طرد الهــكسوس وزوال سلطانهم من عالم الوجود حتى نهضت مصر نهضتها المعروفة أيام الأسرة «الثامنة عشر» ١٥٨٠ — ١٤٥٠ ق.م. ويمتاز من فراعنة هذه الأسرة « أعح موسى » ١٥٨٠ — ١٥٥٨ ق . م ، « وجحوتى مس » الثالث ١٥٠٤ — ١٤٥٠ ق . م . ولبعض الملوك من أمثال تحتمس الأول والثالث ، وأمينوفيس الثانى فى ميادين الشرق صولات وجولات .

ولقد وضح الميثاق « أن الجمهورية العربية المتحدة ، بالتاريخ وبالواقع ، هى الدولة العربية الوحيدة فى الظروف الحالية ، التى تستطيع تحمل مسئولية بناء جيش وطنى يكون بمثابة القوة الرادعة للخطط العدوانيـــة الاستعمارية الصهيونية » .

ففى عهد تحتمس الثالث فرعون مصر — وكأن التاريخ يعيد نفسه — يتبين لنا أن أحوال الشرق كانت مفــكــكة وكانت نيران الفتنة يندلع لهيبها فى كل

الأقاليم حتى غمرتها الاضطرابات وزلزلت من حولها الأرض. ولم يكن لأصحابها يومئذ من زعيم تجتمع عليه قلوبهم أو ينتهى إليه أمرهم ، وإنما ابتلاهم الزمن بالانقسام والفرقة حتى اختل ميزان الأمور ، وغمرتهم أمواج الفتن فضلوا الطريق ، وجعلتهم السياسة الهوجاء أحزابا مختلفة ، فكنت ترى فى كل بقعة من بقاع الشرق العربى انقساماً بين أمراء الشرق ، قد شجبت الفتنة زعامتهم وغدا الناس يومئذ لا يبالون بحجة العقل أو وحى الضمير فما يعرفون للتفاهم لغة غير لغة الحرب ، فباتوا يتكلمون بألسنة السيوف والحراب وباتت المنايا تتربص بالناس .

وإذا تحتمس الثالث ينطلق بين نيران الفتن والحروب فيبلغ زعامته عن طريق الجهاد المتتابع والسهر المتصل ، واستطاع بعد جهود جبارة أن يجعل من أولئك الجفاة المشتتين فى أقاليم الشرق ومدائنه وقراه عصبة ووحدة متماسكة الأجزاء متساندة القوى لا ينازعها فى حوض البحر من الجنوب منازع .

ومع ذلك فلم يكن تحتمس الثالث قائدا مستبداً برأيه ، وإنما أثبت للتاريخ أنه كان صاحب مشورة ، لم يشأ أن يسلك طريقه إلى « مجدو » إلا بعد أن شاور أمراء جنده ، ولم يبعث بعساكره إلى ميادين الحرب يصلون نارها من دونه أو يقذف بهم فى الصحراء ، وشعاب الجبال ، وأوديتها الموحشة الوعرة ليستمرىء وحده ظل النعمة ، ولم يكن همه أن يبعث بجنوده إلى أقاليم الأرض ليكسب النصر ويغنم السلامة ، ويظل وحده فى حصنه . وإنما كان يخرج فى الطليعة ويطلق باكورة السهام ، ويعرض صدره لنبال العدو ، ويعير القدر جمجمته مؤمنا بالفوز ، واثقاً من النصر فى إبانه ، ولم تكن المغامرة وحدها هى التى هيأت له كل ذلك ، ومهدت له طريق الزعامة ، ولكنها الرجولة الكاملة والخلق العظيم ، والعبقرية النادرة ، والشخصية القوية . كانت حروبه متصلة

وكان يغامر رغم سنه المتقدمة ، وفى ذلك ما يدل على طبيعة عجيبة قل أن توجد فى الرجال وشجاعة فائقة قل أن تحلى بمثلها ملوك الدهر . لكأنما يحرص على الموت فتوهب له الحياة .

ومصر التى أنجبت تحتمس الثالث هى هى منذ القدم واليوم وإلى الأبد ستظل رائدة التحرير وأمل الشعوب الآسيوية الأفريقية .

شبه جزيرة سيناء والدول التى تعاقبت عليها :

ولما حكم البطالمة مصر بعد وفاة الإسكندر المقدونى كانت نظرتهم إلى الشرق أشبه بنظرة الفراعنة إليه فى أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد .

وطوت الأيام دولة البطالمة ثم أكلت من ورائه سلطان الرومان . وفى القرن السابع الميلادى بزغ الإسلام وتلألأ بروعته فى سماء الوجود فساق المسلمون جيوشهم إلى مصر فدخلوها عبر سيناء عند منتصف القرن السابع الميلادى .

وظلت شبه جزيرة سيناء ، تشهد حركات الجيوش من وراء ذلك ، أيام الحروب الصليبية ، وعلى عهد دولة المماليك ، وفى زمن دولة الأتراك العثمانيين ثم ملحمة الفرنسيين عند أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، حينما حاول نابليون بونابرت أن يبعث إمبراطورية فرعون تحت راية فرنسا فساق جيوشه إلى الشام عبر سيناء ، وتنكرت الأيام للفرنسيين فى الشرق الأوسط ، إذ تصدى لهم جندى ألبانى ، وما استوى على عرش مصر حتى رمى ببصره نحو الشرق ، إنه محمد على والى مصر الذى نشر الجند فوق رمال سيناء يسوقهم من نصر على الوهابيين فى شبه جزيرة العرب إلى نصر على الإمبراطورية العثمانية والاستيلاء على ولاياتها بالشام ، ويظل جيشه المتمرد على السلطان يتقدم حتى يدرك بلاد الأناضول .

ثم تستقر به الحال ويمنح مصر وراثة لأبنائه بالتتابع ، ويأتى حكام ضعاف ،

وتتحرك المطامع الاستعمارية الفرنسية بكسب حقوق وامتيازات حفر قناة السويس، وتتأهب إنجلترا للتربص بالفرنسيين وتطمع فى الاستحواذ على مصر، وتجعل من قبرص نقطة انطلاق لوادى النيل حتى كان لها ماأرادت من السيطرة على مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

شبه جزيرة سيناء ودير سانت كاترين :

لم يكن هذا الدير يحمل اسم « سانت كاترين » عندما أنشىء ، وإنما كان يعرف باسم « دير السيدة العذراء » ولم يطلق عليه اسمه الحالى إلا فى القرن التاسع الميلادى .

والقديسة كاترين هى شهيدة من شهداء المسيحية (١) .

استراتيجية دير سانت كاترين :

وما أكثر ما اتجهت أنظار العالم إلى جبل سيناء حيث هذا الدير بتاريخه الطويل الذى يرجع إلى ٥٤٥ م ، وآثاره الفنية والمعمارية البيزنطية ، ومكتبته التى تضم إنجيلا من أقدم الأناجيل الأربعة المعروفة ، وكنيسته الكبرى ، والمسجد الصغير المقام فيه .

وما أكثر ما اهتمت جامعات العالم ومنها جامعة الإسكندرية ، وجامعتا ميتشجان وبرنستون الأمريكيتان وجامعة أكسفورد البريطانية ، بدراسة هذا الأثر الحى من آثار المسيحية الأولى .

وترجع أهميته إلى وقوعه فى المكان الذى كلم الله فيه نبيه موسى .

وما أكثر ما زحفت إليه البعثات العلمية ووفود السياح عابرين ما يزيد على ٤٤٠ كيلو مترا من القاهرة إلى جنوب صحراء سيناء ، عند نقطة تقع شمال

(١) القديسة كاترين لها قصة بطولية فى الإيمان بالله ومدى استمساكها به حتى الاستشهاد قد وردت فى كتاب السنكسار وكتب التاريخ الكنسية .

البحر الأحمر تماما بين خليج العقبة شرقا وخليج السويس غربا ، تحدها سلسلة من الجبال التى يبلغ ارتفاع بعضها نحو ٥٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وتتفاوت درجة الحرارة فيها بين ٣٢ ، ٢٧ درجة مئوية .

ويصعد الإنسان إلى الدير بنحو ثلاثة آلاف درجة نحتها الرهبان على مر العصور فى الجبل ، ليصل بعد هذا كله إلى منطقة غنية بالماء والزرع .

لقد بنى هذا الدير — على الأرجح — الإمبراطور الرومانى جوستنيان ٥٢٧ — ٥٦٥ ليكون ملجأ للرهبان الهاربين بعقيدتهم من بطش الأباطرة والحكام ، والراغبين فى الانقطاع والوحدة . والإمبراطور جوستنيان من ألمع أباطرة الدولة الرومانية ، ومن أكثرهم جرأة وحبا للفنون المعمارية .

وقد أقيم الدير على شكل قلعة منيعة حصينة ليصد غزو قبائل البدو ، يحيط به سور شبه مربع الشكل إذ تبلغ أطوال أضلاعه ١١٧ × ٨٠ × ٧٠ × ٧٦ مترا ويتراوح ارتفاعه بين ١٢ ، ١٥ مترا ويبلغ سمكه مترين وخمسة وعشرين سنتيمترا ، والسور مبنى بأحجار الجرانيت المقطوعة من محاجر قريبة ، وفى أعلاه أبراج بها مدافع أثرية قديمة يقال إنها وضعت فى عهد السلطان العثمانى سليم الأول . وكانت للسور بوابة عريضة لكنها استبدل بها ثلاثة أبواب ضيقة لحماية الدير من الغارات الخارجية .

ويضم الدير كنيسة كبرى هى كنيسة « الخلاص » وهى مبنية بالجرانيت ، وكنيسة صغرى ، وعددا من الكنائس الصغيرة ، وهى ذات نقوش تاريخية — دينية بالفسيفساء .

وفى داخل الدير مسجد صغير يقع غربى الكنيسة وهو مبنى بالطوب ومن أهم ما فيه من آثار مقعد ومنبر . وعلى المقعد نقش اسم بانى المسجد وهو على بن الأفضل وزير « الحاكم بأمر الله » الخليفة الفاطمى السابع .

وفى الدير مكتبة تاريخية تضم ما يقرب من ثلاثة آلاف كتاب ، بخلاف المخطوطات التاريخية القيمة التى يرجع تاريخها إلى نحو ١٥٠٠ سنة مضت ، وهى بالعربية والصينية والقبطية واللاتينية ، كما تضم الكثير من الكتب الدينية الموشاة بالذهب والفضة .

وفى الدير عدد كبير من الأيقونات يقدر بنحو ٥ آلاف أيقونة ، وهى أكبر مجموعة من الأيقونات الموجودة حتى الآن . ومعظمها أيقونات من رسم فنانين من الروس .

ويتجلى فيها فن المدرسة البيزنطية وتطوره ، كما لا يتجلى فى أية آثار أخرى . وقد نجت هذه الأيقونات من التدمير بما يشبه المعجزة . فنى نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع تقريبا وقع نزاع حول مسألة الأيقونات فى المسيحية ، فأصدر الإمبراطور أمراً بتدمير جميع هذه الآثار الدينية .

وبالصدفة الجغرافية كان دير سانت كاترين يقع فى أرض إسلامية لا تمتد سلطة الإمبراطور إليها . . وكان الرهبان فى الدير على علاقة طيبة بالحكام المسلمين ، ومن هنا استطاعوا أن يتجاهلوا الأمر المتعلق بتدمير مجموعتهم من الأيقونات ، التى هى اليوم موضع الدراسة العلمية فى جامعة الإسكندرية وجامعات العالم الأخرى .

القيمة السياسية لدير سانت كاترين بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة :

هذه هى ثروتنا الدينية لأبناء الأمة المسيحيين الذين قال الله عنهم : «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » (١) .

---

(١) المائدة : ٨٢ .

بل إن هذا التراث الدينى الخالد قد يأتى بالمعجزات إذا استطعنا تقويمه تقويماً علميا فتتوثق عرى المودة بين الشرق والغرب.وفى الفترة من ٢٤ سبتمبر « أيلول » ١٩٦٦ احتفل دير سانت كاترين ، فى جبل سيناء ، بمرور ١٤ قرنا على إنشائه ، وأقيم قداس دينى كبير برئاسة الأسقف مكاريوس ، رئيس جمهورية قبرص ، حضره الملك قسطنطين ، ملك اليونان ، والمطارنة والأساقفة الذين جاءوا للمشاركة فى هذه الاحتفالات ممثلين لكنائس الروم الأرثوذكس فى جميع أنحاء العالم . وقام الملك قسطنطين والأسقف مكاريوس بزيارة معالم الدير الأثرية ومنها المذبح الذى أقامته الملكة هيلانة والكنيسة المسماة كنيسة العليقة المشتعلة — أو كما تسمى معبد العليقة المشتعلة — وهذا المعبد بنته الملكة هيلانة سنة ٣٣٢ ميلادية فى المكان نفسه الذى سمع فيه النبى موسى صوت ربه يكلمه ، يوم رأى شجرة ملتهبة تصعد منها النار .. أى أن المعبد بنى قبل دير سانت كاترين بـ ٢١٣ سنة . وشجرة العليقة الملتهبة التى رآها موسى فوق الجبل والتى نقلها الرهبان على بعد ثلاثة أمتار خلف المعبد حتى لا تموت من شجر التوت ، وهى لا تثمر أبدا ولم يصل بعد خبراء النبات إلى معرفة أصلها رغم الأبحاث التى أجريت عنها . ولا تزال الشجرة موجودة حتى اليوم وبجوارها شجرة النبى هارون التى نبتت فى عصاه التى زرعها فى هذه المنطقة فتحولت إلى شجرة وارفة الظل . ويقول الرهبان إن شجرة موسى كلما مالت إلى الكبر أخذنا منها فرعا وزرعناه فى المكان نفسه . . . وهكذا أمكن الإبقاء عليها أكثر من ثلاثة آلاف سنة منذ أن رأى النبى موسى هذه الشجرة والنيران مشتعلة فيها .

وأمام معبد العليقة لا تزال بئر موسى التى شرب منها يوم وصل إلى سيناء ويستعملها الدير فى كافة لوازمه . والقصة وردت فى التوراة ويحكيها

الرهبان أنه عندما وصل النبى موسى إلى البئرهاربا من مطاردة فرعون وجد جماعة من الشبان يعاكسون فتاتين ترعيان الغنم فطرد موسى الشبان ومكن الفتاتين من أن تسقيا الغنم وتعودا بسرعة إلى دارهما . . وفى الدار حكت « صفورة » لأبيها — وكان كاهن المنطقة — ما حدث فطلب إليها أن تدعو الغريب إلى الدار فذهب وتزوج موسى « صفورة » وعاش هناك ٤٠ عاما مع زوجته قبل أن يكلمه ربه ويطلب إليه العودة إلى مصر (١) .

شبه جزيرة سيناء وقناة السويس :

ترجع فكرة اتصال البحرين المتوسط والأحمر إلى أيام قدماء المصريين ، إذ قام بعض ملوكهم بحفر قناة توصل النيل بالبحر الأحمر ، فكانت السفن تسير أولا من البحر المتوسط فى فرع النيل حتى تصل إلى مدينة منف ، ثم تسير فى تلك القناة حتى البحر الأحمر ، وبالعكس ، وكثيرا ما ردمت الرمال تلك القناة ، فكان الفراعنة يجددون حفرها وتطهيرها .

وقد جددها البطالمة ، واستخدمها العرب وأطلقوا عليها اسم خليج أمير المؤمنين ، ثم ردمت بعد ذلك .

ولما غزا الفرنسيون مصر سنة ١٧٩٨ م اهتموا بدراسة مشروع حفر قناة توصل بين البحرين المتوسط والأحمر ، ولكن البحوث التى أجريت يومئذ انتهت إلى أن مستوى مياه البحر الأبيض المتوسط أعلى من مستوى البحر الأحمر .

---

(١) انظر ما جاء فى سفر الخروج ٢ : ١١ — ٢٥ . كذلك وردت القصة فى القرآن الكريم انظر سورة القصص الآيات ٢٣ — ٢٥ .

ولم ينثن مهندسو الفرنسيين عن دراسة المشروع حتى أثبتت بحوث جديدة إمكان حفر القناة ، وعرضوا المشروع على محمد على الوالى العثمانى على مصر وقتئذ ، إلا أنه خشى أن تكون القناة سببا من أسباب مطامع الاستعمار فى مصر التى يعتبرها ملكا له وميراثا لأولاده من بعده ، وبناء على هذه الهواجس رفض تنفيذ المشروع .

وظل مهندسو الفرنسيين يتربصون للوقت المناسب حتى كان حكم سعيد سنة ١٨٥٤ فانتهز « فرديناند ديلسبس » صداقته لسعيد باشا وعرض عليه المشروع عرضا فيه إغراء ، مبينا له الفوائد التى ستعود على مصر منه . فوافق سعيد وأعطاه إذنا بالحفر بشروط مجحفة للحقوق المصرية منها :

١ — أن تكون مدة استغلال الشركة للقناة ٩٩ سنة تصير بعدها القناة ملكا للحكومة المصرية .

٢ — أن تلتزم مصر بتقديم ٤/٥ العمال اللازمين للحفر بالسخرة .

٣ — أن يكون نصيب مصر ١٥٪ من صافى الأرباح .

٤ — أن يعفى ما تستورده الشركة من معدات وأدوات من الرسوم الجمركية .

٥ — أن تحفر ترعة عذبة تروى ما تمر به من أراض نظير أجر معين .
ويتضح وضوحا بينا من هذه الشروط مدى الظلم الفادح الذى وقع على مصر بسبب غفلة وبلاهة سعيد باشا الوالى العثمانى على مصر وضياع حقوق مصر منها :

١ — طول المدة حوالى قرن من الزمان فى استغلال القناة .

٢ — استخدام السخرة لتقديم ٤/٥ العمال المطلوبين للحفر .

٣ — ضآلة نصيب مصر من الأرباح نظير استغلال القناة للملاحة .

٤ — ضياع رسوم جمركية على ما تستورده الشركة على الدولة .

٥ — التحكم فى أصحاب الأراضى التى تمر بها الترعة العذبة .

تنفيذ مشروع قناة السويس وتحرك المطامع الامبريالية :

عارضت إنجلترا مشروع القناة ، إذ وجدت فيه خطراً يهدد مصالحها فى الهند والشرق ، ولذا طلبت من السلطان التركى عدم الموافقة ، ولكن ديلسبس تغلب على كافة الصعوبات ، بفضل مساعدة فرنسا ، ووافق السلطان التركى ، وتم حفر القناة بأيدى المصريين الذين سخروا لتنفيذ هذا المشروع بالقوة بدون أجر ، ومات عدد كبير منهم .

ثم فتح باب المساهمة فى شركة قناة السويس فأقبل الفرنسيون على شراء أسهمها ، واشترى سعيد باشا ما تبقى دون بيع .

ولما مات سعيد باشا سنة ١٨٦٣ ، وتولى إسماعيل ، عادت إنجلترا فأوعزت لتركيا بإثارة الموضوع وبيان ما أصاب مصر من ظلم ، ولذلك اعترض إسماعيل على الشروط القديمة وطلب تعديلها فعدلت مقابل دفع مصر مبلغ ٣ر٣٦٠ر٠٠٠ جنيه تعويضا للشركة ، وواصلت الشركة عملها ، وفى نوفمبر سنة ١٨٦٩ افتتحت قناة السويس للملاحة ، فى احتفال عظيم حضره ملوك أوربا وعظماؤها ، وأنفق فيه الخديو إسماعيل ما يزيد عن مليون جنيه . ولما ساءت الحالة المالية ، بسبب الإسراف ، باع إسماعيل نصيب مصر فى الأسهم لإنجلترا ، وبذلك أصبحت لإنجلترا مصلحة مباشرة فى القناة فأخذت تتدخل فى شئون مصر حتى احتلتها سنة ١٨٨٢ .

وظلت الشركة تستغل القناة دون أن تفيد مصر منها فائدة تذكر، وكانت إنجلترا تتخذ منها سببا لاستمرار احتلالها لمصر، ولم تتنازل عن وضع قوات لحمايتها إلا بعد قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وعقد معاهدة الجلاء سنة ١٩٥٤ .

التدخل الأجنبى :

حكم خلفاء محمد على مصر حكما استبداديا، وأنفقوا أموالها فيما لم يعد على البلاد بفائدة تذكر، واستدانوا من الأجانب عشرات الملايين من الجنيهات، مما أدى إلى التدخل الأجنبي فى مصر بحجة المحافظة على أموالهم، وسرعان ما تحول هذا التدخل المالى إلى تدخل سياسى فى شئون البلاد .

القناة . . والثورة . . والعدوان الثلاثى :

أدرك الرئيس جمال عبد الناصر أهمية قناة السويس وما سيعود على مصر من الناحية المالية والاقتصادية والسياسية والعسكرية إذا صارت القناة لمصر وحدها . ولذلك أعلن فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ تأميم قناة السويس وكانت الإرادة القوية والتصميم على استرداد أملاك الدولة للدولة ، مما مكن هيئة قناة السويس المنبثقة من الثورة من إدخال تحسينات بالقناة من توسيع ضفتيها وتعميق قاعها حتى كان ذلك من أسباب زيادة الدخل . ومصر التى تقف من الحقوق الإنسانية موقف العدالة والرحمة قد تعهدت للدول المساهمة فى شركة قناة السويس المنحلة بأن تدفع لهم ثمن أسهمهم . وباشرت مصر سيادتها واستغلالها للمرفق كمورد مالى يغذى المشروعات الصناعية الكبرى كالسد العالى جنوبى أسوان .

لكن تأميم القناة أغضب الاستعمار مما جعل إنجلترا وفرنسا تخططان مع إسرائيل لعدوان انتقامى على مصر . وخلال سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٥٦ قامت إسرائيل بعملية تمويه هدفت من ورائها إلى تحويل الأنظار عن استعداداتها للقيام بهجوم كبير فشنت أربع غارات « انتقامية » عبر الحدود ،

ووقعت أكبر غارة من هذه الغارات المسلحة فى العاشر من أكتوبر على قو فى المملكة الأردنية ، حيث أحصى مراقبو هيئة الأمم فيما بعد ٤٨ قتيلا عربيا

وكانت تعبئة إسرائيل العسكرية قد أمست على نطاق واسع إلى درجة لم يعد فى الإمكان إبقاؤها طى الكتمان فما كان من الرئيس أيزنهاور إلا أن وجه تحذيرا قويا إلى رئيس وزراء إسرائيل ، بن جوريون ، ووعد بتقديم المساعدة إلى ضحية العدوان فى الشرق الأوسط كائنا ما كان الضحية .

وأجاب أبا إيبان على هذا التحذير بقوله : « إن إسرائيل لن تبدأ أية حرب »، وفى اليوم التالى(١) لتصريح سفير إسرائيل فى الولايات المتحدة قامت إسرائيل بغزو شبه جزيرة سيناء بحجة أنها حرب وقائية لصد هجوم منتظر تقوم به مصر .

لقد قذفت إسرائيل بقوات تتألف من ٣٠ ألف رجل مزودين بالمصفحات، وسيارات الجيب ، يحميهم غطاء جوى من قاذفات القنابل ميستير ، فعبرت هذه القوات شبه جزيرة سيناء كلها واتخذت سبيلها إلى قناة السويس مباشرة .

انجلترا وفرنسا تدخلان المعركة لمساندة اسرائيل :

وفى ٣١ أكتوبر عند الفجر ، بدأت إنجلترا وفرنسا بجيش يبلغ عدد أفراده خمسين ألف رجل(٢) غزو مصر جوا وبحرا : بالطائرات ورجال المظلات ، والأساطيل البحرية والقوات البرية التى كانت قد حشدت سرا على قدم الاستعداد فى جزيرة قبرص .

وفى فترة قصيرة استولت إسرائيل على قطاع غزة ، وعلى شبه جزيرة

---

(١) ١٩٥٦/١٠/٢٩. (٢) نقلا عن مجلة تايم الصادرة فى ١٩٥٦/١١/٢٠

سيناء بكاملها . وكعادتها بعد كل هجوم صاعق كانت تقوم به على ناحية من نواحى خط الهدنة واستيلائها على كسب إقليمى ما ، وافقت إسرائيل على طلب هيئة الأمم المتحدة القاضى بوقف إطلاق النار ، متجنبة بذلك انتقام المصريين .

وبعد أن أتمت بريطانيا وفرنسا تحطيمهما للمطارات المصرية واستيلاءهما على الجزء الشمالى من قناة السويس وافقتا أيضا على وقف إطلاق النار .

وكان وضع مصر الدال على عدم الاستعداد قد كشف أوضح ما يكون الكشف أنها لم تكن تدبر أى هجوم وشيك أو منتظر ضد إسرائيل .

صلافة اسرائيل ووقاحتها والانسجام التام بين الحلفاء :

وأعلن رئيس وزراء إسرائيل « بن جوريون » أن خطوط الهدنة المرسومة عام ١٩٤٩ قد أمست « ميتة » وادعى ملكية إسرائيل لشبه جزيرة سيناء كلها البالغة مساحتها الواسعة ٢٣ ألف ميل مربع .

وطلب رئيس الوزارة البريطانية « إيدن » — لكيلا تتفوق عليه دولة صغيرة مثل إسرائيل — أن تتراجع مصر مائة ميل عن حدودها المصرية — الإسرائيلية ، وأن تترك حماية قناة السويس لبريطانيا وفرنسا .

امريكا وروسيا فى المعركة :

ولكن سرعان ما تلقى ذلك الانسجام — فى تعاقب سريع — ضربتين قاضيتين ، وكانت الضربه الأولى مروعة حقا فقد وجهت روسيا إنذارا صريحا إلى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بضرورة الانسحاب فى الحال من مصر وإلا فإنها سترسل جيشا متطوعا لنجدة مصر [١] ، وأيدت الصين الشعبية روسيا فى موقفها بأنها ستسمح لـ ٢٥٠ ألف متطوع لنجدة مصر .

---

(١) نقلا عن مجلة تايم فى ١٢/١١/١٩٥٦ .

أما الضربة الثانية فعلى الرغم من أنها كانت أخف ، فقد كانت أحفل بالخزى والعار .

لقد كان موعد الهجوم قد اختير فى براعة ، بحيث يقع قبيل انتخابات الرئاسة الأمريكية مباشرة فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ .

وكانت نظرة إيدن تذهب إلى أن الرئيس أيزنهاور سوف يلتزم الصمت تجاه عدوان إسرائيل ، خشية أن يخسر أصوات اليهود الأمريكيين فى الانتخابات ، وأنه سوف يواصل التزام الصمت تجاه العدوان البريطانى الفرنسى ، خشية أن يخسر حلفاءه فى حلف الأطلسى « الناتو » .

ولكن إيدن أخطأ فى تقديره هذا ، ذلك أن الرئيس أيزنهاور لم يسارع ، فى غير ما تردد ، وقبل الانتخابات ، إلى إدانة إسرائيل فحسب ، بل سارع إلى إدانة بريطانيا وفرنسا أيضا وأوضح بما لا يحتمل اللبس أن تزويد الولايات المتحدة لدول حلف الأطلسى بالأسلحة والبترول لم يكن يقصد به المساعدة على العدوان فى الشرق الأوسط .

وكان أيزنهاور صريحا إلى أبعد الحدود أيضا ، فى تحذير روسيا من التدخل . وإنما كان ذلك وليد الخوف الذى سيطر على أمريكا وعلى تفكير كل من أعضاء الوفود الدولية من تدخل روسيا فى الشرق الأوسط ، حتى أن هيئة الأمم المتحدة أصدرت أوامرها إلى المعتدين الثلاثة بالانسحاب من مصر فى الحال .

وهناك عامل ثالث لم يحسب له المتآمرون حسابا ذلك هو قوة العرب بقيادة الرئيس المفدى جمال عبد الناصر ، فقد وقفوا جميعا وقفة قوية أجبرت إيدن

على التخاذل والانسحاب، وحين أصرت الولايات المتحدة فى طلبها إلى إسرائيل أن تنسحب من سيناء ، وعندما اضطرت إسرائيل آخر الأمر ، على كره منها إلى قبول ذلك ، طلبت جولدا مايير وزيرة خارجية إسرائيل أن تنتزع سيناء من مصر ، وأن تجعل منطقة محايدة .

العدو يلتزم بمخططاته ويتابعها :

إن إسرائيل تستند على زعم روحى فى حقها فى منطقة من نهر الفرات إلى نهر النيل قد وعد الله بها إبراهيم عليه السلام إذ جاء فى التوراة « أن الله قطع مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »[1] .

ومن هذا الميثاق نظموا نشيداً وطنيا تتناقله الأجيال وهو :

نعود للوطن
وطننا إسرائيل
إنه الآن صغير
ولكنه سيكبر ويتوسع
وسنبنيه بأيدينا هذه
من النيل إلى الفرات

ولهذا فإن تعبئة إسرائيل للعدوان على الدول العربية إنما هى تعبئة روحية دينية وعلمية ذات مخطط على مستوى دولى .

ونحن العرب المعتدى علينا والمفترى علينا ، وبلادنا فلسطين السليبة ، معنا البرهان الساطع والدليل القاطع أن وعد الله لإبراهيم إنما هو لنا والأرض

---

(١) تك ١٥ : ١٨ — ٢١ .

الموعودة هى لنا : « إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين »[1]. ويؤكد ذلك تتابع الرسالات السماوية تحقيقاً لقوله: « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » ، فأتبعت اليهودية بالنصرانية ، وانتهى المطاف بالإسلام دين الله الحنيف ، وساد الإسلام سيادة روحية وسياسية على الشرق من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى . وتكفل الله الأمة الإسلامية — مهما عانت من هزيمة — بالنصر « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » فصبراً والنصر قريب للأمة العربية . وجاءت سنة ١٩٦٧ لتكشف أن أمريكا تقف وراء إسرائيل على طول الخط ولا ترى غير وجهة النظر الإسرائيلية حتى وإن كانت بالعدوان على الدول العربية .

فقد قدمت واشنطن عن طريق سفيرها فى مصر « ريتشارد فولتى » ظهر يوم الثلاثاء ١٩٦٧/٥/٢٣ إلى وزارة الخارجية رأيها فى المواقف العدوانية لإسرائيل على العرب ، متمثلا فى خمس نقط على النحو التالى وبالحرف :

« ١ ـ أن الولايات المتحدة الأمريكية ترى أن تظل قوات الطوارىء الدولية فى غزة وشرم الشيخ لحين صدور قرار من الجمعية العامة .

٢ ـ ألا تتوجه أية قوات مسلحة إلى شرم الشيخ إلا بعد أن تصدر حكومة الجمهورية العربية المتحدة إعلانا رسمياً بتأكيد حرية الملاحة فى مضايق تيران ـ مدخل خليج العقبة ـ بدون أية قيود ، مع ملاحظة أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر أن أى قيد على حرية الملاحة فى الخليج أمر له عواقبه البعيدة وهو يشكل عملا عدوانيا .

٣ ـ ألا تدخل إلى قطاع غزة أية قوات مسلحة مصرية .

---

(١) آل عمران : ٦٨ .

٤ ـ أن تظل الأمم المتحدة ووكالاتها مسئولة عن الإدارة فى قطاع غزة حتى تتم تسوية المشكلة .

٥ ـ أن الحشد العسكرى المصرى الذى يجرى فى سيناء الآن خطير وأن حل الموقف هو أن تعود القوات المصرية فى سيناء ، والقوات الإسرائيلية المحتشدة أمامها فى النقب إلى مواقعها الأصلية»[١] .

* * *

ورفضت مصر هذه المذكرة الشفهية بالرد التالى :

١ ـ أن الجمهورية العربية المتحدة تعتبر أن الولايات المتحدة منحازة انحيازاً كاملا لإسرائيل وضد العرب .

٢ ـ أن الجمهورية العربية المتحدة تقرر لنفسها سياستها وتنفذ خطاها دون أى اعتبار إلا لمبادئها .

٣ ـ أن الجمهورية العربية المتحدة تؤمن بالسلام وتعتقد أن السلام لا يقوم إلا على الحقوق الثابتة ، وأما السلام الذى تتحدث عنه الولايات المتحدة فهو مجرد ضمان أمن لإسرائيل ، والأمر الواقع الذى تحاول فرضه بالعدوان»[٢] .

عدوان اسرائيل على مصر بسبب ممارسة مصر لسيادتها :

ما إن اتخذت الجمهورية العربية المتحدة قرارها بإغلاق خليج العقبة فى ١٩٦٧/٥/٢٣ وفقاً لحقوق السيادة حتى جن جنون إسرائيل تساندها مساندة سافرة

---

(١) الأهرام ٢٦ | ٥ | ١٩٦٧ .
(٢) الأهرام ٢٤ | ٥ | ١٩٦٧ .

الولايات المتحدة وبدأ العدو الإسرائيلى هجومه الشامل صباح ١٩٦٧/٦/٥ وقد أثبتت التقارير العسكرية أن الطيارين كانوا يحتفظون بخرائط عن مواقعنا فى غاية الدقة صورت بالقمر الصناعى وصورت عليها كافة الأهداف والإمكانيات الدفاعية من قواعد الصواريخ ومداها ، ولعل فى إدراك إسرائيل للأسرار العسكرية العربية السبب فى توقيت الهجوم ، حتى أن الطائرات الإسرائيلية قد نجحت فى تحطيم ثمانى محطات للقيادة العربية ، وبذلك أصبح الطيران المصرى بدون مراكز للتوجيه ، فالطائرات المقاتلة تأخذ خط سيرها وهدفها من غرفة العمليات حول الهدف الذى تقصده ومن خلالها يمكن توجيه الضربة القاضية .

وفى ساعات قليلة رجحت الكفة لإسرائيل وأخذت وحدات الاتصال الإسرائيلية ، والتى قذفت بالمظلات خلف الخطوط المصرية ، فى شل حركة القوات العربية وأخذت تصدر الأوامر منتحلة صوت القيادة المصرية .

مجلس الأمن وقرار وقف اطلاق النار :

وفى ١٩٦٧/٦/٦ أصدر مجلس الأمن قراراً بدعوة جميع دول الشرق الأوسط المشتبكة فى الحرب أن توقف إطلاق النار فوراً .

موقف روسيا من الاعتداء الاسرائيلى :

وتحدث نيكولاى فيدرونكو مندوب الاتحاد السوفيتى أمام مجلس الأمن فى ١٩٦٧/٦/٨ فطالب بإدانة إسرائيل لاعتداءاتها العسكرية المتكررة ، ودعا إلى أن يصاحب وقف القتال انسحاب القوات إلى ما وراء خطوط الهدنة التى أنشئت سنة ١٩٤٩ .

التواطؤ الامريكى البريطانى مع اسرائيل :

« صرح السناتور الأمريكى كليفورد كيس عضو لجنة العلاقات الخارجية أمام مجلس النواب الأمريكى فى ١٩٦٧/٦/٨ بعد أن حضر الاجتماع السرى

الذى عقده دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية مع أعضاء الكونجرس ، أنه فهم من تقرير راسك فى ذلك الاجتماع أن الولايات المتحدة لم تتوقف إطلاقا عن إرسال شحنات أسلحة أمريكية إلى إسرائيل .

« وفى لندن أعلن جورج براون وزير الخارجية البريطانى فى مجلس العموم أن بريطانيا قررت رفع الحظر — الذى فرضته لمدة ٢٤ ساعة — على إرسال الأسلحة إلى الشرق الأوسط ، وستعود إلى تصدير الأسلحة إلى إسرائيل »(١) .

هل تعبر الأمم المتحدة عن الرأى العام العالمى (٢) :

إن الأمم المتحدة بتشكيلها الحالى وبالواقع والأدلة الناصعة أداة فى أيدى الإمبريالية العالمية لتنفيذ مخططاتها وهى بهذا قد رفعت راية قانون الغاب وشرعية العدوان . لقد أصبح لأى بلد حق الاعتداء على جيرانه واغتصاب أرضهم وتشريد سكانها بضمان من الأمم المتحدة التى تتدخل لحمايته وتفرض شروطه .

لقد انتهكت الأمم المتحدة تحت ضغط أمريكى ميثاق المنظمة الدولية بتخاذلها عن إدانة العدوان أو حتى سحب القوات المعتدية دون شرط ، ومع هذا فإن جبهة الشعوب أقوى وأكثر فاعلية ، وهى العامل الحاسم فى تحديد مسار التاريخ والعنصر الأساسى لتصفية الاستعمار وإلى الأبد .

ومن ثم فإننا لا نفتقد الثقة فى الرأى العالم العالمى وفى الحركة النضالية الواسعة العملاقة المعادية للاستعمار والتى أدانت العدوان وتصدت له ومازالت .

---

(١) الأهرام فى ٩/٦/١٩٦٧ .

(٢) انظر إلى رأى للأهرام فى ٦/٧/١٩٦٧ عن موقفنا من منظمة الدول ومن شعوب العالم المحبة للسلام .

إن قوانا الذاتية العربية بمساعدة شعوب العالم المحبة للسلام ، المناضلة من أجل خلاص الإنسانية من عبودية الاستعمار بكافة صورة . . هذه القوى كفيلة بتصفية آثار العدوان وقطع الطريق على جميع المؤامرات الاستعمارية الإسرائيلية الأمريكية .

إن المعركة مستمرة وسوف نقاتل دفاعاً عن كل شبر من أرضنا المقدسة والنصر لنا والعزة للعرب .

حقائق هامة يؤكدها عبد الناصر (١) :

إن الدول المناضلة من أجل حقوق سيادتها ومصيرها لن تستسلم للنكسات . فتركيا وألمانيا بعد هزيمتهما فى الحرب العالمية الأولى سرعان ما خرجتا من الهزيمة إلى النصر وسرعان ما تبوأتا مركز هما بين الدول العظمى .

وعن هذا يعبر السيد الرئيس جمال عبد الناصر بقوله : « إن أولئك الذين يقصرون تفكيرهم فى نطاق الهزيمة العسكرية التى لحقت بنا فى العام الماضى ، ويعتقدون أنها الصفحة الأخيرة فى الكتاب إنما يرتكبون خطأ كبيرا سيكلفهم غاليا » . وهذه النظرة التى ترفض الاستسلام للنكسة ، وتتحرك بما تختزنه الطاقات العربية من قوة معنوية ومادية قادرة على ضمان خاتمة مظفرة ، لاتستند فقط إلى تقدير واقعى لموازين القوى فى المنطقة وعلى نطاق العالم ، وإنما تكشف فى الوقت ذاته عن زيادة حشد وتراص القوى القادرة بتضافر حركتها على أن تفسد مشروعات إسرائيل التوسعية وأن تلزمها بالتخلى عما اغتصبته بقوة العدوان .

وأثناء مثول الكتاب للطبع وبينما العالم كله يتحدث عن السلام فى

---

(١) انظر رأى للأهرام فى ١٩٦٧/٧/١٢ .

منطقة الشرق الأوسط ويبحث عن وسائل تحقيقة وتدعيمه تخرج أمريكا من هذا الاجتماع وتعلن — على أثر رفض جروميكو [١] «عقد تفاهم» مع دين راسك إلا بعد الوصول إلى حل للأزمة — تزويد إسرائيل بطائرت الفانتوم ... وقد أبرزت الوفود العربية — فى تعليقها على القرار الأمريكى — عدة نقاط هامة :

١ — أن الولايات المتحدة أصبحت طرفا عسكريا فى الأزمة إلى جانب سرائيل .

٢ — أن هذا القرار نسف مهمة يارنج فى وقت وصلت فيه الأزمة إلى موقف بالغ الأهمية .

٣ — أن واشنطن تبرر قرارها بتعزيز قدرة إسرائيل الدفاعية مما يجعل فى متناولها كل هدف [٢] رئيسى فى مصر من الإسكندرية إلى السد العالى .

شبه جزيرة سيناء والمؤتمر الصهيونى الأول فى بال :

كان مؤتمر بال الصهيونى بسويسرا المنطلق للوثبة الصهيونية الكبرى ، ويعتبر نقطة تحول هامة للدعوة الصهيونية .

ذلك أنه بعد أن اشتدت وطأة الاضطهاد على اليهود خاصة فى دول أوربا الشرقية — روسيا وبولندا ورومانيا — وبعد أن هاجر كثير منهم من تلك البلاد ، دعا تيودور هيرتزل إخوانه اليهود فى العالم كله إلى التضامن والكفاح ليتسنى إقامة دولة صهيونية لها كيانها واستقلالها . ثم انعقد مؤتمر فى مدينة « بال » بسويسرا وتكرر انعقاد المؤتمرات الصهيونية فى سويسرا

---

(١) مساء الثلاثاء ٨/١٠/١٩٦٨ .

(٢) انظر الأهرام فى ١١/١٠/٦٨ الصفحة الأولى والتاسعة .

وغيرها من بلدان أوربا ، وانتشرت أخبارها فى الصحف ، ثم خطا هيرتزل وأعوانه خطوات جدية لتحقيق مآرب اليهود ، ومما قام به أن عرض على سلطان تركيا السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ، وتملك الأراضى فيها مع استعدادهم لدفع مبلغ كبير من المال مقابل ذلك ، فأبى السلطان عبد الحميد السماح لهم بما طلبوه.

فولوا وجوههم نحو إنجلترا ، وكان لهم نفوذ كبير فيها ، إذ كان فيها من اليهود كبار رجال المال ، وأخصهم اللورد روتشيلد عميد اليهود هناك ، وكثير غيره من الوزراء والكتاب والصحفيين والنواب . وكان من أثر ذلك أن أرسل وزير خارجية إنجلترا فى سنة ١٩٠٣ إلى اللورد كرومر عميدها فى مصر أن يساعد اليهود على استعمار شبه جزيرة سيناء ، وبمعنى آخر أراد وزير خارجية بريطانيا الأمين على مصر اقتطاع جزء كبير من أرضها ومنحه لليهود دون التفات إلى « مصر » صاحبة البلاد .

ولم يكن الإنجليز وقتئذ سوى محتلين أتوا إليها بحجة تأييد عرش الخديو وأعلنوا أنهم سيغادرونها بعد استتباب الأمن فيها .

نفذ « كرومر » أمر وزارة الخارجية البريطانية ، ورضى أن يقتطع هذا الجزء الكبير من الأرض ويهبه لليهود ، كى يتمكنوا من إقامة مستعمرة يهودية فيه . وقام الخبراء من إنجليز ويهود بمعاينة سيناء ، واختيار المواقع التى تصلح لاستعمار اليهود لكنهم رأوا صعوبة استغلالها للزراعة ، واستثمارها للإنتاج الزراعى فرفض اليهود امتلاكها . .

وهنا يقول حاييم وايزمان فى مذكراته ، وهو خليفة هيرتزل فى زعامة اليهود ، وأول رئيس لجمهورية إسرائيل ، إنه يأسف لرفض اليهود استعمار سيناء ، وكان من رأيه قبول استعمارها وتوطنها لتكون نقطة يرتكز عليها اليهود فى الوثوب مستقبلا إلى جارتها فلسطين .

وبعد هذا الرفض ، عرض الإنجليز سنة ١٩٠٤ على اليهود استيطان جزء من شرق إفريقيا « أوغندة » ، مع أن هذه المنطقة كانت تحت حماية مصر فى عهد الخديو إسماعيل بمقتضى معاهدة أخفاها الإنجليز كما يشهد التاريخ .

وهكذا كان حظ المصريين مع الإنجليز إبان الاحتلال النهب والاغتصاب، فإنهم أرادوا أن يعطوا اليهود «سيناء»[1] وهى من أرض مصر، ثم «أوغندة» وكانت وقتئذ تابعة لمصر .

ثم انتهوا أخيراً إلى أن وهبوهم فلسطين العربية التى لا يمتلكونها ، وتمكنت الصهيونية من اغتصابها وطرد أهلها وتشريدهم .

٢ — مصر

الهكسوس وعلاقتهم بالآباء :

هم الملوك الذين كان مؤرخو اليونان يسمونهم « هيكسوس »[2] والعرب الأقدمون يطلقون عليهم « العمالقة » أو العرب « البادية » . ويقول يوسيفوس إن معنى كلمة هيكسوس — الملوك الرعاة — لأنها مؤلفة من كلمتين هما « هيك » ومعناها الملك ، و « سوس » ومعناها الراعى . وأما بروكسن فيقول إنها مؤلفة من « هيك » ومعناها الملك، و« شاسو »[3] ومعناها البادية أو البدو .

---

(١) مساحة شبه جزيرة سيناء تبلغ ٥٢ ألف كيلو متر مربع . وهى أكبر من مساحة « سوريا » وتزيد على ثلاثة أمثال مساحة « فلسطين » وعلى ثمانية أمثال مساحة « لبنان » .

(٢) السير فلندرس بترى History of Eqypt .

(٣) يستنتج السير فلندرس بترى من الآثار التى عثر عليها أنهم حكموا مصر من ٢٠٩٨ إلى ١٥٨٧ ق. م . بينما يرجح بريستد أنهم حكموا مصر فى زمن الأسرات من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة ١٧٨٥ — ١٥٨٠ ق . م .

وهؤلاء المؤرخون كلهم اتفقوا على أن العمالقة عرب ، وأنهم هم الذين جاء ذكرهم فى تاريخ مصر القديم .

كان الشاسو يتنقلون فى بادية مصر الشرقية بين النيل والبحر الأحمر كما يتنقل البدو فيها هذه الأيام ، ولم يكونوا ليقتصروا على تلك الصحراء ، بل كانوا يرحلون بينها وبين شبه جزيرة سيناء وما وراءها أيضا ، وربما اتصلوا بإخوانهم بدو العراق ، لأنهم جميعا من أصل واحد كما أنهم نزلوا ديار فلسطين « بئر سبع » واستوطنوها مدة قبل أن يغزوا مصر ، وكثيرا ما كانوا يسطون على المصريين فى مدنهم .

من أجل ذلك كان المصريون يخافون بأسهم ، وكانوا يستعينون بهم لما اشتهروا به من شدة وشجاعة وبأس فى حروبهم بعضهم مع بعض فى كثير من الأحيان .

وقد ساروا على هذه الخطة حينا من الدهر إلى أن سنحت لهم فرصة وثبوا فيها على مصر ، ويقال إن ذلك كان فى زمن إبراهيم الخليل ، فملكوها وظلوا فيها حكاما وملوكا مدة خمسة قرون ، وكونوا فيها ملكا عربيا تعرف قوته من أن يوسف الصديق عليه السلام كان مستوزرا فيه .

وجاء فى أخبار مؤرخنا الوطنى « مانيثون » أن الهكسوس قد استولوا على مصر فى سهولة ، وملكوها دون أن يشعلوا نار حرب ، لأن أمور المصريين يومئذ كانت مضطربة أشد الاضطراب ، والفوضى قد عمت البلاد منذ عام ١٧٥٧ ق . م .

وبين آثار المصريين مايؤيد حديث مانيثون فهذه بردية ساليه Sallier تؤكد ذلك ، وكأنما إرادة الله وإرادة الغزاة على موعد واتفاق ، فبلغ

الهكسوس دلتا الوادى وسيطروا على شمالها ، جاءوها بخيلهم وعجلاتهم الحربية التى لم يكن للمصريين عهد بها من قبل .

وجعل الهكسوس حاضرة ملكهم « أواريس » — صان الحجر شرق الدلتا — ثم أخذوا يمدون سلطانهم على أقاليم الوادى فتركوا غرب الدلتا تحت إمرة حكام من الوطنيين يسميهم مانيثون حكام الأسرة الرابعة عشرة واتخذ الملك « نحسى » من ملوك هذه الأسرة « سخا » قاعدة لملكه المسلوب ، وهكذا كان الحال فى شمال الوادى وبعض أقاليمه الوسطى ، فأما صعيده الأعلى فقد كان تحت إمرة حكام من الوطنيين أسماهم هيرودوت ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وقد ظل أولئك يجاهدون فى سبيل تحرير البلاد من يد العدو حتى لاحت بوادر النصر فى أواخر عهدهم .

وكما أنهم نزلوا ديار بئر سبع واستوطنوها مدة قبل غزو مصر فإنهم لم يجدوا ملجأ سواها يوم غلبوا على أمرهم هناك ، وحالفوا المصريين على أن يخرجوا من مصر إلى حيث يشاءون . ويقول السير فلندرس بترى إنهم أموا سوريا عن طريق الصحراء إلا فئة قليلة منهم تخلفت خوفا من بطش الآشوريين وسيطرتهم ، ولهم فى « تل الفارعة » و « تل جمة » و « تل العجول » من الآثار ما ينطق بذلك .

زوال ملك الهكسوس :

اندلعت الثورة فى الجنوب فى أيام ملك من الهكسوس يقال له « أبوفيس » وقد كان ثالث ثلاثة يدعون بهذا الاسم . وقد أخذ يتحدى الملك المصرى

الحاكم يومئذ فى طيبة ويتحرش به(١) ، ولقد كان الحاكم المصرى يدعى « سقنن رع » وكان هو الآخر ثالث ثلاثة(٢) .

وتحدثنا بردية ساليه Sallier عن « أبوفيس » ملك الهكسوس وكيف أنه أرهق الملك المصرى الحاكم فى طيبة بمطالب لا قبل له باحتمالها ، وكيف أنه ظل يتحداه ويجرح كرامته حتى أثاره . وأكبر الظن أن « أبوفيس » قد رأى لأميرنا المصرى من القوة والسلطان ما يجوز أن يصبح أمره خطراً على ملك الهكسوس ونفوذه السياسى ، فأخبار الثورة فى البردية المذكورة تشير إلى قوة الحكومة الوطنية واتساع نفوذها ، وانتشار سلطانها بين أقاليم مصر ، حين تزعم أن مصر كانت تؤدى خراجها إلى بيت طيبة ، فلن يكون غريباً بعد ذلك أن يتحرش ملك الهكسوس بأميرنا المصرى من أجل الثراء المادى واتساع السلطان السياسى ، وأن يثور بيت طيبة ، ويثور معه أعوانه من بيوت الصعيد للعزة الوطنية والكرامة القومية ثم لشىء آخر أجل خطراً وأبعد أثراً فى حياة الناس وفى تاريخهم السياسى من كل ماذكرنا أعنى من أجل تنازع البقاء .

وبين أخبار الثورة ما يشير إلى أنها قامت تحت راية الدين ، ولن يبدو ذلك غريباً فى عيون أولئك الذين درسوا الحياة المصرية وتاريخها وحياة الشرق وتاريخه ، بل وحياة الدنيا كلها فيما مضى من أيامها البعيدة والقريبة ، فقصص الحروب المصرية كلها قدصورت تلك الحروب فى صور دينية ، وأجرت حوادثها تحت راية الدين وفى ركاب الآلهة ، وقصص الإسرائيليين عند خروجهم من

(١) توجد أخبار ذلك الاحتكاك فى البردية المعروفة باسم بردية Sallier وقد ترجمها العالم الألمانى Erman فى كتابه المعروف عن الأدب المصرى .

(٢) Ed. Meyer: Gesch, d. Al tertums I, 310.

مصر قد لبست كلها أثوابا دينية براقة (١).

فلا عجب بعد ذلك أن تثير الرواية عجاج هذه الحروب المصرية تحت راية الدين ، وأن تندفع فى ركاب « آمون » وهو يومئذ صاحب طيبة ومعبود الأسرة الحاكمة فيها ، ثم تصور لنا « أبوفيس » ملك الهكسوس وقد جعل من معبوده « ست بعل » إله الآلهة ورب الأرباب يعكف على عبادته ويحرم على الناس عبادة ما عداه ثم يدعو الملك المصرى إلى عبادة « ست بعل » والانصراف عن آمون ، بينما يستمسك الأخير بعبادة ربه « آمون » رب الأرباب وإله الآلهة ، وهكذا يتنافس الملكان تنافسا دينيا خالصا ، فما يكاد أحدهما يظفر بصاحبه وما كاد أحدهما يبلغ بمعبوده ما يريد ، ثم ينتهى الأمر إلى تلك الحروب التى أدت إلى مصرع أمير طيبة .

وبين أسانيد التاريخ المصرى ما يؤيد بعض رواية « ما نيثون » ويشير إلى بلوغهم ذلك المدى من حدود الأقاليم الوسطى .

وجاء فى أخبار الملكة « حاتشبسوت » أنها أصلحت داراً للمعبودة « حاتحور » بجهة القوصية فى شمال أسيوط ، وأنها عمرت الخراب وأتمت الناقص من معابد الوادى وعمائره بعد الذى أصابها على أيدى الهكسوس . Breasted, A. R, II, 296 .

---

(١) لقد انفردت التوراة بأخبار الجدل الدينى بين موسى وكهنة المصريين مما استحوذ على اثنى عشر إصحاحاً من سفر الخروج ، ثم إن موسى وهو ما زال فى حدود مصر فى سيناء رسم لهم الشريعة فاستحوذت على اثنى عشر إصحاحا أخرى ، ومع هذا فإنهم عبدوا العجل الذهبى فى سيناء « خروج ٣٢ : ١ — ١٠ » .

وفى حديث الملك « كاموس » أحد أبطال ثورة الحرية مع أمراء جنده ورجال بلاطه ما يؤيد احتلال الهكسوس إقليم الأشمونين بعد « منف » وبلوغهم بلدة القوصية شمال أسيوط[1] .

وكانت حرب الاستقلال على يد « اعح موسى » التى انتهت بطرد الهكسوس وزوال سلطانهم .

٣ — فلسطين

فلسطين الوطن العربى السليب من أقدم ممالك التمدن الشرقى القديم ، تقع فى الغرب من قارة آسيا بين خطى عرض ٣٠َ ٢٩ْ و ١٥َ ٣٣ْ شمالا ، وبين خطى طول ١٥َ ٣٤ْ و ٤٠َ ٣٥ْ شرقى جرينتش ، وهى القسم الجنوبى الغربى من بلاد الشام .

ويحد فلسطين من الغرب البحر الأبيض المتوسط على ساحل طوله نحو ٢٣٠ كيلو مترا ، ومن الشرق سوريا — ويبلغ طول الحدود بين القطرين ٧٠ كيلو مترا — والأردن على حدود طولها نحو ٣٦٠ كيلو مترا ، ومن الشمال الجمهورية اللبنانية — على حدود طولها ٧٩ كيلو مترا — ومن الجنوب سيناء

---

(١) كانت القوصية تعتبر الحد الفاصل بين أقاليم الجنوب وأقاليم الشمال . ويتجلى ذلك بوضوح عند النظر فى التقسيم الإدارى الذى استقر فى أيام الامبراطورية المصرية منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها ، حيث جعلت إدارة الإقليم المصرى من مطلع الوادى عند أسوان إلى شمال أسيوط تحت إشراف كبير وزراء الصعيد ، وتركت إدارة الأقاليم شمال أسيوط إلى أقصى الشمال حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط تحت إشراف كبير وزراء الشمال . هذا وقد سمى المصريون معبود أسيوط « فاتح الطرق » وصوروه على هيئة كلب من بنات آوى . وأكبر الظن أنهم كانوا يتخذون منه علما فى زحفهم نحو أقاليم الشمال ، ففى اسمه ما يشير إلى عقيدتهم فيه ، وجعلوه حارساً لملكهم فى الصعيد . ومن المرجح أن المصريين كانوا يتخذون من « أسيوط » حصناً يدرأون به إغارة الطامعين فى ملكهم .

وخليج العقبة ، ويبلغ طول الحدود المصرية — الفلسطينية بين رأس طابا على خليج العقبة ورفح على البحر الأبيض المتوسط نحو ٢٤٠ كيلو مترا. هذا وطول الساحل الفلسطيني الواقع على خليج العقبة عشرة كيلو مترات ونصف الكيلو متر .

تعينت الحدود بين فلسطين من جهة ، ولبنان وسوريا من جهة أخرى بموجب الاتفاق الفرنسي — البريطاني المنعقد في ١٩٢٠/١٢/٢٣ . وبموجب هذا الاتفاق تسير الحدود من « رأس الناقورة » الواقع على البحر المتوسط باتجاه الشرق إلى قرية « يارون » في لبنان . ومن ثم باتجاه الشمال الشرقي إلى « قدس »و« المطلة » في فلسطين ، وعبر وادي الأردن إلى « تل القاضي » في فلسطين وإلى « بانياس » في سورية .

وبعد ذلك يسير خط الحدود باتجاه الجنوب الغربي إلى « جسر بنات يعقوب »، ومن ثم يسير باتجاه الجنوب على طول نهر الأردن حتى بحيرة طبرية وساحلها الشرقي إلى نقطة تكاد تكون إلى الشرق من مدينة طبرية ، حيث ينحرف خط الحدود في اتجاه الجنوب الشرقي إلى أن يصل محطة « الحمة » الواقعة على سكة حديد درعا — سمخ .

وحسب هذا التحديد تقع جميع « بحيرة الحولة » وحوضها ، و« بحيرة طبرية » بأكملها في فلسطين .

ويتألف القسم الفلسطيني الواقع شرقي البحيرتين من قطاع ضيق يمتد على طول ساحل بحيرة الحولة الشرقي ، وشريط ضيق يقع شرقي بحيرة طبرية يتراوح عرضه بين ١٠و٢٠٠٠ متر على أكثر تقدير .

وأما الحدود مع شرقي الأردن فقد حددها المندوب السامي البريطاني

لفلسطين وشرقى الأردن فى ١/٩/١٩٢٢ ، وهى تبدأ من نقطة اتصال اليرموك بالأردن فتسير جنوبا من منتصف مجرى نهر الأردن وبحيرة لوط ووادى العربة حيث تنتهى فى ساحل خليج العقبة على بعد ميلين غربى مدينة العقبة .

وكانت الحدود بين فلسطين ومصر قد حددت بموجب الاتفاقية المعقودة فى ١٢ شعبان ١٣٢٤ هـ الموافق أول أكتوبر ١٩٠٦ بين خديوية مصر والحكومة العثمانية . وتمتد الحدود من « تل الخرائب » فى « رفح » على ساحل البحر الأبيض المتوسط وتنتهى فى « رأس طابا » على خليج العقبة . وخط الحدود هذا يكاد يكون فى امتداده مستقيما .

وكان العثمانيون يعتبرون هذه الحدود حدودا إدارية تفصل بين «خديوية مصر » — وكانت لهم عليها سيادة اسمية — وبين ولاية سورية ومتصرفية القدس .

ومما هو جدير بالذكر أن طول الحدود الإدارية البرية بين « فلسطين المغتصبة » والأقطار العربية المجاورة اليوم يبلغ نحو ٩٥١ كيلو مترا توزع كما يلى وذلك قبل العدوان الإسرائيلى فى يونيو ١٩٦٧ :

القسم المغتصب — سوريا ٧٦ كيلو مترا

القسم المغتصب — لبنان ٧٩ كيلو مترا

القسم المغتصب — الأردن ٥٣١ كيلو مترا

القسم المغتصب — الجمهورية العربية المتحدة ٢٦٥ كيلو مترا

فيصبح المجموع ٩٥١ كيلو مترا

مع ملاحظة إضافة ٥٦ كم إلى الحدود الأردنية للقسم المغتصب وهى

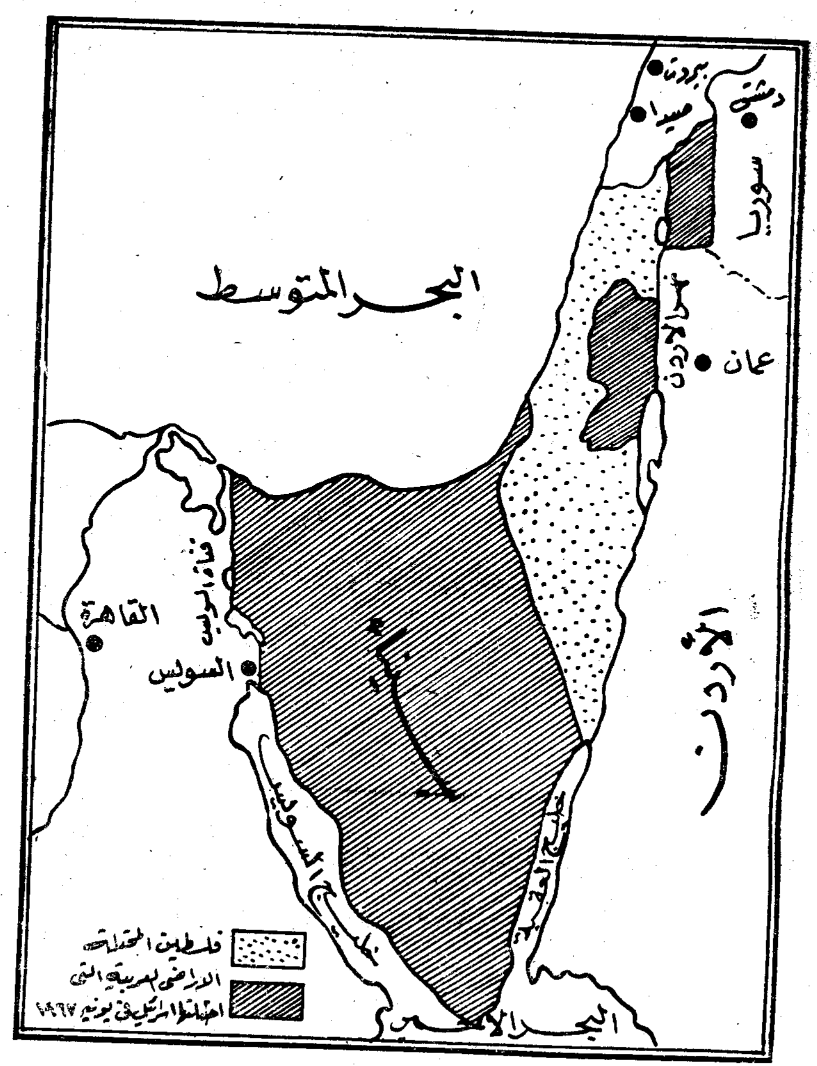
الحدود البحرية الواقعة على ساحل البحر الميت ، وأن حدود قطاع غزة ضمن حدود ج . ع . م .

وفلسطين مستطيلة الشكل ، فطولها من الشمال إلى الجنوب وهو يوازى حدها الشرقى نحو ٤٣٠ كم . وأما عرضها ففى الشمال يتراوح بين ٥١، ٧٠ كم، أما النتوء الأرضى الفلسطينى الواقع بين سوريا من الشرق ولبنان من الغرب فلا يزيد طوله عن ٢٢ كم وعرضه عن ١٤ كم .

وفى الوسط يتراوح العرض بين ٧٢ ، ٩٥ كم . هذا وطول الخط المستقيم بين الساحل ونهر الأردن ، والمار بمدينة نابلس هو ٧٢ كم ، وطوله الممتد بين البحر الميت والساحل والمار بالقدس هو ٨٢ كم . وأما فى الجنوب فإن العرض يتسع حتى يصل إلى نحو ١١٧ كم . أما أقل عرض فى القسم المغتصب فلا يزيد عن ١٤½ كم وهى المسافة الواقعة بين طولكرم وناثانيا على ساحل البحر . وأما فى شمالى القسم المغتصب فإن أعظم عرض لا يزيد عن ٦٦ كم، وفى الجنوب لا يزيد العرض عن ١٠٨½ كم .

مساحة فلسطين السطحية :

تبلغ مساحة فلسطين حوالى ٢٧٠٠٩ كم ٢ من هذه المساحة ٧٠٤ كم ٢ هى مساحة بحيرة الحولة ، وبحيرة طبرية ونصف مساحة البحر الميت، ولا يمكن اعتبار أرقام مساحة البلاد صحيحة ونهائية ، وذلك لعدم تعيين الحدود فى « وادى العربة » بين فلسطين وشرقى الأردن ، فقد جعل الحد فى وسط الوادى ، ولكنه لم يعين حتى نهاية الحكم البريطانى البغيض ، فضلا عن أن مجرى نهر الأردن الذى يفصل بين البلدين عرضة للتغيرات الكثيرة الأمر الذى يؤثر فى خط الحدود ، وبالتالى فى مساحة البلاد .



وقد احتل اليهود حتى قبل نكسة يوم ١٩٦٧/٦/٥ ما مساحته ٧٧ ٪ من مساحة فلسطين السليبة أى ٢٠٧٠٠ كم ٢ أى مايوازى ٧٩٩٣ ميلامربعا .

وتذكر الوكالة اليهودية فى صفحة ٤٣٥ من إحصاءاتها المطبوعة فى عام ١٩٤٧ أن ما يملكه اليهود من أراض فى فلسطين ، فى نهاية شهر سبتمبر من عام ١٩٤٦ بلغ ١٨٠٧٠٠٠ دونم أى ما يعادل ٦ر٨ ٪ من جميع أراضى البلاد .

سكان فلسطين :

فى ٢١ مارس من عام ١٩٤٧ قدر عدد سكان البلاد بنحو «١ر٩٣٣ر٦٧٣» نسمة على حساب أن عدد بدو بئر السبع «هو ٤٧ر٩٨١» كما جاء فى إحصاء عام ١٩٣١ .

ولما كان عدد البدو قد بلغ فى إحصاء فنى سرى دقيق ، أجرته الحكومة عام ١٩٤٦ «٩١ر٩٣٤» نسمة فيكون عدد سكان فلسطين هو ١ر٩٧٧ر٦٢٦ بينهم ٦١٤ر٢٣٩ يهوديا . وهـــذا ما يعادل نحو ٣١ ٪ من مجموع السكان .

إلا أن معظم هؤلاء اليهود كانوا من المهاجرين الذين دخلوا البلاد عنوة وخلافا لرغبات سكانها الأصليين واعتراضهم المستمر على دخولهم ، ولذلك فلا يمكن اعتبارهم -- كالسكان العرب المواطنين — فلسطينيين شرعيين بأى حال من الأحوال .

وعليه فإن النسبة المذكورة أكثر من الواقع بكثير .

والباقى من السكان عرب يوزعون حسب دياناتهم كما يلى :

مسلمون ١ر٢٠١ر٣٧٦ ، مسيحيون ١٤٦ر١٦٢ ، طوائف أخرى (الدروز وقليل من البهائيين) ١٥ر٨٤٩ .

وهكذا تصبح كثافة السكان فى الكيلومتر المربع الواحد ٧٣ر٢ شخصا . وفى الميل المربع الواحد ١٩٠ر٦ شخصا .

وبهذه المناسبة نذكر أن إحصاءات المغتصبين قدرت سكان القسم الذى اغتصبوه فى نهاية عام ١٩٤٨ بـ ٨٧٩ر٠٠٠ بينهم ٧٥٨ر٧٠٢ يهود ، وفى نهاية عام ١٩٦٣ بلغوا ٢ر٤٢٩ر٥٠٠ بينهم ٢ر١٥٥ر٠٠٠ يهود .

وفى مطلع عام ١٩٦٥ بلغوا ٢ر٥٣٦ر٦٠٠ من بينهم ٢ر٢٥١ر١٠٠ يهود .

الكنعانيون

وهكذا فإن هـــذه البلاد « فلسطين » كما يعرفها التاريخ كانت آهلة بالكنعانيين ، وكانت تدعى أرض كنعان .

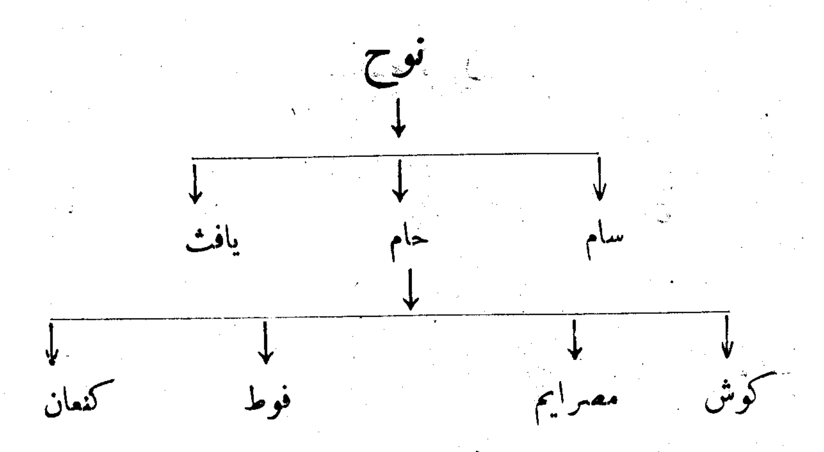
وفى استطاعتنا فى الواقع أن نفخر بهؤلاء القوم وبمنشئى الحضارة الآخرين الذين جاوروهم ، إذ أنهم اكتشفوا — من غير معرفة سابقة تهديهم سواء السبيل — النحاس اللين فى حوالى عام ٤٠٠٠ ق . م . وتعلموا خلال الألف سنة التالية كيف يجمعون ما بين النحاس والصفيح لينتجوا البرونز الجميل ، وهو اكتشاف قد يكون أهم بالنسبة إلى العالم ، فى ذلك الوقت ، من انفلاق الذرة بالنسبة إلينا اليوم ، ذلك أنه أدخل علم التعدين ، وأعطى الشعوب البدائية أدوات وأسلحة قاسية حادة لا تكاد تبلى .

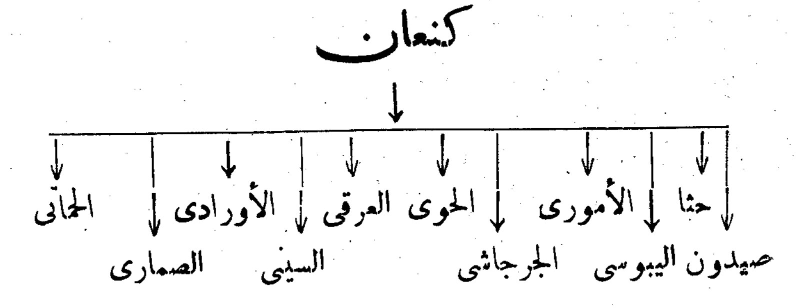
والتوراة هى المصدر الذى يمدنا بتاريخ الكنعانيين :

فمن هو كنعان ؟ حسب التدرج المرمى من القمة نجد أن « مواليد بنى نوح سام وحام ويافث » [١] ، « وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان » [٢] ، « وكنعان ولد صيدون بكره وحثا واليبوسى والأمورى والجرجاشىّ والحوىّ والعرقى والسينى والأورادى والصمارى والحماتى ، وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانى » [٣] .

---

(١) تك ١٠ : ١ . (٢) تك ١٠ : ٦ . (٣) تك ١٠ : ١٥ — ١٨ .





« وكانت تخوم الكنعانى من صيدون حينما تجىء نحو جرار إلى غزة وحينما تجىء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم إلى لاشع . هؤلاء بنو حام حسب قبائلهم كألسنتهم بأراضيهم وأممهم »(١).

لكن إسرائيل تأبى إلا أن ترث أرض كنعان وتقنن لذلك فى صورة حكم إلهى ينسبونه لله تعالى فى القول : « وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم » (٢) ، وفى صورة ميثاق يمنح لإبراهيم وورثته : « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات . القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين

(١) تك ١٠ : ١٩ — ٢٠ . (٢) تك ٩ : ٢٦ .

والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين»[١]،
وتفنن أيضا حافزا ليحفز إسرائيل على امتلاك أرض كنعان فى القول: «فقال الرب إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إنى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة. إلى أرض تفيض لبنا وعسلا. إلى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين»[٢].

وإذا سلمنا بما يزعمونه فى صالحهم، فماذا يكون موقفهم من الإنذار الصريح: «ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب أولئك الباقين معكم وصاهرتموهم ودخلتم إليهم وهم إليكم. فاعلموا يقينا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فخا وشركا وسوطا على جوانبكم وشوكا فى أعينكم حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التى أعطاكم إياها الرب إلهكم. وها أنا اليوم ذاهب فى طريق الأرض كلها. وتعلمون بكل قلوبكم وكل أنفسكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذى تكلم به الرب عنكم. الكل صار لكم. لم تسقط منه كلمة واحدة. ويكون كما أنه أتى عليكم كل الكلام الصالح الذى تكلم به الرب إلهكم عنكم كذلك يجلب عليكم الرب كل الكلام الردىء حتى يبيدكم عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاكم الرب إلهكم. حينما تتعدون عهد الرب إلهكم الذى أمركم به وتسيرون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها يحمى غضب الرب عليكم فتبيدون سريعا عن الأرض الصالحة التى أعطاكم»[٣].

ويعتقد بعض الثقات من المؤرخين أن الإسرائيليين خرجوا من مصر

---

(١) تك ١٥: ١٨ — ٢١. (٢) خر ٣: ٧، ٨. (٣) يش ٢٣: ١٢ — ١٦.

حوالى عام ١٢٢٤ ق . م . وأنهم بعد أن هاموا على وجوههم فى الصحراء طوال أربعين سنة غزوا أرض كنعان حوالى عام ١١٨٤ ق . م . فى تلك اللحظة السيكولوجية المناسبة التى كان فيها كل شىء قد تداعى وانهار ، وكان ذلك هو ، بالضبط ، التاريخ عينه الذى يعتقد أن طروادة قد سقطت فيه ، وهى مصادفة غريبة قلما يلاحظها المؤرخون .

وعلى أى حال ، فلا الفلسطينيون الذين جاءوا من كريت وسكنوا الساحل ، ولا الإسرائيليون استطاعوا أن يفرضوا سلطانهم على السكان الوطنيين « الكنعانيين » فى مدنهم المسورة . ومعظم المؤرخين يعتبرون أن مصر قد حكمت أرض كنعان حتى نهاية عهد رمسيس الثالث حوالى عام ١١٥٤ ق.م. وأن الحكم المصرى بعد هذا التاريخ بدا وكأنه أصبح حكما اسميا لا غير .

وظلت أرض كنعان موضع شد وجذب بين الفريقين اللذين أغارا عليها من خارج — الفلسطينيين والإسرائيليين — حتى عام ١٠٠٠ق . م . على وجه التقريب ، وهذا هو التاريخ الذى يعينونه لاستيلاء الملك الإسرائيلى داود على بيت المقدس ، لقد هزم الفلسطينيين وفتح أرض كنعان ، وتقدم بالتالى للاستيلاء على الدويلات الصغيرة المجاورة الواقعة إلى الشرق من فلسطين « أدوم ، ومؤاب ، وعمود ، وجلعاد » .

لكن يجدر بنا أن نقف وقفة قصيرة للتأمل والتبصر ، هل يظلم الله أحدا ؟ لقد أراد الله أن يورث الأرض الصالحين من عباده ، ولهذا كان اختياره إبراهيم عليه السلام وكان عهده وميثاقه قائما له ولنسله ما داموا ينهجون سبيل الله .

من هنا ندرك الحكمة من قيادة الله لإسرائيل من نصر إلى نصر ، لغاية أن يكونوا صورة الله المقروءة بين الناس فى البر والتقوى والتعفف والعدل

والحق والرحمة ، وبالتالى يكونون نورا للأمم حواليهم ، لكنهم كانوا كما قال عنهم المسيح : « ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة ، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم » [1] .

سكان الساحل الفينيق

وإلى الشمال من « عكا » تبدأ تلك البقاع الساحلية التى سماها المصريون « زاحى » ثم أطلق عليها الإغريق اسم « فينيقيا » [2]. هنالك امتدت منازل الفينيقيين ، ولم تكن دولة بالمعنى المعروف وإنما الواقع أن نظام حياتهم كان أشبه بنظام « البندقية » فى شبه جزيرة إيطاليا أو نظام «هنزا» فى ألمانيا ما بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر الميلادى .

ولم يكن يهمهم مطلقا أن تكون لهم حكومة مستقلة ، وإنما يهمهم الكسب أينما وجدوا السبيل إليه ، وقد وقعوا تحت حكم المصريين وتحت سلطان الأشوريين زمنا آخر .

---

(١) لوقا ١١ : ٥٢ .

(٢) لقد حاول العالم الألمانى « كورت زيته » فى بحث من أبحاثه القيمة نشره فى مجلة الشرق القريب تحت عنوان Der Name der Phoenizier bei den Griechen und aegypter, in der Mitteillungen der Vorderasiatiches Geulls haft 21. 1916 . 305 ff. أن يثبت أن كلمة « فينيقيا » إنما يرجع أصلها إلى اللفظ المصرى القديم « فنحو » وكان المصريون يطلقونه على البقاع السهلة من أرض آسيا التى تشمل المروج من حول « شرونة » ؛ و « البقاع » ، « ووادى الأردن » ، « وسبيل الساحل الفينيقى » غير أن ذلك لم يرض المؤرخ العظيم « إدوارد ماير » الذى يؤكد أن اسم الفينيقيين إغريقى الأصل ، وأن معناه « الأحمر الدموى » وأن اسمهم لم يكن مصريا ، ولا ساميا . أما هم فكانوا يسمون الصيداويين نسبة إلى صيدا وكانوا يسكنون فى أرض كنعان . Ed . Meyer, Getch 111 ; 96 .

وظاهر من النصوص المحفورة على جدران المعابد المصرية منذ أيام البطالمة أن الفينيقيين قد كانوا خاضعين لراية السلطان المصرى. وتشير النصوص فى صراحة إلى أن « بطليموس فيلادلفيوس » قد بسط سلطانه على أرض الفينيقيين ، وثبت تاريخيا أن الساحل الفينيقى من أرض فلسطين قد ظل فى حوزة السلطان المصرى أيام البطالمة منذ عام ٢٨٧ ق . م . حتى كان ملك مصر فى العهد البطلمى يلقب « بملك مصر وحاكم فينيقيا » ، والغالب أن الفينيقيين قد كانوا يحملون الأنبذة والبخور إلى المعابد المصرية فى تلك العصور المتأخرة وما قبلها أيضا (١) ، ومن أشهر مدائن الفينيقيين التى لعبت دورا خطيرا فى تاريخهم وتاريخ من جاورهم من الأمم يومئذ تلك المدائن الساحلية مثل صيدا وبيروت وببلوص (٢) وصور (٣) .

وارتاد الكنعانيون تلك المرافىء يتصيدون السمك فى مياهها ، ولعل نسبتهم إلى « صيدا » (٤) قد جاءت عن هـــذا الطريق . على أن أكثر مدائن الفينيقيين كانت ذات صلة بمصر ، خاصة « ببلوص » ، والغالب أنها اتصلت بمصر منذ أبعد العصور (٥) .

---

(١) لم تخل النصوص المصرية من الكلام عن تلك الأنبذة وذكرها وذكر ربتها « بوتو » التى كانت تقدس عند « تل بنيشة » حيث البقاع الغنية بالكروم فالأنبذة المصنوعة منها .

(٢) بيلوص أحد الموانى الشهيرة التى لعبت دورا عظيما فى حياة المصريين الاقتصادية والدينية ، فنها حمل المصريون أكثر الخشب اللازم لعمائرهم الدينية والمدنية وتعرف باسم « جبيل » وتقع ما بين بيروت وطرابلس .

(٣) صور : ومعناها الصخرة وهى تسمية تتفق مع طبيعتها .

(٤) صيدا : الغالب أنه كان لتلك المدينة معبود يدعى « صيد » ومن رأى بعض المؤرخين أن الكنعانيين قد كانوا يزاولون فى مياهها صيد السمك ، وأن اسمهم يتصل بهذه الحرفة ، ومن الجائز أن يكون معبودهم هذا قد كان من آلهة الصيد ولعل فى اسمه مايشير إلى تلك الحقيقة .

(٥) Gressman Bublos, Zeiting der altlestamentalichen Wissen chaft 1925, 225 ff.

ولم يبلغ التاريخ بعصر أيام الأسرة الثانية عشرة «٢٠٠٠ — ١٧٨٥ ق . م.» حتى غدا حكام المدينة من ولاة فرعون . ولم ير الناس فرقا بين معبودتها « بعلة » وبين معبودة المصريين «حاتحور » أو« إيزيس » ، واتصلت الحياة الدينية بين مصر وبين تلك المدينة اتصالا تستطيع أن ترى أثره فى تلك الأسطورة الخالدة التى تدور حول حياة « أوزيريس» وزوجه « إيزيس » .

وإلى الجنوب من ذلك يقع هذا الوادى المنخفض المعروف « بمنخفض النهر الكبير » الذى يحد من الشمال « لبنان » ويجرى فيه الطريق من الشاطىء مخترقا « وادى العاصى » إلى شمال سوريا ثم يمتد إلى الفرات وتنتشر على جنباته مدائن حصينة تسكنها قبائل سامية .

وفى شمال « لبنان» والبقاع نزل قوم من الساميين يقال لهم«العموريون» وهم أقرب القبائل السامية إلى الكنعانية وقد جاء ذكرهم فى الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين حيث يقول : « وحدث فى أيام أمرافل ملك شنعار وأريوك ملك ألاّسار وكدرلعومر ملك عيلام ، وتدعال ملك جوييم أن هؤلاء صنعوا حربا مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك أدمة ، وشمئيبر ملك صبوييم وملك بالع التى هى صوغر . جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين إلى عمق السديم الذى هو بحر الملح . اثنتى عشرة سنة استعبدوا لكدر لعومر والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه ، وفى السنة الرابعة عشرة أتى كدر لعومر والملوك الذين معه وضربوا الرفائيين فى عشتاروث قرنايم والزوزيين فى هام والإيميين فى شوى قريتايم والحوريين فى جبلهم سعير إلى بطمة فاران التى عند البرية . ثم رجعوا وجاءوا إلى عين مشفاط التى هى قادش . وضربوا كل بلاد العمالقة وأيضا الأموريين الساكنين فى حصون تامار »[1].

---

(١) تك ١٤ : ١ — ٧ .

والعموريون كانوا يسكنون حصون تامار ، وذلك عندما ضربهم « كدرلعومر » والملوك الذين كانوا معه ، ضربوهم مع كل بلاد العمالقة فى عين مشفاط التى هى قادش .

والظاهر أن العبرانيين ، لم يكونوا قد سيطروا على تلك البقاع أيام أن أخذ المصريون يحملون عليها ، وخصوصا أيام « تحتمس الثالث »، وإنما كانت فلسطين ومدائن الساحل الفينيقى وقراه معمورة بقبائل أخرى ومن بينهم الكنعانيون الذين كانوا يتكلمون لغة قريبة من لغة العبرانيين ، والغالب أن الهكسوس قد لجأوا إلى تلك البقاع بعد خروجهم من مصر .

وإلى الشمال من ذلك انتشرت منازل « الآراميين » فى وادى العاصى ، ممتدة إلى دمشق ، وهم من الساميين وأكثرهم من قبائل الرحل كانوا يتنقلون فى الصحراء السورية ، وكان لسانهم لايختلف فى كثير عن لسان العبرانيين .

ومنذ مطلع الألف الثالثة ق . م . وبعثات التجارة البابلية تركب ذلك الطريق العظيم من طرق القوافل ، الذى يجرى من بابل على متن الفرات مصعدا إلى « قرقميش » ثم يمتد إلى « حلب » ، و «حماه » فى وادى العاصى لإحضار الخشب من غاب لبنان ، وكانت قوافل التجارة تسير فى حراسة الفيالق المسلحة من جنود بابل .

ولما كان عام ٢٨٥٠ ق . م . فتح « سرجون الأول » ملك بابل شمال سوريا ولبنان وطوروس . وظلت تلك الأقاليم خاضعة لبابل حتى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، تظهر الولاء لملوكها وتبعث إليهم بالخراج .

وأقبلت سوريا على التراث البابلى لانتشار اللغة « البابلية الآكادية » بين الأقاليم السورية ، وأخذ الناس يكتبون بخط « بابل المسمارى » ، وأضحت

اللغة البابلية وخط « بابل المعروف بالمسمارى » من الأموز التى عرفت فى كافة أقطار الشرق القريب . . وغدا شأنها كشأن « اللغة الآرامية » أيام أكاسرة الفرس .

وعلى حين كانت الصلة بين بابل والأقطار الشمالية من سوريا على نحو ما قدمنا ، كانت أقاليمها الجنوبية والساحل الفينيقى وعلى الأخص « ببلوص » وثيقة الاتصال بمصر منذ مطلع حياتها السياسية .

فلسطين وسوريا

وقعت أقاليم الشام تحت سلطان الهكسوس أيام قيام دولتهم . فلما نهضت مصر على أيدى الفراعنة « فراعنة طيبة » وانكسرت شوكة الهكسوس فى « أواريس » بعد واقعة « شاروهين » انقسمت البقاع السورية وأقاليم فلسطين إلى إمارات صغيرة يقوم على حكمها مزيج من الأمراء ، منهم من يمتد أصله إلى الآريين ، ومنهم من ينتسب إلى بطون القبائل السامية .

ورسائل تل العمارنة تعد لنا أكثر من ستين إمارة من تلك الإمارات الآسيوية التى اتصلت حياتها السياسية بالمصريين ، والغالب أنها كانت أكثر من ذلك . ومن وثائق « تحتمس الثالث » تعداد لست وعشرين ومائة بقعة من تلك البقاع التى تآلف أمراؤها مع أمير قادش ، ثم رابط بهم فى « مجدو » فسار إليه فرعون وهزمه هزيمة منكرة [١] .

---

(١) « ولكن الرب لم يرجع عن حمو غضبه العظيم لأن غضبه حمى على يهوذا من أجل جميع الإغاظات التى أغاظه إياها منسى . فقال الرب إنى أنزع يهوذا أيضاً من أمامى كما نزعت إسرائيل ، =

وأكبر الظن أن أهل معظم تلك البقاع كانوا يتكلمون بلسان عبرى ، ورسائل « تل العمارنة » لم تفصل الحديث عن تلك القبائل وإنما اكتفت بأن تسميهم « الكنعانيين » وشمل ذلك الاسم كل سكان الشام يومئذ . على أن تلك التسمية لم ترد فى النصوص المصرية منذ قبل أيام « أمينوفيس الثانى » الذى أسر منهم ٦٤٠ فى طريق عودته إلى الوطن من حملته الأولى(١) .

غمر بدو الصحراء أكثر تلك الأقاليم من سوريا وفلسطين ، وكان المصريون يطلقون عليهم اسم « الشاسو » وهو اسم نعت به المصريون عرب آسيا جميعاً ولم تكن لهم جيوش منظمة يستطيعون أن يهيئوا بها إغاراتهم ، ولم يكن لهم كذلك من سلاح الحرب مايمكنهم من ملاقاة الجيوش المنظمة ، ولم يتح لهم مطلقا أن يعبئوا جيوشا يلقون بها العدو على تلك الصحراء الواسعة ، وما كانوا بقادرين على تعبيد الطرق التى تسلكها الجيوش فى مجاهل صحراء آسيا . ولعلهم لم يروا مثل هذه الطرق إلا بعد أن سلكتها جيوش مصر تحت إمرة بطل استقلالها « اعح موسى الأول » ١٥٨٠ — ١٥٥٨ ق . م . وهو

= وأرفض هذه المدينة التى اخترتها أورشليم والبيت الذى قلت يكون اسمى فيه . . . فى أيامه صعد فرعون نخو ملك مصر على ملك أشور إلى نهر الفرات فصعد الملك يوشيا للقائه فقتله فى « مجدو » حين رآه » ٢ مل ٢٣ : ٢٦ — ٢٩ .

« أن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم . . فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم . . . وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم . . وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل » ٢ خب ٣٦ : ١٤ — ٢٠ .

(١) كان المعتقد قبل ذلك أن اسم الكنعانيين لم يرد فى النصوص المصرية أيام الأسرة الثامنة عشرة ١٥٨٠ — ١٠٩٠ ق.م. ثم كشفت الأبحاث بعد ذلك عن لوح تاريخى كبير سجل عليه « أمينوفيس الثانى » أخبار حملتين حربيتين قام بهما على الأقاليم الآسيوية فى العامين السابع والتاسع من أيام حكمه ، والسجل ثانى اثنين ، وجد حطام أولهما بين أنقاض الكرنك وعثر على الثانى كاملا فى الأعوام الأخيرة بين أنقاض منف . « مجلة مصلحة الآثار عدد ٤٢ » . والتوراة تؤكد وجود الكنعانيين حتى بعد العودة من سبى بابل . عزرا ٩ : ١ — ٣ .

يطارد الهكسوس إلى شرق الأرض ، وبعد أن عبد سيتى الأول ذلك الطريق الحربى العظيم الذى يبدأ من « سيلة » «شاروا» عند القنطرة بين بحيرتى « البلح والمنزلة » مارا بالعريش ثم رفح إلى غزة . وسوف نرى كيف أن « سيتى » قد أعد هذا الطريق ونظمه وجهزه بآبار السقاية للجيش ، بحيث تستطيع الجيوش المصرية وقوافل التجارة أن تعبر الصحراء من مصر إلى فلسطين فى سهولة ويسر (١) .

الأشوريون

عاصر الأشوريون ملوك بنى إسرائيل لفترة طويلة ، وقد اجتاحت جيوشهم فلسطين ، فأخضعوا ملوكها وأرغموهم على دفع الجزية . وما استطاع بنو إسرائيل أن يرفعوا رءوسهم ويتنسموا نسيم الحرية إلا فى الفترات التى كان الأشوريون يعدلون فيها عن مهاجمتهم بسبب موت أحد ملوكهم مثلا ، أو مقاومة ملوك سوريا لهم كما حدث فى أيام داود وسليمان حينما ألقى السوريون عام ١٠٥٠ ق . م . عن ظهورهم عبء الأشوريين ، فتنفس بنو إسرائيل الصعداء ، وساروا بمملكتهم نحو المجد « وكان قمة مجد إسرائيل فى عصر مملكة سليمان لحكمة ربانية أرادها الله من الإعلان عن ذاته للأمم أنه واحد أحد خالق السموات والأرض المعز المذل » .

ولم يسترد الأشوريون سطوتهم إلا بعد موت سليمان عليه السلام إذ تغلب « تيغلات بيلازر » على بنى إسرائيل ، واستولى على بلادهم عام ٧٣٤ ق . م . ومن هناك سار نحو منازل الفلسطينيين ، فافتتح عسقلان وغزة ، ثم أخضع فريقا من أمراء العرب وملوكهم .

---

(١) Gardinier, J, E. A. Vol Vl P. 99 ff .

وفى سنة ٧٢٢ ق . م . سار « سرجون » بجيشه إلى جنوب فلسطين فأخضع الفلسطينيين ، وبنى يهوذا ، كما أنه أسر حانون ملك غزة فى موقعة «رفح» . « فرجع ربشاقى ووجد ملك أشور يحارب لبنة »(١) .

وفى عام ٧١٥ ق . م . أخذ الجزية من بلاد العرب ، ونقل فريقا من بنى ثمود وغيرهم من القبائل العربية الثائرة إلى السامرة .

ولما مات سرجون سنة ٧٠٥ ق . م . وأعقبه ولده سنحاريب عصى اليهود عليه (٢) وعلى رأسهم « حزقيا » فجاءهم بجيش عرمرم وأخضعهم وفرض عليهم الجزية : « فى ذلك الزمان قشر حزقيا الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم التى كان قد غشّاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه لملك أشور » (٣) .

وأخضع فلسطين كلها ، كما أنه انتصر على ملوك مصر والحبشة الذين أرسلوا إليه جيشا ليحاربه فانتصر عليهم فى موقعتين إحداهما تمنة ، واستولى على ٤٦ مدينة من مدن بنى يهوذا المحصنة ودكها دكا .

وقبل أن يموت قاد غزوة أخرى على فلسطين سنة ٦٨٨ ق . م . وفى هذه المرة وصل إلى بلاد العرب ، وهاجم عاصمة «آدوم» وأسر ملكة العرب وإلهة البلاد ثم قفل راجعا إلى بلاده منصوراً .

---

(١) ٢ مل ١٩ : ٨ .

(٢) مصادر من التوراة:

سنحاريب ملك أشور { ٢ مل ١٨ : ١٣ — ١٦ ضد الملك حزقيا ملك يهوذا.
{ ٢ خب ٣٢ : ١ — ٢٣ ضد الملك حزقيا ملك يهوذا.

شلمنأسر ملك أشور : ٢ مل ١٧ : ١ — ٢٤ ضد الملك آحاز ملك إسرائيل.

(٣) ٢ مل ١٨ : ١٦ .

وفى زمن ولده « آسر حدون » ٦٨٠ ق . م . اجتاح الأشوريون فلسطين مرة أخرى ، ولكنهم لم يأتوا فى هذه المرة بعمل يذكر . ولقد أقام « آسر حدون » ولده « آشور بانيبال » على الملك قبل وفاته فغزا هذا مصر ، وأخذ الجزية من ملوك فلسطين .

وفيما كان الأشوريون مشغولين بإطفاء ثورة بابل عام ٦٥١—٦٤٨ق.م. قام العرب بغزو فلسطين فاجتاحوا بلاد آدوم ، وعمان ، وحوران ، وموآب وغيرها من البلاد . لكن « أشور بانيبال » عاد فتغلب عليهم وظلت فلسطين تحت حكمه زمنا طويلا .

العرب

إن المؤرخين [١] يقصدون بالعرب على عهد الفراعنة والأشوريين والفينيقيين أهل البادية فى القسم الشمالى من جزيرة العرب وشرقى وادى النيل فى البقعة الممتدة من الفرات فى الشرق إلى النيل فى الغرب .

وفى دراستنا للهكسوس الذين جاء ذكرهم فى فتوحات الفراعنة تبين أنهم البدو ، وأن هؤلاء هم الملوك الرعاة « الشاسو » الذين سيطروا على مصر وكونوا فيها ملكا عربيا مدة قرنين من الزمان « ١٧٨٥—١٥٨٠ » ق . م .

وبمقارنة تاريخ الأنباط الذى سيأتى دوره بعدئذ ، نعلم أن هؤلاء ألفوا دولة عربية عاصمتها « البتراء » ، وقد امتد سلطان هذه الدولة من خليج العقبة حتى حدود مصر وشواطىء البحر الأبيض المتوسط ، ثم شملت سيناء وامتدت

---

(١) العرب قبل الإسلام ، لجرجى زيدان نقلا عن هيرودتس المؤرخ اليونانى الذى توفى سنة ٢٠٦ ق . م .

إلى حوران والعراق . وكان ذلك قبل القرن الرابع قبل الميلاد وظلت هذه الدولة قائمة حتى أوائل القرن الثانى الميلادى .

والعرب [١] لم ينفكوا عن ارتياد هذه البلاد بعد هذا التاريخ أيضا وقبل ظهور الإسلام . اذكر قوله تعالى : «لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت. الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف».

ولقد ثبت أن رحلة الشتاء كانت إلى اليمن ، ورحلة الصيف كانت إلى غزة ومشارف الشام . وكانت قريش تقصد غزة فى فصل الصيف بقصد التجارة ، وكانوا يسمونها « حمراء اليمن » ويألفون ضواحيها لسعتها وخصبها حتى توطنها قبائل كثيرة منهم قبل الإسلام .

ولا بد لنا أن نذكر مَنْ مِنْ قبائل العرب نزل ديار الشام .

وفى هذا الشأن يقول ابن خلدون : إن غزة من مواطن جرم ، وجرم أحد بطون قضاعة . ولجرم أفخاذ كثيرة وفروع متعددة كلها كانت مساكنها ببلاد الشام « غزة » .

وذهب القاضى ولى الدين بن خلدون إلى أن « جرم قضاعة » هم الذين يسكنون ببلاد غزة .

وأما القلقشندى فإنه يقول إن أولئك هم «جرم طيىء » لا«جرم قضاعة» وسواء أكانوا جرم طيىء أم جرم قضاعة فإنهم لاشك من القبائل القحطانية لأن جرم طيىء من بنى كهلان ، وجرم قضاعة من بنى حمير . وكهلان وحمير ولدا يعرب . وهل يعرب وجرم سوى شعبين من بنى قحطان ؟!

(١) إتحاف الأعزة فى تاريخ غزة لمؤلفه الشيخ عثمان الطباع .

وقد أيد الهمدانى رواية القلقشندى فقال : « جرم طيىء » أحد الأحياء الأحد عشر(١) التى تنتمى إلى كهلان . وقد أخذوا هذا الاسم نسبة إلى أمهم « جرم بنت الغوث بن طيىء » وهم الذين ببلاد غزة من الديار الشامية . وقد كانوا متفقين مع ثعلبة بالشام على دفع الفرنج عن المسلمين . فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد دخلت طائفة منهم مصر وبقيت بقاياهم بمكانهم ببلاد غزة .

وفى إحدى الخرائط التى أثبتها الأستاذ سميث G. A. Smith ذكر عن قوم قال عنهم إنهم احتلوا غربى فلسطين من يافا إلى غزة فجرار « تل جمة » قبل مجىء بنى إسرائيل « ١٥٠٠ — ١٢٥٠ » ق. م . وأسماهم Kena Kenahhi.

وفى عصر القضاة لبنى إسرائيل « ١٠٥٠ ق. م . » عاش فى البقعة الواقعة شمالى النقب وغربى البحر الميت « أى حيث توجـــد الآن قبائل الظلام والقديرات » قوم يدعون Jerahmeelites وهؤلاء هم « جرهم » من بنى قحطان .

ومن القبائل التى كانت هناك فى ذلك العهد بنو كنانة ، وكلاب ، وقد جاء ذكر بنى كنانة Kenites فى عهد شاول ١٠٢٠ ق . م . وفى عهد داود وسليمان « ١٠١٥ — ٩٣٠ ق . م. » كان يقطن البقعة الواقعة بين « تل الملح » وعرعرة قوم أسماهم سميث Calebites وهم بنو كلب (٢).

وما سميت غزة « حمراء اليمن » إلا لكثرة العرب « الحميريين » فيها .

---

(١) الأزد ، وطيىء ، ومذحج ، وهمدان ، وكندة ، ومراد ، وأنمار ، وجـــذام ، ولخم ، وعاملة ، والأشعريون .

(٢) وهذا يوافق ما ذكره القلقشندى فى كتابه « صبح الأعشى » نقلا عن صاحب حماة عن منازل بنى كلب .

ولما جاء الإسكندر إلى غزة وحاصرها سنة ٣٣٢ ق . م. كانت حاميتها من العرب ، فقاومته أشد المقاومة .

وفى الخطط أن العرب سكنوا بلاد الشام قبل الإسلام بنحو ألفين وخمسمائة من السنوات .

وما كاد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم يجاهر بالدعوة الإسلامية لاعتناق الدين الإسلامى حتى انضوى قسم كبير من العرب تحت رايته ، ثم دبت الحياة فى نفوسهم فتاقوا للخروج من الجزيرة ، وخرجوا ولكن كفاتحين فى هذه المرة ، وما هى إلا سنوات معدودات حتى أخذت رايتهم تخفق فى سماء فلسطين والشام والعراق وفارس ، ولأول مرة بعد زوال حكم « الملوك الرعاة » والأنباط دخلت فلسطين تحت حكم عربى صميم ، وكان ذلك فى خلافة عمر بن الخطاب يوم فتح عمرو بن العاص هذه البلاد ومصر وتم له الفتح والاستيلاء عام ٦٤٠ م .

وقد ظلت هذه البلاد تحت حكم الخلفاء الراشدين فى الحجاز حتى قتل الإمام على كرم الله وجهه سنة ٤٠ هـ ـ ٦٦٠ م ، وتنازل ابنه الحسن عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية فى الشام عام ٤١ هـ الموافق ٦٦١ م .

وسواء أديرت حكومة فلسطين من الحجاز أم من الشام فقد هبط خلال هذه الفترة من الزمن التى انقضت بين خلافة عمر بن الخطاب وتأسيس الدولة الأموية فى الشام فوج جديد من العرب إلى أرض فلسطين وكونوا فيها بالامتزاج والمصاهرة مع الطلائع الأولى الذين سبقوهم من العرب قبل الإسلام كيانا

عربياً هو الذى نراه فيها فى الوقت الحاضر قبل اغتصاب الصهيونيين لأرض فلسطين .

وكما أن مصر وسوريا كانتا فى الأزمنة الغابرة فى حالة جزر ومد ، فقد ظلتا كذلك بعد الإسلام أيضاً . وعلى هذا المنوال تكون هذه البلاد قد انتقلت تباعا من حكم الخلفاء الراشدين فى خلافة عمر بن الخطاب « ١٣ هـ ٦٣٤ م » إلى حكم الأمويين فى زمن معاوية بن أبى سفيان « ٤١ هـ ٦٦١م » ، ومروان ابن الحكم « ٦٥ هـ ٦٨٤ م » ومروان بن محمد « ١٢٧ هـ ٧٤٤ م » ، إلى حكم العباسيين فى زمن أبى العباس الملقب بالسفاح « ١٣٢ هـ ٨٤٧ م » ، والمهدى بن الواثق « ٢٥٥ هـ ٨٦٩ م » والمعتمد على الله « ٢٥٦ هـ ٨٧٠ م » ، إلى الدولة الطولونية فى زمن أحمد بن طولون « ٢٥٧ هـ ٨٧٠ م » ، وخمارويه ابن أحمد « ٢٧٠ هـ ٨٨٤ م » ، إلى الدولة الإخشيدية فى زمن محمد بن طغج الإخشيد « ٣٢٣ هـ ٩٣٤ م » ، وأنوجور بن الأخشيد « ٣٣٤ هـ ٩٤٦ م » ، وكافور الإخشيدى « ٣٥٥ هـ ٩٦٦ م » إلى الدولة الفاطمية « ٣٥٨ هـ ٩٦٩ م » إلى دولة الأرتقين فى زمن أرتق بن أكسك « ٤٨٤ هـ ١٠٩٥ م » فالدولة الأيوبية فى زمن صلاح الدين الأيوبى « ٥٦٧ هـ ١١٧١ م » ، فدولة المماليك « ٦٤٩ هـ ١٢٥١ م » إلى أن دخلت فى حكم الأتراك العثمانيين وكان ذلك فى أيام السلطان سليم الذى حارب المماليك وغلبهم فى موقعة جرت بينه وبينهم بالقرب من غزة « مرج دابق » « ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م » .

الأنباط ، الآدوميون ، العمالقة ، العموريون

الأنباط :

الأنباط هم خلفاء الآدوميين فى شبه جزيرة سيناء وجنوب فلسطين قهروهم

واحتلوا بلادهم ، ثم أنشأوا دولة الأنباط العربية (١) التى امتد سلطانها من خليج العقبة حتى حدود مصر وشواطىء البحر المتوسط ، وقد شمل أيضاً سيناء وامتد إلى حوران والعراق ، وكان ذلك حوالى القرن الرابع قبل الميلاد ، وقد ظلت دولتهم قائمة حتى أوائل القرن الثانى بعد الميلاد إذ دخلت بلادهم فى حوزة الرومان وكان ذلك عام ١٠٦ م . والأنباط عرب ولغتهم آرامية ، وعاصمتهم البتراء ، وكانوا مسيطرين على طرق التجارة من الشام إلى البحر الأحمر فبلاد العرب ومدائن صالح .

ويرى السير « جورج آدم سميث » أن الأنباط كانوا منذ عام ٧٢٠ ق.م. حتى سبى يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م . يعيشون فيما وراء النقب المطلة على وادى العربة .

وفى زمن الفرس ٥٣٨ — ٥٣٢ ق . م . امتدوا نحو الغرب حتى اجتازوا النقب واستولوا على القسم الجنوبى من دير السبع الحالية حيث تنزل قبيلة العزازمة فى يومنا هذا . وقد كانوا فى هذا العهد مجاورين للآدوميين فى الشمال ولما احتل الإسكندر فلسطين سيطر على جميع الأراضى التى تؤلف دير سبع فى الوقت الحاضر إلا الأنباط فقد ظلوا فى منازلهم بوادى العربة .

وقد ظل الأنباط محتفظين باستقلالهم ومجدهم (٢) حتى سنة ٦٠١ م حين غزاهم تراجان ، ولم يجد الأنباط بداً من الاختلاط بأهل البلاد الأصليين من سريان وآرام فانتشروا على حدود سوريا وفلسطين مما يلى البادية بين سيناء والفرات .

---

(١) العرب قبل الإسلام لجرجى زيدان .
(٢) أنشأ الأنباط حضارة باهرة وقطعوا شوطا واسعا فى مياذين الفن والرقى .

الادوميون :

هم أولاد عمومة لإسرائيل ويرجع نسبهم إلى عيسو أخى يعقوب بكر إسحق (١). أما لماذا سمى آدوم فلأنه تاقت نفسه لأكلة عدس كان يطبخها أخوه يعقوب ، « فقال عيسو ليعقوب أطعمنى من هذا الأحمر لأنى قد عييت لذلك دعى اسمه آدوم » (٢) . ويعقوب فى دهائه ومكره لم يعط أخاه أكلة عدس باطلا بل بأغلى ثمن بأن يتنازل عيسو عن البكورية له .

ومن ثم تولد الاحتقار فى قلب عيسو ، وولد الجبن والخوف فى قلب يعقوب حتى أن يعقوب تضرع إلى الله قائلا : « نجنى من يد أخى من يد عيسو لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين وأنت قد قلت إنى أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لا يعد » (٣).

أما عيسو فهاجر تاركا البلاد لأخيه يعقوب : « ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وجميع نفوس بيته ومواشيه وبهائمه وكل مقتناه الذى اقتنى فى أرض كنعان ومضى إلى أرض أخرى من وجه يعقوب أخيه » (٤).

ومن التنافر بين الأخوين توارث الأبناء العداوة والكراهية . وزاد الطين بلة أن عيسو لم يحظ برضا والديه لاقترانه ببنت إسماعيل عمه وببنات

---

(١) انظر الى تكوين ٢٥ : ٢١ — ٢٦ .
(٢) انظر الى تكوين ٢٥ : ٢٩ — ٣٤ .
(٣) تكوين ٣٢ : ١١ ، ١٢ .
(٤) تك ٣٦ : ٦ .

الحثيين « فكانت هذه النساء مرارة نفس لإسحق ورفقة » (١). وعلى النقيض استحوذ يعقوب على حب والديه بطاعته لهما واقترانه بمن تهواها نفساهما (٢).

ومن عيسو خرج ملوك وأمراء « ملكوا فى أرض آدوم قبلما ملك ملك لبنى إسرائيل » (٣) ، « فسكن عيسو فى جبل سعير وعيسو هو آدوم» (٤). وكانت منازلهم بادىء ذى بدء جنوبى البحر الميت ، ثم اتسعت حتى شملت جزءاً كبيراً من الأراضى التى تؤلف دير السبع فى الوقت الحاضر ، وكانوا قبائل وفرقا ، وقد حاول شاول أن يتغلب عليهم فى القرن العاشر قبل الميلاد فلم يفز بطائل(٥) ، فلما تولى داود الأمر أخضعهم (٦) فحقدوا عليه ومالئوا أعداءه وأعانوهم على حربه ، وقد ساعدوا نبوخذ نصر يوم نهب أورشليم وذبح أهلها (٧) فجزاهم خير الجزاء ، وأيد سلطتهم فى آدوم ووسع نطاقها من تخوم مصر حتى البحر المتوسط . وقد ظلوا فى سعة من العيش حتى داهمهم الأنباط واحتلوا بلادهم وبذلك انتهى ملكهم وسلطانهم .

العمالقة :

وهم من أبناء عيسو(٨) وجاء ذكرهم عند التحام بنى إسرائيل بهم بعد خروجهم من مصر « وأتى عماليق وحارب إسرائيل فى رفيديم » (٩)، وتروى التوراة أن الله ناصر لموسى وقومه ــ لأنهم صورته على الأرض ونموذج حى للتوحيد ــ على عماليق « فإنى سوف أمحو ذكر عماليق »(١٠).

---

(١) تك ٢٨ : ٩ ؛ تك ٢٦ : ٣٤ ، ٣٥ ؛ تك ٢٧ : ٤٦ .

(٢) تك ٢٨ : ١ — ٨ . (٣) تك ٣٦ : ٣١ .

(٤) تك ٣٦ : ٨ . (٥) ١ صم ١٤ : ٤٧ — ٥٢ . (٦) ٢ صم ٨ : ١٤ .

(٧) ٢ مل ٢٤ : ٢ ؛ ٢ مل ٢٥ : ٨ — ١٠ ؛ ١٢ مل ٢٥ : ٢٢ .

(٨) انظر تك ٣٦ : ١٥. (٩) خر ١٧ : ٨. (١٠) خر ١٧ : ١٤، ١٥ .

ولا ريب أن كتبة التوراة سيطرت على أذهانهم العنصرية الاستعلائية فجعلوا الله تعالى وفقاً لنزعاتهم يحارب عنهم وينصرهم ويقهر أعداءهم .

كما نسبوا لموسى نبي الله التجسس والحث عليه لاستطلاع أرض كنعان[1]، فعاد الجواسيس وأذاعوا أن الأرض التي مروا فيها هي أرض تأكل سكانها وهناك الجبابرة بني عناق[2] : « فكنا في أعيننا كالجراد ، وهكذا كنا في أعينهم ». لكن الشعب فضح نفسه بنفسه فصرخت كل الجماعة وبكى الشعب تلك الليلة وتذمر على موسى وتطاولوا على الله بقولهم: لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض فنسقط بالسيف[3].

واندلعت الحرب بين إسرائيل وعماليق، وعلم موسى أن إسرائيل لن تقوى عليهم لخذرهم وظل وتابوت عهد الرب في مكانهما ، فنزل العمالقة والكنعانيون وضربوا إسرائيل وقهروهم وكسروهم إلى حرمة[4] .

وبنو إسرائيل جبلوا على الجبن والخوف واشتهروا بالمكر والدهاء وأرادوا أن يقيموا لهم كياناً يرهبون به أعداءهم فنسبوا إلى الله أنه اصطفى يعقوب وحرم عيسو[5] وجعل الأرض ميراثاً ليعقوب ولبنيه من بعده حتى ولو كان على حساب انتزاع أرض الآدوميين .

العموريون :

ومن الأمم التي عاشت في دير السبع في الأزمنة الغابرة وكان لها ذكر جليل فيها « العموريون » ، فقد كان لهؤلاء في فلسطين خمس مدن هي :

---

(١) انظر عدد ١٣ : ١٧ — ٣٣ .
(٢) ولقد استغل هذه المادة استغلالا طيبا كاتب رواية Gulliver المقررة على المدارس الإعدادية .
(٣) انظر عدد ١٤ : ١ — ٣ .
(٤) انظر عدد ١٤ : ٤٢ — ٤٥ .
(٥) انظر تك ٢٨ : ١٣ — ١٥ .

أورشليم « يبوس » ، وحبرون « الخليل » ، ولاخيش « تل الحسى » ، وعجلون « خربة عجلان » ، ويرموث « عراق المنشية » .

وتذكر التوراة حسن تصرف إبراهيم مع ابن أخيه لوط يوم أن تنازع رعاتهما على الأرض بأن اعتزل ابن أخيه لوط ، وسكن لوط أرض عمورة ، وقد كانت كجنة الرب كأرض مصر (١) ، وسكن إبراهيم فى أرض كنعان (٢) .

وتذكر التوراة الملوك الذين ملكوا الأرض وكان إبراهيم وإسحق ويعقوب وبنوه غرباء فى تلك الأرض (٣) .

وتسجل التوراة الأرض لسكانها الأصليين فى حادث نجدة إبراهيم لابن أخيه لوط عندما وقع أسيراً فى حرب بين ملوك الأرض (٤) .

كما تسجل التوراة أن عبادة الله الواحد الأحد كانت معروفة قبل إبراهيم عليه السلام : « وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلى وباركه وقال : مبارك أبرام من الله العلى مالك السموات والأرض ، ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك » (٥) .

وملكى صادق هذا من نسل كنعان كان ملكا على مدينة وولاية يبوس ، ويبدو أن ملكى صادق وإبراهيم كانا ابنى عم مثل يعقوب وقيدار ، ذلك بأن نسلهما قد بدأ بولدى نوح وهما حام وسام وقد سار النسلان جنباً إلى جنب فولد حام كنعان وأقام فى أرض الشام « سوريا ولبنان وفلسطين والأردن » وولد سام أرفكشاد الذى أقام فى العراق والجزيرة العربية (٦) .

وقد شمل سلطان العموريين تل الملح ، وتل عواد ، والبحر الميت ، واتسع

---

(١) انظر تك ١٣ : ١٠ ، ١١ .
(٢) انظر تك ١٣ : ١٣ .
(٣) انظر تك ١٤ : ١ — ١٠ .
(٤) انظر تك ١٤ : ١٥ — ٢٠ .
(٥) تك ١٤ : ١٧ — ٢٠ .
(٦) تكوين ١٠ : ٣٠ .

حتى شمل جزءاً كبيراً من شرق الأردن . ويقول السير « فلندرس بترى » إنهم استولوا على مصر فى عهد مرن رع من فراعنة مصر سنة ٣٢٣٥ ق . م .

ولقد كان العموريون من ألد أعداء بنى إسرائيل ، وليس لهذا العداء من سبب سوى أن هؤلاء أرادوا أن يخرجوهم من أوطانهم ، وقد اتحدت مدنهم الخمس وحاربت بنى إسرائيل زمناً طويلا .

العبرانيون

حوالى عام ١٨٠٥ ق. م. هاجر إبراهيم وجماعته من مدينة « أور » الكلدانية فى العراق إلى أرض كنعان بعد أن عبروا نهر الفرات فنهر الأردن ، ولذلك سموا بالعبرانيين (١). وأتوا إلى حاران وسكنوا هناك وفيها ولد لإبراهيم إسحق ولإسحق ولد عيسو ويعقوب .

ومن عجب أن يعقوب ولد له الأسباط الاثنا عشر فى أرض فدان أرام موطن خاله لابان بل موطن جده إبراهيم (٢) وانتسبوا إليه وحملوا اسم إسرائيل الذى دعى به يعقوب عند منازلته لله وانتصاره عليه (٣) ، وعندما ظهر الله له وباركه بميراث الأرض له ولبنيه من بعده (٤).

سكن إبراهيم أرض كنعان وتاقت نفسه إلى ولد يكون امتداداً له، فناجى ربه قائلا : « ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما؟ » (٥) فوعده الله بأرض تمتد من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات (٦).

وآمن إبراهيم وزوجه سارة بوعد الله وأدخلته على هاجر جاريتها لتلد له ولداً يحمل اسمه ويتحقق فيه وعد الميراث (٧) « فولدت هاجر لأبرام ابناً .

---

(١) انظر تك ١١ : ٣١ .

(٢) انظر تك ٢٨ : ١ — ٥ ، تك ٣١ : ١٧ — ٢١ ، تك ٣١ : ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) انظر تك ٣٢ : ٢٤ — ٢٩ .

(٤) انظر تك ٣٥ : ٩ — ١٥ .

(٥) تك ١٥ : ٢ .

(٦) انظر تك ١٥ : ١٨ .

(٧) انظر تك ١٦ : ٣ ، ٤ .

ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل »[١] .

وعندما بلغ إبراهيم من العمر مائة عام ولد له ولد آخر هو إسحق من زوجته الأولى سارة[٢] ، لتأكيد قدرة الله على العطاء . لكن الاحتكاك العائلى والتكالب على الدنيا دفعا سارة إلى أن تضغط على زوجها إبراهيم ليطرد زوجته هاجر وابنهما إسماعيل حتى تضمن الوعد فى ابنها إسحق[٣]. وحزن قلب إبراهيم على ابنه إسماعيل فأكد الله القدير الوعد له بقوله : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة »[٤] . كما أكد الله وعده لهاجر بقوله : « إنى سأجعله أمة عظيمة »[٥] .

بئر سبع :

وتاريخ بئر سبع حافل بالوقائع التى لها صلة بالعبرانيين[٦] ، وسميت كذلك لوجود سبع آبار فى المنطقة وتدلل التوارة بذكرى ميثاق بين إبراهيم وأبيمالك ملك الفلسطينيين لاستتباب الأمن والسلام بينهما[٧].

وإسرائيل فى فترة إقامتهم ومناوشتهم لسكان الأرض أرض كنعان لم يقووا على سكان البلاد [٨] .

أما حادثة ميثاق إبراهيم مع أبيمالك فيرجح أنها وقعت حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م . فى عصر الأسرة الثانية عشرة لفراعنة مصر .

---

(١) تك ١٦ : ١٥ .
(٢) انظر تك ١٧ : ١٥ — ١٧ ، تك ٢١ : ١ — ٨ .
(٣) انظر تك ٢١ : ٩ — ٢١ .
(٤) تك ١٧ : ٢٠ . (٥) تك ٢١ : ١٨.
(٦) The Encyclopeadia Britanica .
(٧) انظر تك ٢١ : ٣١ ، ٣٢ .
(٨) انظر يشوع ١٥ : ٦٣ ، ١٩ : ١ ، ٢.

ويتحول بنو إسرائيل إلى عصابات لاغتصاب البلاد وطرد أهلها ، ويبررون أعمالهم العدوانية بالتقنين بقانون سماوى فزعموا أن الله قد استأثر بالوعد لإسحق دون إسماعيل(١) وأن الله فدى إسحق لا إسماعيل(٢) ، ومعنى هذا أن الميراث محصور فى إسحق دون إسماعيل ، وهذا زعم باطل نفاه الله فى محكم آياته(٣) .

ومن قبل زعموا أن الله سبحانه وتعالى هدى نوحا أن يبارك ابنه سام مقابل لعنه حام وصيرورته عبداً لسام(٤) .

ومن بعد زعموا أن الله بارك يعقوب دون عيسو ، ومعنى هذا أن ممتلكات كنعان وآدوم حلّت لإسرائيل ومن ثم كان الزعم بأن الله قد وعدهم بميراث الأرض قائلا : « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات . القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين » (٥) .

وهنا تتدافع المطالبة بالحقوق الشرعية :

١ — حقوق إسماعيل فى أبيه إبراهيم التى انتزعتها سارة والدة إسحق .

٢ — حقوق عيسو فى أبيه إسحق التى انتزعتها رفقة أمه لمحبتها ليعقوب .

---

(١) انظر تك ١٧ : ١٨ — ٢١ ، تك ٢١ : ٩ ، ١٠ .

(٢) انظر تك ٢٢ : ١ — ١٩ .

(٣) انظر سورة الصافات : ١٠١ — ١١٢ .

(٤) انظر تك ٩ : ٢٠ — ٢٧ .

(٥) انظر تك ١٥ : ١٨ — ٢٠ ، يشوع ٧ : ١ - ١١ .

٣ ــ حقوق حام فى أبيه نوح الذى زعموا أنه لعنه وصيره عبداً لابنه سام .

إنهم ضيقوا حلقة الميثاق من إبراهيم وخلعوها فى يعقوب فحسب ، وزعموا أن الله جعل الوعد والميراث للأرض ليعقوب دون سواه [١] .

هذه مزاعمهم بينما الحقائق تؤكد الوفاق بين إسحق وإسماعيل عندما مات إبراهيم « دفنه إسحق وإسماعيل فى مغارة المكفيلة »[٢].

والوفاق بين يعقوب وعيسو عندما مات إسحق « دفنه عيسو ويعقوب ابناه »[٣] .

هجرة اسرائيل الى مصر :

نزح يعقوب وأولاده إلى مصر عام ١٧٢٠ ق . م . بسبب القحط فى فلسطين[٤] . وفى مصر تكاثروا وتنكروا الأولياء نعمتهم المصريين وتواطئوا مع أعداء مصر مما دفع فراعنة مصر إلى التخلص منهم بعد أن أقاموا بمصر حوالى ٤٣٠ سنة كما تذكر التوراة [٥] .

وكان خروجهم فى زمن نبى الله موسى معاصراً لعهد رعمسيس الثانى ١٢٩٨ ـ ١٢٣٢ ق . م . حيث هرب موسى بقومه من وجه فرعون حوالى سنة ١٢٩٠ ق . م .[٦].

---

(١) انظر تك ٣٥ : ٩ — ١٢ .
(٢) انظر تك ٢٥ : ٩ — ١٠ .   (٣) انظر تك ٣٥ : ٢٩ .
(٤) انظر تك ٤٦ : ١ — ٧ .   (٥) انظر خروج ١٢ : ٤٠ .
(٦) انظر خروج ١٣ : ١٧ ، — ٢٢ ، ١٤ : ١ — ٣١ .

موسى نبى الله وشعب اسرائيل :

حاول موسى أن يقود بنى إسرائيل إلى أرض كنعان [١] لكنه عانى من بنى إسرائيل تمرداً وعصياناً لله وإشراكاً به حتى أن الله أتاههم فى البرية أربعين سنة وفنى جيل موسى عداه وهرون وكالب بن يفنة فى البرية قصاصاً لعصيانهم وتمردهم [٢] .

ويعلل هانتنغتون E. Huntington انكسارهم أمام العمالقة بأن العمالقة كانوا متحصنين فى النقب وليس من السهل على أى جيش فى العالم أن يجتاز هذا النقب من غير أن يتكبد خسائر فادحة .

وموسى عليه السلام كان فى تحركاته يهتدى بالله ولهذا فإن الله أيده بنصره ومكن بنى إسرائيل تحت قيادته ووجود تابوت عهد الله فى وسطهم من النصر على الأمم حواليهم .

وكاد بنو إسرائيل أن يشرفوا على الهلاك فى المرة الأولى [٣] لولا أنهم ارتدوا على أعقابهم ثم حاولوا مرة ثانية اجتياز منطقة النقب « بئر السبع » وإخضاع العمالقة [٤] .

ويدفع موسى بنى إسرائيل لامتلاك أرض كنعان فيخاطبهم بقوله: « كفا كم قعودا فى هذا الجبل. تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين » [٥] . ويتحول

---

(١) انظر خروج ٣ : ٨ .

(٢) انظر عدد ١٤ : ١ — ٤٥ ، خروج ٣٢ : ٧ — ١٤ .

(٣) انظر عدد ١٤ : ٤١ — ٤٥ « لا تصعدوا. لأن الرب ليس فى وسطكم لئلا تنهزموا أمام أعدائكم » .

(٤) انظر خروج ١٧ : ٨ — ١٣ « وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب وإذا خفض يده أن عماليق يغلب » .

(٥) تثنية ١ : ٦ ، ٧ .

الشعب الرعديد [١] الجبان بطاقة جبارة بعثها فيهم نبيهم موسى بوعوده أنهم يمتلكون الأرض وأن الله يحارب عنهم ، وأن الله يطرد كل سكان الأرض [٢] ، ولكنه عاد فجعل مناصرة الله لهم مشروطة بطاعتهم لله [٣] . وتنتهى مهمة موسى عند البرية حيث يدفنه الرب فى الجواء فى أرض موآب [٤]. ويتولى الخلافة بعده يشوع بن نون [٥] فيقود شعب إسرائيل ويعبرون نهر الأردن سنة ١١٨٦ ق . م . وقد دفعهم للحرب بكل وحشية قائلا لهم : « حرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . وأحرقوا المدينة » [٦] . إن منطق يشوع هذا هو منطق عصابات الهاجاناه والاشتيرن الذين بعثوا الرعب فى المواطنين الفلسطينيين أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين . بل إن الأسلوب الذى اتبع فى مذبحة دير ياسين هو الأسلوب نفسه الذى اتبعه يشوع فى حربه مع الكنعانيين وإرغامهم على الهجرة من البلاد ، على عكس ما قضت به الشريعة الموسوية بالوصية : « حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح .. » [٧] . ولم يترك الله البشرية تقاتل باسم الدين بغير حق فأنزل آياته البينات بقوله تعالى : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » [٨] .

---

(١) لاويون ٢٦ : ٣٦ — ٣٩ .
(٢) انظر عدد ٣٣ : ٥٠ — ٥٣ .
(٣) خروج ٣٤ : ١١ — ١٦ .
(٤) تثنية ٣٤ : ١ — ٦ .
(٥) انظر يشوع : ١ — ٩ .
(٦) انظر يشوع ٦ : ٢١ — ٢٤ .
(٧) تث ٢٠ : ١٠ — ٢٠ .
(٨) المائدة : ٣٢ .

ومن حكمة الله فى قوله : « مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أومثلها » . وكانت شرعة الله فى القتال واضحة بينة فى الآيات الواردة فى سورة الممتحنة آيات ٧ ـــ ٩ ، الأنفال آية ٣٩ ، ٤٠ .

بنو اسرائيل لم يستطيعوا طرد سكان الارض ولا أن يحافظوا على شرعة الله:

غزا يشوع أرض كنعان ، وتذكر التوراة الآيات والمعجزات التى صنعها له الله لتأييد وجوده بينهم قائدا لجند إسرائيل منها وقف مياه الأردن: «ويكون حينما تستقر بطون أقدام الكهنة حاملى تابوت الرب سيد الأرض كلها فى مياه الأردن أن مياه الأردن المياه المنحدرة من فوق تنفلق وتقف ندا واحدا » [١]، وذلك على غرار ما صنعه الله مع موسى عند مواجهته للبحر عند فم الحيروث أمام بعل صفون ، « إذ مد موسى يده على البحر فأجرى الرب بريح شرقية كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء »[٢] .

ولعل هذه الآيات والمعجزات التى رأوها رأى العين كانت كفيلة بتثبيتهم على الإيمان ، لكنهم سرعان ماالندمجوا بسكان البلاد وامتزجوا بهم بالمصاهرة وتأثروا بأخلاقهم وعاداتهم [٣] وبهذا انحرفوا عن الصراط المستقيم . وبعد وفاة يشوع تولى قضاة تتابعوا على حكم إسرائيل والدفاع عنهم وظلوا طيلة عهد القضاة فى فتن وحرب مع سكان البلاد فلم يقووا على العمالقة والفلسطينيين والكنعانيين حيث استعبدهم تكراراً ومراراً يابين ملك كنعان ، وكذلك مديان وأيضاً زعماء الفلسطينيين ، وقد زاد فى بلوائهم تفرق كلمتهم .

---

(١) انظر يشوع ٣ : ٩ ـ ١٧ .

(٢) انظر خروج ١٤ : ١ — ٣٠ .

(٣) قضاة ٣ : ٥ — ٦ .

تتويج شاول ملكا لاسرائيل :

ظل بنو إسرائيل متنازعين فيما بينهم مستعبدين مستذلين من شعوب الأرض وسكانها ، وتاقت نفوسهم إلى الكيان السياسى شأنهم شأن الأمم حواليهم ، فنظموا أنفسهم وطلبوا من نبيهم صموئيل قائلين له : « اجعل لنا ملكا يقضى لنا كسائر الشعوب »(١). وجعل شاول عليهم ملكا . ثم تذكر التوراة أن الله ندم على تتويج شاول وأن الله يؤثر داود عليه وتتولد منازعة بينهما تنتهى بأن يسيطر داود على زمام الأمة الإسرائيلية (٢) سنة ١٠٠٧ ق . م على أثر موت أشبال بن شاول البنياميني(٣)، ثم يدخل فى حرب مع الفلسطينيين حتى يتم له النصر عليهم سنة ١٠٠٠ ق . م ، واستولى على يبوس « القدس » بعد أن انتصر على الكنعانيين وجعلها قاعدة لملكه كما أخضع العمالقة فى الجنوب والآدوميين فى وادى الملح وجعلهم يدفعون له الجزية كما أخضع جرار من قبل عام ٩٩٥ ق . م ، حيث أقام فى صقلغ سنة وأربعة شهور(٤) لاجئا سياسياً عندما هرب من وجه شاول الملك . وكان وجوده بها نكبة على البلاد إذ أحرقها العمالقة انتقاماً من داود(٥) .

مملكة سليمان .. هيكل سليمان .. مدينة اورشليم :

ازداد هذا الملك اتساعا فى عهد سليمان ، ومن ثم فقد تحقق ميثاق الله لإبراهيم فى ميراث الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات (٦) ، وازدهرت مدينة يبوس التى أطلق عليها بعدئذ « أورشليم » ، وبنى سليمان

---

(١) انظر ١ صم ٨ : ٥ ، ١ صم ١٢ : ١.   (٢) انظر ١ صم ١٥ : ١٠ ، ١١ ، ١ صم ١٦ : ١ — ١٤ ، ١ صم ١٩ : ١ ، ٢ ، ١ صم ٢٣ : ١٥ – ١٨ ، ١ صم ٢٧ : ١ — ٤ ، ٢ صم ٣ : ١ ، ٢ صم ٥ : ١ — ٥ .

(٣) ٢ صم ٢ : ١٠ ، ١١.   (٤) ١ صم ٢٧ : ٥ — ٧ .

(٥) انظر ١ صم ٣٠ : ١ — ٦ .   (٦) تك ١٥ : ١٨.

هيكلا جميلا فى البقعة نفسها ، والمعتقد أن مذبح سليمان أمام الهيكل قد وضع فوق الصخرة التى بنى داود [١] عليها مذبحاً أيضاً حيث كان جده الأعلى قد بنى مذبحاً من قرون عديدة خلت [٢] ودعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يراه حتى إنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى .

صخرة المريا :

إن هذه الصخرة العظيمة فى مكانتها القدسية تناظر الحجر الأسود فى الكعبة فهى تبعث الحيرة والجزع حتى فى نفوس علماء اليوم المحدثين . فبالرغم من أن فناء الهيكل فى القدس هو القمة المستوية لحافة من حجر الكاس زبدية اللون ، فإن صخرة المريا ذات سواد متلألىء ، كبيرة سائبة ومستديرة فى حجم البيت ، مدفونة إلى نصفها فى الوسط الغربى من فناء الهيكل ، فى ظلام القبة الهائلة من المسجد المدعو بمسجد قبة الصخرة المبنى فوقها .

فهل اختار الله يبوس « أورشليم » التى تسمى اليوم « القدس » لأنها كانت مدينة سلام ؟ أو أنها توصلت إلى تلك الصفة بعد أن أقيمت عبادة لله ومنزلها البيت الحرام . فلما بعث فيهم عيسى طهر الهيكل منددا ً ببنى إسرائيل قائلا : « بيتى بيت صلاة يدعى لجميع الأمم وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » [٣] . كما توصلت مكة المكرمة ببيت الله الحرام فيها إلى إقامة عبادة لله فلما بعث سيد الأنام محمد صلى الله عليه وسلم طهر البيت للعاكفين [٤] .

---

(١) ٢ صم ٢٤ : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) انظر تك ٢٢ : ١ — ٢ ، ٩ — ١٤ .

(٣) مرقس ١١ : ١٥ — ١٨ .

(٤) البقرة : ١٢٤ ، ١٢٥ .

زوال مملكة سليمان :

إن هذا النصر الذى أيد الله به عبديه داود وسليمان كان بمثابة إشراقة نورانية لشعوب الأرض عن المجتمع الذى يسير مع الله وفى طريق الله ، إلا أن بنى إسرائيل تبدلوا وتغيروا وألهتهم دنياهم عن آخرتهم ، فواجهت صخرة المريا مصيرا مؤلما ذلك أن الإسرائيليين بدلا من أن يبقوا هناك على صفاء عبادة الإله الأعلى حقروها وحطوا من قدرها (١) .

وتزعم التوراة أن سليمان ذاته انحرف وأشرك بالله بعد « أن أحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات أدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلثمائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه » (٢) ، والناس ينهجون على نهج ملوكهم ، ومن ثم أعلن الله انقسام المملكة بعده(٣).

مملكتا اسرائيل ويهوذا :

خلف رحبعام أباه وورث تركة مثقلة بالآثام والخطيئة مما أضعف شوكة اليهود . وسار شيشنق فرعون مصر — فى عهد الأسرة الفرعونية الثانية والعشرين ٩٥٠ ق . م . — ٧٣٠ ق . م — وغزاها وتوج عميله « يربعام » ملكا على إسرائيل وأبقى رحبعام ملكا على يهوذا(٤) .

ومن ثم انقسمت المملكة التى اتسعت فى عهد سليمان بعد أن بلغت

---

(١) انظر ١ مل ١١ : ٧ — ٨ . (٢) انظر ١ مل١١ : ١ـ٣ .
(٣) ١ مل ٢١ : ١١ ـ ١٣ . (٤) انظر ٢ خب ١٢ : ١ـ ١٢ .

الذروة فى الشهرة حتى أن ملكة سبأ (١) تجشمت الأسفار لترى بعينيها الأمجاد التى بلغها سليمان .

ولم تقو المملكتان على الاحتفاظ بالسيادة والسلطان حتى داهمت أشور مملكة إسرائيل وأزالتها من الوجود نهائيا سنة ٧٢٢ ق . م ، ودمر نبوخذ نصر ملك بابل أورشليم وخرب هيكل سليمان وسبى يهوذا إلى بابل سنة ٥٨٦ ق . م .

وفى هذا تأكيد للإنذار الإلهى على لسان موسى عليه السلام (٢) :

« إذا ولدتم أولادا وأولاد أولاد وأطلتم الزمان فى الأرض وفسدتم وصنعتم تمثالا منحوتا صورة شىء ما وفعلتم الشر فى عينى الرب إلهكم لإغاظته أشهد عليكم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعا عن الأرض التى أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها . لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لا محالة » .

وبدلا من أن يهجر نصفا المملكة ، أو المملكتان اللتان انقسمت إليهما مملكة سليمان خطاياهما استمرتا فى إثمهما وفى الانهماك فى جميع ضروب الخطيئة وعبادة الأوثان ، وهذه الشرور اقتحمت الهيكل أخيراً وتبدت فى طقوس دينية سرية خبيثة ، كل هذا فى البقعة نفسها التى كان إبراهيم فيها قد استمع إلى كلمات الله ، وحيث كان داود قد رأى الملاك المنتقم مصلتا سيفه فوق القدس .

---

(١) انظر ١ مل ١٠ : ١ — ١٠ .

(٢) تث ٤ : ٢٥ — ٢٨ .

« وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل . وعبّروا بنيهم وبناتهم فى النار وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لإغاظته فغضب الرب جدا على إسرائيل ونحاهم من أمامه » (١) .

أصبحت مملكة يهوذا نهبا مقسما بين حكومتى مصر وبابل ، كلما انحازوا لجهة غضبت عليهم الجهة الأخرى وأسرعت تصب جام غضبها عليهم ، فإن آحاز انحاز لأشور مستعينا بملكها « تغلث فلاسر » (٢) ،ثم ندم وعصاه ، واتجه يحتمى بالمصريين الأمر الذى سبب غضب سنحاريب وأدى إلى حروب طاحنة بين الفريقين .

وفى عهد صدقيا أيضا انحازت مملكة يهوذا إلى ملوك مصر ، ولما صارت كلمة بابل هى العليا انسلخت هذه عن مصر ودخلت تحت طاعة بابل ، فجاء نبوخذ نصر ونفى اليهود إلى بابل وأصبحت هذه البلاد مستعمرة بابلية .

وفى الفترة مابين سبى إسرائيل سنة ٧٢٢ ق . م ، وسبى يهوذا سنة ٥٨٦ ق . م ، جاء أنبياء ينذرون بالشدة نفسها ولكن دون جدوى ،فأنذرهم نبيهم إرمياء بقوله : «ويعبر أمم كثيرة فى هذه المدينة ويقولون الواحد لصاحبه لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة ؟ فيقولون : من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها »(٣) .

فإذا كان الصهيونيون يستمسكون بميثاق الله لإبراهيم «لنسلك أعطى هذه

---

(١) ٢ مل ١٧ : ١٦ ، ١٧ .

(٢) ٢ مل الأصحاح ١٦ ، والأصحاح ١٧ .

(٣) إرمياء ٢٢ : ٨ ، ٩.

الأرض »[١] فإنه يلزم أن نقر كذلك بأن هذه الإنذارات على لسان موسى وداود وسليمان [٢] والمسيح عيسى بن مريم كانت أيضا عهودا من الله .

وهكذا ضاعت الأرض الموعودة !!

لكن الله سبحانه وتعالى مع أنه قطع عن بنى إسرائيل الأنبياء منذ سبى بابل حتى مولد عيسى بن مريم إلا أنه قد وعد ببعث المسيح برسالة السلام والمحبة التى تنبأ بها إشعياء بقوله : « ويكون فى آخر الأيام أن جبل الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال . . . لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » [٣] .

وكيف يتأتى أن يأتى المسيح وشعب يهوذا مسبى فى بابل . فهل كذب الله فى وعده عندما قال : « وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل »[٤] ؟ !

كورش ملك فارس مسخر لاتمام ارادة الله :

ولما احتل الفرس فلسطين فى زمن كبيرهم « كورش » سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين سنة ٥٣٦ ق . م [٥] ، كما امتد سلطان الفرس فى عهد قمبيز حتى مصر ، وظلت مصر خاضعة للإمبراطورية الفارسية من سنة ٥٢٥ ق . م . حتى سنة ٤٠٤ ق . م . وبالتالى كانت فلسطين ولاية فارسية ، ولعل

---

(١) تك ١٥ : ١٨ .
(٢) ١مل ٩ : ٦ — ٩ ،
(٣) إشعياء ٢ : ٢ — ٤ ، ميخا ٤ : ١ — ٤ .
(٤) متى ٢ : ٦ .
(٥) ٢ خب ٣٦ : ٢٢ ، ٢٣ ، عزرا ١ : ١ — ٤ .

ملوك فارس قد سمحوا ليهوذا بالعودة إلى فلسطين ليصبحوا عملاء للإمبراطورية الفارسية لحماية مصالحها فى مصر وليكونوا صمام أمان لضمان السيادة الفارسية على مصر .

ومن التاريخ القديم أن يهوذا عميلة للاستعمار ضد مصر .

ومن التاريخ الحديث أن إسرائيل عميلة للاستعمار ضد مصر وضد العرب .

وكأن التاريخ يعيد نفسه وإن اختلفت مواقع القوى الاستعمارية .

وتتم إرادة الله السرمدية فيولد المسيح عليه السلام فى أيام هيرودس الملك (١) ، وتتفق أحداث مولده وأحداث مولد موسى إذ فى كليهما تعرض لمؤامرة القتل بأمر من الملك (٢) ، وكلاهما امتاز بالذروة ، فعلى جبل سيناء تلقى موسى الشريعة (٣) ، وعلى جبل صهيون أذاع المسيح موعظته (٤) الخالدة التى نادى فيها بالإيمان والمحبة والسلام ، وبهذا تحققت نبوءة إشعياء فى هذه الموعظة : « لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » .

وهكذا دالت دولة إسرائيل بعد أن عاشت أربعة قرون فحسب من سنة ١٠٠٠ ق . م إلى ٥٨٦ ق . م . وهذه مدة أقل من المدة التى قضوها مغتربين فى أرض مصر حسب توقيت الكتاب المقدس وتبلغ ٤٣٠ سنة (٥) .

---

(١) متى اصحاح ٢ .

(٢) متى ٢ : ١٣ ، خروج ١ : ١٥ — ٢٢ ، خروج ٢ : ١ — ١٠ .

(٣) خروج ٣ : ١ — ٢٢ . (٤) متى اصحاحات من ٥ — ٧ .

(٥) خر ١٢ : ٤٠ .

وعادت فلسطين بعد ذلك كنعانية عربية تستقبل هجرات العرب من سوريا ومن الجزيرة العربية . وأصبحت البقية الباقية من إسرائيل وهم يهوذا ولاية فارسية بعد أن سمح لهم كورش بإعادة بناء الهيكل [(١)] ، ثم غزاها الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق . م ، وأتبعها لدولة الإغريق ، ثم غزاها العرب الأنباط عام ٩٠ ق . م . وظلت تابعة لعاصمتهم «البتراء» ، ثم غزاها الرومان واحتلوها فى أوائل القرن الأول الميلادى فى عهد القائد « بومبى » ، وأصبحت فلسطين ولاية رومانية تحت السيادة الرومانية ، وقد منحت استقلالا داخليا فولوا عليها بادىء ذى بدء أحد أفراد الأسرة المكابية [(٢)] الشهيرة « هركانوس » ثم « أنتيباس » ثم « هيرودس » .

وبعد وفاة « هيرودس » ألحقت فلسطين بروما مباشرة ، وأخذ الأباطرة يعينون عليها ولاة رومانيين ، وفى عهد أغسطس قيصر وقبل وفاة «هيرودس» ظهر السيد المسيح .

وفى ذلك العهد وقعت لليهود أحداث هامة وحاسمة فى تاريخهم . ففى سنة ٢٧ م تآمر رؤساء اليهود والكهنة على المسيح واتهموه بالكفر ثم بالخيانة[(٣)] .

وفى عام ٧٠ م حاولوا استغلال المركز الدينى الممنوح لهم فى القدس بعد عودتهم من الأسر البابلى لأغراض قومية وسياسية ، فزحف الإمبراطور تيطس وأخمد ثورتهم ودمر الهيكل مركز تجمعهم تحقيقاً لنبوءة المسيح ضدهم بخراب أورشليم ودمار الهيكل [(٤)].

---

(١) انظر عزرا ١ : ٣ ، ٧ — ١١ .

(٢) انظر سفر المكابيين وهو من الأسفار المحذوفة المعروفة بالابوكريفا وتوجد مضمنة فى الكتاب المقدس فى العهد القديم منه فى الطبعة الكاثوليكية لليسوعيين .

(٣) يوحنا ١١ : ٥٣ ، لوقا ٢٣ : ١ ، ٢ ، يوحنا ١٩ : ٧ .

(٤) انظر متى ٢٣ : ٣٧ — ٣٩ ، ٢٤ : ١ — ٢ .

عهد المسيح عليه السلام :

جاء المسيح عليه السلام وكان أشجع من أولئك الذين سبقوه والذين اكتفوا بحرب كلامية على الشر وهذا أضعف الإيمان ،جاء فى فترة طغت فيها المصالح المادية وأخذ رؤساء الكهنة وبطانتهم يستغلون عبادة الله تجارياً ، فجباة العشور فى الهيكل دفعوا أنصارهم المتنافسين إلى أن يقاتل بعضهم بعضا فى الشوارع كما يفعل اللصوص وقطاع الطرق ، والصرافون الذين كانوا يجلسون إلى موائدهم فى الهيكل نفسه كانوا يتخذون صفة السماسرة للكهنة الكبار ، ويبتزون الأموال من الحجاج البائسين دون رحمة أو شفقة ، والكهنة لا يمارسون الشعائر الدينية إلا إذ جنوا أرباحاً وفيرة : « إنكم تأكلون بيوت الأرامل ، ولعلة تطيلون صلواتكم »(١) . فندد بالكهنة والفريسيين بالنقد المرير(٢) وغار غيرة الرب على بيت الرب وأخذ يطهر البيت للعاكفين (٣) ، فكانت نتيجة هذا الموقف الجرىء بالحق على الباطل أن جعل رؤساء الكهنة يتآمرون عليه (٤) ويعللون مؤامرتهم بقول رئيس الكهنة : « إنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها . . . فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه »(٥) . لكن المسيح وجد من الشعب قبولا طيبا ووقفوا معه ، ذلك لأنه نادى بالسلام وقد كانوا يعيشون فى قلق واضطراب ، ونادى بالمحبة بعد أن أكلت العداوة قلوبهم ، ونادى بالطهارة بعد أن استشرى الفساد .

---

(١) متى ٣٢ : ١٤ .

(٢) متى أصحاح ٢٣ .

(٣) مرقس ١١ : ١٥ — ١٧ . لوقا ١٩ : ٤٥ — ٤٦ .

(٤) مر ١١ : ١٨ ، لوقا ١٩ : ٤٧ ، ٤٨ .

(٥) يوحنا ١١ : ٥٠ — ٥٣ .

ولكن مثل هذه المبادىء التي يتولد عنها أخوة تفترض الجودة مسبقة . وكيف يكون ذلك والكهنة على فساد الخلق والزيغان عن الله حتى أنهم أزاغوا الشعب وجعلوه « يتجاوز عن الحق ومحبة الله »(١) .

وتنبأ المسيح فاضحاً مؤامرات رؤساء الكهنة ضده قائلا : « تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله »(٢) . وتنتهى المؤامرة بالمأساة الكبرى بحادث الصلب ، وإن كان الله جل شأنه قد رفعه إليه إلا أن الحادث نسب إلى ما كانوا عليه من سبق الإصرار وما عزموا عليه بهلاك المسيح عيسى بن مريم ، وتحملوا مسئولية هذا الجرم الكبير باعترافهم قائلين : « دمه علينا وعلى أولادنا »(٣) .

فلسطين عربية :

لقد تحققت نبوءات المسيح بخراب أورشليم ودمار الهيكل . لكن إرادة الله فى هيمنة الحق والرحمة على الأرض لابد أن تتم ، وقد تتابعت الأنبياء من موسى إلى عيسى يبشرون بالأمة التى يصير إليها الصولجان الروحى والزمنى ، وأقرب النبوءات هى نبوءة المسيح عليه السلام فى قوله : « الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره »(٤) .

ويفتح المسلمون فلسطين عام ٦٣٦ م ويحررونها من الاستعباد الرومانى ، ويزعم اليهود أن الانتصارات التى أحرزها العرب على الإمبراطورية الرومانية

---

(١) لو ١١ : ٤٢ . (٢) يوحنا ٨ : ٤٠ . (٣) متى ٢٧ : ٢٥ .

(٤) متى ٢١ : ٤٢ ، ٤٣ . انظر ماجاء فى كتابى « محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن » .

فى فلسطين إنما ترجع إلى الخدمات التى قدمها اليهود للمسلمين إذ ساعدوا الغزاة على فتح فلسطين ودلوهم على مداخلها ، انتقاما من نصارى فلسطين بصفة خاصة ، ونصارى أوربا الذين اعتنقوا المسيحية بعد يهوديتهم أو وثنيتهم منذ عهد قسطنطين . وهذه المزاعم باطلة فإنهم لم تقم لهم قائمة فى هذه البلاد منذ نفاهم الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ م وشتت شملهم فى كل أنحاء الإمبراطورية .

وتدفقت على فلسطين القبائل العربية من كل مكان ، وظلت منذ الفتح العربى الإسلامى بلاداً عربية خالصة شعبا ولغة وديانة حتى الاغتصاب الصهيونى عام ١٩٤٨ .

وظلت فلسطين خلال هذه الفترة وهى جزء من الدول العربية الإسلامية المتعاقبة . تتبع المدينة أو دمشق تارة ، أو تتبع القاهرة أو إستانبول مركز الخلافة تارة أخرى .

الصليبيون فى فلسطين :

كانت القدس فى حكم الخليفة الفاطمى « المستعلى » منذ أن استخلصها من الأرتقيين محاصرة بالصليبيين الذين فتحوها عنوة عام ٤٩٢ هـ — ١٠٩٩ م ثم تجهز الصليبيون لفتح مصر ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم عند أسوار عسقلان تجاه الجند الذين أرسلهم أمير الجيش تحت قيادة « سعد الدولة » .

ثم عادوا فجهزوا حملة أخرى لافتتاحها أواخر عام ٥١١ هـ — ١١١٨ م إذ خرج بردويل ملك الصليبيين من بيت المقدس واستولى على الفرما وذبح أهلها ، ولكنه مات قبل أن يدرك العريش ، وبموته نجت مصر من غزو الصليبيين لها .

ثم عادوا فحاصروا عسقلان عام ٥٤٨ هـ — ١١٥٥ م وكانت آنئذ من أعمال الفاطميين ، وتم لهم النصر عليها وعلى جميع الشواطىء ، وذلك بسبب انهماك الخليفة الفاطمى « الظافر بن الحافظ » فى شهواته .

وعلى حساب الدنيا وملذاتهـــا انتكست مصر أمام بلدوين الثالث Baldūin وضاعت أرض الإسراء والمعراج فى قبضة الصليبيين .

ووصلت مصر فى عهد الخليفة « الفائز بنصر الله » إلى منتهى الضعف عام ٥٥٥ هـ — ١١٦٢ م حتى أنه كان يؤدى الأموال الطائلة ترضية للصليبيين فى بيت المقدس ، ليتوقفوا عن الغزو من جهة عسقلان وغزة .

لكن الصليبيين تجبروا وازدادوا صلافة وغطرسة فاجتازوا الحدود ودخلوا مصر وكان لهم فيها شئون لامحل لذكرها هنا، فأرسل الخليفة «العاضد» يستنجد بنور الدين فأنجده هذا وأنقذه من شرورهم .

صلاح الدين الأيوبى يرد اعتبار الأمة الاسلامية :

وفى عام ٥٦٦ هـ — ١١٧٣ م جرد صلاح الدين الأيوبى حملة على سوريا فدخل فلسطين ، وافتتح غزة ، ثم رجع إلى مصر ، وبعدئذ سمع أن الصليبيين فتحوا «أيلة» العقبة ، فنشط إليها عن طريق سيناء ، والقصيمة عام١١٨٢ م ، وحاصرها برا وبحرا حتى فتحها ، ثم رجع إلى القاهرة . واكتسب صلاح الدين نفوذا كبيرا فى مصر حتى لم يبق للخليفة العاضد سوى السلطة الدينية ، وبعد حين مات الخليفة العاضد ، وبموته انتهت الخلافة والدولة الفاطمية .

وأخذ الخطباء يذكرون الخليفة العباسى « المستضىء بالله » على المنابر ، وأول عمل قام به صلاح الدين الأيوبى بعد أن تم له النصر على الصليبيين فى غزة وفى أيلة أن أمر بذكر الخليفة « المستضىء بالله » فى خطبة النعت من

فوق منابر المساجد ، وعمله هذا كان نهاية رسمية للدولة الفاطمية .

ولما اتصل الأمر ببغداد أصبح خليفتها منفردا بالخلافة على سائر المشرق ، وتحولت الأنظار كلها إلى بغداد ، وتولى « أتابك نور الدين » أمر سوريا ومصر معا بإشراف الخليفة العباسى فى بغداد ، وظل صلاح الدين فى مصر . وبموت « نور الدين » تولى الحكم ابنه الملك الصالح إسماعيل ، ثم استولى صلاح الدين على الملك فى مصر وسوريا ، فأصبح أمام أعدائه مباشرة.

ورجع صلاح الدين إلى مصر ، وأبقى أخاه « طوران شاه » على دمشق عام ٥٧٢ هـ — ١١٧٩ م وفى عام ٥٨٣ هـ — ١١٩١ م التقى بالصليبيين فى موقعة « حطين » بالقرب من طبرية وهزمهم ثم سيطر على طبرية وعكا واستولى على نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة وصيدا وبيروت وجبيل ، ثم توجه فسيطر على الرملة والدارون وعسقلان وغزة وبيت جبرين والبترون وبيت المقدس ، وقد حاصر بيت المقدس حصاراً شديداً . ثم سار شمالا ففتح صور ، وحصن كوكب ودمشق وجيلة واللاذقية وأنطاكية وحلب وحماة ، ولم تضع الحرب أوزارها إلا وقد تم لصلاح الدين توحيد سوريا وفلسطين وشرق الأردن ومصر كلها ، وبهذا انتصر انتصاراً رائعاً .

فلسطين والتتار :

تعرضت فلسطين خلال هذه الفترة العربية لكثير من الغزوات فبعد أن غزاها الصليبيون الذين قهرهم صلاح الدين الأيوبى فى موقعة حطين عام ١١٧٩ م غزا البلاد التتار والمغول وحكموها مدة من الزمن ولكنهم رحلوا عنها بعد هزيمتهم أمام « الظاهر بيبرس » فى معركة « عين جالوت » عام ١٢٦٠ م حيث شهدت أرض فلسطين معارك حربية فاصلة ونقط تحول فى التاريخ السياسى والاجتماعى .

الأتراك يغزون فلسطين :

تغلب السلطان سليم الملقب « بياووز » على المماليك فى معركة مرج دابق وقهر سلطانهم قنصوه الغورى عام ١٥٠١ م الذى مات تحت سنابك الخيل . ولم تجد محاولة طومان باى الذى تسلم قيادة المماليك بعدئذ فى مصر نفعا ، إذ انـكسرت حملته التى جهزها لمقاومة العثمانيين ، فسار العثمانيون من مرج دابق إلى غزة ففتحوها عنوة ، ثم إلى العريش ، ثم إلى مصر عام ١٥١٧ ، ودانت لهم البلاد من أقصاها إلى أقصاها .

فلسطين والحملة الفرنسية :

وفى عام ١٧٩٩ م دخلت هذه البلاد فى حكم نابليون بونابرت يوم أن حتل هذا مصر وسار بحملته لغزو فاسطين . لـكنها لم تبق فى حكمه أكثر من اسنة فاستردها الأتراك فى زمن السلطان سليم الثالث وإليك نبذة من تاريخ ذلك العهد :

عندما احتل بونابرت مصر عام ١٧٩٨ واغتصبها من أيدى سلاطين آل عثمان أرسل سلطان تركيا إلى والى عكا أحمد باشا الجزار أن يرسل جيشا لاحتـــلال العريش ، ففعل ، وأنذره بونابرت بالتخلى عنها لأنها من حدود مصر فأبى .

وقام بونابرت على أثر ذلك لا ليدافع عن مصر فحسب بل ليفتح سوريا أيضا . وأعد حملة من اثنى عشر ألف مقاتل دخل بها العريش عام ١٧٩٩ م ثم سار إلى غزة واستولى عليها بغير قتال . ثم فتح الرملة واللد ويافا وصفد وصور وطبرية .

ولـكن مساعيه فى فتح عكا حبطت وبحبوطها فشلت حملته السورية

فارتد إلى مصر بكل رجاله وفيهم الجرحى حتى وصل تحت الأهوال إلى العريش .

محمد على والى مصر وفلسطين :

وفى عهد السلطان محمود الثانى شق محمد على والى مصر وقتئذ عصا الطاعة ، واتخذ خلافه مع عبد الله باشا والى عكا حجة ليسير جيشاً للغزو . فأرسل جيشا بقيادة ابنه إبراهيم ، فسار هذا عام ١٨٣١ م من طريق العريش والسبع وغزة ، وظل يتوغل فى البلاد إلى أن فتح عكا ، ودان له قسم غير قليل من بر الأناضول وكاد يهدد الآستانة ، فتدخلت الدول ، وجرت وقائع لامحل لذكرها هنا انتهت بانسحابه ، واكتفى بمصر له ولذريته من بعده .

وظلت هذه البلاد تحت سيطرة الأتراك حتى عام ١٩١٧ ولكنها كانت سيطرة اسمية لا فعلية ، إذ أن نفوذهم على العربان كان ضئيلا .

مواقع فاصلة ونقط تحول تاريخى

اليرموك عام ٦٣٦ م	انتصار الإسلام على الرومان
حطين عام ١١٧٩ م	انتصار العرب على الصليبيين
عين جالوت عام ١٢٦٠م	انتصار المماليك على التتار

وفى عام ١٥٤٢ م دخلت فلسطين فى نطاق الخلافة العثمانية حتى احتلها الحلفاء عام ١٩١٨ م بالاشتراك مع القوات العربية تحت زعامة الشريف حسين

لتحريرها من الحكم التركى ، ودخلت البلاد فى عهد بغيض تحت سيطرة الإمبريالية باسم الانتداب الإنجليزى المتآمر مع الصهيونية العالمية على اغتصاب البلاد وطرد أهلها حتى عام ١٩٤٨ م حيث مكنت العصابات الصهيونية من السيطرة على مقاليد البلاد وحركت البلاد العربية للثأر من اليهود الذين اغتصبوا فلسطين وكانت الفرصة مواتية للعصابات الصهيونية أن تحقق كسبا حربيا باسم الدفاع عن النفس تحت تأييد المنظمة الدولية . وهكذا ضاعت فلسطين بسبب قصر نظر السياسة العربية فى التخطيط السياسى على المستوى الدولى .

العبرة من واقعة حطين والأمل فى تحرير فلسطين :

وإذ تحدثت عن الحروب الصليبية وعن صلاح الدين الأيوبى لابد أن نذكر العبرة من تلك الحروب ، العبرة التى يجب على كل عربى وكل مسلم بصفة خاصة أن يعيها ويعتبر بها ، وهى أن فلسطين لم تعد إلى حوزة المسلمين إلا بتوحدهم وانضوائهم تحت راية واحدة .

لقد سجل أعداؤنا هذه العبرة فى دائرة المعارف البريطانية إذ جاء تحت كلمة Crusade (١) :

« ورغم أن قادة الحملة الصليبية الأولى لم يستثمروا خلافات المسلمين كما ينبغى فإن الحقيقة تدل على أن تلك الخلافات قد خدمت الصليبيين إلى حد كبير .

---

(١) The Encyclopaedia Britanica II edition 1911 .

« فإن وضع أمراء سوريا غير المتحدين ، والفرقة والانقسام بين العباسيين والفاطميين جعلا من الممكن الاستيلاء على المدينة المقدسة وتأسيس مملكة بيت المقدس . وحينما قامت قوة فى الموصل حوالى عام ١٣٣٠ م . وكان فى مقدورها توحيد سوريا مع مصر إلا أنه على يد صلاح الدين قضى على قضية المسيحية اللاتينية فى الشرق ، وذلك بنجاحه فى توحيد سوريا ومصر .

« لقد حدث هذا عام ١١٨٧ م . وحرر المسلمون بعد أن أزالو ما بينهم من فتن وخلافات ووحدوا صفوفهم وقيادتهم » .

وإن تحرير فلسطين واسترداد الأراضى العربية موقوف بوحدة العرب ووحدة النضال الفكرى ووحدة التخطيط العسكرى ، وإزالة ما بين العرب من فرقة ومنازعات والاستمساك بقوله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

أما اليهود فإنهم — منذ الفتح الإسلامى بل وما قبله منذ خراب بيت المقدس سنة ٧٠ م ، ١٣٥ م — لم يكونوا طرفاً فى النزاع على مقدسات فلسطين طوال مدة الوجود الإسلامى ، ذلك لأنهم لم يكونوا موجودين فى البلاد بشكل يجعل منهم أمة تخضع لنظام الأقلية فى البلاد .

وقد اشترطت العهدة العمرية — بناء على طلب صفرونيوس الذى كان يحرم على اليهود السكن فى بيت المقدس ـ اشترطت ألا يسكن اليهود القدس ، وعليه فإن تطور الوجود اليهودى فى فلسطين طوال الحكم العربى الإسلامى الذى دام أكثر من ثلاثة عشر قرنا إنما يعود إلى سماحة الإسلام ، وتساهل المسلمين الذين تغاضوا عن تسلل اليهود وسمحوا لهم بالوجود وبإقامة الشعائر الدينية من ندب وبكاء عند حائط المبكى .

وإن الحق السياسى فى أى إقليم إنما تقرره مبادىء أساسية منها الغزو الحربى ، وطول مدة الاحتلال واستمرارها ، والصفة العرقية للسكان الحاليين .

فبعد دول المدن « الكنعانية » الأصلية ظلت فلسطين خاضعة خضوعاً يكاد يكون متواصلا للغزاة الأجانب . ولسوف يكون فى إمكاننا أن نفهم حقائق التاريخ فهما أفضل إذا ما حولنا هذه الحقائق إلى أرقام[1] :

حكام فلسطين	تاريخ حكمهم ق.م.	مدة حكمهم
الكنعانيون	أول المستقرين	حتى سنة ١٠٠٠ ق.م
فراعنة مصر	غير محدود	غير محدود
الهكسوس	١٧١٠ — ١٤٨٠	٢٣٠ سنة
فراعنة مصر	١٤٨٠ — ١٣٥٠	١٣٠ سنة
الحيثيون	١٣٥٠ — ١٢٩٠	٦٠ سنة
فراعنة مصر	١٢٩٠ — ١١٥٤	١٣٦ »
كنعانيون ،فلسطينيون،يهود «قضاة»	١١٥٤ — ١٠٠٠	١٥٤ »
مملكة داود وسليمان	١٠٠٠ — ٩٢٧	٧٣ »
مملكة إسرائيل فى الشمال	٩٢٧ — ٧٢٢	٢٠٥ »
مملكة يهوذا فى الجنوب	٩٢٧ — ٥٨٦	٣٤١ »
اليهود فى أوسع مدى تاريخى	١٠٠٠ — ٥٨٦	٤١٤ »
مملكة بابل	٥٨٦ — ٥٣٨	٤٨ »
مملكة فارس	٥٣٨ — ٣٣٠	٢٠٨ »
اليونان	٣٣٠ — ٣٢٣	٧ »
البطالمة « مصر »	٣٢٣ — ٢٠٠	١٢٣ »
السلوقيون « سوريا »	٢٠٠ — ١٤٢	٥٨ »

(١) نقلا عن « أزيلوا . . إسرائيل » لإيلين بيتى ١٣/٣/١٩٦٠.

حـكام فلسطين	تاريخ حكمهم	مدة حكمهم
اليونان فى أوسع مدى تاريخى	٣٣٠ — ١٤٢	١٨٨ سنة
السلوقيون ، مكابيون جزئيا	١٤٢ — ٧٠	٧٢ سنة
روما	٦٣ق.م.— ٦١٤م	٦٧٧ سنة
فارس — الدولة الساسانية	٦١٣ — ٦٢٨	١٥ سنة
روما البيزنطية	٦٢٨ — ٦٣٨	١٠ سنوات
العرب — مسلمون	٦٣٨ — ١٠٨٥	٤٤٧ سنة
الأتراك — مسلمون سلاجقة	١٠٨٥ — ١٠٩٩	١٤ سنة
الصليبيون جزئياً	١٠٩٩ — ١٢٩١	١٩٢ سنة
الأتراك — سلاجقة جزئياً	١٠٩٩ — ١٢٩١	١٩٢ سنة
مصر — مسلمون	١٢٩١ — ١٥١٧	٢٢٦ سنة
الأتراك العثمانيون — مسلمون	١٥١٧ — ١٩١٨	٤٠١ سنة
المسلمون على أوسع مدى	٦٣٨ — ١٩١٨	١٢٨٠سنة
بريطانيا — انتداب	١٩١٨ — ١٩٤٨	٣٠ سنة
إسرائيل جزئيا — الاغتصاب	١٩٤٨ — ١٩٦٨	٢٠ سنة
المملـكة الأردنية الهاشمية جزئيا	١٩٤٨ — ١٩٦٨	٢٠ سنة

فبعملية إسقاط سريعة ننحى جانبا الممالك البائدة التى لم تخلف وراثة أومدنية وهى : الهكسوس ، والحيثيون ، والفلسطينيون ، والسلوقيون .

وبإسقاط الممالك التى حكمت مدة وجيزة : بابل، واليونان ، وبريطانيا...

وبإسقاط الممالك التىحكمت جزئياً : الصليبيين، المكابيين ، إسرائيل ...

وبإسقاط المحاولات الثانية القصيرة الأمد : فارس وروما . . .

يبقى لدينا من حكموا آجالا طويلة وهم :

١ — المسلمون	ومدة حكمهم	١٢٨٠	سنة	بعد الميلاد
٢ — روما	ومدة حكمها	٦١٧	«	« «
٣ — اليهود	ومدة حكمهم	٤١٤	«	قبل الميلاد
٤ — مصر	ومدة حكمها	٢٦٦	«	«
٥ — فارس	«	٢٠٨	«	«

ويحسب اليهود عادة طول مدة حكمهم الأول فى فلسطين من شاول إلى الأسر البابلى . ولكن حكم شاول الباكر لم يكن ذا سيادة حقيقية على البلاد التى كان معظمها تحت سيطرة الكنعانيين والفلسطينيين ، كما كان إبان السنوات السبع من حكم داود فى حبرون[١] قبل أن يهزم الفلسطينيين ويقهر الكنعانيين ، ويستولى على القدس .

(١) كان داود مقيما فى أورشليم « اقتاد يوآب قوة الجيش وأخرب أرض بنى عمون وأتى وحاصر ربة . فضرب يوآب ربة وهدمها وأخذ داود تاج ملكهم عن رأسه فوجد وزنه وزنة من الذهب وفيه حجر كريم فكان على رأس داود » ١ خب ٢٠ : ١، ٢ .

أما مملكة داود وسليمان الموسعة التى يستند إليها الصهيونيون فى مطالبهم الإقليمية فلم تدم إلا ٧٣ سنة مما يضعها فى الفئة القصيرة الأمد(١) .

وبعد ذلك لم تنعم إسرائيل ولا يهوذا بالاستقلال الحقيقى ، ذلك أن كلا منهما كانت تدفع الجزية إلى دولة عظمى خارجية ، كما أن كلا منهما كانت تدين باستمرار وجودها لحماية تلك الدول العظمى وهى « مصر وأشور وبابل وفارس » .

وبعد غزو قبائل إسرائيل العشر على أيدى ملك أشور سنة ٧٢٢ ق . م . كانت مملكة يهوذا تحتل فعلا مساحة من الأرض تبلغ ٥٠ ميلا عرضاً ، ٧٥ ميلا طولا ، أى قطعة من الأرض أصغر بكثير من تلك التى تحتلها إسرائيل الصهيونية الحديثة الآن .

ولكننا إذا سلمنا بأن الممالك اليهودية القديمة كانت مستقلة طيلة حياتها من غزو داود لكنعان عام ١٠٠٠ ق . م . إلى محو يهوذا عام ٥٦٨ ق . م . فإننا نتوصل إلى حكم يهودى دام ٤١٤ سنة قبل الميلاد ، وهذه الفترة أيضاً تضعها فى المرتبة الرابعة إذا أخذنا فى الاعتبار الآجال الطويلة حسب البيان التالى :

١ — المسلمون : وحكمهم امتد بعد الميلاد فقط ١٢٨٠ سنة .

٢ — مصر الفرعونية ، ومصر العربية وحكمهما امتد قبل الميلاد وبعد الميلاد ٨٤٥ سنة .

---

(١) إن إسرائيل عاشوا بمصر ٤٣٠ سنة فهل مدة الإقامة تخول لهم حق الامتلاك والسيطرة ؟ وهذه المدة أطول من المدة التى أقاموا فيها فى فلسطين على أوسع مدى (٤١٤ سنة) .

٣ — روما وحكمها امتد قبل الميلاد ٦٣ سنة ، وبعد الميلاد ٦١٤ سنة فيصبح إجمالى الحكم قبل الميلاد وبعده ٦٧٧ سنة .

٤ — اليهود على أوسع مدى تاريخى وحكمهم قبل الميلاد فقط ٤١٤ سنة .

وكان حكم المسلمين سواء كانوا عربا أم سلاجقة أم عثمانيين أم مماليك نسيج وحده ، ذلك أنهم بخلاف جميع الغزاة الأجانب الآخرين لم يمسوا فى عزلة بل امتزجوا بأهالى البلاد وتأثر الأهالى بهم طواعية واختياراً فى اعتناقهم الإسلام دينا ، وتزاوجوا وتناسلوا حتى أضحى أهالى البلاد أمة عربية واحدة لا يستطاع معها القول متى انتهى الكنعانيون كجنس ومتى بدأ العرب كجنس .

الباب الثاني

الوجهة الشعوبية والاجتماعية

العرب يميزون بين الصهيونية واليهودية :

لم يعرف التاريخ كله أمة تؤمن حق الإيمان بالتسامح الديني وتمارسه مثل إيمان الأمة العربية بذلك وممارستها له ممارسة نابعة عن عقيدة دينية سليمة . فالأمة الإسلامية من مبادئها: « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »، والأمة المسيحية شعارها : « أكرموا الجميع ، أحبوا الإخوة ، خافوا الله ، أكرموا الملك »[(١)].

ومن ائتلاف الأمة الإسلامية بالأمة المسيحية لأجيال طويلة منذ سنة ١٣٥ م بعد تشتت اليهود فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية تتكون الأمة العربية ويتألف الكيان الفلسطينى .

وانطلاقاً من هذا المبدأ الأصيل فى التراث العربى اتخذت الأمة العربية منذ البداية موقفاً يميز بين اليهودية كدين سماوى جدير بالاحترام وبين الصهيونية كحركة استعمارية فاشستية خليقة بالمقاومة والمناهضة والمحاربة ، وهذا الموقف الذى ظهر بصورة واضحة بارزة نتيجة للمطامع الصهيونية فى فلسطين ، وفى أرجاء أخرى من الوطن العربى ، لم يتغير حتى بعد قيام إسرائيل ، وحتى بعد أن اتضح أن الكثيرين من اليهود الذين لا ينتمون رسميا للحركة الصهيونية يقفون مؤيدين لإسرائيل ويستجيبون للضغط الصهيونى والمطالب الصهيونية .

فاليهودية دين سماوى أنزله الله على نبيه موسى عليه السلام مجملا عقيدة وعبادة وشريعة فى الوصايا العشر[(٢)] نذكرها للتأمل فيها :

عقيدة التوحيد:

١ ـ أنا الرب إلهك . . لايكن لك آلهة أخرى أمامى .

٢ ـ لاتصنع لك تمثالا منحوتاً . . لاتسجد لهن ولاتعبدهن

٣ ـ لاتنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لايبرىء من نطق باسمه باطلا .

---

(١) ٢ بط ٢ : ١٧ .

(٢) خروج ٢٠ : ١ ـ ١٧ .
(م — ١٠ إسرائيل فتنة)

٤ — اذكر يوم السبت لتقدسه .
٥ — أكرم أباك وأمك .

} عبادة

٦ — لاتقتل .
٧ — لا تزن .
٨ — لاتسرق .
٩ — لاتشهد على قريبك شهادة زور .
١٠ — لا تشته بيت قريبك .

} شريعة

ومن هذا يتبين أن الله أمره أن يبلغ تعاليمه إلى بنى إسرائيل ويدعوهم إلى عبادة الله ، ونبذ ماعداه من الآلهة والأصنام ، والظواهر الطبيعية التى انتشرت عبادتها فى ذلك الوقت البعيد .

لكن ضلال الصهيونية والعنصرية السامية بدا واضحاً فيما تدعيه التوراة من أن الله عزوجل قد خص ذاته لإسرائيل فحسب وعرف ذاته بأن اسمه بينهم « يَهْوَه» (١) وأيضاً اسمه « أهيه » (٢) وذلك عندما أرسل نبيه موسى إلى بنى إسرائيل ليحررهم من استعباد المصريين لهم قائلا له : « هكذا تقول لبنى إسرائيل: يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم»(٣). ونسبوا إلى الله صفات بشرية : « فقال الرب إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر . . . فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة . . إلى مكان الكنعانيين والحثيين . . .»(٤) .

---

(١) خروج ٣ : ١٥ .
(٢) خروج ٣ : ١٤ .
(٣) خروج ٣ : ١٥ .
(٤) خروج ٣ : ٧ ، ٨ .

وخرج موسى من مصر مع بنى إسرائيل وبدأ ينظم الملاقات بين هذا المجتمع الهارب من مصر فى وصايا ألهمه بها الله تتلخص فى أن الله عز وجل ينصرهم إذا ما نصروا الله ونهجوا الصراط المستقيم (١) .

لكنهم بعد أن ازدهرت الدنيا لهم تحولوا عن الله فسلط الله عليهم من لا يخافه ولا يرحمهم فتعرضوا لغزو الكلدانيين الذين دمروا هيكل سليمان تدميرا ، والحكمة الإلهية أن الله عز وجل يقهر الشر بالأشرار(٢) . ولما كانت دعوة التوحيد تقوم على أسس من السمو الإنسانى فلقد لقيت ميدانا واسعاً لانتشارها ، لا بين اليهود فحسب ، وإنما فى كثير من دول العالم وشعوبه وأجناسه المختلفة ، واستطاعت هذه الدعوة أن تغزو كثيراً من القلوب التى كانت تخضع كارهة لجبروت الإنسان ، وترغم على عبادة الملوك دون الله عز وجل . ولا أدل على ذلك من يهود أتقياء كانوا فى صحبة دانيال النبى فى أرض السبى فى مملكة بابل ، إذ أمرهم الملك نبوخذ نصّر بالسجود لتمثاله الذهبى ، فأبوا إلا أن يعبدوا الله الإله الواحد الأحد ، مؤمنين أنه قادر على أن ينجيهم من أتون النار المتقدة(٣) . إن هؤلاء الفتية يصدق فيهم قوله تعالى : « إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى »(٤) . وقد بدت آثار الله وحكمته فى كثير من المواقف على بنى إسرائيل فانتزع إجلال الملوك والأباطرة حتى أن نبوخذ نصر قال : « تبارك الله . . الذى أرسل ملاكه وأنقذ عبيده . . » (٥) .

---

(١) ٢ خب ٢٣ : ٨ ، تثنية ٤ : ١ — ٤٠ ، تثنية ٦ : ١ — ٢٥ .

(٢) ٢ خب ٣٦ : ١٥ — ١٩ .

(٣) انظر : دانيال ٣ : ١ — ٢٩ .

(٤) الكهف : ١٣ . (٥) دانيال : ٢٨ .

أما الصهيونية فهى دعوة حديثة من نوع آخر ، ومن طراز جديد ، بعيدة كل البعد عن الدين ، ولئن حاول أصحابها والقائمون بها أن يتخذوا من الدين ستارا يخفون به حقيقة دعوتهم ، ويحجبون بهذه الأستار سوء نياتهم وأغراضهم الشخصية ونزعاتهم القائمة على التعصب : « مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا لهم » (١) ، « ولكن عهدى أقيمه مع إسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية» (٢) ، « اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لايرث مع ابنى إسحق » (٣) ، واتجاهاتهم المبنية على الانتهازية ، إلا أن الحق سريعا ما يظهر ، والأباطيل سرعان ما تندحر وتبدو الحقيقة لكل ذى عقل .

فشتان ما بين دعوتين : إحداهما من عند الله طبيعتها السلام والمحبة ، والثانية ابتدعها شياطين الإنس وطريدو البشرية ، عصوا الله فرذلهم وأذلهم فانقلبوا أعداء للإنسانية والربانية ، كما انقلب إبليس عدواً لآدم وذريته من بعده .

مولد الصهيونية :

يقول ألفريد ليلينتال فى كتابه « ثمن إسرائيل » : « فى قبر مجهول . . يرقد الآن منشىء دولة إسرائيل الجديدة ، ولولا الشاعر المجهول الذى كتب المزمور السابع والثلاثين بعد المائة لما كان هناك من دولة يهودية اليوم » .

فبعد أن قوض الأشوريون بنيان مملكة إسرائيل الشمالية عام ٧٢٢ق.م. وبعد أن سبى نبوخذ نصّر ملك بابل مملكة يهوذا فى الجنوب عام

---

(١) تك ٩ : ٢٦ . (٢) تك ١٧ : ٢١ . (٣) تك ٢١ : ١٠ .

٥٨٦ ق . م . إلى أرض بابل ، وبعد أن دمر الإمبراطور تيطس الهيكل عام ٧٠ م وبعد أن دمر الإمبراطور هادريان مدينة أورشليم عام ١٣٥ م ، بقيت فكرة دولة إسرائيل حية فى كلمات هذا المزمور :

« على أنهار بابل هنـــاك جلسنا »

« بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون ... »(١)

من هذه الكلمات نبتت بذرة فكرة الصهيونية الوطنية ، على الرغم من الدعوة السمحة التى تشبعت بها نفوس أتباع « يهوه » **الذين يعتقدون « ان اية محاولة للقيام بجهود انسانى بغية محاولة العودة لن تكون اكثر من تجن واغتصاب يتجاوز حدود الدين ولا يقبل به الرب » .**

إن الدعوة الربانية السمحة التى كان يدعو بها أنبياؤهم حتى وهم منفيون تحت غضبة الله عليهم فى أرض بابل إنما تدل على الأصالة فى المعتقد الدينى فيخاطبهم نبيهم إرمياء بقوله :

« ابنوا بيوتا ، واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها . خذوا نساء ولدوا بنين وبنات ، وخذوا لبنيكم نساء وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات ، واكثروا هناك ولا تقلوا ، واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم إليها ، وصلوا لأجلها إلى الرب ، لأنه بسلامها يكون لكم سلام »(٢) . هذه هى الدعوة الربانية السمحة التى بنيت عليها أسس المعتقد اليهودى .

ولم يوجه الأنبياء العبرانيون : عاموس ، وإرمياء ، وميخا ، وإشعياء ، وإيليا ، اهتمامهم أبدا لاستعادة السلطة الزمنية ، وإنما حصروا هذا الاهتمام فى دفع الظلم عن بنى قومهم ، وحثهم على عبادة الله إله الرحمة ، والتمسك بأهداب الحق والفضيلة .

---

(١) مزمور ١٣٧ : ١ — ٥ . (٢) إرميا ٢٩ : ٥ — ٧ .

إن اليهودية — كدين — كانت وما زالت غير مقيدة باعتبارات جغرافية بحتة ، أو جنس ، أو لغة ، ولهذا استطاعت أن تكافح من أجل بقائها .

فالدولة كيان زائل ، أما المعتقد الديني فباق إلى الأبد .

إن الدولة عرضة لتقلبات الدهر ، أما المعتقد الديني فعنده تنحسر كل التيارات المضادة ويبقى شامخاً .

إن اليهودية إيمان ديني شامل ، يمكن لأي مواطن أن يعتنقها ، على العكس من الصهيونية ، فهي حركة قومية عنصرية متطرفة غايتها جمع يهود العالم كافة في وطن قومي مستقل . ولقد أعلن بن جوريون في ١٤ مايو ١٩٤٨ :

« إن الصهيونية قد حققت هدفها في ١٤ أيار « مايو » ١٩٤٨ ببناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقا عليه ، وبفضل قوات الهجاناه . ليست هذه نهاية كفاحنا ، بل إننا اليوم قد بدأنا ، وعلينا أن نمضي لنحقق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات » .

إن الصهيونية سرعان ما تجد لها آذانا صاغية لأنها تخاطب العاطفة ، وتستغل الطاقات الروحية في الإنسان لتحقيق أهدافها ومآربها . وإذا كان هرتزل باعث القومية الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر فإن نحميا في القرن السادس قبل الميلاد في عودته من سبي بابل إلى أرض كنعان خاطب بني إسرائيل بقوله : «هلم فنبني سور أورشليم ولا نكون بعد عارا»(١) . ووقف موقفا يناقض موقف إرمياء النبي فدعا إلى اعتزال الشعوب حواليهم : « لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا من بناتهم لبنيكم ولا لأنفسكم »(٢) ، كما دعا إلى مناهضة جيرانهم

---

(١) نحميا ٢ : ١٧ . (٢) نحميا ١٣ : ٢٥ .

من شعوب الأرض : « ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد »(١) .

ويعلل نحميا دعوته للعنصرية الاستعلائية بأن الامتزاج بالشعوب ومصاهرتهم يدفع إسرائيل إلى الخطأ : « أليس من أجل هؤلاء أخطأ سليمان ملك إسرائيل ولم يكن فى الأمم الكثيرة ملك مثله وكان محبوباً إلى إلهه فجعله الله ملكا على كل إسرائيل »(٢) .

وإننا كمسلمين نؤمن بعصمة الأنبياء ، وأنهم صفوة البشرية ، وأنهم مكرمون عند الله .

لكننى فى صدد علة المصاهرة بالشعوب كسبب للخطيئة أستطيع أن أقول إن كل إنسان ميسر لما خلق له ، وإن الخطيئة لا تولد من الخارج بل من داخل الإنسان من أعماق فكره وقلبه ، وفى هذا يقول بولس رسول المسيحية : « ولكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحاربه ناموس ذهنى ويسبينى إلى ناموس الخطيئة الكائن فى أعضائى »(٣) .

فلا عجب أن يخطىء إسرائيل ويبرىء نفسه من الخطيئة ويلقى بتبعتها على الآخرين ، وهذا شأنهم فى كل جيل من الأجيال ، ومن ثم فإن روح السلام والاندماج لاترضى الصهيونية ، فظهرت طائفة « مزراحى » التى تناقض رأى أغودات إسرائيل وتعتبر أن الابتعاد عن اتخاذ أى عمل سياسى لإعادة اليهود إلى أرض الميعاد لاسند له فى المعتقد اليهودى نفسه .

وكانت مزراحى تقف ضد رأى أغودات إسرائيل المتحمس طوال١٧٦٢ سنة من سنة ١٣٥ م إلى سنة ١٨٩٧م . وبهذا اعتنقت «مزراحى» الصهيونية مستندة فى ذلك إلى ما كان يمارسه اليهود بين سنة ٥٣٩ ق.م. وسنة ١٣٥م

---

(١) عزرا ٩ : ١٢ .   (٢) نحميا ١٣ : ٢٦ .

(٣) انظر الرسالة الأولى إلى أهل رومية ٧: ٢٣ .

أى العصر الذى كان يثور فيه الثوار اليهود مراراً وتكراراً عندما يدعوهم إلى ذلك مواطنوهم المتعاقبون من جماعات « تيوداس » و « جوداس » بعد أن رحبوا بقدوم المحرر اللايهودى «كورش». وكانت ثوراتهم تهدف إلى تحقيق أمل موعود هو إعادة بعث الحياة فى مملكة داود الخامدة عن طريق قوة السلاح اليهودى .

وفى عام ١٨٨٢ م على أثر الاضطهادات التى نزلت باليهود فى رومانيا وروسيا وبولندا أصدر « ليو بينسكر » أحد زعماء اليهود كتاباً اسمه «التحرر الذاتى » أكد فيه أن العالم يحتقر اليهود لأنهم ليسوا أمة ولأنهم أجانب فى كل بلد يعيشون فيه ، وليس من علاج لهذا الداء إلا بإيجاد قومية يهودية لشعب يعيش فى أرض الوطن . إن هذه الحركة المتطرفة وما رافقها من ملابسات لم تجد لها صدى مستحباً عند غالبية يهود أمريكا .

ورغم ذلك فما زال غلاة الصهيونيين فى إسرائيل وفى أمريكا يتحدثون باسم الشعب اليهودى ، لايفرقون بين اليهودى الصميم وبين الصهيونى المارق عن تعاليم اليهودية الصحيحة،حتى غدت لفظة يهودى تعبر عن «معتقدالشخص الدينى » كما تعنى جنسية معينة ، وهذا التشابك بين المعنيين ،الدينى والسياسى ، هو الذى خلق البلبلة والفوضى .

المطامع الصهيونية :

وليس ثمة سند واقعى يؤيد مطامع الصهيونية وادعاءاتها الملحة لتكوين دولة يهودية قوامها الرابط الدينى فحسب،فلقد ذكرت رويتر فى ١٩٦٧/٧/٢٠ أن أشكول طالب فى المؤتمر الصهيونى الأمريكى بزيادة الهجرة إلى إسرائيل المساهمة فى بناء ماأسماه بالدولة اليهودية .

وكما قال بن جوريون : « لقد جاءت لحظة الامتحان الحاسم لكل يهودى

على وجه الأرض ، فمن لا يعود اليوم فليس صهيونيا ، ثم هو يهودي يعرض نفسه للذوبان فى مجتمعات أخرى غـــير يهودية ، ويعرض اليهود أيضاً للانقراض » .

هذه أقوالهم ، أما الواقع فاليهود الأمريكيون مثلا يتمسكون بالقومية الأمريكية ولا يريدون بها بديلا ، وهم يكونون ثلث يهود العالم على الأقل ، ويقرب عددهم من خمسة ملايين نسمة .

وينطبق مثل هذا القول أيضاً على ثلاثة ملايين من اليهود يعيشون فى الاتحاد السوفيتى ، وعلى ملايين غيرهم من اليهود المقيمين فى دول أوربا الغربية ويدينون بقومية الدول التى يعيشون فيها .

«ومن العبث أن تقحم فى تلك الحقائق دوافع نفسية وعاطفية فيقال إن لـكل يهودى وطنين أحدهما فى فلسطين والآخر حيث مسقط رأسه .

« وإن اليهود الذين قبلوا الدعوة الصهيونية وأقاموا لأنفسهم وطنا قومياً فى فلسطين لايزيدون فى مجموعهم عن جزء صغير من مجموع يهود العالم فى أوطانهم المختلفة »[1] .

ويفترض ألفريد ليلينتال أن إسرائيل — وهذا محتمل وقوعه ـــ انضمت إلى الـكتلة السوفياتية ، فليس من العسير أن نتصور عندئذ ماذا سيكون عليه يهود أمريكا من وضع حرج ! !

ومثل واضح على ذلك ماحدث أثناء توتر العلاقات السياسيـــة بين الـكرملين وإسرائيل ، فقد ظهر رد فعل هذا التوتر واضحا فى أمريكا ، حيث اعتبرت الأزمة الإسرائيلية أزمة الشعب اليهودى بأسره .

(١) International affairs Vol . XXI . pp 100 et seq .

والشيء الثابت، أنه إذا ظل الشعب اليهودى على اختلاف نزعاته يتحمل نتيجة أخطاء إسرائيل السياسية فإن ذلك سيودى به إلى الدمار ، لأن سياسة إسرائيل الارتجالية من شأنها أن تؤلب الأعداء عليها ، وتقودها إلى الهاوية عندما يأتى اليوم الذى تتخلى فيه أميركا عن مساعدتها .

ولقد تضرع ألبرت أينشتاين مؤيداً موقف الدكتور ماغنز قائلا :

« إننا نتوجه إلى اليهود فى أميركا وفلسطين بألا يتركوا أنفسهم تتردى فى يأس قاتل أو بطولة زائفة قد تودى بهم إلى مهاوى الدمار» . وحرى بالذكر أن الصهيونيين الذين استغلوا اسم أينشتاين وشهرته الواسعة من أجل الدعاية لقضيتهم ، تجاهلوا كلمته الحكيمة هذه .

العنصرية السامية :

جاء القرن التاسع عشر بالنهضة الأوروبية ، ومع هذا لم يكن لتطوير المجتمع الإنسانى أى أثر على العقيدة اليهودية أو تعاليمها ، بل على العكس كانت مبادىء العنصرية والاستغلال والعدوان وسفك الدماء تنمو فى نفوس اليهود، وتتقوى بتعاليم جديدة أكثر تطرفاً فى الانعزالية « الجيتو » وأشد قسوة فى الاستغلال والعدوان .

واتضح من مذكرات « وايزمن » كيف أن اليهود رفضوا الاندماج فى الديمقراطية التى عارضها « هرتزل » لأنه يسعى مسبقاً إلى التمييز الذاتى لليهود ، كما رفضوا أيضاً الاندماج فى الاشتراكية ، بل حذر « سلوبارون » أستاذ التاريخ اليهودى من منطق الذوبان والاندماج بقوله : «لن تبقى كنيسة عبرية واحدة فى العالم ، ولكن ستصبح هناك كنيسة عبرية كاثوليكية ، وكنيسة عبرية بروتستانتية ، وكنيسة عبرية إسلامية . باختصار إنها دولة « التوراة » يشارك فى تشييدها الاستعمار » .

وفى القرن التاسع عشر نشرت اليهودية العالمية « كتاب التلمود » (١)
وكانت قد أخفته أربعة عشر قرناً منذ وضعه حاخامات اليهود فى القرن الخامس
الميلادى ، خوفاً من ثورة العالم المسيحى ضد اليهود .

وقد حدث ما حقق هواجسهم هذه عندما أمرت الحكومة الملكية
الفرنسية بإحراق التلمود علنا سنة ١٢٤٢ م فى مدينة باريس .

والتلمود كتاب يؤكد المبادىء اليهودية فى الاستعلاء والانعزالية
والعدوان . وهو شريعة إسرائيل الكاملة الشفهية على اعتبار أن التوراة
شريعة إسرائيل الكاملة الموحى بها من الله لفظاً ومعنى (٢) .

والتلمود هو سجل تعاليم اليهودية وآدابها ، انتقل باليهود منذ نشره من
مرحلة اليهودية إلى مرحلة الصهيونية مع احتفاظهم بكافة الصفات المادية
والمبادىء الروحية اليهودية الموروثة .

وأحبار اليهود يأخذون من النص حرفيته دون الجوهر ، ومن هذا يجعلون
من موسى الذى شهدوا له بقولهم : « لم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل
موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه » (٣) الرائد الأول للصهيونية عندما
أوصى بنى إسرائيل بقوله : « احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من
قدامك الأموريين والكنعانيين ، والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين .
احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التى أنت آت إليها لئلا يصيروا
فخا فى وسطك ، بل تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم
فإنك لاتسجد لإله آخر ، لأن الرب اسمه غيور إله غيور هو . احترز من أن

(١) راجع كتاب « إسرائيل والتلمود » للمؤلف .
(٢) «فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا : خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم » تثنية ٣١ : ٢٤ — ٢٦ .
(٣) تثنية ٣٤ : ١٠ .

تقطع عهداً مع سكان الأرض ، فيزنون وراء آلهتهم ، ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك ، فتزنى بناتهم وراء آلهتهن ، ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن »(١) .

على هذا النص بنوا السياسة الصهيونية ، سياسة الاستعلاء والانعزالية والعدوان .

فقد عرفت الصهيونية بأنها الامتداد الطبيعى والتطور التاريخى لليهودية .. ومنذ وقوع هذا التطور فى منتصف القرن التاسع عشر بدأت مشاكل اليهود فى العالم تتجسد كأخطبوط يريد أن يبتلع كل شىء ولا يبقى على شىء ، وبدأت معها مؤامراتهم على أرض فلسطين .

لقد كان من الممكن أن يندمج اليهود فى قوميات البلاد التى كانوا يعيشون فيها ، غير أن تطور اليهودية المعكوس وظهورها بمظهر جديد يحمل نزعات استعلائية . . انعزالية . . عدوانية . . عنصرية فى كل بلد يعيشون فيه أدت فى النهاية إلى مقاومتهم واضطهادهم للتخلص من شرورهم .

فمع تكون القوميات فى أوربا فى القرن التاسع عشر نشطت اليهودية على أنها « دين وقومية » وأخذت تبحث عن اليهود فى كل العالم تكتلهم وتنظمهم وتبعث فيهم روح إسرائيل ومجدها وملك سليمان وداود وسيادتهما .

وهكذا أخذت تتغنى بوعد الله لإبراهيم ، ناسية أن الوعد تحقق فى سيادة مملكة داود وسليمان ، وأنه تحقق أيضاً فى سيادة الإسلام على الأرض حسب وعد الله لإبراهيم : « وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك »(٢) .

---

(١) خروج ٣٤ : ١١ — ١٦ .
(٢) تكوين ٢١ : ٣١ .

ومازالو يتشدقون بحرفية النص : « دعوتك باسمك أنت لى »[١] . ومثل يعقوب عليه السلام كمثل أنبياء الله ورسله اجتباهم واصطفاهم وحملهم برسالة السماء ليبلغوها بنى قومهم . وإذا كان فى الألقاب من دليل على شىء فإن الله فى قدرته أن يجعل من عبده الذى يقترب إليه بالصلاة والاعتكاف بالطاعة والإذعان عبداً ربانياً ، ومن ثم كان لقب إسرائيل الذى خلعه الله على يعقوب إنما هو الدليل على أنه تحول إلى إنسان آخر ، وهذا ما أشارت إليه التوراة عندما مُسح شاول ملكا على إسرائيل : «فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر »[٢] .

لكن الصهيونية تأبى إلا أن تجعل من يعقوب مصارعاً صارع الله فانتصر عليه ، وأمام سياسة الواقع باركه الله بأن منحه لقب إسرائيل : «لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت»[٣] .

وإن سلمنا جدلا بهذا ونظرنا إلى الصهيونية العنصرية الاستعلائية العدوانية أدركنا على الفور أنها تتناقض مع إسرائيل الإنسان الربانى الوثيق الصلة بالله .

ويتعين على هذا أن تسميتهم إسرائيل بوضعهم الراهن تسمية باطلة هم غير جديرين بها على الإطلاق .

وقد قرر موسى حقيقة حالهم قائلا : « أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة . هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب ، فكم بالحرى بعد موتى »[٤]، وفى هذا دليل مابعده دليل على صلف بنى إسرائيل ولهذا كانت الوصايا العشر التى أوصاهم بها ، ولكنهم انصرفوا عنها وعن حقيقة الدعوة الموسوية

---

(١) انظر إشعياء ٤٣ : ١ — ٤ . (٢) انظر ١صم ١٠ : ١ - ١١ .
(٣) تك ٣٢ : ٢٨ . (٤) تث ٣١ : ٢٧.

واتبعوا كل مايتفق ونزغاتهم الشريرة ، فزعموا أن التوراة توصيهم بإبادة سكان الأرض «خشية أن يعملوا حسب جميع أرجاسهم التى عملوا لآلهتهم فيخطئون إلى الرب إلهم»(١). هذه مزاعمهم ونسوا أن الله يأمرهم بالعدل والإحسان وينهاهم عن المنكر والفجور(٢) .

إن الصهيونيين يتغنون بصهيون ونسوا أن صهيون رمز وليس جوهراً ، فقد جاءت امرأة سامرية تقول للمسيح : « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه »(٣) ، فقال المسيح : « يا امرأة صدقينى أنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون لله .. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا »(٤) .

وإذا شاءوا أن يتغنوا فليتغنوا بجبل سيناء ، جبل الله حوريب حيث ظهر لموسى « ملاك الرب بلهيب نار وسط عليقة . . وناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى . . موسى . . اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة » (٥) . وقد تنبأ إشعياء النبى بعصر المسيح الذى سيأتى ويقدم للإنسانية موعظته الخالدة على جبل صهيون فقال : « ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه كل الأمم . . . . لأنه من صهيون تخرج الشريعة ، ومن أورشليم كلمة الرب» (٦) . وجاء المسيح عليه السلام واهتدى به من اهتدى من بنى إسرائيل ، وآمن به أعداد من الأمميين من دائرة الإمبراطورية

---

(١) انظر تث ٢٠ : ١٦ — ١٨ .

(٢) انظر تث ٢٣ : ٧ ؛ تث ١٠ : ١٩ — ٢٠ ؛ تث ٢٤ : ١٦ .

(٣) يوحنا ٤ : ٢٠ .

(٤) يوحنا ٤ : ٢٢ — ٢٤ .

(٥) خر ٣ : ٢ — ٦ .

(٦) إش ٢ : ٢ — ٣ .

الرومانية ، وامتد صيته من أورشليم إلى روما منذ ولادته حتى تآمر عليه الكهنة والفريسيون ليقتلوه ، لكن الله رفعه إليه ، وسيظل الصهيونيون بلا هدى ولا كتاب منير ... إن الله رفضهم وشتت شملهم فبأى حق يستندون إلى من هو براء منهم كل البراءة .

ونشر الصحفى النمساوى تيودور هرتزل كتابه عام ١٨٩٥ م عن « الدولة اليهودية » وأعلن فيه أن الحل لجميع مشاكل اليهود المضطهدين فى العالم هو قيام الدولة اليهودية على رقعة من الأرض متسعة تكفى أمة محترمة .

وفى المؤتمر الصهيونى العالمى الذى عقد عام ١٨٩٧ أجمعت الصهيونية العالمية على أن تكون فلسطين هى البقعة المحترمة ، وهى المكان المقرر لقيام دولة إسرائيل .

إنهم خططوا وأعدوا مخططاتهم بأسلوب علمى ، وبمستويات دولية ، وبدراسة جدية ، واتخذوا لهذا كل المبررات .

ويقف المسيحى المؤمن بإنجيله ويتساءل أين الله ؟ وأين إنذرات المسيح لليهود ؟ ويقف المسلم المؤمن بقرآنه ويتساءل : كيف سمح الله لإسرائيل بهذا ؟

خرافة العنصرية اليهودية :

نظرية الاستعلاء العنصرى

لا يسعنى فى هذا الباب إلا أن أسير فى البحث على نهج الكاتب اليهودى ألفريد ليلينتال مع التدليل الكتابى لتأييد الحقائق وتفنيد المزاعم الصهيونية .

عندما شرعت النازية فى وضع أسس العنصرية الآرية ، رجعت إلى أجيال

غابرة عديدة تنقب وتبحث عن الدم الجرمانى النقى، وكانت لا تعترف للمواطن الألمانى بعنصره الآرى ، إلا بعد هذا البحث وذاك التنقيب ، وهكذا كانت النازية واقعية عندما اعتمدت على التنقيب والبحث قبل تحديد عنصرها ونسلها ، ولم تكن كالصهيونية التى منحت حق الانتساب لليهودية إلى كل من كان يهوديا ، وشاء أن يبقى يهوديا ، بل نادى السفير الإسرائيلى فى لندن فى ١٢/٦/١٩٦٧ بأنه ينبغى على المجتمعات اليهودية العالمية أن ترسل إلى إسرائيل مليون مهاجر جديد .

فإذا تجاوزنا هذا واعتبرنا أن عزرا الكاهن والكاتب يعتبر من باكورة الدعاة للصهيونية فإنه سار على نهج هتلر فى التنقيب عن نقاوة النسل ، حتى أن « من بنى الكهنة بنوحبايا بنو هقوص . . هؤلاء فتشوا على كتابة أنسابهم فلم توجد فرذلوا من الكهنوت »[1] .

ومع ذلك فليس هناك عالم واحد من علماء « الجنس البشرى » يقر حقيقة العنصرية اليهودية أو الآرية .

ففى عام ١٩٣٧ ، وخلال المؤتمر السنوى لجمعية علماء « الجنس البشرى الأمريكية » ، وصفت العنصرية الآرية بأنها عنصرية لا وجود لها ، وتقرر أن الآرية كالسامية لا تعنيان إلا لفظين دون أن يكون لهما مدلول عنصرى محدد .

والعنصرية لها مميزات واضحة ، تنتقل إلى أبنائها بالوراثة ، وتظهر جلية فى لون الشعر ، والبشرة والعينين ، وشكل الرأس والأنف والقامة .

ولذلك كان من الطبيعى أن يلجأ وايزمن ، وغيره من مؤسسى العنصرية اليهودية ، إلى ابتداع الوسائل للتغرير بعقول السذج من اليهود حول

---

(١) عزرا ٢ : ٦١ — ٦٢ .

العنصرية ، مع اقتناع هؤلاء المؤسسين التام بأن ليس هناك من عنصرية يهودية أو سامية بالمعنى الصحيح ، والجدير بالذكر أن اللغات السامية الرئيسية هى العبرية والسريانية وموطنهما أرض الشام وشبه جزيرة العرب[١] ، والحبشية وموطنها إفريقيا ، كما أن شبه جزيرة العرب تتكلم اللغة العربية ، كما كان الأشوريون والبابليون المنقرضون يتكلمون لغة تمت إلى السامية بصلة وثيقة « وكانت الأرض كلها لسانا واحداً ولغة واحدة » [٢]، وجميع هذه الشعوب التى تتكلم السامية إنما تعود بأصلها إلى العنصر القوقازى .

وكلمة سامية فى حد ذاتها ، مشتقة من سام أحد أبناء نوح ، الذى انحدر منه العرب والعبرانيون ، وهما أبناء عمومة لأنهما من نسل إسماعيل وإسحق ، وكلاهما من صلب رجل واحد هو إبراهيم عليه السلام .

إلا أن العبرانيين اتخذوا العنصرية السامية للاستعلاء والمفاضلة على بقية شعوب الأرض ، وزعموا أن الله اصطفاهم دون سواهم ، وأنه جعل الناس عبيداً لهم[٣] ، وجعلوا من اللغة العبرية أساس تفاهمهم وتعارفهم ، مع أن معظم هؤلاء الأتباع لا يفهمون اللغة العبرية القديمة أو الحديثة . والواقع والتاريخ ينفيان صفاء السلالات العبرانية ، فاختلاط الشعوب بعضها ببعض عن طريق التزاوج[٤]، واعتناق بعض شعوب الأرض للديانة الموسوية واعتناق اليهود منذ زمن المسيح عليه السلام إلى أيامنا هذه للديانة المسيحية ، ودخول اليهود والمسيحيين فى دين الله أفواجا منذ بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ كل هذه العوامل أفقدت اليهودية على مر الزمان طابعها الخاص ، وعنصريتها التى كانت تفاخر بها ، حتى أن العنصر الأنكلوساكسونى نفسه ـ على

---

(١) انظر تك ١٠ : ٣٠ . (٢) تك ١١ : ١ . (٣) انظر تكوين ٩ : ٢٥ — ٢٧ .
(٤) انظر نحميا ١٠ : ٢٨ — ٣٠ ؛ نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٧ ؛ عزرا ٩ : ١ ، ٢ ، ١٠ — ١٢ .

سبيل المثال ــ قد فقد خصائصه ، وقليلون من الإنكليز من يمكنهم الادعاء أن الدم الأنكلوسا كسونى النقى ، مايزال يجرى فى عروقهم .

وهذه النظرية أثيرت منذ القدم فى عهد المسيح عليه السلام إذ جاءه رئيس من الفريسيين اسمه نيقوديموس(١) يستفسره عن ملكوت الله فيوجهه المسيح بأن ملكوت الله فى داخل قلب الإنسان ، وهو حالة الصفاء الروحى والذهنى والسلام الكامل رغم الأحداث التى يتمتع بها الإنسان الموصول الصلة بالله وليس من خارج الإنسان كاعتماد اليهود على عنصريتهم . وجاء بولس رسول المسيحية ينفى هذا الزعم ويؤكد أن البر(٢) بالإيمان لا بالانتساب إلى العنصرية .

وهذه القاعدة تنطبق على اليهود أكثر مما تنطبق على غيرهم ، فقد كانوا أكثر شعوب العالم اختلاطا بغيرهم بحكم انتشارهم فى جميع بقاع الأرض منذ القدم ، ولذا كان من الطبيعى أن يفقد اليهود الطابع الذى ورثوه عن أسلافهم الأقدمين من بنى إسرائيل . والدلائل الكتابية من توراتهم ركيزة إيمانهم ومعتقداتهم واضحة جلية فيما يلى :

١ — أن بنى إسرائيل سكنوا مصر حوالى ٤٣٠ سنة (٣) شملت عصر الأسرة الثانية عشرة وامتدت إلى الأسرة الثامنة عشرة ، وعاصروا حكم الأجنبى للبلاد « عصر الهكسوس » .

٢ — نفّذ الله فيهم قضاءه المبرم بشتات مملكة إسرائيل بسبب آثامها التى تجاوزت الحدود وذوبانهم فى شعوب الأرض سنة ٧٢٢ ق . م (٤) .

---

(١) انظر إنجيل يوحنا ٣ : ١ — ١٣ .
(٢) انظر رسالة رومية ٤ : ١ — ٢٢ .
(٣) انظر خروج ١٢ : ٤٠ .
(٤) ٢ مل ١٧ : ١ — ٢٤ .

٣ — ومع قضاء الله هذا بنفى مملكة إسرائيل لم تعتبر مملكة يهوذا فتستقيم مع الله، بل فسدت وازدادت آثاما جعلت الله يسلط عليهم نبوخذ نصر فيخرجهم من أرضهم ويدمر هيكلهم ويحرق مدينة أورشليم سنة ٥٨٦ ق . م (١) .

اذن من هم اسرائيل هؤلاء ؟

تقول التوراة إن بنى إسرائيل لما خالفوا أوامر شريعتهم ، وعبدوا آلهة غير الله ، مزق الله ملكهم ، وسلط عليهم من أذلهم ، ولم يبق تابعاً لبيت داود غير سبط يهوذا وحده (٢) ، بل إن هذا السبط تعرض للغزو وسبى من أرضه عام ٥٨٦ ق . م ؛ لأنه أخطأ إلى الله ، وظل هذا السبط فى أرض السبى من ٥٨٦ ق . م حتى ٥٣٨ ق . م ، حيث عاد بعضهم وليس جميعهم إلى أرض فلسطين عندما صرح كورش ملك فارس لهم بالعودة .

وفى فترة السبى هذه دعا أنبياء بنى إسرائيل شعبهم إلى الامتزاج والمصاهرة ليزدادوا عدداً (٣) ، كما شجعوهم على المسالمة وحسن المعاشرة حتى يعيشوا فى رفاهية وأمن (٤) .

وإذا تتبعنا يعقوب منذ رحيله إلى مصر فإننا نتبين أن ابنه يوسف قد تزوج بمصرية (٥) ، وأن يعقوب نفسه قد بارك هذا الامتزاج وارتضاه (٦) .

كذلك تزوج موسى بمدينية (٧) ، كما تزوج داود بحثية (٨) ، وكان نتاج هذا الزواج ولده سليمان عليه السلام الذى تولى الملك بعد أبيه (٩) ، وتحكى

---

(١) انظر ١ مل ١١ : ٣١ — ٣٩ ، ١ مل ١٢ : ٢٠ ، ٢ مل ٢٥ : ١ — ١٧ ، ٢ حب ٣٦ : ١ — ٢٠ . (٢) انظر الهامش السابق . (٣) إرمياء ٢٩ : ٤ — ٦ .
(٤) إرمياء ٢٩ : ٧ . (٥) تك ٤١ : ٤٥ ، ٥٠ — ٥٢ . (٦) تك ٤٨ : ١ — ١٦ .
(٧) خروج ٢ : ١٦ — ٢٢ ، خروج ١٨ : ١ — ٧ ، سورة القصص : ٢٣ — ٢٨ .
(٨) ٢ صم ١١ : ٢٦ ، ٢٧ . (٩) ١ مل ١ : ١٥ — ١٨ ، ٢٩ — ٣١ .

التوراة أنه قد تمت مصاهرة بين سليمان وفرعون مصر ، كما تزوج نساء أخريات غريبات إلى جانب بنت فرعون[١] .

وفى زمن القضاة تزوج شمشون بفلسطينية رغم اعتراض أبيه، ثم أحب بعد ذلك امرأة فى وادى سورق اسمها دليلة[٢] .

والناس على دين ملوكهم ، وتسجل التوراة هذه الأحداث من مصاهرة وامتزاج بالشعوب بأن بنى إسرائيل سكنوا «فى وسط الكنعانيين ... وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم »[٣]، وأنهم فى زمان سبيهم بأرض بابل امتزجوا بالبابليين حتى أن عزرا الكاهن مزق ثيابه ورداءه لما علم أن بنى إسرائيل اتخذوا من بنات البابليين لأنفسهم ولبنيهم ، وأن الزرع المقدس اختلط بشعوب الأرض [٤] .

ونحميا أيضاً رأى اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى ، بل بلسان شعب وشعب[٥]. والتاريخ يعيد نفسه فإن هؤلاء الأشتات الذين تجمعوا من يهود الأرض من بلادهم الأصلية ليعيشوا تحت سماء أرض فلسطين إنما يتكلمون بلسان شعب وشعب ، وكأن أرض فلسطين أصبحت مسرحا لمختلف اللغات واللهجات أو كأنها أصبحت برج بابل [٦].

والثابت تاريخيا أن عشرة أسباط من اثنى عشر سبطا قد اندثروا نهائيا سنة ٧٢٢ ق.م[٧]، وأن سبطين منهما سبط يهوذا قد امتزجا بالشعوب ، وأن قسما كبيراً منهم استوطن منفاه فى بابل ولم يعد إلى أرض فلسطين .

---

(١) ١مل ٣ : ١ ، ١مل ١١ : ١ — ٩.
(٢) قضاة ١٤ : ١ — ٣ ، ١٦ : ٤ .
(٣) قضاة ٣ : ٥ ، ٦ .
(٤) عزرا ٩ : ١ — ٣ .
(٥) نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٦ .
(٦) تك ١١ : ١ — ٩ ؛ ٢ مل ١٧ : ٢٤.
(٧) تك ١٤ : ١٣ — ١٤.

والآن كيف يمكن لأى يهودى الادعاء بأنه ينحدر مباشرة من أولئك اليهود الأقدمين ، الذين سكنوا يوما من الأيام الأرض المقدسة ؟

إن خرافة العنصرية اليهودية ترتكز على القاعدة القائلة : « إن كلمات : عبرى ، وإسرائيلى، ويهودى ، واليهودية ، والشعب اليهودى ، إنما استعملت لمدلول واحد » .

ولكن الواقع هو غير ذلك ، فهذه الكلمات إنما تعنى أجيالا مختلفة عاشت فى عصور مختلفة . فكلمة عبرانى أطلقت على الشعب الذى استوطن أرض كنعان « فأتى من نجا وأخبر أبرام العبرانى ...[١] » وهى مشتقة إما من كنية إبراهيم لجده عابر [٢]، أو من عبور إبراهيم من أرض العراق إلى أرض كنعان لنهرى الفرات والأردن[٣].

وكلمة إسرائيلى كنية لسلالة يعقوب عليه السلام [٤] وهو اللقب الذى خلعه الملاك على يعقوب[٥]، وباركه الله به[٦]، حتى أن يعقوب دعا اسم ذلك المكان الذى باركه فيه الله « بيت إيل » .

وأما كلمة يهودى فهى التعبير الذى كنيت به البقية الباقية من بنى إسرائيل بعد اندثار عشرة أسباط منهم فى سبى أشور سنة ٧٢٢ ق . م ، ولم يبق إلا سبط يهوذا لحرف الاسم من يهوذا إلى يهود ، وأول إعلام لهؤلاء بهذه الكنية فى أرض بابل [٧] كان فى عهد النبى إرمياء، أما لفظة اليهودية Judaism فلم يستعملها العبرانيون أو الإسرائيليون مطلقاً ، بل ظهرت لأول مرة إثر ظهور الديانة

---

(١) تكوين ١٤ : ١٣ ، ١٤ . (٢) انظر تك ١١ : ١٦ — ٢٦ .
(٣) تك ١١ : ٣١ ، ٣٢ ، تكوين ١٢ : ١ — ٩ .
(٤) تك ٣٢ : ٢٢ — ٢٩ . (٥) تك ٣٥ : ٩ — ١٥ .
(٦) تكوين ٤٢ : ٥ . (٧) استير ٢ : ٥ ، استير ٨ : ١٦ .

المسيحية :«وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل»[١] .

وعندما أصبحت كلمة اليهودية شائعة ، لم يكن هنـــــاك من دولة عبرانية أو إسرائيلية فى عالم الوجود ، إذ أن الشعب اليهودى كان منتشراً فى أنحاء العالم المعروف آنذاك ، وقد اختلط أفراده بسائر الشعوب .

وقد كانت الموجة الكبرى التى اعتنقت الديانة اليهودية فى القرن الثالث عشر أكبر هذه الموجات ، وقصة « مملكة الخازار »[٢] التى اعتنقت الديانة اليهودية مع حاكمها وقادتها ، مازالت عالقة بأذهان جميع اليهود المؤمنين .

فقد قامت هذه المملكة فى القسم الجنوبى من روسيا بين نهرى الفولجا والدون ، وامتدت حتى شواطىء البحر الأسود وبحر قزوين ، وعرفت بالمملكة الخازارية Kingdom of Khazaria وكان يحكمها ولاة حملوا لقب خاقان Khagan .

وفى عام ٤٤٨ غزا القائد المغولى أتيلا ، فى زحفه نحو الشرق ، هذه المملكة ، ثم غزاها المسلمون بعد ذلك فى عام ٧٣٧ .

والرسائل المتبادلة بين حاكم المملكة والطبيب اليهودى حسدى بن شابروت أحد مستشارى الخليفة الأموى الأندلسى عبد الرحمن ، تلقى نوراً على أوضاع هذه المملكة التى اتخذت اليهودية ديناً رسمياً لها .

واستنادا إلى هذه الحقائق التاريخية ، فإن وايزمن وسيلفر ينحدران بأصلهما من سلالة الخازاريين ، الذين كانوا وثنيين قبل أن يعتنقوا اليهـودية .

---

(١) أعمال الرسل ٨ : ١ .

(٢) الخازار : شعب خليط من العنصر التركى الفلنكى Turko — Finnish

ولا نغالى إذا قلنا إن عدداً كبيراً من المسيحيين يجرى فى عروقه الدم العبرانى الإسرائيلى القديم ، أكثر مما يجرى فى عروق فريق كبير من اليهود المفاخرين بعنصريتهم اليهودية .

والطريف فى الأمر أن العنصرية تلعب دوراً عجيباً فى مصائر البشرية ، فإن قادة الصهيونية يقولون إن الشعب اليهودى ينتمى إلى العنصر العبرانى السامى .

والجدير بالذكر ، أن أكثر الشعوب العربية فى الشرق الأوسط تنتمى إلى هذا العنصر نفسه ، ولكنها لا تعتنق الديانة اليهودية .

وهؤلاء العرب سكان الجزيرة العربية وسكان الشام هم ساميو الجنس ويعتبرون أشد أعداء الإسرائيليين الذين ادعوا باغتصابهم أرض فلسطين أنهم عادوا إلى «وطنهم العنصرى» وإن عداوة العرب للإسرائيليين هى رد فعل لتجنى الإسرائيليين على حقوق العرب :

فمنذ القدم ادعى الإسرائيليون لأنفسهم ماليس لهم فأورثوا أنفسهم ميراث جدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام ، وحرموا منه إسماعيل جد العرب [١] ، وسارت المسيحية فى هذا الفلك فنادت بعنصرية أنهم ينتمون إلى سارة زوجة إبراهيم لا إلى الجارية هاجر أم إسماعيل [٢] .

هذا بالرغم من أن المسيح عليه السلام دحض هذا الافتراء وأعاد الحق إلى نصابه فتنبأ بانتزاع الملك والنبوة والكتاب من إسرائيل إلى أمة إسماعيل عليه السلام [٣] ، وفى هذا يقول الله تعالى : «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه

---

(١) تك ٢١ : ١٠ . (٢) غلاطية ٤ : ٣٠ . (٣) متى ٢١ : ٤٢ ، ٤٣ .

وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » [١]، ويؤيد المسيح فى نبوءته يوحنا صاحب الإنجيل والرسائل وسفر الرؤيا المنسوبة إليه ، فيقول : « هأنذا أجعل الذين من مجمع الشيطان من القائلين إنهم يهود، بل يكذبون ، هأنذا أصيرهم يأتون ويسجدون أمام رجليك ويعرفون أنى أنا أحببتك »[٢] .

ومن هو حبيب الرب هذا ؟ ويجيب المسيح متنبئا عنه بقوله :« وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق .. » [٣] تأييداً لما سبق أن تنبأ به سلفه موسى عليه السلام بقوله : « أقيم لهم نبيا فى وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » [٤] .

ومن ثم فإن العداوة بين العرب وإسرائيل تمتد إلى أصول بعيدة عبر التاريخ والأحداث ، وتجرى أحداثها على أرض فلسطين وحدها . واستناداً إلى دراسات علماء الجنس البشرى ، يمكننا أن نؤكد أن اليهود حيثما وجدوا فإنهم يشابهون الأشخاص الذين يعيشون وإياهم فى بيئة واحدة .

وإسرائيل بوضعها الراهن تجمع أشتاتاً من الشعوب ، ويمكن فى سهولة التمييز بين يهود « الاشكنازى » البولونيين ويهود شمالى إفريقيا وألمانيا ، لأن الاختلاف لا يقتصر على الجنس ولون البشرة فحسب ، بل يتعداه إلى الزى واللغة والعادات وأسلوب التفكير .

ويؤلف يهود العراق حوالى عشر سكان إسرائيل الآن ، ولا يفوقهم فى العدد إلا يهود بولونيا ورومانيا . ومنذ أن استقر بهم الحال هناك ، وهم

---

(١) آل عمران : ٦٨ . (٢) رؤيا ٣ : ٩ .
(٣) إنجيل يوحنا ١٦ : ١٣ . (٤) تثنية ١٨ : ١٨ .

يشكون ويتذمرون من التدابير الشاذة التى اتخذت بحقهم ، ومن تفضيل يهود أوروبا ويهود أمريكا عليهم .

وفى يوليو عام ١٩٥١ ، قام يهود العراق بمظاهرة كبيرة فى تل أبيب ، احتجاجاً على التدابير العنصرية فى إسرائيل التى تعتبر فريدة فى نوعها، وكذلك الحال مع يهود شمال أفريقيا واليمن .

وعلى الرغم من كل هذا التفاوت ، والتناقض الظاهر فى الأجناس والعناصر التى تتألف منها إسرائيل ، فما زالت تكافح فى سبيل بقائها ، مستندة بوحدتها إلى بدعة « السامية » وخرافة العنصرية اليهودية .

والواقع أن إسرائيل ليست إلا مستعمرة لخدمة الأغراض الأنجلو أميريكية(١)، ففى تكوينها ٣٧٪ من سكانها مولودون فى إسرائيل ، ٣٥ ٪ مهاجرون من بلاد صناعية فى أمريكا وأوربا وسلوكهم وتصرفاتهم تحمل طابع كل المستعمرات التى يعمرها المهاجرون حتى إزاء المهاجرين من المناطق النامية فى آسيا ١٦ ٪ ، وفى أفريقيا ١٢ ٪ ، وهكذا يتضح أن توزيع الشعب مخالف للمجتمع المتوازن .

وأهم عوامل عدم التوازن فى التجربة الإسرائيلية أن تمويل دولة إسرائيل هو من الخارج ، ويزيد مقدار العون الخارجى الذى تتلقاه إسرائيل عن مائة دولار للشخص الواحد فى العام .

وقد بلغ مجموع ما تلقته من العون خلال السنوات العشر الأخيرة ٧ بلايين دولار ، مصدرها الولايات المتحدة وتبرعات اليهود والتعويضات الألمانية .

---

(١) إسرائيل أداة الاستعمار فى أفريقيا ، للزعيم بن بركة .

نظرية الحق التاريخى

الميثاق وادواره :

« قال أبرام : ماذا تعطينى وأنا ماض عقيما ؟ »[١] هذا سؤال من إبراهيم إلى ربه وليس له وريث الا ابن بيته اليعازر الدمشقى، ويحدد سؤاله إلى الله : « وقال أبرام أيضاً : إنك لم تعطنى نسلا ، وهوذا ابن بيتى وارث لى »[٢] .

« فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »[٣] .

وتنجز سارة الوعد بأن تزوج إبراهيم من هاجر ويعطى إبراهيم نسلا من هاجر : « فولدت هاجر لأبرام ابنا ، ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر إسماعيل »[٤] .

ويزيد الله إبراهيم ببركة ثانية فيعطى له إسحق من سارة : « فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابنا فى شيخوخته..وختن إبراهيم إسحق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله »[٥] .

العهد والعلامة :

وشاء الله أن يجعل إبراهيم أمة مؤمنة صادقة صابرة،وأن يجعل لهذه الأمة مميزا عن باقى شعوب الأرض فأقام عهداً وميزه بعلامة :

« هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم من بعدك . يختن منكم كل ذكر فتختتنون فى لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بينى وبينكم ، ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم »[٦] .

---

(١) تك ١٥ : ٢ .
(٢) تك ١٥ : ٣ .
(٣) تك ١٥ : ٢١ .
(٤) تك ١٦ : ١٥ .
(٥) تك ٢١ : ٢، ٤ .
(٦) تك ١٧ : ١٠، ١٢ .

وإنجازاً لهذا العهد « أخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته . كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم فى ذلك اليوم عينه كما كلمه الله . وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين خُتن فى لحم غرلته . وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين خُتن فى لحم غرلته . فى ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه » (١).

النوازع البشرية :

وتأبى سارة بعد أن تلد إسحق أن يشارك ابنها شريك فى الميراث فتدفع إبراهيم إلى أن يطرد هاجر وابنها إسماعيل فى الصحراء العربية بغية أن تفتك بهما وحوش الصحراء الكاسرة فتعلن إرادتها بقولها : « اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن الجارية لا يرث مع ابنى إسحق » (٢) .

فيأسف إبراهيم ، ولكن العناية الربانية لن تترك الأمور تجرى كما يخطط لها البشر ، فيؤكد الله لإبراهيم : « وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك » (٣). كما تحوط العناية الربانية هاجر زوجة إبراهيم ويعزيها الله سبحانه بوعده لها : « قومى احملى الغلام وشدى يدك به ، لأنى سأجعله أمة عظيمة » (٤) .

ويقول بولس رسول المسيحية : « فإنه ليس بالناموس كان الوعد لإبراهيم » (٥).

هذه هى القصة عبر التاريخ من أعماق الأجيال الموغلة فى القدم ، وتسرى هذه القصة وتتجدد ذكراها بعهد موسى عليه السلام يوم أن جمع شمل بنى إسرائيل ليخلق منهم أمة « دينا ودنيا » : « اذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم : إله آبائكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ظهر لى قائلا : إنى قد

---

(١) تك ١٧ : ٢٣ — ٢٦ .

(٢) تك ٢١ : ١٠ .

(٣) تك ٢١ : ١٣ .

(٤) تك ٢١ : ١٨ .

(٥) رومية ٤ : ١٣ .

افتقدتكم وما صنع بكم فى مصر » (١)، ثم تتجدد الذكريات بعهد عيسى ابن مريم يوم أن أعلن ملكوت الله الروحى وأراد أن يجمع إسرائيل الروح إلى معرفة الله ، أراد أن يدعو إلى الملكوت الروحى لا الدنيوى لأن الكيان السياسى قد زال منذ أمد بعيد تحقيقاً للإنذارات الإلهية لبنى إسرائيل على أيدى أنبياء الله العديدين . وأعلن المسيح عن مجيئه بقوله : « لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة »(٢) ، ونادى بالملكوت قائلا : « إن ملكوت الله يشبه خميرة أخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع » (٣) ، وهو تشبيه اختيار الله لشعب إسرائيل كرسالة لله بين شعوب الأرض ، لكن إسرائيل فسدت وتمت فيهم نبوءة إشعياء : « ويل للأمة الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلى الشر أولاد مفسدين . تركوا الرب . استهانوا بقدوس إسرائيل ، ارتدوا إلى الوراء » (٤). فكان لابد من أمة طاهرة صالحة تحمل لواء الربانية والصلاح ، فإن المسيح ندد بإسرائيل قائلا : « أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس؟ لماذا تطلبون أن تقتلونى »(٥).

يقول تقرير الأمم المتحدة لسنة ١٩٤٧ عن فلسطين فى الصفحة ١٤٦ : «أن تحتل فلسطين ، كأرض مقدسة ، وضعا فريداً فى العالم ، إنها مقدسة فى أنظار المسيحيين واليهود والمسلمين على السواء ..».

والمصالح الروحية لمئات الملايين من معتنقى الأديان الموحدة العظمى ذات صلة وثقى بمسارحها وأحداثها التاريخية ، ولذا فإن أى حل للمشكلة الفلسطينية يجب أن يراعى هذه المصالح الدينية .

اولا : فى فلسطين أماكن لها القداسة فى أنظار اليهود ، ويشترك

---

(١) خروج ٣ : ١٦ .
(٢) متى ١٥ : ٢٤ .
(٣) لوقا ١٣ : ٢٠ .
(٤) إشعياء ١ : ٤ .
(٥) يوحنا ٧ : ١٩ .

المسلمون فى تقديسهم لها : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله »[(١)] .

فبيت لحم هو المكان الذى ولد فيه داود .

وبلوطة ممرا هى المكان الذى احتفى فيه إبراهيم بالملائكة على حين غرة .

ونبع أريحا هو المكان الذى ارتوى منه الإسرائيليون ، ومدينة أريحا لها مكانتها وشهرتها نشيداً وقصة .

وجبل جلبوع هو المكان الذى لقى فيه شاول الملك وأبناؤه مصرعهم بانتصار الفلسطينيين على الإسرائيليين[(٢)] .

وفى فلسطين خرائب أبنية الهيكل ما تزال قائمة « بجدار المبكى » وخرائب سليمان ما تزال قائمة فى مجدو .

وفى شكيم انتقم الإسرائيليون لشرف أختهم دينة التى اغتصبها شكيم «وتكلم حمور معهم قائلا : شكيم ابنى قد تعلقت نفسه بابنتكم . أعطوه إياها زوجة ، وصاهرونا : تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا، وتسكنون معنا ، وتكون الأرض قدامكم »[(٣)] .

وفى دوثان باع إخوة يوسف أخاهم يوسف[(٤)] .

وصخرة المريا تلك البقعة المقدسة التى عندها رأى داود عليه السلام الملاك منتضياً سيفه المضطرم .

وأرض فلسطين على أديمها مشت أقدام الأنبياء عبر الأجيال المتعاقبة وقد أرعدت أصواتهم بنى إسرائيل باتباع المعروف والنهى عن المنكر والضلال .

---

(١) البقرة : ٢٨٥ . (٢) ١ صم ٣١ : ١ ــ ٨ .

(٣) انظر تك ٣٤ : ١ ــ ٢٩ .

(٤) تك ٣٧ : ١٢ ــ ٣٥ ، انظر سورة يوسف : ٧ ــ ٢١ .

كل هذه الذكريات بما فيها من مآس وغدر وتجليات ربانية جعلت برنار يعبر عنها بقوله : «إن اليهودى يحمل فى صدره عاطفة دينية خطيرة الشأن وهى الإيمان « بيهوه »[١]،وهو على زعمهم إله الإسرائيليين شعب الله المختار دون الشعوب الأخرى ، ومن ثم نستطيع أن نفهم كنه العصبية اليهودية فإنها دينية فى المقام الأول » .

وقال سبينوزا اليهودى ـ وهو من أكبر فلاسفة التاريخ : «لم يكن حب اليهود لوطنهم حباً بسيطا ، بل كان أشبه شيء بالورع ، فهذا الورع — مع ما رافقه من الاحتقار للشعوب الأخرى استعلاء — كان ينمو يوما فيوما مع ممارسة اليهود لديانتهم حتى أصبح متأصلا فى نفوسهم » .

ثانيا : وهل نسينا أن هـــذه الأرض ذات البلاد المحببة إلى نفوس المسيحيين مقدسة أيضا فى أنظار العالم المسيحى ؟

فالتلال التى بشر فوقها المسيح ، والآبار التى توقف عندها وشرب [٢]، والجبل الذى اعتلاه ليذيع موعظته الخالدة [٣] ، والطرق التى قطعها [٤] وهو يلقى أمثولات الإحسان والوداعة ، والقرى التى آوى إليها[٥] وتقبل جميع الناس حتى السكيرين والخطاة إخوانا له يهديهم إلى الحق ، والبحر الذى جلس عند شاطئه يعظ الجموع[٦] .

وفى بيت لحم طفولته ، وفى الناصرة مسقط رأسه ، والطريق من بيت لحم إلى مصر هجرته[٧] .

إن هذه ذكريات للمسيحيين ذات مكانة قدسية فى نفوسهم .

---

(١)خروج٣: ١٥ . (٢) يوحنا ٤ : ٦ ـ ٢٦ . (٣) متى ٥ : ١ .
(٤) متى ١٢ : ١ ـ ٨. (٥) متى ١٥ : ٢١. (٦) متى ١٣ : ١ .
(٧) متى ٢ : ١٣ ـ ١٥ .

ثالثا : إن هذه الأرض مقدسة كذلك فى أعيننا ، فإبراهيم عليه السلام له فى أرض فلسطين مواقف عزيزة : « ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين »[1] ، وهو الجد الأعلى للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو مدفون فى حبرون ، والمسلمون يحرسون ذلك القبر بأكبر قدر من العناية والحيطة . وإلى فلسطين أُسْرِىَ بالمصطفى صلى الله عليه وسلم : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير »[2] .

رابعا : وإن هناك أيضا لتاريخا عظيما ، كانت مجدو الساحة الشهيرة للمعركة المدعوة بـ « أرمجدون » . ومن مدينة صور ، حيث كان الشعب الصورى ذا شأن ، كان التجار يتاجرون مع عالم البحر الأبيض المتوسط . وإن خرائب عظيمة ما تزال ترى حيث كانت المدن الرومانية الساحلية ، وقد شهدت حطين هزيمة الصليبيين وفقدان الصليب الحقيقى .

مؤكد أنه لا ينبغى أن ننسى هذه المعانى الدينية والتاريخية . ففى فلسطين كل هذه الأماكن وغيرها مما لا يحصى من المواطن التى تكاد تضاهيها أهمية .

لننقذ إذن هذه الأرض المقدسة ، ولنعدها إلى أصحابها الشرعيين . إن فلسطين تبدو مليئة بالقوة كأنما اختزنت الطاقة منذ أن خلق العالم ، ولعلها امتصت ، كأنما على صفحة مُصَوَّرة خالدة ، موكبا من أحداث عظيمة كانت

---

(١) البقرة : ٢٥٨ .　　(٢) الإسراء : ١ .

قد ظهرت هناك واندثرت ممالك وإمبراطوريات وأمم ، وسجلت كأسطوانة «فونوغرافية» جميع الأصوات والطقوس القديمة والبركات عبر العصور، فتختلج بها بصمت وتكاد تكون على أهبة الهمهمة بها . إن المرء ليدرك أن فلسطين تريد أن تتكلم وتتحدث بشيء تشعر بأن من واجبها أن تتحدث به .

أما إسرائيل فإنها من ناحية تعتبر ادعاءاتها قائمة على أساس أن الوعد لا نزاع ولا جدال فيه ، وتطالب بإسرائيل موسعة « تشمل النقب وآدوم ومؤاب وعمون وجلعاد » ، أي ما يعادل مملكة داود وسليمان التى تحقق بها الوعد : « وكان سليمان متسلطا على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر » (١) .

ولكن مملكة داود وسليمان لم تدم أكثر من ٧٣ سنة كما رأينا من قبل، مما يجعلها من الفئة القصيرة الأمد وينقض حجة إسرائيل .

إن أرض الميعاد الحقيقية لم تمتد إلا من دان إلى بئر سبع طولا ، ومن الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط عرضا . وعندما قاد موسى الإسرائيليين القدامى حتى قادش برنيع كان فى النقب ، وكان ما يزال خارج أرض الميعاد ، ذلك أنه بعث برجال عبر الحدود « لاستطلاع البلاد » ، وعندما استدار موسى بأتباعه حول الحدود الشرقية ووقف على الأعالى وراء الأردن كان ما يزال خارج أرض الميعاد التى منع موسى من الدخول إليها : « وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة الذى قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان... وقال له الرب : هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب

---

(٣) ١ مل ٤ : ٢١ .

قائلا انسلك أعطيها . قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك إلى هناك لا تعبر. فمات موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ، ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم »(١) .

وهكذا فليس من شك فى أن مؤاب وعمون وجلعاد والنقب لم تكن مشمولة بالوعد قط . وإذن فإذا كانت إسرائيل الصهيونية لا تتبدل ، فإن عليها أن تسلم النقب ومستعمراتها إلى الشرق من بحيرة الحولة والجليل ، وأن تنسحب إلى داخل حدود الأرض الموعودة .

ولكن ماشرعية الوعد بالنسبة إلى فلسطين الأصلية ، داخل حدودها المعترف بها من دان إلى بئر سبع ومن الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط ؟ وهى «مملكة يهوذا التى ظهرت سنة ٩٢٧ ق.م . وضاعت سنة ٥٨٦ ق.م».

لاشك فى أن الوعد ، فى تلك المنطقة ، قد أتاح أكثر الادعاءات شرعية ، ولكن الحقيقة الكبرى التى تتغاضى عنها إسرائيل الصهيونية هى أن **الوعد قد انجز** . لقد أنجز منذ زمن طويل ، وأكثر من ذلك ، لأن مملكة داود وسليمان — كما سبق أن رأينا — قد شملت من الأراضى أكثر مما اشتمل عليه الوعد .

والحقيقة الأخرى هى أنهم يستمسكون بالوعد ونسوا العهد ، ويقول الله تعالى: «إنى جاعلك للناس إماماًقال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين»(٢) .

وفى هذا يقول الله تعالى : « وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيراً »(٣).

عندما فتح البابليون القدامى يهوذا ، البقية الباقية من المملكة اليهودية ، زال وجودها السياسى كدولة إلى الأبد . وعودة اليهود إلى فلسطين ، وبقاؤهم

---

(١) تثنية ٣٤ : ١ — ٦. (٢) سورة البقرة : ١٢٤ (٣) سورة الإسراء : ٤ .

لهيكلهم من جديد بقيادة عزرا ونحميا لم يتما على يدى شعب حر ، بل على يدى شعب كان خاضعاً للفرس ، ومن هنا تتضح الحقيقة وهى أن العودة كانت عودة روحية ، لا سياسية .

وتلك العودة الروحية التى فاز بها رجال ذوو استقامة وعدل والتى تمثلت فى إعادة بناء الهيكل ، قد تعرضت للخطر مراراً فى الأجيال التالية عن طريق الحروب الأهلية اليهودية ، وتقوضت أركانها نهائيا بانهدام الهيكل على يدى الإمبراطور تيطس سنة ٧٠ م ، وحصول التشتت فى سنة ١٣٥ م .

وهكذا فنحن نعرف أن الوعد قد أنجز فى الأزمنة الغابرة وأضيع ... وعلى هذا فإن أى ادعاء حديث قائم على أساس ذلك الوعد لاصحة له ، ذلك أنه كان عقداً أنجز وانتهى أجله منذ أمد طويل، وأنه كان مشروطا بالاستمساك بالعهد[١]، لكنهم نقضوا العهد[٢] .

وإذا طبقنا طريقة المقارنة التى اتبعناها فى القسم التاريخى ، فإن علينا أن نقر بأن الوضع الدينى للعرب هو الوضع الأفضل ، فهم قد التحموا بالكنعانيين الوطنيين ، وبطريقة ما أصبحوا ورثتهم الروحيين ، فقد كان الكنعانيون أول من أقاموا عبادة الإله الأسمى مما يعطيهم الأسبقية ، ولقد حرس المسلمون طيلة ألف وثلثمائة وسبعين سنة مدينة القدس المقدسة ، وهى مدة من الزمن تؤكد رقما قياسيا فى الاستمرار لم يفقه أى من أتباع الأمم الآخرين ، مما يعطى المسلمين الآن الملكية الراهنة .

---

(١) انظر تك ١٧ : ٩ — ١٤ ، خروج ٣٤ : ١١ — ١٦ ، تث ٧ : ١ — ١١ ، تث ٤ : ٢٥ — ٣١ .

(٢) « ان بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف » . ١ مل ١٩ : ١٠ ، ٢ مل ٢١ : ١٢ — ١٥ .

والعرب يشعرون فى الأزمة الحاضرة بأن اليهودى ليس له قدم يقف عليها . فإذا كان الله قد اختاره .. فإنه قد تخلى عن الله واتبع آلهة أخرى ، وعن طريق الارتشاء والطمع فى الربح خسر اليهود الأرض المقدسة .

وبعد أن خسروها لأول مرة وعدهم الله وأعطاهم فرصة ثانية لإرجاع مركزهم الروحى : القدس ، ولكنهم أضاعوا هذا أيضا ، ومن ثم غاب اليهود وابتعدوا عن فلسطين طيلة ألف وثمانمائة سنة منذ شتاتهم فى سنة ١٣٥ م .

وعلى الرغم من هذا الغياب الطويل ، ومع أن الله لم يكن قد وعد برجوع ثان بعد أن شردهم الرومان ، فإن اليهود الصهيونيين غزوا فلسطين بطرق مختلفة وأنشأوا دولة إسرائيل ، وفى عدوانهم التوسعى على العرب سنة ١٩٦٧ استولوا على القدس نفسها كما استولوا على قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء .

وإننا نحن العرب نشعر بأن وضعنا من ناحية فلسطين لا تمكن مهاجمته من الناحيتين التاريخية والروحية .

فمن الناحية التاريخية كانت صلتنا بها عبر الأجيال من الكنعانيين فالأنباط فالعرب .

ومن الناحية الروحية يبدو ذلك خلال التوراة والأنبياء والإنجيل والقرآن الكريم مصدقا لما سلف من الكتب السماوية ومهيمنا عليها ، وخلال السلالة النبوية الممتدة فى أعماق التاريخ فى إبراهيم أن الوعد مشروط بالعهد ، وأن العهد صريح فى قوله تعالى : « لاينال عهدى الظالمين »(١).

(١) سورة البقرة : ١٢٤ .

إذاً هذا هو التاريخ الزمنى والدينى لمدينة القدس .

إن مصير القدس المثالى ، والنتيجة الملائمة لتاريخها الدينى العظيم هى أن تكون مزارا عالميا لله ، مباحا لجميع المؤمنين بالله ، من يهود ومسيحيين ومسلمين .

والأمم المتحدة نفسها قد اعترفت بوضع القدس كمدينة مقدسة . إن الظروف والأوضاع يجب أن تتبدل ، فكيف يتسنى تحقيق ذلك ؟

على الدول الكبرى أن تبـــذل من تفكيرها ، وأن تبتعد عن الحلين المعروفين الآن وهما : الوصاية ، أو الاستقلال بعد معاهدة صلح بين الدولتين .

والحل الوحيد الذى يراه الساسة الدوليون هو إقامة حاجز أدبى من القوة بحيث يكون بمثابة سور ، مثل الحاجز الذى يصون الفاتيكان فى أيامنا هذه ، ولكن الحاجز الأدبى الذى يصون الفاتيكان لم توجده عوامل خارجية ، بل أوجدته صفة المؤسسة نفسها .

وإذن فإن حاجزاً أدبياً لفلسطين يمكن إيجاده لا بفعل أى شىء من الخارج ، بل بتبدل فى صفة فلسطين ذاتها ، فقط برفعها إلى حالة سامية جداً بحيث يعترف الرأى العام العالمى بطهرها وحرمتها ، ولا يسمح بأى عدوان على هذه الحرمة .

المطامع الصهيونية التوسعية :

يلعب العامل الدينى فى المشكلة الإسرائيلية دوراً خطيراً ، بل إنه لعب دوراً هاما فى إقرار التقسيم لدى الطائفة البروتستانتية التى تستمد تعاليمها من

التوراة ، وكان هذا العامل من جملة العوامل التى حملت إيرل بلفور والجنرال سمطس على تأييد إقامة وطن قومى يهودى فى الأراضى المقدسة .

فقد كان للعبارة التالية الواردة فى صك الانتداب البريطانى على فلسطين: «العلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين » أثرها الكبير فى معركة التقسيم ونجاحها . ففى الخطاب الذى ألقاه الحاخام سيلفر أمام اللجنة الخاصة شدد على هذه العبارة ، واستند إليها فى مطالبته بإنشاء الوطن القومى .

التوفيق بين التسلل الدينى والمخطط الصهيونى :

اتخذت إسرائيل قراراً بضم الأراضى العربية المحتلة إلى الأراضى المغتصبة من فلسطين ، وهذا القرار التوسعى يمثل خطوة جديدة فى تنفيذها ، قديمة فى أعماق مؤامرة قديمة يرجع تاريخها إلى سبعين سنة حاولت خلالها الصهيونية أن تنفذ هذه المؤامرة على مراحل كل عشر سنوات :

١ ـ فى عام ١٨٩٧ عقد أول مؤتمر صهيونى فى مدينة بال السويسرية ، ومنذ ذلك العام والدبلوماسية الصهيونية تحقق كل عشر سنوات جزءا من أطماعها التوسعية فى المنطقة .

٢ ـ فى العقد الأول (١٨٩٧ ـ ١٩٠٧) انصرفت المنظمة الصهيونية نحو خلق مؤسساتها الرئيسية : المالية ، والإدارية ، والدعائية .

٣ ـ فى العقد الثانى عام ١٩٠٧ تحقق الاندماج بين (الجناح السياسى) و (الجناح العلمى) فى الحركة الصهيونية ، فجاءت الخطة الجديدة التى دعاها وايزمن (بالصهيونية التوفيقية) والتى أقرها المؤتمر الصهيونى الثامن عام ١٩٠٧ وتدعو إلى استئناف التسلل البطىء وتنظيمه ورعايته ، وكانت مقدمة للحلقة التالية ..

٤ ـ ثم جاء العقد الثالث عام ١٩١٧ حاملا معه رخصة السياسة الرسمية باستيطان فلسطين بعد صدور وعد آرثر بلفور المعروف .

٥ ـ وفى عام ١٩٢٧ دخلت الحركة الصهيونية العقد الرابع من عمرها وقد حصلت من الحكومة المنتدبة على اعتراف رسمى بتنظيماتها المحلية فى فلسطين .

٦ ـ وفى عام ١٩٣٧ حاولت بريطانيا أن تحول « شبه الدولة » إلى دولة تامة ، فأوصت لجنة ملكية بريطانية بتأسيس « **دولة يهودية** » فى جزء من فلسطين .

٧ ـ وفى عام ١٩٤٧ انتهى العقد الخامس وأطل العقد السادس من عمر الحركة الصهيونية لتحقق أكبر انتصار لها .. فقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى خريف ذلك العام توصيتها الشهيرة بتقسيم فلسطين وإقامة « **دولة يهودية** » فى جزء من أجزائها ..

٨ ـ وفى عام ١٩٥٧ استقبلت الحركة الصهيونية عقدها السابع وهى تبذل جهد المستميت لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من حطام مطامها التوسعية ، وكان ذلك نتيجة للعدوان الثلاثى المعروف « إسرائيل ، فرنسا ، بريطانيا » .

٩ ـ وفى عام ١٩٦٧ وقع عدوان ٥ يونيو المعروف ، وتحاول الصهيونية أن تحتفظ بثمار هذا العدوان . .

وماذا تريد إسرائيل الآن من مكاسبها التوسعية ؟

صرح أبا إيبان فى جريدة هآرتس فى ١٩٦٧/٩/٢٨ أن إسرائيل تريد أن تبحث جميع المشكلات المتنازع عليها ضمن اتفاقية سلام بينها وبين الدول العربية .

وقرر إسرائيل جاليلى لصحيفة هايوم فى ٢٢/١٠/١٩٦٧ « أن إسرائيل لن تتزحزح قواتها عن الأراضى التى تحتلها قبل التوقيع على اتفاقية للسلام » .

إن نداءاتهم بالسلام إنما تنطوى على أبعاد جذرية وفق خطط عشرية (كل عشر سنوات) يكشفها تصريح مناحم بيجين فى خطابه ٧/٤/١٩٥٠ : « لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل ، حتى ولا للعرب ، مادمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد .. ولو وقعنا معاهدة صلح » . ويؤكدها تصريح موشى ديان لصحيفة صنداى تايمز فى ١٠/٩/١٩٦٧ : « إن هناك مليون يهودى جاءوا محل العرب ، سواء اعتبر هذا العمل أخلاقيا أم لا ، فالحقيقة أنه لا يوجد مكان فى إسرائيل للعرب » .

ويقول ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل فى خطاب له أمام أعضاء جمعية « بناى بريث[١] » الأمريكيه الصهيونية فى مدينة القدس يوم ٢٨/١٠/١٩٦٧ حث فيه يهود العالم على القيام بهجرة جماعية من البلدان الغربية لزيادة عدد سكان ما أسماه « إسرائيل الكبرى » التى تشمل الأراضى العربية المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وفى ١١ نوفمبر « تشرين الثانى » سنة ١٩٦٧ نشرت جريدة ديلى ميل اللندنية أن زعماء إسرائيل يقومون بوضع مخطط سريع لاجتذاب مهاجرين جدد من الدول الغربية إلى إسرائيل يقدر عددهم بحوالى خمسمائة ألف مهاجر سنوياً معظمهم من الشباب الذين لديهم خبرات فنية وعلمية معينة . وتعتزم الحكومة الإسرائيلية إيفاد أربعين مبعوثاً لهذا الغرض إلى الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وألمانيا الغربية، وتنوى حكومة

---

(١) راجع كتابى : « إسرائيل والتلمود » .

إسرائيل إصدار قانون فى وقت قريب يعطى المهـــاجرين الجدد كافة التسهيلات الممكنة .

إن إسرائيل لم تكتف بما أعطتها إياه هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ بعد سلبه من العرب ، بل أخذت فى سلب المزيد وبطرق مختلفة أقلها الإرهاب للسكان العرب ، وتحولت النسبة من ٥٥ ٪ من مساحة فلسطين البالغة ٢٦ ألف كيلومتر أيام حكومة الانتداب . . تحولت هذه النسبة بالسلب والاغتصاب إلى ٨٠ ٪ من هذه المساحة بعد تشريد مئات الآلاف من العرب وطردهم خارج فلسطين .

إن ماسلبوه منا وطن عربى يعيش أهله فيه آمنين ، ولم يكونوا فى يوم من الأيام فى حالة حرب مع إسرائيل على الإطلاق ، وكان المتسلط على فلسطين هو حكومة الانتداب البريطانية وهذه مع عصبة الأمم المتحدة تأخذان مالاتملكان وتعطيان من لا يستحق بتدبير محكم وبتخطيط واع .

لقد عمدت العصابات اليهودية الإرهابية من أمثال الهجاناه وأشتيرن وأرجون زفاى لئومى إلى ترويع السكان بغية حملهم على مغادرة دورهم وبلادهم .

وقد كانوا يتخيرون القرى الصغيرة الآمنة غير المسلحة فيقتحمونها ويقتلون كل من فيها بعد أن يمثلوا بهم ، ثم ينسفون القرى ويحيلونها أنقاضا ، ويبقون على مشاهدى المأساة من سكان القرية ليذهبوا ويتحدثوا بما رأوا ، كما كان الصهيونيون يطلقون أبواق دعايتهم بين القرويين البسطاء تؤازرهم فى ذلك إمكانيات الدولة المنتدبة لبث الرعب بين السكان وحثهم على مغادرة البلاد نجاة بأنفسهم وإنقاذاً لنسائهم وأطفالهم مما حقق لهم أهدافهم .

ويقدر عدد الفلسطينيين الذين اضطروا لمغادرة بلادهم بأكثر من مليون شخص .

واليوم وفى عام ١٩٦٨ تغير الحال ، وأصبحت فلسطين كلها تحت الحكم الصهيونى بعد أن أضيف إليها شبه جزيرة سيناء وأراض من الأردن ومن سوريا ما زالت تحتلها وتساوم عليها .

هل يفكر المسلمون والمسيحيون فى انقاذ انفسهم :

لا ريب أن اليهود فى عهد المسيح عليه السلام ناوأوه وطاردوه وارتكبوا من البشاعات الشيء الكثير ، وقام الحواريون من بعده بنشر دعوته ، واعتنقت المسيحية أمم كثيرة على الرغم من الاضطهاد الذى سببه اليهود (١) .

ثم أشرق الإسلام بنور الهدى ، يقيم عبادة الله الواحد الأحد ، ويمحو ويستأصل جميع العبادات الوثنية ويعيد أمجاد ملة إبراهيم (٢)، ويخلص الأديان السماوية السالفة من الشبهات والزيف ، كما حرم عبادة الأجرام السماوية التى كانت منتشرة انتشاراً واسعاً فى بعض أجزاء الشرق الأوسط: « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا الله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون »(٣) ، واعترف الإسلام بالأنبياء ورسل الله لا يفرق بين أحد منهم(٤) .

ووقف اليهود من الإسلام موقفهم من النصرانية : عداء مرير حتى نزل فيهم قوله تعالى :«لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنو اليهود والذين أشركوا»(٥)، مع أن القرآن ينعت النصارى بالتقوى والمودة : « ولتجدن أقربهم مودة

---

(١) أع ٨ : ١ — ٣ . (٢) سورة الأنعام : ١٦١ — ١٦٣ . (٣) سورة فصلت : ٣٧ .
(٤) سورة العنكبوت : ٤٦ ، سورة آل عمران : ٨٤ ، سورة البقرة : ٢٨٥ .
(٥) سورة المائدة : ٨٢ .

للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون »(١) .

وقام الغرب المسيحى بنهضته المعروفة ، تلك النهضة التى أثارت حفيظة اليهود فازدادوا للمسيحيين حسداً وحقداً ظهرت آثارهما فى سيطرتهم على اقتصاديات البلاد بممارستهم للتجارة ولأعمال الصيارف وللربا الذى حرمته الكنيسة ، فازدادوا ثراء ، بينما عانى الشعب شظف الحياة ، ولما أفاقت شعوب أوربا لهول ما هى فيه انقضت عليهم تشريداً وطرداً للتخلص منهم ومن مكائدهم .

وكان لمناوأة اليهود فى كل مكان ما وحد كلمتهم وصفوفهم بهدف حماية أنفسهم من الانقراض فشكلوا الجمعيات السرية الخطيرة على البلاد حتى يحطموا الدول الأوربية فرادى ثم يسهل عليهم بعد ذلك تحطيم قوى العالم والسيطرة على مقدراته جميعاً .

الماسونية اليهودية :

إن اعتقاد اليهود بسمو عنصرهم وسمو دينهم جعلهم يحتقرون شعوب الأرض قاطبة : فأنكروا المسيح عليه السلام ورسالته ، وتنكروا لمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الهدى والفرقان ، وشقوا عصا الطاعة على موسى ونبوته ، وحقدوا على المسيحيين زعما منهم أنهم كانوا سبب شتاتهم فى الأرض ، وناهضوا المسلمين وحاربوهم إيقاناً بأن الله انتزع منهم النبوة والكتاب والملك وخلعها على المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمته تلك الأمة التى قال عنها : « خير أمة أخرجت للناس » .

والواقع أن غضبة الله تعالى تلاحقهم أنى كانوا وعوض أن يطهروا أنفسهم ويتوبوا إلى الله يزدادون زيغا وتمرداً فانقلبوا إلى أعداء لأنفسهم وللإنسانية

---

(١) سورة المائدة : ٨٢ .

وصبوا طاقاتهم وغرائزهم الشريرة فى السيطرة على مقدرات الشعوب واقتصاديات البلاد فاكتنزوا الذهب وكونوا الجمعيات الماسونية التى تتسلل خلال المجتمعات ، وتضمن أصدقاء لإسرائيل وعملاء لها . وقد نجحوا فى أغراضهم تحت ستار هذه الجمعيات وأهدافها البراقة : الإخاء الإنسانى لا الدينى ولا الوطنى ، ويهدفون من ورائها إلى فناء واستئصال العقيدة الدينية ، وهدم الشعور الوطنى ولا يبقى إلا عبادة « يهوه القدير » .

فالماسونية تقضى على العقائد الدينية بادعائها أن الأديان سبب تأخر الأمم ، وقد وصلت بمساعيها إلى بذر بذور الإلحاد فى أوربا ، ووصلت بتشكيلاتها السرية إلى تقويض القيصرية الروسية وإلى ظهور كارل ماركس بمبادئه تحت عنوان « الدين أفيون الشعوب » ، واندلعت ثورة سنة ١٩١٧ وانتقم اليهود من الحكومة القيصرية أعنف انتقام .

والماسونية تسعى إلى هدم الشعور الوطنى وبالتالى إلى تفتيت القوميات ، ومتى تم لهؤلاء الوصول إلى غايتهم تمكنوا على حد تعبيرهم من ترويض المسيحيين والمسلمين على السواء على هذا المذهب — مذهب الإنسانية العالمية — كما يدعون بعيداً عن الدين والوطنية .

وقد بلغت الماسونية غايتها فى تزكية الكاردينال بيا لمطالبتهم بتبرئتهم من دم المسيح ، مما يدل على مدى التغلغل الماسونى حتى فى الكنيسة .

تبرئتهم من دم المسيح :

إن الإحساس بالصهيونية كما يقول ألفريد ليلينتال فى كتابه The Other side of The Coin لم يقتصر على اليهود فحسب ، فالصهيونية فى الولايات المتحدة — وقد شجعها ما صنعه حاييم وايزمن من مزج العناصر المسيحية باليهودية للفوز بوعد بلفور من الحكومة البريطانية سنة ١٩١٧ — اعتمدت على المسيحيين الأمريكيين فى خدمات لا غنى عنها .

ويمضى ليلينثال إلى القول بأن الحماس الدينى لدى «المسيحيين الصهيو نيين» كان كثيراً ما يفوق التدين لدى اليهود الصهيو نيين ، فهؤلاء المسيحيون كان يسيطر عليهم الإحساس القومى لا الدينى الصهيونى .

يضاف إلى ما سبق أن البروتستانتية قد دعت إلى الحرية الفردية فى العقيدة وبهذا أفسحت المجال أمام الاجتهاد الفردى وأمام الظهور الواضح للعديد من الطوائف البروتستانتية التى أخذت كل منها اتجاهاً خاصاً ، وفقدت بهذا عنصر التماسك الذى نلحظه فى الكنيسة الكاثوليكية ، وهذا الوضع أفسح المجال أمام الحركة الصهيونية للتعامل مع كل طائفة على حدة ، فضلا عن تعاملها مع الأفراد فى حرية كاملة .

كنيسة شهود يهوه[١] :

ولما كان تمويل هذه الطوائف البروتستانتية من تبرعات الأفراد فقد استطاعت الصهيونية بما لها من سيطرة المال أن تحتضن بعض هذه الطوائف احتضاناً مباشراً أو غير مباشر بطريق الإسهام معها فى أعمال النشر والدعاية ، ومن ثم ظهرت الجمعيات المشتركة التى لا حصر لها بين رجال الكنيسة فى الطوائف البروتستانتية المختلفة وبين ممثلى وأتباع الحركة الصهيونية وكلها تتبنى البرنامج الصهيونى .

ولا شك فى أن الحركة الصهيونية تغذى هذه الجمعيات بالأموال والرجال فضلا عن الجمعيات والمؤسسات المسيحية فى ظاهرها والصهيونية فى باطنها وفى برامجها وأنصارها ومنها كنيسة الأدفنتست التى تتسامح مع اليهود وتتركهم لآمالهم فى إيمانهم بمجىء المسيح عليه السلام الذى يحقق لهم سيادة على الأرض وملكوتا عريضاً مادامت القاعدة المسيحية القائلة بعودة المسيح مرة ثانية إلى الأرض .

---

(١) راجع كتابى « المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى الإسلامى » .

فالاتفاق إذن فى العودة والاختلاف فى القصد من العودة : إن إسرائيل تعتقد أن المسيح المبشر به سيأتى ، ولا تقيم وزناً للمسيح الذى جاء ؛ وإن الكنيسة تؤمن بعودة المسيح العودة الثانية وتكون بعدئذ القيامة .

أما كنيسة « شهود يهوه » فتقيم الأركان القديمة للتوراة ، وتحيى عقيدة بائدة بأن الله خص ذاته لشعبه ولقب نفسه « يهوه القدير » ، وهذه العقيده يضرمها ويؤججها الصهيونيون بأساليبهم وأموالهم . والكنيسة البروتستانتية تتمثل فى بريطانيا والولايات الأمريكية المتحدة وألمانيا .

الكنيسة الكاثوليكية :

هذا هو الحال مع الكنيسة البروتستانتية ، وهو غير الحال مع الكنيسة الكاثوليكية . فالكنيسة الكاثوليكية تمتد جذورها إلى أيام المسيح عليه السلام ، وتمول الكنيسة الكاثوليكية من أوقافها العريضة بل فى قدرتها تمويل دول وإعانتها . وهى تعتبر نفسها جسم المسيحية بمبادئها وتراثها الدينى وتقاليدها الكنسية وتعاليمها وطقوسها وعباداتها .

وكجزء من هذا التراث فإن الكنيسة الكاثوليكية لم تنس دور اليهود فى محاربة المسيحية فى أيامها الأولى (١) ، ولن تنسى محاربة اليهود للمسيح لدرجة التآمر على حياته وإدانته ، وتحريض السلطان عليه ، والاستهزاء به (٢) .

---

(١) انظر أ ع ٨ : ١ ـ ٣ ؛ ٩ : ١ ، ٢ .

(٢) متى ٢٧ : ١ ، ٢ ؛ مرقس ١٥ : ١ ؛ لوقا ٢٣ : ١ ، ٢ ؛ يوحنا ١٨ : ١٢ — ١٤ ؛ يوحنا ١١ : ٤٧ ـ ٥٣ .

أما وثيقة الاتهام التى زعموا أنها تدين المسيح إلى الموت فهى قولهم :

١ — إنه جعل نفسه ابن الله(١) .

٢ — وإنه فتنة للإمبراطورية الرومانية(٢) .

وأما بيلاطس فعلم تآمرهم على المسيح وأنه برىء مما نسبوه إليه فأعلن براءته ، فازداد رؤساء الكهنة سخطا وغضبا ، وحاول أن يثنيهم عن إصرارهم لكنهم أبوا إلا أن يصلب ، فأبرأ نفسه من هذا الظلم وتحملوه هم قائلين : « دمه علينا وعلى أولادنا »(٣) .

ولن تنسى الكنيسة الكاثوليكية مطاردة اليهود لأتباع المسيح قبل أن تتحول الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية .

لقد تمتع اليهود فى عصر الإمبراطور جوليانوس سنة ٣٦١م بمثل ماتمتعوا به فى عصر الملك كورش ملك فارس سنة ٥٣٨ ق . م ، ومثلوا بالشعب المسيحى مثلما مثلوا من قبل بالشعب الفارسى : « ضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا » (٤) ، ولم ينج من مذبحة الفرس النساء والأطفال (٥) .

وفى ازدهار اليهود فى عصر جوليانوس ـ كازدهارهم فى عصر ليندون جونسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ـ أرادوا إعادة بناء هيكل سليمان فى تحد لإرادة الله المعلنة لهم بخراب أورشليم (٦) ، وأذن لهم الإمبراطور

(١) يوحنا ٩ : ٧ .　　(٢) لوقا ٢٣ : ٤ .

(٣) انظر لوقا ٢٣ : ٤ ، ٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ؛ متى ٢٧ : ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) استير ٩ : ٥ .　　(٥) استير ٨ : ١١ .　　(٦) متى ٢٣ : ٢٤ .

جوليانوس ببناء هيكل سليمان ، وأقبلوا على ذلك بهمة عديمة النظير ، وأخذ أكثر من ١٨ ألف عامل فى بنائه ، وما كاد الهيكل يأخذ صورته حتى « قامت زلازل قوية . . وانبعثت النيران من جوف الأرض وابتلعت كل شىء »، وفرح المسيحيون بهذه الحادثة ، وازدادوا إيمانا بأن الله لن يخلف وعده وأنه يجزى الأشرار بشرهم .

قد يقال إن عداء اليهود للمسيح وللمسيحية كان معروفا لهذه الكنائس :

١ — إنكار اليهود للمسيح ، الذى لم يتغير ولم يتبدل حتى اليوم .

٢ — تحقير اليهود للمسيح فى موضوع ولادته أو رسالته وكفى بالتلمود شاهدا عليهم .

وتجمع كل الكنائس على هذا ، لكن الفرق بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية أن الكاثوليكية استمرار للماضى لا انقطاع فيه ، وأنها تسلمت الخلافة من المسيح مباشرة حينما أعلن المسيح لبطرس قائلا : « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيستى . وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات »(١) .

والكنيسة الكاثوليكية استمرار للعقيدة الأولى لا ثغرة فيه . فقد أبقت للبابا عصمته ، واستمرت وحدة الكنيسة الكاثوليكية الغربية ، واستمر البابا وحده المرجع الأول والأخير فى أمور الدين واللاهوت ، ومع هذا فإن

---

(١) متى ١٦ : ١٨ — ١٩ .

التعديل فى العقيدة قد يؤثر فى البنيان المتماسك للكنيسة الكاثوليكية ، ولا يملك أحد كائناً من كان أن يجرى تعديلا لشىء إلا بقرار بابوى ، فهو وحده الذى يملك لأنه — حسب المعتقد المسيحى — خليفة الله على الأرض .

بينما الكنيسة البروتستانتية مستحدثة نسبيا ، وقد شقّت عصا الطاعة على الكنيسة الأم ، وبدأت تستحدث لنفسها تراثا لاهوتيا ونظريات خاصة بها .

إن الكنيسة البروتستانتية فى نظر نفسها قد حررت نفسها من الماضى وبدأت حياتها على تعاليم الإنجيل ، ومن ثمَّ شجعت باب الاجتهاد الفردى وفتحت الباب لجميع التيارات ، بما فيها التيارات اليهودية لتؤثر فى التفكير الدينى المسيحى .

وقد كان الأمل المسيحى أن يكون اليهود أسرع الناس استجابة لدعوة المسيح ، فتشمل الديانة المسيحية أعدادهم محل الديانة اليهودية ، ويصبح اليهود بالتالى مسيحيين .

ولا غرابة فى الأساليب الصهيونية التى وعت وأدركت كل هذه المعوقات وكل هذه الآمال وأيقنت أن الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية تجندان رجالهما وأموالهما فى نشر الدعوة المسيحية وتبذلان رعاية جدية للوافدين من الملل الأخرى على المسيحية .

من هذه الزاوية استطاع هرتزل أن يحتال على بابا روما كما جاء فى مذكراته[١] :

« منذ حوالى عامين أردت أن أجد حلا للمسألة اليهودية بمساعدة الكنيسة

---

(١) مذكرات هرتزل الجزء الأول ـ برلين ١٩٣٤ .

الكاثوليكية على الأقل فى النمسا . أردت التوصل لمقابلة البابا ، بالطبع بعد التأكد من تأييد رؤساء الكنيسة النمساويين ، ومخاطبته بما يلى : «ساعدونا ضد المعادين للسامية ، وأنا أقود حركة كبيرة لدخول اليهود الحر المستقيم فى المسيحية » .

لقد داعب الأمل قلب البابا ، وظن إمكانية دخول اليهود المسيحية على نمط مملكة الخازار التى اعتنقت الديانة اليهودية مع حاكمها وقادتها وشعبها فى القرن الثالث عشر .

وهكذا ترتفع هذه البادرة إلى مستوى الصدق والأمانة ، ولكنها فى الواقع تنطوى على تحفظات تعنيها عبارة « الحر المستقيم » ، وإن هذه المحاولة هى بمثابة القليل من الكثير مما يفصح ويفضح أساليب الصهيونية ويبرزها على حقيقتها .

ولا شك فى إمكانية إقناع البابا فإن المسيح قرر لبنى إسرائيل أنه ما جاء لينقض بل ليكمل [1]، وأعلمهم بنبوءة إشعياء القائلة: «يقترب إلىّ هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً ، وباطلا يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس »[2] .

فكان لزاما على أحبار الكنيسة أن يدعوهم إلى الديانة المسيحية التى تدعو إلى التوحيد المسيحى العام الشامل ومن ثم تتميز عن التوحيد اليهودى العنصرى الذى استأثر بالله وحده لهم ، دعوه أو كما يزعمون أنه دعا نفسه « يهوه »[3] .

---

(١) متى ٥ : ١٧ .

(٢) متى ١٥ : ٦ — ٩ .

(٣) خروج ٣ : ١٥

إن الأمل المسيحي في اعتناق اليهود الديانة المسيحية كأمل إبليس في الجنة، فاليهود هم كما نعتهم المسيح بقوله : « عميان قادة عميان » [١] .

وإن وقاحتهم وصلفهم قد بلغا المدى ، فلهم من المسيح مواقف يندى لها الجبين ، وفي أيامنا هذه تدأب دار «سيمون وشوستر» في نيويورك على إعلان حرب خسيسة على المسيح في كتاب بعنوان « التجربة الأخيرة للمسيح »[٢] جاء في صفحة ٨٦ منه مانصه :

« كانت مريم المجدلية مستلقية على ظهرها في الفراش عارية تماماً . . . مبللة بالعرق ، وشعرها الأسود الفاحم منشور على وسادتها ويداها متشابكتان تحت رأسها . لقد كانت تضاجع الرجال منذ الفجر ، فكانت منهوكة القوى وكان شعرها وكل جزء من جسدها تفوح منه رائحة جميع الأمم . . وخفض ابن مريم نظره ووقف وسط الغرفة غير قادر على الحركة » .

وجاء في صفحة ٤٥٠ ما نصه :

« أمسك بها يسوع وطبع على فمها قبلة ملتهبة ، وامتقع لونهما ، واصطكت ركبهما ، فتساقطا تحت شجرة ليمون مزهرة وبدآ يتدحرجان على الأرض . . طلعت الشمس ووقفت فوقهما وهب نسيم عليل أسقط أزهار الليمون على جسديهما العاريين ، وضمت المجدلية يسوع إليها وألصقت جسده بجسدها الملتهب » .

---

(١) متى ١٥ : ١٤ .

(٢) نقلا عن كتاب « خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية » لمؤلفه عبد الله التل ص ٣٤ ، ٣٥ .

هكذا يقف اليهود أمام دعوة المسيح : يحاربونها مستخدمين فى ذلك شتى الأساليب دون رعاية لقدسية الأنبياء ولا لمكانة مريم العذراء من المسيحيين والمسلمين على السواء .. إذ اتهموها فى عفتها وعصمتها .

وهذا الموقف اليهودى لا مبرر له سوى العنصرية التى تأبى على الناس من غير اليهود أن يدخلوا فى دين الله ، وتؤثر أن يظلوا كما كان الرومان المعاصرون لليهود فى فلسطين عبدة للأوثان والأصنام لا يؤمنون بإله واحد ، ولا يجمعهم هذا الإيمان فى تعبد واحد يتوجهون به جميعاً إلى إله واحد . وهذا الموقف الدينى لم يتغير حتى اليوم ، وهذا يرجع إلى زعمهم أنهم الطبقة الممتازة حتى أنه جاء فى التلمود أن الإسرائيلى يعتبر عند الله أفضل من الملائكة فإذا ضرب أممى إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية ..

والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقى الشعوب .

ويعتبر التلمود أيضا الأجانب كالكلاب ، لأنه مذكور فى سفر الخروج أن الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب ولا للكلاب .

لماذا يطالب اليهود بتبرئتهم من دم المسيح ؟

كان من بين المسائل التى أثيرت فى المجمع المسكونى فى دورته الثانية موضوع المركزية ، وجرت المطالبة بتوسيع اختصاصات كبار رجال الكنيسة فى أماكن وجودهم ، أى اتباع اللامركزية . وهذه هى الخطوة الأولى فى منح سلطة تقديرية لممارسة بعض اختصاصات البابا فى الشئون الدينية والكنسية والنتائج لوضع كهذا ليست خافية .

وقد استجاب البابا بولس السادس لهذه الدعوة ، فأعلن فى خطابه الذى ألقاه فى المجمع فى ٢١ سبتمبر « أيلول » ١٩٦٣ أنه لا يعارض فى إشراك ممثلين عن الكنيسة معه فى ممارسة السلطة العليا .

وتنفيذاً لذلك فقد أعلن قداسة البابا فى الدورة الرابعة والأخيرة للمجمع المسكونى فى ١٤ سبتمبر « أيلول » ١٩٦٥ أنه استجاب لرغبة المجمع ، وأنه قرر إنشاء مجلس من البطاركة يساعد قداسته فى شئون الكنيسة ويستشيره فيما يرى قداسته من أمور .

وحتما سيكون من بين هؤلاء أمريكيون ، وسيكون الأمريكيون كما هم دائماً دعاة مخلصين للأهداف الصهيونية .

وتحت وطأة الاسترحام والعطف ، وبأسلوب الصهيونيين للوصول إلى أهدافهم استطاعوا أن ينالوا ما يبتغون ، فقد قرر المجمع المسكونى الفاتيكانى تبرئة اليهود من دم المسيح ، وتناسى المجمع البابوى فى قراره هذا حكم السيد المسيح على اليهـود إذ أنزل عليهم الويل فى أربع عشرة آية وردت فى الأناجيل ، ثم دمغهم بغضبته بقوله : « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً »(١) .

النصوص باتهام اليهود من الأناجيل :

١ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس . (مت ٢٣ : ١٣)

٢ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل . (مت ٢٣ : ١٤)

---

(١) متى ٢٣ : ٨ .

٣ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا . (مت ٢٣ : ١٥)

٤ — ويل لكم أيها القادة العميان القائلون : من حلف بالهيكل فليس بشيء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . (مت ٢٣ : ١٦)

٥ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تعشرون النعنع . . وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة . (مت ٢٣ : ٢٣)

٦ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوءان اختطافا ودعارة . (مت ٢٣ : ٢٥)

٧ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . (مت ٢٣ : ٢٧)

٨ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تبنون قبور الأنبياء ... وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء . (مت ٢٣ : ٢٩ ، ٣٠)

٩ — ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول فى المجامع والتحيات فى الأسواق . (لوقا ١١ : ٤٣)

١٠ — ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تعشرون النعنع ... وتتجاوزون عن الحق والرحمة . (لوقا ١١ : ٤٢)

١١ — ويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحملون الناس أحمالا عسرة الحمل وأنتم لاتمسون الأحمال بإحدى أصابعكم . (لوقا ١١ : ٤٦)

١٢ — ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون . (لوقا ١١ : ٤٤)

١٣ — ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم .
(لوقا ١١ : ٤٧)

١٤ — ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة . ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم . (لوقا ١١ : ٥٢)

النصوص بتامر اليهود على المسيح :

١ — فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكى يهلكوه فعلم يسوع وانصرف من هناك . (مت ١٢ : ١٤)

٢ — ابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الأمم لكى يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه .
(مت ٢٠ : ١٨ ، ١٩)

٣ — حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة فأرسلوا إليه تلاميذهم من الهيرودسيين قائلين : يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن ؟ أيجوز أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبثهم وقال : لماذا تجربوننى يامراءون ؟ أرونى معاملة الجزية . فقدموا له دينارا .

فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له : لقيصر ، فقال : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا .

(مت ٢٢ : ١٥ — ٢٢)

(لوقا ٢٠ : ٢٠ — ٢٦)

٤ — حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا ، وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه .
(مت ٢٦ : ٣ ، ٤)

٥ — ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه . فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس .
(مت ٢٧ : ١ ، ٢)

٦ — قال لهم بيلاطس : فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب . فقال الوالى : وأى شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين : ليصلب . فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا ، بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا : إنى برىء من دم هذا البار . أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . (مت ٢٧ : ٢٢ — ٢٥)

٧ — وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس . (مرقس ١٥ : ١)

٨ — فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة .

(لوقا ٢٢ : ٥٤)

٩ — وابتدأوا يشتكون عليه قائلين : إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا : إنه هو مسيح ملك . (لوقا ٢٣ : ٢)

١٠ — فقال بيلاطس لرؤساء الـكهنة والجموع : إنى لا أجد علة فى هذا الإنسان .
(لوقا ٢٣ : ٤)

١١ — فدعا بيلاطس رؤساء الـكهنة والعظماء والشعب : وقال لهم قد قدمتم إلىَّ هذا الإنسان كمن يفسد الشعب وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الإنسان علة مما تشتكون به عليه. ولا هيرودس أيضاً لأنى أرسلتكم إليه ، وها لا شىء يستحق الموت صنع منه ... فصرخوا قائلين : اصلبه اصلبه .
(لوقا ٢٣ : ١٣ ـ ١٥ ، ٢١)

١٢ — فخرج بيلاطس أيضاً خارجا وقال لهم : ها أنا أخرجه إليكم لتعلموا أنى لست أجد فيه علة واحدة.. فلما رآه رؤساء الـكهنة والخدام صرخوا قائلين : اصلبه اصلبه . قال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واصلبوه لأنى لست أجد فيه علة . أجابه اليهود : لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله .. كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ولـكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر ، كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر .
(يوحنا ١٩ : ٤ ـ ٧ ، ١٢)

ويقول برنار لازار ـ وهو من أوثق الباحثين تعليقاً على نزعة المناوأة لليهود التى تسمى عند الغربيين Antisemitesm أى معاداة الساميين فى حين أنها موجهة إلى اليهود دون غيرهم من الشعوب السامية :

« يتراءى لى أن شعوراً عاماً كالمناوأة لليهود ظهر فى كل مكان وكل زمان — قبل المسيح وبعده — فى الإسكندرية ، وروميه ، وأنطاكية ، وبلاد

العرب وفارس ، وفى أوربا فى مختلف العصور ، ولا سيما فى القرون الوسطى ، وفى كل قطر قطنه اليهود . يتراءى لى أن شعوراً هذا انتشاره لا يمكن أن يكون طارئاً عرضياً أو نزوعاً وقتياً ، بل يجب أن يرجع إلى أسباب جدية وأصول بعيدة » .

أما الأصول البعيدة فأشير إليها فيما يلى :

١ — وقف استفانوس يواجه رئيس الكهنة عن تاريخ إسرائيل من إبراهيم إلى المسيح . (أ ع ٧)

٢ — جاء فى سفر التثنية عن دواعى اختيار الله لإسرائيل .
(تثنية ١٠ : ١٢ — ٢٢)

٣ — وجاء « « عن أسباب رفض الله لإسرائيل .
(تثنية ٢٩ : ٢٤ — ٢٩)

٤ — وجاء « « عن حيثيات الاختيار والرفض .
(تثنية ٣٠ : ١٥ — ٢٠)

٥ — موسى يكشف عن طبيعة إسرائيل . (تثنية ٣١ : ٢٧ — ٣٠)
(تثنية ٣٣ : ١ — ٣)

٦ — قضاء الله على إسرائيل بالنفى .
(أخبار الأيام الثانى ٣٣ : ١ — ١١)
(سفر الملوك الثانى ٢١ : ١ — ١٦)

٧ — وجاء المسيح وكان لهم بمثابة الفرصة الأخيرة للاستقامة وميراث ملكوت الله لكنهم رفضوا ورفضوا . (متى ٢٣ : ٣٣ — ٣٨)
(لوقا ١٩ : ٤١ — ٤٨)

ثم تنبأ عن وارث الميثاق (متى ٢١ : ٤٢ — ٤٣)

وقال الله تعالى فى محكم آياته وفى مواضع متعددة عن أعمال إسرائيل الرديئة التى انتهت بقضائه عليهم : « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »(١) .

الفرق اليهودية

قبل الحديث عن الفرق اليهودية ينبغى مناقشة كتابين لكاتبين صهيونيين. أولهما : This is my God; by Herman Wouk « هـــذا إلهى » لمؤلفه هيرمان ووك أعيدت طباعته عام ١٩٦٠ ، ١٩٦١ ثم ١٩٦٥ .

وثانيهما : The Teaching of Contempt ; by Jules Isaac « تعليم الاحتقار » للـكاتب الفرنسى جول إسحق .

أما الـكتاب الأول فإنه يبحث فى النواحى المتعددة للعقيدة اليهودية ، وقد أفرد المؤلف فصلا خاصاً للحديث عن إسرائيل استهله بالعبارات التالية : « القمة المعاصرة » :

« لقد ذكرنا أن إسرائيل بلد دينى ، بالمعنى المقبول ، ومع ذلك فإن قيام إسرائيل يجب أن يكون القمة المعاصرة فى عرض الديانة اليهودية ، وإذا تجرأ المرء على التخمين حول طرق الله وسبله ، فإنه يستطيع القول بأن النهضة قد حدثت بكل ما أثارته وكل ماسببته من مآس لتتمـكن إسرائيل من الظهور.

---

(١) آل عمران : ١١٢ .

«وذلك لأن النهضة هى التى أوجدت إسرائيل ، إسرائيل التى هى الانتصار الحديث للروح العبرية ، التى نمت سنة فسنة فى قوتها وفى تقدير العالم لها ، إسرائيل التى هى الحلم الذى تحقق لستين جيلا من المنفيين ، إسرائيل أرض اليهود .

« إن القرون المتعاقبة لم تستطع أن تسحق هذا الحلم الغريب بجزء من أمة مشردة بحيث أنها تعود فى يوم من الأيام للأرض التى حددها الله لها ، « فى القدس فى السنة التالية » كان الشعار الذى أبقى على الشعب المشرد آماله .

« والآن وقد حدثت المعجزة فإنها تبدو حدثا عاديا ، ما لم يقف المرء ليتأمل . . . » .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الحركة الصهيونية التى عملت على قيام إسرائيل فيقول : « وهكذا فإن أرض إسرائيل ، التحقق الجديد لأقدم حلم دينى فى الأرض ، قد وضعها مؤسس لا دينى (يعنى : هرتزل) وأوجدها رجال هم فى غالبيتهم لا يراعون أحكام العقيدة . ومع ذلك فإن الصهيونية فى ازدهارها الحالى فى إسرائيل ، تقع بسهولة ضمن مجال النظر البعيد للديانة اليهودية ، ذلك أنه لم تقم فى إسرائيل القديمة دولة دينية بالكامل ، فقد كان فيها ملوك أتقياء ساروا مع القانون اليهودى واحترموه ، وكان فيها كذلك ملوك كالصهيونيين لم يسيروا مع القانون اليهودى ولم يطبقوه ، ومع ذلك فقد كانوا جميعا ملوكا لإسرائيل » .

ويقول : « إننا نعتقد أن إسرائيل ، هى المكان الذى سيشع فيه نور الإله فى يوم من الأيام لا ليملأ البلاد الصغيرة فقط وإنما الأرض كلها . . . إن الصهيونية

الحديثة فى إطار القانون العبرى ، هى عمل طويل مطرد من إنقاذ الأرواح ، واختطاف مجموعات كبيرة من الناس من طريق الفناء المؤكد » .

ويختتم المؤلف « هيرمان ووك » Herman Wouk فصله بمناشدة يهود أمريكا بأن يكونوا لإسرائيل ، كما كان يهود بابل ليهود فلسطين ، بعد العودة من المنفى .. إنهم سيظلون أكثر عدداً من يهود إسرائيل . وبإجراء هذه المقارنة فإن الكاتب يعيد إلى الأذهان النداءات التى وردت فى العهد القديم تحث يهود بابل على مساعدة اليهود الذين ظلوا فى فلسطين أو عادوا إليها .

إذن فقيام إسرائيل ركن من أركان العقيدة اليهودية ، ولكن يجب أن تعترف المسيحية على أساس دينى بالديانة اليهودية التى لم تذب فى المسيحية ، ويجب أن تعترف الكنيسة بأن الوعود قد قطعت لهذا الشعب ، ولهذا ركزت الحركة الصهيونية على الكنيسة الكاثوليكية لتفوز بصمتها إن لم تفز بتأييدها ، وهى بطبيعة الحال تطمع فى التأييد لا فى الصمت .

ومن هنا تأتى الأهمية الخاصة لمداولات المجمع المسكونى وللبيان الذى صدر عنه ، لما لهذا كله من آثار بعيدة على القضية الفلسطينية وعلى مصير الشعب الفلسطينى .

« ثم لا ننسى النوازع الشخصية للكنيسة الكاثوليكية التى أضرمت الحروب الصليبية ضد العرب فى أرض فلسطين بنيران الفتنة الدينية ، ولما اندحرت بانتصار صلاح الدين الأيوبى عليها حفظوا ذلك فى أنفسهم للثأر »[1] .

أما الكتاب الثانى فإن جول إسحق Jules Isaac كان يحث به صديقه البابا

---

(١) لعل هذا من أسباب جنوح الكنيسة الكاثولكية عن الحق ميلا مع أهداف الصهيونية .

يوحنا الثالث والعشرين فى سنة ١٩٦٠ ليعبر عن معارضة الكنيسة الكاثوليكية . . . للاسامية .

وتحققت هذه الأمنية بموافقة البابا يوحنا الثالث والعشرين على طرح وثيقة التبرئة الأصلية على المجمع المسكونى .

وفى هذا الكتاب يتعرض المؤلف — حسب زعمه — لأخطاء رئيسية عن اليهودية وصلت — حسب قوله — إلى التفكير المسيحى دون أن يستند أى منها إلى الحقيقة .

ففيما يتعلق بـ « قتل الرب » يقول إنه ليس من المنطق أن يلام شعب بأكمله لجريمة أقلية ، لا سيما أن أغلبية هذا الشعب لم تسمع مطلقا بالمسيح !

ثم يقرر أن الأناجيل اتجهت إلى خلع اللوم على الصلب من الرومانيين إلى اليهود ، نظرا لأن هذه الأناجيل قد كتبت فى وقت كانت فيه المسيحية تهجر أصولها الدينية اليهودية لتحول الأمميين إلى الدين الجديد .

وهكذا أصبحت الأناجيل وما ورد فيها موضع شك وجدل ، ولا يصح التعويل عليها والأخذ بالحقائق الواردة فيها . ترى هل يجوز بعد هذا اعتبارها كتابا مقدساً .

ويتصدى لهذا الافتراء المريع ، الأستاذ أنيس القاسم فى كتابه عن الفاتيكان وإسرائيل ، إذ جاء فى صفحة ٣٦ منه قوله : إن الصهيونيين يريدون كل شىء ولن يسلموا بشىء .

ويبدو أنهم سيحصلون على ما يريدون ولو على حساب العقيدة المسيحية .

ويقول : لقد امتنعنا حتى الآن قدر جهدنا ، عن الخوض فى التفسيرات

الدينية التى طاب للبعض أن يطلقها ، وأباحوا لأنفسهم أن يتعرضوا لنصوص الإنجيل وهم الذين لا يعترفون بقدسيته ، وأرى أننى فى حل من مناقشة بعض ما جاءوا به من آراء خصوصا آراء « جـــول إسحق » وما تنطوى عليه من مغالطات .

والأستاذ أنيس القاسم تأخذه الغيرة الدينية المسيحية فيقول : «ونحن أولى منهم بإبداء الرأى ، والإنجيل كتاب مقدس عندنا ، والسيد المسيح نبى من أنبيائنا» .

ويناقش قول جول إسحق عن « أنه ليس من المنطق أن يلزم شعب بكامله بجريمة ارتكبتها أقلية ، لا سيما أن أغلبية هذا الشعب لم تسمع مطلقا بالمسيح » .

وتواطأ مع اتجاهات « جول إسحق » الكاردينال بيـّا الذى قال : « إن المشكلة اليهودية لها جذورها فى الكتاب المقدس ، فالمسيح قد جاء من حيث الجسد من الشعب اليهودى ، وكذلك فإن أسس الكنيسة كانت فى الشعب اليهودى» .

وقال : « إن الواقع هو أن الكنيسة نوعا ما هى استمرار لإسرائيل ، هى إسرائيل الجديدة » .

ومضى الكاردينال بيا إلى القول: «لعل بالإمكان على الرغم من كل هذا الاعتراض بأن السيد المسيح قد أدانه الشعب اليهودى والزعماء اليهود ، وأن المسيح كان قاسيا فى ويلاته عليهم الواردة فى إنجيلى متى ولوقا [١] . . .

---

(١) متى ٢٣ ، لوقا ١١ .

هذا صحيح ، ولكن المسيح قد طلب أيضا الغفران[١] لهم ، وقد استجيبت صلواته ولم يطرد الشعب اليهودى»[٢] .

وقال الكاردينال بيّا: «إن الغرض من النص هو جعل هذه الحقائق الواردة فى الكتاب المقدس تنزل إلى أعماق روح المسيحيين وتتحكم فى تصرفاتهم العملية» . أما من جهة منطق جول إسحق Jules Isaac من أن أغلبية الشعب اليهودى لم تسمع مطلقا بالمسيح فقول مردود لا ينهض عليه أى دليل ، فإن أخبار معجزات المسيح قد طبقت الآفاق والدليل قائم فى رحلات المسيح فى بلدان فلسطين ، كما جاء فى إنجيل لوقا فى الإصحاحات من السابع إلى التاسع .

أما اتجاهات الكاردينال بيا فتدحضها رسالة المسيح بين اليهود والأمم . فالسيد المسيح لم يهاجم روما ولا حكم بيلاطس ، وإنما صب غضبة الله كلها على انحرافات الكهنة والفريسيين ، وانحرافهم عن دين التوحيد وتعاليم الشريعة السمحة ، وانشغالهم بالدنيا عن الدين ، وليس فى هذا أدنى امتهان لروما أو بيلاطس ، فما كانت روما يهودية ولا كان بيلاطس يهوديا . فدعوة السيد المسيح كانت تحديا صريحا لا لروما ولا لبيلاطس وإنما لأحبار اليهود ، والنظام الذى أخضعوا الشعب اليهودى له باسم الدين : « فقـــد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم »[٣] . كان المسيح ثورة على الاستغلال والإرهاب

---

(١) إن المسيح طلب الغفران حسب ما جاء فى إنجيل لوقا ٢٣ : ٣٤ «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » لا للزعماء بل للشعب الذى سيق كالنعاج لتحقيق أغراض الكهنة ولجند الرومان . أما زعماء اليهود « الكهنة وشيوخ إسرائيل » فقد ثبت بالدليل القاطع سبق الإصرار مع التعمد والتربص: «فصرخوا قائلين : اصلبه اصلبه» لوقا ٢٣ : ٢١ بل أقروا واعترفوا قائلين: « دمه علينا وعلى أولادنا » متى ٢٧ : ٢٥ ويقول الله : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما» النساء: ٤٨ .

(٢) على أثر ثورة دامية طرد الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ م اليهود وشتتهم فى كل أرجاء الإمبراطورية .

(٣) متى ١٥ : ٦ .

الذى كانوا يمارسونه : « بيتى بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص »(١) .

ويذكر إنجيل يوحنا أن كثيرين من شيوخ اليهود كانوا يؤمنون بالمسيح، لكنهم لم يعلنوا عن ذلك خشية نقمة الأحبار والكهنة عليهم ومن هؤلاء نيقوديموس : « كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود هذا جاء إلى يسوع ليلا ، وقال له : يامعلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلما لأنه ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه »(٢) . وقد يكون الخوف من بأس الكهنة وسطوتهم هو ما جعل بطرس أحد الحواريين ينكر المسيح : « وأما بطرس فتبعه من بعيد »(٣) ، « وأما بطرس فكان جالسا خارجا فى الدار . فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلى . فأنكر قدام الجميع قائلا : لست أدرى ما تقولين »(٤) ، بينما كان لهذا التلميذ مواقف ظاهرها الشجاعة والإقدام إذ « استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ، فقال له يسوع : رد سيفك إلى مكانه . لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون »(٥) . إذن فقد كان الكهنة والفريسيون وزعماء اليهود يخشون على مراكزهم وعلى نفوذهم : « فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا وقالوا : ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة ؟ إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا . . . فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه »(٦) . ومن هذا يتضح أن عداوتهم للمسيح إنما كانت حرصا على مراكزهم ونفوذهم .

ومع هذا فقد أجمعت الكنائس المسيحية بناء على دراستها للتوراة والإنجيل على أنها تلتقى جميعها فى الاختلاف مع اليهودية فى النقاط الأربع الأساسية التالية :

---

(١) لوقا ١٩ : ٤٦ .
(٢) يوحنا ٣ : ١ ، ٢ .
(٣) متى ٢٦ : ٥٨ .
(٤) متى ٢٦ : ٦٩ — ٧٠ .
(٥) متى ٢٦ : ٥١ — ٥٢ .
(٦) يوحنا ١١ : ٤٧ — ٥٣ .

١ — أن المسيح الذى تنبأ به العهد القديم هو عيسى الناصرى الذى صلب فى عهد بيلاطس البنطى الوالى الرومانى على ولاية فلسطين[١] .

٢ — عندما رفض اليهود المسيح عيسى بن مريم وتم صلبه ، فإن صفة الشعب المختار قد انتقلت إلى الكنيسة المسيحية ، وأصبحت الكنيسة تسمى « إسرائيل الحقيقية » .

٣ — أن العقاب الذى نجم عن صلب عيسى « عليه السلام » هو تدمير الهيكل فى القدس تعبيرا عن رفض الله لشعب إسرائيل الذى يعانى تيها وذلا فى الأرض نتيجة غلظة قلوبهم وسيظلون كذلك آية لنقمة الله حتى يعود المسيح فى مجيئه الثانى .

٤ — بناء على شهادة القديس بولس فإن القانون اليهودى قد نسخ بالشريعة المسيحية .

وقد قاوم اليهود فى جميع العصور هذه النتائج الأربع المستنبطة من دراسات قانونية مقاومة عنيفة وما زالوا يقاومونها .

وإن شاءوا الوصول إلى الحق فعليهم أن يعلموا أن إذلالهم إنما بقضاء الله عدلا وحقا وأن يتدارسوا هذه النصوص حتى يفيقوا من غلوائهم واستعلائهم :
الله يشهد على إسرائيل الملأ أنه منتقم جبار (٢) .

والله يؤكد أن ميراث إسرائيل لا لبر فيهم ولكن منحة من الله تثبت بصلاحهم وتنزع بعصيانهم(٣) .

---

(١) هذه وجهة نظر الكنيسة ويمكن تفنيدها لتتسق النظرية مع ما أنبأنا به القرآن الكريم فى الآية الكريمة : « وماقتلوه وما صلبوه » .
(٢) تثنية ٨ : ١٨ — ٢٠ .
(٣) تثنية ٩ : ٤ — ٦ .

وفى هذا يقرر الله عز وجل : « إنى جاعلك للناس إماما قال : ومن ذريتى، قال : لا ينال عهدى الظالمين » (١) .

الفرق اليهودية وعلاقتها بالفلسفة الشرقية :

يعتمد مبتدعو الفرق الدينية فى العقيدة اليهودية فى أسس فرقهم على دعامتين : أولاهما التوراة ، وهى الكتب الخمسة (٢) التى كتبها موسى ، وهى أسفار « التكوين ، والخروج ، واللاويون ، والعدد ، والتثنية » فقط .

أما الدعامة الثانية فهى التلمود . ويقول وول ديورانت فى كتابه قصة الحضارة (٣) جزء ٤ فصل ١٥ تحت عنوان عصر الإيمان : « أخذ الربيون والحاخامات يفسرون التوراة حسب أهوائهم وبالشكل الذى يرضى غرائزهم الشريرة ونزوعهم إلى استعلائهم على بقية أجناس البشر . وأول من جمع تلك التفسيرات فى كتاب أسماه «المشنا» هو الحاخام «يوخاس» حوالى عام١٣٥م»؛

و«مشنا» معناها الشريعة المكررة . وقد زيد فى القرون التالية على الكتاب « المشنا الأصلى » شروح أخرى صار وضعها فى فلسطين وبابل ، ثم علق علماء اليهود على المشنا حواشى كثيرة وشروحاً مسهبة دعوها « جاماره » ، فالمشنا المشروحة على هذه الصورة مع التعليقات « الجاماره » كونت التلمود ومعناه : كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم .

وهذه الشروح مأخوذة من مصدرين أساسيين أصليين أحدهما المسمى

---

(١) البقرة : ١٢٤.

(٢) تثنية ٣٠ : ٢٤ — ٢٦ .

(٣) The Story of Civilization by Will Durant " The Age of faith".

بتلمود أورشليم ، وقد كان موجوداً فى فلسطين سنة ٢٣٠ م ، وثانيهما تلمود بابل وكان موجوداً فيها سنة ٥٠٠ م[١] .

الفرق اليهودية :

انقسم اليهود إلى فرق كثيرة تدعى كل فرقة منها أنها أمثل طريقة وأشد تمسكا بأصول الدين اليهودى وبأسفاره من الفرق الأخرى . وقد بقى من هذه الفرق فى العصور الأخيرة التى عاصرت المسيح عليه السلام أربع فرق :

١ — فرقة الفريسيين . ٢ — فرقة الصدوقيين .
٣ — فرقة الناموسيين . ٤ — فرقة الأسينيين .

اولا — فرقة الفريسيين :

إن فرقتى الفريسيين والصدوقيين فرقتان قديمتان والخلاف بينهما يسير يتعلق بتفاصيل ليست ذات بال كخلافهما فى البعث .

فالفريسيون يؤمنون بالقيامة وبالروح وبالملائكة ، على نقيض الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة ولا بالروح ولا بالملائكة[٢] .

ومن صفاتهم الاستعلاء[٣]، ومن غاياتهم إحياء مملكة داود الخامدة[٤].

ثانيا — فرقة الصدوقيين :

وهم ينكرون القيامة ويعتقدون أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان فى حياتهم ، وكانت بينهم محاجة فأفحمهم المسيح إثباتاً للبعث بقوله :

---

(١) الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج ، ترجمه إلى العربية الدكتور يوسف نصر الله — مطبعة المعارف ١٨٩٩ .

(٢) انظر أع ٢٣ : ٦ — ٨ . (٣) لوقا ١٦ : ١٤ ، ١٥ .

(٤) لوقا ١٧ : ٢٠ ، ٢١ .

« الرب إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء »[١] .

ثالثا — فرقة الناموسيين :

وهم رجال القانون والفقه والشريعة ولقد تكالبوا على الدنيا فأنذرهم المسيح بالويلات [٢] ، ومن هؤلاء فريق يعرف بالكتبة ، وكانوا هم والفريسيون فى انسجام تام حتى أن المسيح هددهم بالويلات لأنهم يتمسكون بحرفية الشريعة لا بجوهرها وروحها [٣] .

ووصل بالناموسيين الاستهانة والاستهتار بالشريعة أنهم يعلمونها ولا يعملون بها ، وقد أدانهم المسيح بهذا الاستهتار بالمثل المشهور عن السامرى الصالح[٤] .

رابعا — فرقة الأسينيين :

وهذه الفرقة منسوبة إلى بركة « بيت حسدا » ذات الشهرة الفائقة فيما يجرى بها من معجزات الشفاء [٥] ، ويدعون أيضاً بالحسديين من كلمة « حسديم » العبرية بمعنى المشفقين .

وقد ظهرت هذه الفرقة حوالى القرن الثانى قبل الميلاد ، وهى تختلف عن بقية فرق اليهود اختلافا جوهريا : فى عقائدها وعبادتها ونظمها وتقاليدها .

---

(١) لوقا ٢٠ : ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) لوقا ١١ : ٥٢ .

(٣) متى ٢٣ : ٢٣ .

(٤) لوقا ١٠ : ٢٥ — ٣٧ .

(٥) يوحنا ٥ : ١ — ٩ .

١ — فمن أهم ما تمتاز به عن بقية فرق اليهود فيما يتعلق بالعبادات : أنها تحرم الأضحية والقرابين ، وتؤمن بأن ما يرضى الله إنما هو الحق والرحمة [١] ، مع أن الأضحية والقرابين كانت تعتبر عند الفرق الأخرى من أهم وسائل العبادة ، وقد خصص لها قسم كبير فى سفر من أسفار التوراة وهو سفر اللاويين . لكن مع الأيام انحرف الكهنة وأصبحت الأضحية موردا رئيسيا من موارد الثراء فالفساد .

٢ — كما تمتاز فيما يتعلق بالشرائع والنظم الإنسانية العامة ، فى أنها تنكر التفرقة العنصرية وتقرر مبادىء المساواة بين الناس فى القيمة الإنسانية المشتركة ، وتحرص على التعايش السلمى بين جميع الشعوب ، وهذا ما نادى به إرمياء فى القديم[٢] وما تنبأ به إشعياء[٣] من استتباب السلام والتعايش السلمى ، وما دعا إليه بولس رسول المسيحية بتكوين المجتمع الاشتراكى[٤] .

٣ — ومن مبادئها العمل على مجانبة الإضرار بالخلق وعدم الإيذاء ، إيذاء أى إنسان حتى ولو كان ذلك لتربيته وتقويمه ، ومراعاة الصدق والأمانة والوفاء بالعهد حيال جميع الناس سواء فى ذلك الإسرائيليون منهم وغير الإسرائيليين ، وقد ظهرت هذه المبادىء فى أسرة المكابيين[٥] الذين حكموا أمتهم فى عهد السلوقيين فالبطالمة .

---

(١) إشعياء ١ : ١٠ — ٢٠ . (٢) إرميا ٢٩ : ٧ .

(٣) إشعياء ٩ : ٦ ، ٧ ؛ إشعياء ٢ : ٢ — ٤ . (٤) أع ٤ : ٣٢ .

(٥) جاء ذكرهم فى أسفار الابوكريفا وهى ضمن الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك اليسوعيين .

٤ — ومن مبادئها تحريم طرائق الكسب غير المشروع ، وابتزاز أموال الناس واستغلال عوزهم وحاجتهم سواء في التعامل مع اليهودى أو غير اليهودى، وهم بهذا على طرف نقيض مما جاء بالتوراة من أن الله حرض موسى وشعبه على سلب المصريين قبل خروجهم من مصر[١] .

٥ — ومن مبادئها تحريم الرق وممارسة الحرية الشخصية ، وتحظر أن يملك الإنسان أخاه الإنسان ، كما تحظر أن يحرم أى فرد من حريته . وهذا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت تقوم على الرق .

وقد خصص للرق وأحكامه حيز كبير فى أسفارهم ، وجاء فى سفر اللاويين ما يؤيد امتلاك الإسرائيلى للعبيد والإماء من الشعوب حواليهم [٢] ، وميزت الشريعة امتلاك الإسرائيلى لأخيه الإسرائيلى بعدم التسلط عليه [٣] ، بل إن التوراة تقرر أن شعب كنعان [٤] كتب عليه فى الأزل أن يكون عبدا رقيقا لبنى إسرائيل، وأنه لا ينبغى أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما فى الحياة غير هذه الوظيفة فإن تمردوا عليها أو طمحوا إلى الحرية وجب على بنى إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف .

٦ — ومن مبادئها فيما يتعلق بنظام الملكية أنها تحرم الملكية الفردية وتوجب أن تكون جميع الملكيات ملكيات جماعية . وقد طبقت مبادئها هذه على أفرادها الذين اعتزلوا المجتمع الإسرائيلى وعاشوا جماعات حول شواطىء البحر الميت،فقد ألغوا فيما بينهم نظام الملكية الفردية وجعلوا ما تحت

---

(١) خروج ٣ : ٢١ ، ٢٢ ، تك ١٥ : ١٣ ; ١٤ .

(٢) لاويين ٢٥ : ٤٤ — ٤٦ .　　(٣) لاويين ٢٥ : ٤٣ ، ٤٦ .

(٤) تكوين ٩ : ٢٥ ، ٢٦ .

أيديهم من أرض ومنقول وملابس وأطعمة ومتاع ملكا جماعيا شائعا يحفظ ما يزيد منه عن الحاجة العاجلة فى مخازن عامة ، ويشرف على شئون إدارته وتوزيعه حراس يختارون من بينهم بطريق الانتخاب العام المباشر ، ويتفرغون كل التفرغ لأعمال وظيفتهم هذه ، وهذا النظام أخذت به الكنيسة الأولى ، وحتى المنازل نفسها اعتبروها ملكا جماعيا ، وتركوها فى كل قرية من قراهم مفتحة الأبواب لكل رفيق من جماعتهم سواء أكان من أهل القرية أم قادما من خارجها .

وعلى نفس النمط سارت الكنيسة الأولى[١] .

ويحفزهم على ذلك عاملان : العامل الأول أن عبوديتهم لله تأبى عليهم عبودية لغير الله[٢] ، والعامل الثانى الأمل فى ميراث لا يفنى[٣]. وهذه المبادىء هى على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت تجيز الملكية الفردية وتحيطها بسياج من الحماية ، وقد خصص لأحكام الملكية الفردية وطرق انتقالها وحقوقها وواجباتها حيز كبير فى أسفارهم .

٧ — ومن مبادىء هذه الفرقة ما تمتاز به فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادى من أنها تحرم الاشتغال بالتجارة ، لما تبعثه فى النفس من جشع وحرص على جمع المال وجنوح إلى ابتزاز الناس .

كما تحرم صناعة الأسلحة والذخيرة وسائر آلات الحرب[٤]، لتنافر الغاية التى تقصد من هذه الصناعات مع أهم مبدأ من مبادئهم وهو التعايش السلمى

---

(١) أع ٤ : ١ — ٢٧ ، ٦ : ١ — ٨ .
(٢) متى ٦ : ٢٤ .
(٣) متى ١٩ : ٢٩ .
(٤) إشعياء ٢ : ٤ .

واستتباب السلام الدائم ، وفى هذا يقول المسيح : « طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون »(١) .

٨ — ومن مبادئها تحريم استخدام الذهب والفضة وتحريم التعامل بهما ، لما يبعثان فى النفوس من زهو ، وما يحملان عليه من جشع وشح ، ولذلك اقتصرت أعمالهم على الزراعة والصيد ، وما يحتاجان إليه ويتصل بهما من صناعات ، وفى ذلك تختلف اختلافا جوهريا عن سائر فرق اليهود ، فقد كان من أهم مظاهر الفرق الأخرى النشاط الاقتصادى فى شئون التجارة ، وصناعة السلاح والتعامل بالذهب والفضة ، بل لقد كانت هذه الفرق تنظر إلى هذين المعدنين نظرة تقرب من التقديس (٢) ، وبالإضافة إلى هذا فإنهم يزعمون أن الشريعة تحفزهم على التعامل بالربا مع غير الإسرائيلى(٣) .

٩ — ومن مبادئها فيما يتعلق بنظام الأسرة أنها تحرم الزواج وتوجب التبتل والبعد عن النساء ، وهذا ما نادى به بولس رسول المسيحية(٤) . وهو أيضا على عكس الفرق اليهودية الأخرى التى كانت ترى أن الزواج واجب دينى لكل قادر عليه ، وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه لا يقل جرمه عن جرم القاتل ؛ لأن كليهما على حد تعبيرهم « يطفىء نور الله وينتقص ظله فى أرضه ، ويبعد رحمته عن إسرائيل » ، بل لقد رأى فقهاؤهم أن من يبلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء أن يرغمه على الزواج .

١٠ — ومن مبادئها فيما يتعلق بالحياة الفردية أنها تحارب الترف والنعيم وتدعو إلى الزهد والتقشف والبعد عن جميع متع الجسم وتنظر إلى هذه المتع على أنها شرور (٥) .

---

(١) متى ٥ : ٩ .
(٢) خروج ٣٢ : ١ — ٦ .
(٣) تثنية ٢٣ : ١٩ ، ٢٠ .
(٤) ١ كو ٧ : ٣٢ .
(٥) متى ١٦ : ٢٤ — ٢٦ ؛ متى ١٠ : ٣٧ — ٣٩ .

ومن هذا يظهر أن هذه الفرقة تخالف فى معظم ما تذهب إليه تعاليم العهد القديم والتلمود ، على الرغم من أنها تعتبر نفسها ويعتبرها المؤرخون من فرق اليهود ، والحقيقة أنه لا تربطها ببقية فرق اليهود إلا رابطة الجنس لأن أفرادها كانوا من بنى إسرائيل . وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن يوحنا المعمدان والمسيح بن مريم كانا من هذه الفرقة ، ومن دراسة تحليلية لتعاليمها يتضح الاتفاق التام بين مبادئها ودعوة يوحنا ودعوة المسيح .

ومن دراسات للدين البرهمى كما جاء فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى يتبين الاتفاق التام بين مبادىء هذه الفرقة والدعائم الأخلاقية المعروفة بالوصايا العشر للدين البرهمى ، وتتلخص فى مبادىء بوذا الذى يهتف بالإيثار كى يجد الناس النرفانا ، والنرفانا هى حالة السمو والصفاء التى يجدها ويبلغها الذين يعادون أنفسهم سعيا وراء الحكمة والحق وفى هذا المعنى يقول العزيز «ويؤثرون على أنفسهم » (١) .

ولم تعمر هذه الفرقة طويلا ، فقد انقرضت فى أواخر القرن الأول الميلادى . هذا وقد ظهرت حوالى القرن الثامن بعد الميلاد فرقة جديدة من اليهود سمت نفسها بفرقة « اليهود القرائين » ، وامتازت عن غيرها من الطرق بتمسكها بما جاء فى التوراة وحدها ، وعدم اعترافها بأحكام التلمود وتعاليم الحاخامات ، وعدم اعتبارها هذه الأحكام وهذه التعاليم من أصول الشريعة ، وقد أسس هذه الفرقة داود بن عنان وهو من علماء يهود العراق . ومن الفرق الدينية أيضا فرقتان سبق ذكرهما تحت باب أحزاب إسرائيل وهما : حزب أغودات إسرائيل وحزب مزراحى .

---

(١) سورة الحشر : ٠٩

الباب الثالث

الوجهة الدينية والأخلاقية

فكرة الألوهية بين إسرائيل والفراعنة

متى وأين تم إدراك الله أولا بوضوح ووعى كافيين بحيث تم تخصيص رجال للخدمة الدينية عرفوا بالكهنة، واستحثوا على إقامة شعائر دينية منظمة؟

إن التاريخ الفرعونى يسجل لنا فى آثاره أن الكهنة فى قديم الزمان كانوا يحرصون على الحفاظ على شعائر الدين قبل ظهور الرسالات السماوية المشهورة .

وكذلك يؤكد لنا تاريخ الشعوب الآسيوية المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط أن عبادة الله الواحد الأحد عرفت طريقها بين اليبوسيين وهم من سلالة كنعان من نسل حام ، وقد كانت بلدة « يبوس » مركزاً للعبادة الربانية التى انبثقت من سيدنا نوح عليه السلام الجد الأعلى للكاهن ملكى صادق الذى عاصر سيدنا إبراهيم عليه السلام وباركه بعد انتصاره على كدر لعومر والملوك الذين معه [1]. ومدينة يبوس هى هى مدينة أورشليم وهى هى مدينة القدس .

وفى أرض مدين بشبه جزيرة سيناء كان يثرون كاهن [2] مدين معاصراً لسيدنا موسى عليه السلام ، وهو الذى نصح موسى [3] بالتنظيم الاجتماعى والسياسى لبنى إسرائيل حتى يتفرغ لتلقى الشريعة من الله رب العالمين .

إن علماء أصول الدين وعلماء اللاهوت ،مازالوا يمعنون فى التأمل والتفكير : هل عرف إبراهيم « الله » فى أور [4] الكلدانيين « العراق » أو أنه رآه يوم أن افتدى الله ابنه بذبيح فى أرض المريا [5] حيث دعا إبراهيم اسم ذلك الموضع «يهوه يرأه» ؟

---

(١) انظر تك ١٤ : ١٧ — ٢٤ .

(٢) انظر خر ٣ : ١ .

(٣) انظر خر ١٨ : ١٣ — ٢٧ .

(٤) انظر تك ١٢ : ١ — ٩ .

(٥) هذا بحسب رأى التوراة من أن الذبيح هو إسحق . انظر تك ٢٢ : ١ — ١٩ .

أو أن موسى عليه السلام عرفه فى سيناء ساعة أن تقدم إلى النار التى تشتعل فى العليقة ، والعليقة لا تحترق ، ليقف على أسرارها فإذا به يسمع صوت العلى يناديه بأنه «بالواد المقدس طوى » [١] ، وأن عليه أن يقول لبنى إسرائيل : « يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . هذ إسمى الى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور » [٢] ؟

وهذه الأماكن أمست لهـا قدسيتها ، فيبوس التى هى الآن القدس :

١ ـ كانت مدينة لليبوسيين ، وشهدت عبادة الله الواحد الأحد ، وعلى صخرة المريا التى شهدت إقامة الدين الحنيف من إبراهيم إلى داود فسليمان فالمسيح توصلت هذه المدينة لاستكمال أسباب السلام حتى سميت فى عهد داود وسليمان بمدينة « أورشليم » .

٢ ـ وفى الأرض المقدسة عند جبل سيناء حيث تراءى الله لموسى عليه السلام، وحيث تلقى موسى الشريعة من الله ، أمره الله عند خروجه ببنى إسرائيل من مصر : «يعبدون الله على هذا الجبل، فقال موسى لله هأنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلنى إليكم ، فإذا قالوا : ما اسمه ؟ فماذا أقول لهم؟فقال الله لموسى : أهيه الذى أهيه . وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهيه أرسلنى إليكم » [٣].

ويرى Weigall [٤] أن مذهب التوحيد الذى نادى به إخناتون قد بشر به من لدن أمة جاءت إلى بلاط أبيه من أحد الأقطار الآسيوية .

وقد عكف إخناتون على عبادة رب يدعى « أدوناى» تارة ، و« آتوم »

---

(١) طه : ٩ — ١٤ ؛ خروج ٣ : ٢ -- ٥ . (٢) خر ٣ : ١٥ .
(٣) خروج ٣ : ١١ — ١٤ .
(٤) Weigall, The Life and Time of Akhenaton .

تارة أخرى ، و « آتون » طوراً ثالثاً ، يعنى على مختلف اللهجات المعروفة بين شعوب الأقاليم المختلفة فى ذلك العهد .

وليست كلمة « آتون » أو « آتوم » غير تحريف للفظة العبرية «أدوناى» بمعنى السيد .

وللعالم اليهودى سيجموند فرويد Frued نظرات فى مذهب إخناتون تدل على محاولة ظاهرة فى المقابلة بين عقيدة إخناتون وعقيدة العبرانيين فى التوحيد ، فقد مهد فى كتابه (١) الذى ترجمته من الألمانية Katherine Jones سنة ١٩٤٠ بفروض تدل على البراعة وغزارة العلم لمسألة المقابلة بين المذهبين .

وانتهى من ذلك إلى أن « موسى » قد ولد فى مصر (٢) وتربى فيها ، ونشأ فى كنف الوحدانية ، التى أعلن أمرها فى زمان « إخناتون » ، وعلى أثر النضال بين أصحاب مذهب « آمون » وأصحاب مذهب « آتون » = الشمس ، وإلى أن ذلك النبى العبرانى مهد لنبوته ومذهبه الدينى فى تلك البيئة الموحدة عند آل فرعون .

ثم بات يبشر قومه بالوحدانية ، ويلقنهم أصولها ومبادئها ، ويعلمهم قواعدها ، ويثبت لهم أنه يدين بدين الحق ، دين الله الواحد الأحد ، ثم يعلمهم كيف يوحدونه ويعظمونه ويفهمون صفاته وذاته ، وهو فى هذا يحاول أن

---

(١) Sigmund Frued, Moses & Montheisim. 2nd edition .

(٢) «وذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى، فحبلت المرأة وولدت ابنا ... ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنا . ودعت اسمه موسى وقالت : إنى انتشلته من الماء» خروج ٢ : ١ ، ١٠ .

يأخذ من حركة « إخناتون » جسراً إلى حركة « موسى » فى إعلان مذهب التوحيد . . .

وذهب فرويد إلى أبعد من ذلك فى فروضه بزعمه أن موسى كان مصرياً ولم يكن من اللاويين كما جاء فى التوراة(١) .

وفرويد يجعل من موسى بطلا غير وجه التاريخ ، ويزعم فرويد أن موسى قد تأثر بمذهب الوحدانية التى ظهرت بين يدى إخناتون .

ويقر الدكتور أحمد بدوى فى كتابه « فى موكب الشمس » أن المصريين قد عرفوا الوحدانية وآمنوا بها ، ودانوا دينها ، بل عرفوا أن الله واحد لا شريك له ، ولكنهم لم يعلنوا أمر ذلك دفعة واحدة ، لأنهم كانوا أوفياء للقديم .

فهم يعرفون كيف نشأت عقائدهم الأولى متفرقة فيما سكنوا من أقاليم هذا الوادى ، وكيف كان أهل كل إقليم يتعصبون لمعبودهم ويدخرون له كثيراً من الوفاء مهما تقادم العهد عليه ، ويفعلون الأعاجيب فى ربطه بالإله الأعظم الذى يدين له كافة الناس .

وكان من المنطق أن إبراهيم الذى هجر أرضه وعشيرته احتسابا لله وحده لا يرضى إلا بأرض تعرف الله الواحد الأحد . ومصر التى تدين بدين التوحيد استهوت فى مختلف العصور أولئك الآباء والأنبياء والرسل الذين هاجروا إليها ، إما طلبا للزاد ، كما هاجر إليها إبراهيم(٢) ويعقوب(٣) والأسباط(٤) ،

(١) خروج ٢ : ٢ « فحبلت المرأة وولدت ابنا » .
(٢) تك ١٢ : ١٠ — ٢٠ ، ١٣ : ١ — ٤ .
(٣) تك ٤٦ : ١ — ٧ . (٤) تك ٣٩ : ١ .

وإما للالتجاء والاحتماء بها من عدوان غادر كما التجأت إليها مريم وابنها المسيح[١] .

والقرآن الكريم ينبئنا بأن معرفة الله الواحد كانت ظاهرة حتى أن امرأة فرعون قالت : « رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين »[٢] ، ومن ثم فإن الله أكرم شعب مصر: «مبارك شعبى مصر »[٣] .

ومن الظواهر العامة فى حياة الإنسانية أن العقائد قد مرت فى حياتها بأطوار ثلاثة :

طور التعدد . . . وطور الترجيح . . . وأخيراً طور الوحدانية .

فكان الناس فى الطور الأول يتخذون لأنفسهم أرباباً مختلفة[٤] ، فلكل قبيلة رب ، ولكل أسرة رب أحيانا ، وتلك نزعة تلائم حياة الناس ومنطقهم ، إذ لم يكن الناس قد ألفوا بعضهم بعضا ، ولم تكن النظم الاجتماعية التى تقرب بين القبائل والجماعات قد نشأت[٥] .

أما الطور الثانى ، وهو طور التغليب والترجيح ، فقد عكف الناس فيه على عبادة أربابهم ، وغلبوا عليها واحدا منها فأبرزوه ، ورفعوه إلى عرش الزعامة لأسباب قد يكون مرجعها سياسياً كأن تبلغ قبيلة المعبود مكان الصدارة والزعامة بين القبائل : « عندما تسمعون صوت الناى . . . أن تخروا

---

(١) متى ٢ : ١٤ — ٢١ .
(٢) سورة التحريم : ١١ .
(٣) إشعياء ١٩ : ٢٥ .
(٤) تك ٣١ : ٣٠ .
(٥) داجون إله الفلسطينيين ١ صم ٥ : ٢؛ « عشتورث إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ... وكموش رجس الموآبيين » ١ مل ١١ : ٥ — ٧ .

وتسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه نبوخذ نصر الملك ، ومن لا يخر ويسجد ففى تلك الساعة يلقى فى وسط أتون نار متقدة»[١]. وقد يكون مصدرها فكريا حيويا كأن يؤمن الناس بقدرة المعبود على تحقيق مطالبهم التى تتصل بالرزق والعيش وبأسباب الحياة[٢] .

أما الطور الثالث فهو طور النضج فى حياة الشعوب ، وفيه يكمل تفكيرها السياسى والاجتماعى ، فتنزع الأمة إلى توحيد الفكر والجهد ثم تجتمع على عبادة واحدة ، وتتجه إلى إله واحد لا شريك له ، وتحاول غالبا أن تفرض عبادتها على من يجاورها من أمم الأرض كما تفرض السياسة تماما .

تلك أمور معروفة أقرها التاريخ بعد أن حققها علماء المقابلة بين الأديان أو البحث فى أصولها وتطويرها .

تعريف الله « أدوناى » :

كان المصريون يعبدون الشمس ويسمونها بأسماء مختلفة أشهرها وأظهرها «آتوم» ومعناها «الكامل» . وكان «آتوم» يشبه عند أصحاب أديان السماء « آدونيس أو آدون » الذى يمثل البعث فى الطبيعة عند أهل الشرق ويرمز له بالربيع .

وزعم الإغريق أن « أدونيس » Adonis من أبناء الملوك وكان فتى جميلا افتتنت به « أفروديت » وشغفها حبا حتى حسده « آرس » Aris وامتلأ قلبه كرها له وحقدا عليه .

وأدونيس معبود أهل الشرق أقرب إلى أوزيريس منه إلى آتون لاتفاق الأسطورة بينهما رواية وفلسفة .

---

(١) دانيال ٣ : ١ — ٦ .

(٢) خروج ١٤ : ١٥ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ ؛ خروج ١٦ : ٤ ؛ خروج ١٧ : ٥ ، ٦ ، ١١ .

وقد كان الإسرائيليون عملا بالوصية الثانية : « لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا »[١]، يتحاشون التردى فى الباطل بعدم ذكر لفظ الجـــلالة « الله » بإبداله بلفظة « أدوناى » ومعناها الرب .

حول فكرة الخلود :

طمحت النفس البشرية إلى الخلود منذ وجدت فى هذا الكون ، ولقد كان الخلود فى نظر النفس المصرية فى الاسم والذكر ، ومن ثَمّ أقام المصريون القبور على الروابى العالية ، وأنهضوا الأهرامات من قلب الأرض تطاول السماء ، وحفروا الرسوم بمختلف الألوان على جدران المعابد والقبور ، وكلها تحمل اسم الميت وصوره ومختلف أعماله لتذكره الأجيال على مر السنين وتقرأ من حوله أعماله ومفاخره ، ولعلها قدرت مؤملة أن يكون فى حفظ الجسد بعد الموت مايسهل على الروح الاهتداء إليه فى عالم القبور ، ولقد نهج بنو إسرائيل هذا النهج [٢] .

وتزعم التوراة أن آدم عليه السلام أراد الخلود لنفسه بعد أن أكل من الشجرة المنهى عنها ، فطرده الله من الجنة خشية أن يأكل من شجرة[٣] الحياة فيحيا إلى الأبد . ويذكر القرآن الكريم أن الخلود كان أحد المغريات التى أغرى بها إبليس آدم ليأكل من الشجرة[٤] .

وتتأجج الرغبة فى الخلود فتحكى لنا التوراة أن الأرض كلها كانت لسانا واحداً ولغة واحدة ، واتفق الناس على بناء مدينة وبرج رأسه فى السماء لئلا

---

(١) خر ٢٠ : ٧ .
(٢) تكوين ٥٠ : ١ — ١٣ .
(٣) تك ٣ : ١ — ٧، ٢٢ — ٢٤ .
(٤) طه : ١٢٠ — ١٢٢ .

يتبددوا على وجه كل الأرض : « فقال الرب : هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض» (١) .

التصديق بالأنبياء :

دعا الله موسى وحمله رسالة الهدى : « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » ، لكن موسى يقف من الله متسائلا : وكيف يصدقونني ؟ فيقول الله لموسى : «وماتلك بيمينك ياموسى؟ قال: هى عصاى»، وفى هذه العصا يكمن السر الإلهى لتأييد موسى فى عمله حتى يؤمن به بنو إسرائيل وغيرهم ، وتروى التوراة ماصنعه موسى بعصاه ذات السر العجيب ، فهـذا موسى يقود شعب إسرائيل هاربا من وجه فرعون فإذا بالعدو خلفه والبحر أمامه ، فيضرب البحر بعصاه فينشق ويهرب بنى إسرائيل وينغلق البحر على جنـد فرعون (٢) . وبالعصا ضرب موسى الصخر فانشقت الميـاه وارتوى بنو إسرائيل (٣) ، وبالعصا رفع موسى يده فانتصر إسرائيل على العمالقة (٤) ، مع أن المعركة كانت غير متكافئة .

وجاء يشوع خليفة موسى عليه السلام وعضده الله بالآيات والمعجزات، فتدوم الشمس ويقف القمر حتى ينتقم الشعب من أعدائه (٥) ، بل جعل الله ليشوع « تابوت الرب » عوضا عن عصا موسى فصنع به معجزة بانفلاق مياه الأردن وعبور بنى إسرائيل فى اليابسة (٦) .

وهذه المعجزات إنما كانت لتثبيت بنى إسرائيل على الإيمان بالله الواحد

---

(١) تك ١١ : ١ — ٩ .

(٢) خروج ١٤ : ١٥ ، ١٦ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) خروج ١٧ : ٥ ، ٦ .

(٤) خروج ١٧ : ١١ .

(٥) يشوع ١٠ : ١٢ — ١٤ .

(٦) يشوع ٣ : ٩ — ١٧ .

الأحد والنهج فى طريق الحق والحياة والسلام ، حتى أن المسيح نفسه لما صنع بقدرة الله معجزة إشباع الجموع (١) إنما فعل ذلك ليقود الناس لا إلى الخبز الذى أكلوه ، بل إلى خالق السموات والأرض العاطى كما وهب من قبل المن والسلوى لبنى إسرائيل فى البرية (٢) .

ومع هذه الآيات التى يجريها الله على أيدى أنبيائه إلا أن بنى إسرائيل سرعان مايتحولون ويشركون بالله فيصنعون لأنفسهم عجلا يتعبدون له ،(٣) ويأسى موسى لهذا الشعب فينعتهم بالتمرد ومقاومة الله (٤) .

وتزعم التوراة أن الله قال لموسى : « رأيت هذا الشعب ، وإذا هو شعب صلب الرقبة ، فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما » (٥) .

الوثنية فى ركاب الإيمان :

انقضت على إسرائيل فترة من الزمان منذ عهد إبراهيم إلى عهد المسيح بلغ مداها عشرون قرنا من الزمان فى هذه الرحلة الطويلة قبل الميلاد ، وتتابعت الأنبياء وتجاوز عددهم المئات ممن نعرفهم ومن لا نعرفهم حتى انتهى المطاف بهم إلى المسيح عيسى بن مريم الذى رأى الكهنة ورؤساء الشعب يتاجرون باسم الدين وباسم الله فنطق بقوله : « بيتى بيت الصلاة يدعى لجميع الأمم وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (٦) . ثم يذكر انحرافهم منذ عهد موسى عليه السلام بقوله : « يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم ، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى ؟ » (٧) .

---

(١) لوقا ٩ : ١٠ — ١٧ .
(٢) خروج ١٦ : ٤ .
(٣) خر ٣٢ : ١ — ٨ .
(٤) تثنية ٣٠ : ٢٧ .
(٥) خر ٣٢ : ٩ ، ١٠ ؛ ٣٣ : ٥ .
(٦) مرقس ١١ : ١٧ .
(٧) يوحنا ٥ : ٤٥ — ٤٧ .

إن بنى إسرائيل قد دانوا بعبادة الأسلاف ثم غمرتهم الوثنية زمانا ، فنظروا فى كواكب السماء ، وظواهر الطبيعة ، ثم فى الحيوان والحجر والشجر ، وظلوا غارقين فى الوثنية لم يخرجهم منها دعوة أبيهم إبراهيم ، ولا ظهور الأنبياء من أبنائه ، فعبدوا العجل[1] بعد أن توارثوا هذه العبادة من تقديس المصريين للحيوانات وهى إحدى خصائص الديانة الفرعونية منذ أقدم العصور . ولم تكن العبادة إلا لفرد واحد من النوع الذى يختارونه طبقا لمواصفات تحددها التقاليد وشعائر الدين ، ولعل ما جاء بسورة البقرة من تحديد وصف البقرة يؤكد مدى دقة انتخاب نوع الحيوان واختياره مطابقا لجميع المواصفات .

فلسفة عبادة الحيوانات المقدسة عند الفراعنة :

يذكر إيليانوس أن « مينا » هو الذى شرع عبادة العجل حب «أبيس» الذى يتجسم فيه إله الشمس فى أون « عين شمس » ، ويؤكد « حجر بالرمو » أن أول عبادة للعجل « أبيس » تقع فى أواخر الأسرة الأولى . وعند الكلام على العجل حب « أبيس » فى منف وعن كهانة هذا الثور المصورة فى نقش على جدار خارجى للمعبد ، يثبت النص المرافق لصورة هذه الكهانة أن الحيوان المقدس فى فقه الكهنة فى عهدى البطالمة والرومان ليس إلا علامة بها يعلن الإله مشيئته من علياء سمائه .

ولم تجد فى الشعب دعوة موسى إياهم إلى التوحيد ، فسرعان ما تمردوا ولقوا جزاءهم الفورى ، فأرسل الرب عليهم الحيات ، فلما تشفع فيهم موسى استجاب له الله فأمره أن يصنع حية نحاسية ويعلقها على الراية وأن يقول لبنى إسرائيل : كل من لدغ ونظر إليها يحيا[2] . ومع الأيام وفى عهد ملوك مملكة

---

(١) خروج ٣٢ : ١ — ٤ ، سورة طه : ٨٥ — ٩٢ .

(٢) عدد ٢١ : ٤ - ٩ .

إسرائيل ومملكة يهوذا أقاموا مذابح للبعل ووضعوا تمثال السارية فى البيت وفى أورشليم التى قدسها الله بأن وضع اسمه عليها[١]، وبنوا مذابح لكل جند السماء ، حتى أن الله يغضب على يهوذا وعلى إسرائيل ويقول : « وأرفض بقية ميراثى وأدفعهم إلى أيدى أعدائهم فيكونون غنيمة ونهبا لجميع الأعداء »[٢] .

وحتى فى زمن داود الذى أحبه الله كانت زوجة داود تحتفظ بتماثيل على صورة البشر وترمز بها إلى الله[٣] ، فلما جاء شاول الملك ليقتل داود عليه السلام وجد الترافيم ولم يجد داود الذى أوعزت إليه زوجه ميكال بنت شاول بالهرب من وجه أبيها .

ولقد أحسن إشعياء التعبير عن هذه الأمة بقوله : « هذا الشعب قد اقترب إلىَّ بفمه وأكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فأبعده عنى ، وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة ، لذلك هأنذا أعود أصنع بهذا الشعب عجبا وعجيبا . فتبيد حكمة حكمائه ويختفى فهم فهمائه .

« ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون: من يبصرنا ومن يعرفنا ؟ يا لتحريفكم ! هل يحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه : لم يصنعنى ؟ أو تقول الجبلة عن جابلها : لم يفهم ؟ ! »[٤].

فلسفة عبادة الحية النحاسية :

امتدت عبادة الحية النحاسية عبر الأجيال حتى فلسفها رجال اللاهوت

---

(١) ٢ مل ٢١ : ١ — ٩ .

(٢) ٢ مل ٢١ : ١٤ .

(٣) ١ صم ١٩ : ١٣ — ١٧ .

(٤) إشعياء ٢٩ : ١٣ — ١٦ .

بأنها رمز للفداء العظيم عن الجنس البشرى ، بحجة أنه كما بآدم صارت الخطيئة فإنه بالمسيح يصير الخلاص : « وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان لكيلا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (١) .

السلطة الدينية عبء على الشعب :

فمن أعماق تاريخ الفراعنة نجد أن الكهنة العظام قد أدوا دوراً كبيرا فى النزاع العائلى الذى تشابكت فيه الملكة حتشبسوت مع الچحامسة .

فلم يكن الكاهن الأعظم « حبو سنب » رئيسا لكهنة آمون وجميع كهنة آلهة مصر فحسب بل كان وزيرا أيضا ، وبذلك جمع فى يديه السلطان السياسى والسلطان الدينى .

وظل بنو إسرائيل يتمتعون بنظام الحكم الثيوقراطى من موسى إلى صموئيل حتى طلب الشعب تتويج ملك عليهم (٢) ، فساء الأمر فى عينى صموئيل ، ومع هذا فإن طريقة اختيار الملك تسير على النمط نفسه الذى يتبعه الكاهن الأعظم فى التسلط بدوره على الملك عن طريق الوحى الذى يعلنه تمثال الإله ، فتقدم إسرائيل بجميع أسباطه إلى صموئيل فأخذ شاول (٣) .

مهزلة الوحى الذى يعلنه تمثال الآله :

تنبئنا السجلات التاريخية بأن كاهن آمون الأكبر يعينه الإله بنفسه من حيث المبدأ ، ويعينه الملك من حيث الواقع ، وتجرى حفلة التنصيب على هذا النحو ، فإن الملك يتلفظ بأسماء المرشحين من الكهنة بحضرة تمثال الإله . وعندما يذكر اسم المرشح الذى عينه الملك يقر التمثال بحركة ليس من السهل

---

(١) إنجيل يوحنا ٣ : ١٤ ، ١٥ .
(٢) ١ صم ٨ : ١ — ٧ .
(٣) ١ صم ١٠ : ١٧ — ٢٤ .

تحديدها ، بل يبدو أن تمثال الإله كان يعلن مشيئته بالتقـــدم أو التقهقر طبقا للأحوال .

وعلى أى حال فإن مهزلة الوحى هذه كانت تسمح بتأكيد أن الإله ذاته هو الذى اختار حبره الجديد ، ثم يسلمه الملك السلطة التامة فورا وهو ينطق بهذه العبارات : « أنت كاهن آمون الأعظم ، كنوزه ومحاريبه وضعوا تحت خاتمك ، أنت رئيس معبده » .

وتتوافق هذه الظروف والنمط الذى جرى عليه إسرائيل فى عهد موسى لاختيار كاهنه ، إذ جمع اثنتى عشرة عصا بعدد أسباط إسرائيل ووضعت فى خيمة الشهادة ، فأفرخت عصا هارون لبيت لاوى[١] ، ومن ثمّ أصبح هارون كاهنا لبنى إسرائيل .

حقوق الكاهن وممتلكاته :

تعطى التوراة حقوقا مادية واسعة للكاهن : « قد أعطيتك حراسة رفائعي مع جميع أقداس بنى إسرائيل لك أعطيتها حق المسحة ولبنيك فريضة دهرية »[٢]، وحقوقا أدبية : «لاتسب الله ولا تلعن رئيسا فى شعبك ...»[٣].

وازدادت ثروة اللاويين ازديادا كبيرا عن طريق الحق المقدس فى ممتلكات الأحد عشر سبطا الآخرين : « قد أمر الرب على يد موسى أن نعطى مدنا للسكن مع مسارحها لبهائمنا ، فأعطى بنو إسرائيل اللاويين من نصيبهم حسب قول الرب هذه المدن مع مسارحها »[٤] .

وعلى النمط نفسه كانت ثروة كهنة آمون عبارة عن النصيب الذى يقرره الملك للإله من الإتاوات السنوية التى تجبى من البلاد الأجنبية والمستعمرات وترسل إلى مصر . أما الأراضى الزراعية فإن مساحتها كانت تزداد من عهد

---

(١) عدد ١٧ : ١ — ١١ .　　(٢) عدد ١٨ : ٨ .

(٣) خروج ٢٢ : ٢٨ — ٣٠ .　　(٤) يشوع ٢١ : ١ — ٣ ؛ عدد ٣٥ : ١ ، ٤ .

إلى آخر بفضل المشتريات وهبات الملك . وكان الإشراف على هذه الثروة يتطلب عدداً كبيراً من الموظفين العلمانيين ، لكن فى عهد الكاهن الأعظم « حبوسنب » لم تعد ممتلكات آمون يديرها علمانى يستطيع الملك أن يراقبه بعض المراقبة ، بل كان يديرها الكاهن الأعظم مباشرة ، فاستطاع بذلك أن يتصرف بحرية فى ثروة هائلة . ومن هنا جمع الكاهن الأعظم بين سلطتين خطيرتين: السلطة الروحية الممنوحة له بالحق الإلهى المقدس، والسلطة الزمنية فيما يسيطر عليه من ممتلكات واسعة ، ومن هنا تنشأ خطورة الطبقة الكهنوتية على الشعب ، ومن هنا كانت حيثيات الويلات التى أنزلها المسيح على الكهنة والفريسيين . . على الكتبة والناموسيين(١) .

السحر الديني وأثره فى تردى إسرائيل فى العصيان

إنه لمن الصعب فى الحضارة المصرية وهى مشبعة بالإيمان بما وراء الطبيعة ، أن نميز بين السحر وبين ممارسة الدين من ناحية دينية ، وبين السحر وبين العلم من ناحية علمية .

فالحق يقال إننا لا نجد الشواهد على السحر فى المعابد أو فى تصاويرها بل حتى فى شعائرعبادتها ، فقد كانت العبادة الرسمية تذكرالسحر عندالاقتضاء لعلم مشروع يعلمه الآلهة ويزاولونه ، لكنه لم يكن أساسا لها إذ كان غرضها العبادة ووسيلتها الصلاة .

ومن هنا نستطيع أن نتبين المنافسة الشديدة بين موسى وآيات الله معه ، والكهنة والسحر الذى مارسوه حتى أقروا واعترفوا بأن تفوق موسى عليهم إنما لأن تلك الآيات فيها « أصبع الله» (٢) .

---

(١) إنجيل متى ٢٣:١ — ٣٦ .　　(٢) خروج ٨:١٨، ١٩.

السحر الدينى والطقوس الجنائزية :

إن الطقوس الجنائزية تتميز بمجموعة من الصيغ والأفاعيل السحرية ألفها كهنة عين شمس وترمى إلى تعديل النظام القائم فى العالم الآخر بتعاويذ لا تقاوم بل وبالوعيد .

وتذكرنا التوراة بأن حزقيا مرض مرض الموت ، وجاءه إشعياء النبى قائلا له : «أوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش» ، فتضرع حزقيا إلى الله وأجابه الله بإشعياء قائلا : « هأنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة .. هأنذا أرجع ظل الدرجات الذى نزل فى درجات آحاز بالشمس عشر درجات إلى الوراء ، فرجعت الشمس عشر درجات فى الدرجات التى نزلتها »(١) .

وهكذا تقدر الصلاة فى زعمهم على تغيير ناموس الطبيعة .

وكان انتظام القرابين ضروريا للحياة الثانية بقدر ما كانت المحافظة على الجدث ، وإعداد القبر(٢) ، وأصبحت هذه القرابين مورد رزق للكهنة ، حتى أن المسيح عليه السلام ندد بهم بقوله : « انكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلواتكم ؛ لذلك تأخذون دينونة أعظم» (٣) .

وهذه الطقوس الجنائزية بقيت مع الزمن وتطورت بعد أن تسربت روحها إلى عادات وتقاليد لم تكن فى الأصل سحرية بالمعنى الحقيقى كعادات التحنيط والقرابين الجنازية .

---

(١) إشعياء ٣٨ : ١ — ٨ .

(٢) لعل عادة خروج النساء إلى المدافن ومعها الرحمات موروثة من هذه العقيدة الفرعونية القديمة .

(٣) متى ٢٣ : ١٤ .

السحر فى ركاب الأرواح :

كان للسحر دائما مكانة عالية فى كل طبقات المجتمع ، ويفسر ذيوعه فى وادى النيل الشهرة التى تمتع بها السحر المصرى ، عند الإغريق وعند الرومان وعند إسرائيل .

وقد جاء السحر فى سياق حياة شاول الملك ، إذ تقول التوراة إن الله قد تخلى عنه ، وإن الله اختار داود ملكا عوضاً عنه ، وان روحا رديئة باغتته ، وبينما داود يزداد روعة وانتصارا يتناقص شاول ويسير من سيء إلى أسوأ حتى زاحمته الأفكار وداهمته المصائب وغزاه الفلسطينيون ، فاستخار الله لكن الله حجب وجهه عنه فلم يجبه لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء ، فلم يجد شاول بدا من أن يبحث عن ساحرة لتصعد روح صموئيل نبى الله (١) ، ولم تفده الساحرة بشىء لأن قضاء الله بانكسار شاول واقع لامفر (٢) .

ويتخذ السحر للوقاية من الأرواح الشريرة والحيوانات الضارة والأمراض والعين ، ويؤدى هذا السحر فعله بتلاوة العزائم (٣) وحمل التمائم (٤) التى تمثل الآلهة أو بحمل رموز للآلهة أو بالعلامات الهيروغليفية التى تكتب بها أسماء الطيبات التى يراد الحصول على خيرها .

التقويم المصرى وأثره فى المواسم الدينية

إن الكهنوت الإسرائيلى أو الكهنوت المسيحى يعتمد اعتمادا كبيرا على التقويم الزمنى ، ولعل المدة الطويلة التى جاوزت أربعة قرون (٥) وقضاها

---

(١) ١صم ٢٨ : ٣ — ٢٠ . (٢) ١صم ٣١ : ١ — ١٢ .

(٣) شهدت التوراة بالحسد بين هابيل وقابيل (تك ٤ : ٣ — ٥) ، وبين يوسف وإخوته (تك ٣٧ : ٩ — ١١) ، وشهدت الآثار الفرعونية بالحسد مابين أوزيريس وأخيه ست . ونزلت الآيات القرآنية فى المعوذتين للاستعاذة من الحسد .

(٤) مازال بعض النساء المتعبدات يزين صدورهن بمايشبه التمائم كالأيقونة أو الصليب بينما النساء المسلمات يحملن رمزاً للقرآن الكريم .

(٥) أقام بنو إسرائيل فى مصر من عهد الأسرة الثانية عشرة إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

بنو إسرائيل فى مصر طبعتهم بالطابع المصرى فى نهجهم الاجتماعى والدينى .
وتذكر التوراة أن خروج بنى إسرائيل فى « شهر أبيب » (١) يتفق ونزول الوصايا العشر على بنى إسرائيل ومنها وصية تلزمهم بتقديس يوم من أيام الأسبوع وهو يوم السبت (٢)، وأحاطت الشريعة يوم السبت بقدسية معينة حيث يقام الحد على من يدنسه (٣)، وتروى التوراة أنه أقيم الحد فى عهد موسى على رجل كان يحتطب فى يوم السبت (٤)، وتؤكد الوصية تقديس يوم السبت فإن مدنسيه مثل تابعى الجان يلزم إقامة الحد عليهم (٥) .

وقد ورد فى سفر اللاويين فى الإصحاح الثالث والعشرين بيان مواسم الرب من المحافل المقدسة إلى عيد المظال ، وفى الإصحاح السادس عشر (٦) من السفر عينه بيان مواسم الاعتكاف ، وفى سفر التثنية عن موسم الفصح : «احفظ شهر أبيب واعمل فصحاً للرب.. » (٧). ومن ثم كان لهذه المواسم توقيت اعتمدوا فيه على التقويم المصرى .

والواقع أنه ما من شعب من الشعوب القديمة غير مصر الفرعونية استعمل تقويما ليست السنة فيه مجموعة شهور قمرية بل أساسها جريان الشمس وعودة الفصول فى أوقاتها . وهذا التقويم الذى فرضه يوليوس قيصر على العالم الرومانى بعد تعديل طفيف ، وأصلحه البابا جريجورى الثالث عشر فى القرن الرابع عشر الميلادى وأصبح تقويما عالميا ليس فى حقيقة أمره إلا التقويم الفرعونى القديم .

ففى المشاهدات الفلكية عند قدماء المصريين أن يوم ابتداء الفيضان الذى يقع دائما فى تاريخ ثابت، يصادف الطلوع الشمسى لنجم الشعرى اليمانية،

---

(١) خروج ٣٤ : ١٧ .
(٢) خروج ٢٠ : ٨ .
(٣) خروج ٣١ : ١٤ .
(٤) عدد ١٥ : ٣٢ — ٣٦ .
(٥) لاويون ١٩ : ٣٠ — ٣١.
(٦) لا ١٦ : ٢٩ — ٣٤ .
(٧) تثنية : الاصحاح السادس عشر.

أى اليوم الذى فى صباحه يطلع هذا النجم فوق الأفق فى وقت واحد مع الشمس وهو اليوم التاسع عشر من شهر يوليو ، حسب التقويم اليوليانى ، والسنة عندهم ٣٦٥ يوما وهى المدة التى تفصل بين شروقين شمسيين لنجم الشعرى اليمانية . وقسموها تحكما ، قياسا بلا شك على حساب قمرى إلى اثنى عشر شهراً ، فى كل منها ثلاثون يوما ، وأضافوا عليها خمسة أيام تكميلية هى أيام النسىء ، وقسموا الشهر إلى ثلاث مدد كل منها عشرة أيام ، وجمعوا الشهور كل أربعة فى وحدة أو فصل وهى : الفيضان ، والإنبات ، والقيظ . ويظهر من بيانات حجر بالرمو أن السنة كانت تسمى بمجرد انتهائها باسم أهم حادث وقع فيها .

ومن هذا نجد البيانات الواردة فى التوراة : « فى السنة التاسعة للملك فى الشهر العاشر فى عاشر الشهر جاء نبوخذ ناصر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم » (١). « وفى الشهر الخامس فى سابع الشهر وهى السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ ناصر ملك بابل جاء نبوز رادان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم » (٢) .

والحق أن هذه السنة المصرية كانت أقصر من الواقع بربع يوم ، ففى كل أربع سنوات تتأخر يوما عن السنة الشمسية المحصورة بين مطلعين شمسيين لنجم الشعرى . وهذا الفرق لم يكن محسوساً من الناحية العلمية إلا قليلا فى مدى جيل ، ولكنه برز واضحا على مر القرون وأصبحت فصول التقويم غير مطابقة للأعياد الدينية التى كانت قائمة على الظواهر الطبيعية .

هذا وفى نهاية ١٤٦٠ سنة عندما يبلغ التأخير عاماً كاملا تعود الأمور إلى الانتظام من تلقاء نفسها وتنطبق أقسام التقويم الرسمى تماما ولمدة أربعة أعوام على ما يقابلها فى التقويم الطبيعى .

---

(١) ٢ مل ٢٥ : ١ .

(٢) ٢ مل ٢٥ : ٨ .

والدورة اللازمة لعودة هـذا الاستقرار تسمى الفـترة الشعرية Periode Sothiaque.

ويعود وضع التقويم الفرعونى إلى فلـكيي مدينة منف وهى مدينة تأسست فى أوائل الحقبة التاريخية ، ومدينة عين شمس ، وكلتاهما تقع على خط عرض ٣٠° ، وقد ذكرت عين شمس فى أقدم النصوص كمركز دينى لعب دورا كبيرا فى الأزمنة الأسطورية . فإلى فلـكيي هذه المدينة يمـكن أن يعزى وضع التقويم المصرى .

يوليانى	فرعونى	سريانى	السنة القمرية
السنة الشمسية			
يناير	طوبة	كانون ثان	محـــرم
فبراير	أمشير	شباط	صفـــــر
مارس	برمهات	آذار	ربيع الأول
إبريل	برمودة	نيسان	ربيع الآخر
مايو	بشنس	أيار	جمادى الأولى
يونيو	بؤونة	حزيران	جمادى الآخرة
يوليو	أبيب	تموز	رجب
أغسطس	مسرى	آب	شعبان
سبتمبر	توت	أيلول	رمضان
أكتوبر	بابة	تشرين أول	شوال
نوفمبر	هاتور	تشرين ثان	ذو القعدة
ديسمبر	كيهك	كانون أول	ذو الحجة

التقويم وأثره فى الأعياد المسيحية :

أقر مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ م جعل عيد القيامة فى الأحد الذى يلى فصح اليهود بعد الاعتدال الربيعى . « وكلم الرب موسى وهارون فى أرض مصر قائلا : هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور ، هو لكم أول شهور السنة . . . ويكون لكم فى اليوم الأول محفل مقدس وفى اليوم السابع محفل مقدس لا يعمل فيهما عمل ما إلا ما تأكله كل نفس فذلك وحده يعمل منكم .. ويكون حين يقول لكم أولادكم : ما هذه الخدمة لكم ؟ أنكم تقولون : هى ذبيحة فصح للرب الذى عبر عن بيوت بنى إسرائيل فى مصر لما ضرب المصريين وخلص بيوتنا . نخرّ الشعب وسجدوا » (١).

وهكذا فإن عيد الصفح يربطهم أبد الدهر بمصر التى استضافتهم ٤٣٠ سنة. وأصدر الإمبراطور قنسطنطين منشوراً إلى كل كنائس المسكونة بضرورة الاحتفال بالفصح فى وقت واحد . وقد عهد آباء مجمع نيقية إلى بطريرك الكرازة المرقسية بالإسكندرية ، وهى التى كان بها أكبر مرصد فلكى فى عصره ، أن يحسب موعد العيد مقدما ويبلغه إلى سائر كنائس المسكونة ، فقام بمهمته خير قيام .

الأنبياء فى أسفار التوراة

عرضت أسفار التوراة لتاريخ العالم من يوم نشأته إلى قبيل بعثة المسيح ، فتكلمت بإجمال عن خلق السموات والأرض وخلق آدم وحواء وتاريخهما

---

(١) خروج ١٢ : ١ — ٢٧ .

فى الجنة وبعد هبوطهما منها ، وما حدث لنسلهما بعد ذلك ، وقصة نوح والطوفان ، وقصة أولاده الثلاثة : سام وحام ويافث ، وعرضت بشىء من التفصيل لتاريخ نسل سام ، وهو الذى ينتمون إليه ، وخاصة تاريخ إبراهيم وإسحق ويعقوب أو إسرائيل .

ثم تناولت بتفصيل كبير تاريخ بنى إسرائيل فى مختلف المراحل من حياتهم فى مصر وسيناء وبعد استقرارهم فى الأرض المقدسة ، وتاريخ من تولى شئونهم الدينية والسياسية من قضاة وملوك ولاويين وأحبار وربانيين ، ومن بعث فيهم من رسل وأنبياء ، وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى ، وما جرى بينهم وبين هذه الشعوب من اشتباكات وحروب أو مودة ووفاق ، وقد استغرق هذا القصص أكبر قسم من أسفار العهد القديم وقسما غير يسير من التلمود .

وقد لخص موسى تاريخ إسرائيل من إبراهيم عليه السلام حتى قيادة يشوع بن نون لشعب إسرائيل ليدخل بهم أرض كنعان فى الإصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التثنية ، كما استجدى ذكريات الماضى ومدى رحمة الله التى لم يقدرها بنو إسرائيل بسبب عصيانهم بمزموره الثامن والسبعين من سفر المزامير . كما واجه استفانوس (أحد أتباع المسيح) رؤساء الكهنة وحدثهم عن تسلسل الأنبياء من موسى إلى المسيح فى سفر الأعمال(١).

ومن هذه النصوص يستطيع المرء أن يلم بأمور جذرية تتعلق بالكيان الإسرائيلى لكن الأمر الذى يسترعى انتباهنا هو موقف إسرائيل من الأنبياء ،

---

(١) أ ع ٧ : ١ — ٣٥

فقد افتروا عليهم بأعمــال قبيحة تتنافى مع وضعهم الدينى والاجتماعى ، بل تتعارض مع الخلق الـكريم فى ذاته ، ولا يتصور صدورها إلا من سفلة القوم .

إنها مسائل خطيرة فى عالم الأخلاق ، لا ينبغى لرجال التاريخ أن يمروا بها دون نظر طويل ، وإمعان فى التفـكير ، وحذر فى الاستنتاج وتصويب الرأى ، وتحفظ فى الحـكم ، فليست هى من المسائل العادية ، وليس أمر تحقيقها والحـكم فيها بالشىء اليسير ، بل إنها تمس حياة الأمة المؤمنة ، فهى ليست قضية خاصة بإسرائيل ، وإنما هى قضية سلالة من أكرم السلالات . . سلالة نبوية أخذت على نفسها أن تنهض بالشعوب وتخرجها من الظلمات إلى النور ، وتفتح لها سبيل الرقى والتقدم .

أمة نبوية لا تريد الـكرامة لنفسها فحسب ، وإنما تريدها لمن جاورها من شعوب الأرض فتخلق فيهم ومنهم فى حوض البحر الأبيض المتوسط كتلة متماسكة الأطراف مجتمعة الصفوف ، قوية البناء عالية الرأس ، تتحدى أكبر قوات العالم بحيث لا ينازعها فى سياستها واستقامتها وهدايتها فى الشرق كله منـازع . ثم إنها ليست قضية واحدة ، فلقد وصل صلف إسرائيل ووقاحتهم أن ذكروا لوطا (١) عليه السلام بأنه تورط بالإثم مع ابنتيه اللتين أخرجهما الله من مائه ووضع نواتهما الأولى فى صلبه ، ويذكرون عن أخ تورط مع أخته التى خرجت معه إلى هذه الدنيا من صلب واحد ثم تـكون بناؤه مع بنائها فى رحم واحد ورضعت معه غذاء الحياة الأولى من ثدى واحد ، إنه إمنون بن داود :

---

(١) تـكوين ١٩ : ٣٠ — ٣٨ .

«فقالت له : لا ياأخى لا تذلنى ، لأنه لا يُفعل هكذا فى إسرائيل. لاتعمل هذه القباحة . . فلم يشأ أن يسمع لصوتها ، بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها » (١) .

ويذكرون أن يهوذا(٢) زنا بزوجة ابنه :« ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهوذا وقيل له : قد زنت ثامار كنتك وها هى حبلى من الزنا ، فقال يهوذا : أخرجوها فتحرق . أما هى فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة : من الرجل الذى هذه له أنا حبلى . وقالت : حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه . فتحققها يهوذا وقال : هى أبر منى » (٣) . وتذكر التوراة تورط الابن مع زوجة أبيه : «فماتت راحيل ودفنت فى طريق أفراتة التى هى بيت لحم. فنصب يعقوب عموداً على قبرها . وهو عمود قبر راحيل إلى اليوم . ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر . وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا فى تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل » (٤) ، كما نسبوا إلى داود أنه زنا ببثشبع زوجة أحد قواد جنده(٥). ونسبوا إلى سليمان أنه أحب نساء كثيرات أجنبيات كن السبب الأساسى فى تردى سليمان فى الخطيئة(٦) . مع أن الكتاب يذكر عن داود : « وجد داود بن يسى رجلا حسب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى » (٧) .

---

(١) ٢ صم ١٣ : ١٢ — ١٤ . (٢) تكوين ٣٨ : ١٣ — ٣٠ .

(٣) تكوين ٣٨ : ٢٤ — ٢٦ . (٤) تكوين ٣٥ : ١٩ — ٢٢ .

(٥) ٢ صم ١١ : ٢ — ٢٧ « هذه بثشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها . ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى » وكانت الخطيئة مزدوجة : زنا نفس بريئة .

(٦) ١ مل ١١ : ١ — ٩ . (٧) أعمال الرسل ١٣ : ٢٢ .

هذا الانحراف فى شعب إسرائيل وسوء تقديره للأنبياء جعله ينظر إلى الحياة نظرة تحرره من الارتباط بالقيم الأخلاقية وبالمثل الإنسانية العليا ، فاتخذ من التلمود ركيزة لانحرافه ، إذ جاء فى التلمود :

١ — اليهودى لا يخطىء إذا اعتدى على عرض الأجنبية .

٢ — لليهود الحق فى اغتصاب النساء غير المؤمنات ، أى غير اليهوديات.

ثم ينظر إلى تعامله مع الشعوب نظرة نفعية قد يهب عرضه قربانًا لها ، كما يقرر التلمود :

٣ — يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء ، وأن ندخل أبناءنا فى الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا فى الدول وأعمالها ، فنفتنهم ونوقع بينهم وندخل عليهم الخوف ليحارب بعضهم بعضا ، وفى ذلك كله نجنى الفائدة .

وهذه الوقائع إنما تدل على خسة فى نفوسهم وعلى ما جبلوا عليه من جبن وخوف .

ومن هنا كان الخوف وازع الإنسانية الأول ، ومعلمها ، فهو الذى يدفعها إلى الشر ، وهو الذى يسوقها إلى ركاب الخير . والناس فى سبيل الحياة لا يسعون — مدركين — إلا إلى خير أنفسهم ، يفعلون ذلك من أجل متاعهم ونجاتهم من الشر ، وفى سبيل ذلك يهون على النفس البشرية كل صعب ، وتذلل أمامها العقبات ، وتنفك عنها القيود ، بل إن النفس لتنكر الحقائق وتكذب الواقع وتتجاهل طبيعة الأشياء أحيانا ، فتطلب من التاريخ ما ليس فيه ، وتحمل الأشياء ما ليس فى مقدورها ، وتكلف الأيام ضد طباعها ، وتفعل الأعاجيب فى سبيل إرضاء عواطفها .

ومن هنا انبثقت الصهيونية لاتقوم على أسس دينية ، بل على مبادىء تناقض العدل والحق والرحمة والأخلاق والفضيلة، مبادىء: الغاية تبرر الواسطة . فأين هم من شريعة الله التى تقرر « لا يدخل ابن زنا فى جماعة الرب »(١)، « لا تكن زانية من بنات إسرائيل »(٢)، « لا يدخل عمونى ولا موآبى فى جماعة الرب »(٣) ؟!

ومن دراستنا للأنسال حسب كتابة متى فى إنجيله فى الإصحاح الأول نجد أن:

١ — يهوذا ولد فارص من ثامار ، وقد سجلت التوراة حادث الزنا فى سفر التكوين(٤) .

٢ — سلمون ولد بوعز من راحاب ، وقد سجلت التوراة حادث الزنا فى سفر يشوع(٥) .

٣ — داود ولد سليمان من بتشبع التى كانت زوجة لأوريا ، وقد سجلت التوراة حادث الزنا فى سفر صموئيل(٦) .

أما نص سلسلة الأنسال فهى « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم . إبراهيم ولد إسحق، وإسحق ولد يعقوب ، ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار ، وفارص ولد حصرون ، وحصرون ولد أرام ، وأرام ولد عميناداب ، وعميناداب ولد نحشون ، ونحشون ولد سلمون ، وسلمون ولد بوعز من راحاب ، وبوعز ولد عوبيد من راعوث ، وعوبيد ولد يسى ، ويسى ولد داود الملك ، وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا »(٧) . « فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلا ، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا »(٨) .

---

(١) تث ٢٣ : ٢ .

(٢) تث ٢٣ : ١٧ .

(٣) تث ٢٣ : ٣ .

(٤) تك ٣٨ : ١٣ — ٣٠ .

(٥) « ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب » يشوع ٢ : ١ .

(٦) ٢ صم ١١ : ٢ — ٢٧ .

(٧) متى ١ : ١ — ٦ .

(٨) متى ١ : ١٧ .

ومع أن التوراة حرمت المصاهرة بالعمونيات والموآبيات، إلا أننا نجد أن بوعز تزوج براعوث، وأن شيوخ إسرائيل باركوا هذا الزواج: «فأخذ بوعز راعوث امرأة ..ودخل عليها فأعطاها الرب حبلا فولدت ابنا وسمته الجارات عوبيد هو أبو يسى أبي داود»[١]. «فقال جميع الشعب الذين فى الباب والشيوخ: نحن شهود فليجعل الرب المرأة الداخلة إلى بيتك كراحيل وكليئة اللتين بنتا بيت إسرائيل، وليكن بيتك كبيت فارص الذى ولدته ثامار ليهوذا من النسل الذى يعطيك الرب من هذه الفتاة»[٢]. وهنا يبدو الخلاف الكبير الجوهرى بين نصوص الشريعة وممارستها، وبين نور الحق فيما جاءت به الوصايا وظلمات الباطل والزيف والتحريف فيما جاء بقصصهم، وهذا مصداق لقوله تعالى: «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به»[٣]. وشاء الله أن يرد للأنبياء كرامتهم وعصمتهم فأنزل كلماته قائلا: «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين»[٤]، وقوله تعالى: «لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب، ما كان حديثا يفترى، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»[٥].

الكيان السياسى والروحى

تحقيق تاريخى لعهد القضاة:

إن عهد القضاة يتميز بالنظام القبلى حسبما رسم يثرون لموسى، إذ أوصاه أن يقيم عليهم «رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء خماسين ورؤساء عشرات»

---

(١) راعوث ٤ : ١٣، ١٧.

(٢) راعوث ٤ : ١١، ١٢.

(٣) المائدة : ١٣.

(٤) هود : ١٢٠.

(٥) يوسف : ١١١.

فيقضون للشعب كل حين ، ويكون أن كل الدعاوى الكبيرة يجيئون بها إليك ، وكل الدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها ، وخفف عن نفسك فهم يحملون معك» (١) .

ومارس موسى هذا النظام حتى أنه حين صعد إلى الرب «صعد ومعه هارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل . فرأوا الله وأكلوا وشربوا » (٢) .

ولا غرابة فى عقيدتهم برؤية الله فإنهم يتصورون الله بصور عجيبة حتى أن تلمودهم يقول : « إن الله ليس معصوما من الطيش ، لأنه حين يغضب يستولى عليه الطيش ، كما حدث أن غضب من بنى إسرائيل فى الصحراء وحلف أن يحرمهم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك بعد إفاقته ولم ينفذ ذلك القسم ، لأنه عرف أنه يخالف العدالة » . ومن هذه العقيدة تزداد مشكلة إدانة إسرائيل تعقيدا .

ولقد تتابع حكام على إسرائيل بعد موسى يعرفون بالقضاة انتهوا بعهد شمشون ثم أمسوا و « لم يكن ملك فى إسرائيل ، كل واحد عمل ما حسن فى عينيه »(٣) حتى مجىء عالى الكاهن فصموئيل الكاهن والنبى . وأهم هؤلاء القضاة هم الآتية أسماؤهم بعد ، وبينهم حكام كنعانيون وفلسطينيون من ١١٥٤ — ١٠٠٠ ق . م :

---

(١) خر ١٨ : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) خر ٢٤ : ٩ — ١١ .

(٣) قضاة ٢١ : ٢٥ .

الاسم	الأحداث	السند	نوع الحكم	السند	مدة الحكم
يشوع بن نون	تقسيم الأرض	يش ١٤:١،٧	حرب مقدسة	يش ٢٤:٢٩	٣٠
عثنئيل بن قيناز	فناء الأمة اليهودية	قض ٢:١١ـ١٤	حرب ضد آرام	قض ٣:٩،١١	٤٠
أهود بن جيرا	« « «	قض ٣:١٢	حرب ضد عمون وموآب	قض ٣:٣٠	٨٠
دبورة النبية	« « «	قض ٤:١	حرب ضد كنعان	قض ٤:٢٤	٤٠
جدعون	« « «	قض ٦:١	حرب ضد مديان	قض ٧:٢٥	٤٠
أبيمالك	« « «	قض ٧:٣٣،٣٤	حرب ضد شكيم	قض ٩ : ٤٠	٣
يفتاح	« « «	قض ١٠:٦	حرب ضد عمون وموآب	قض ١١:٣٣	٦
شمشون	« « «	قض ١٣:١	حرب ضد الفلسطينيين	قض ١٦:٣٠	٢٠

ومن أبرز معالم هذا العهد أن إسرائيل سرعان ما ترددوا فى الخطيئة : « وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب وعبدوا البعليم والعشتاروث وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه »[1] .

ثم يصرخون إلى الرب وتنبئنا التوراة : « فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب قائلين : أخطأنا إليك لأننا تركنا إلهنا وعبدنا البعليم ، فقال الرب لبنى إسرائيل : أليس من المصريين والأموريين وبنى عمون والفلسطينيين خلصتكم؟!

(١) قض ١٠ : ٦ ، ٧ .

والصيدونيون والعمالقة والمعونيون قد ضايقوكم فصرختم إلىّ فخلصتكم من أيديهم . وأنتم قد تركتمونى وعبدتم آلهة أخرى ، لذلك لا أعود أخلصكم»[١].

ونرى هنا شعباً يندم وإلها يتوعد ، لكنهم يزدادون ندامة فيتألم لهم : « امضوا واصرخوا إلى الآلهة التى اخترتموها لتخلصكم هى فى زمان ضيقكم ، فقال بنو إسرائيل للرب: أخطأنا فافعل بنا كل ما يحسن فى عينيك . إنما أنقذنا هذا اليوم ، وأزالوا الآلهة الغريبة من وسطهم وعبدوا الرب ، فضاقت نفسه بسبب مشقة إسرائيل »[٢] ، فأرسل لهم « يفتاح الجلعادى جبار بأس وهو ابن امرأة زانية ... ثم عبر يفتاح إلى بنى عمون لمحاربتهم فدفعهم الرب ليده »[٣].

ومن عجب أن الوصية كانت تحذرهم من الامتزاج والاختلاط : « احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض ، فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك فتزنى بناتهم وراء آلهتهن ويجعلن بنيك يزنون وراء آلهتهن »[٤]. لكن التوراة تؤكد أن بنى إسرائيل عاشوا بين شعوب الأرض من الكنعانيين وغيرهم ولم يقووا على استئصالهم ، وكأن هذه الشعوب قد أراد الله أن تظل فى أوطانها لتطهير بنى إسرائيل وامتحانهم .

فترة الانتقال :

ظل بنو إسرائيل بلا ملك حتى إقامة شاول ملكا عليهم . وفى هذه الفترة قضى لإسرائيل كاهنان هما عالى ، وصموئيل ، وكانا يقضيان لإسرائيل

---

(١) قض ١٠ : ١٠ — ١٣ .

(٢) قض ١٠ : ١٤ — ١٦ .

(٣) قض ١١ : ١ ، ٣٢ .

(٤) خر ٣٤ : ١٥ ، ١٦ .

تحت إلهامات ربانية ، وكانا يسيران فى طريق الرب تماما ، وفى عهدهما تألب على بنى إسرائيل سكان الأرض .

وقد وصل الفساد بالأمة الإسرائيلية زمان عالى الكاهن حتى أنهم فى حروبهم مع الفلسطينيين قد استعانوا بتابوت عهد الرب . لكن الله قد تخلى عنهم وانكسروا : « فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل . وهربوا كل واحد إلى خيمته ، وكانت الضربة عظيمة جدا وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل ، وأخذ تابوت الله ومات ابنا عالى حفنى وفينحاس »(١) ، وشتان بين معركتين : معركة ينتصر فيها إسرائيل مستعينين بتابوت الله : « فبكر يشوع فى الغد وحمل الكهنة تابوت الرب . . . ان يشوع قال للشعب : اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة فتكون المدينة وكل ما فيها محرما للرب . راحاب الزانية فقط تحيا هى وكل من معها فى البيت ، لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما »(٢) ، ومعركة ينهزم فيها إسرائيل وهم قد استعانوا بتابوت الله حتى أنهم قالوا : « قد زال المجد من إسرائيل لأن تابوت الله قد أخذ »(٣) .

ثم يطلب الشعب ملكا ليملك عليهم فيقيم لهم صموئيل — شاول ملكا عليهم ، ويحارب شاول الفلسطينيين وينكسر أمامهم : « واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماة رجال القسى فانجرح شاول جدا . . فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله فى ذلك اليوم معا . ولما رأى رجال إسرائيل الذين فى عبر الوادى والذين فى عبر الأردن أن رجال إسرائيل قد هربوا وأن شاول وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا ، فأتى الفلسطينيون وسكنوا بها »(٤) .

---

(١) ١ صم ٤ : ١٠ ، ١١ .
(٢) يشوع ٦ : ١٢ ، ١٦ ، ١٧ .
(٣) ١ صم ٤ : ٢١ .
(٤) ١ صم ٣١ : ٣ ، ٦ ، ٧ .

وظلت أرض كنعان موضع شد وجذب من قبل الفريقين اللذين أغارا عليها من خارج — الفلسطينيين والإسرائيليين — حتى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد على وجه التقريب ، وهذا هو التاريخ الذى يعينونه لاستيلاء الملك الإسرائيلى داود على بيت المقدس . لقد هزم الفلسطينيين ، وفتح أرض كنعان ، وتقدم بالتالى للاستيلاء على الدويلات الصغيرة المجاورة الواقعة إلى الشرق من فلسطين : « آدوم ، ومؤاب ، وعمون ، وجلعاد » .

وبلغ حكم داود كله أربعين سنة : « وكان الزمان الذى ملك فيه داود على إسرائيل أربعين سنة . فى حبرون ملك سبع سنوات ، وفى أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة ، وجلس سليمان على كرسى داود أبيه وتثبت ملكه جدا »[١]. وحكم ابنه سليمان أربعين سنة : « وكانت الأيام التى ملك فيها سليمان فى أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة »[٢]. وفى عهد سليمان تم بناء الهيكل ، وكان عصره العصر الذهبى لإسرائيل ، إذ كان الهيكل القبلة المقدسة لكل يهودى أنى كان . وفى الهيكل رفع سليمان دعاءه إلى الله قائلا : « إذا خرج شعبك لمحاربة عدوه فى الطريق الذى ترسلهم فيه وصلوا إلى الرب نحو المدينة التى اخترتها والبيت الذى بنيته لاسمك فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم »[٣]. وكان بالهيكل هذا تابوت عهد الرب : « وكان فى تابوت عهد الرب لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر »[٤] . وكان اللوحان مكتوبين بأصبع الله : « واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين »[٥] . لكن موسى فى غضبته بسبب عصيان بنى إسرائيل كسرهما

(١) ١ مل ١ : ١١ ، ١٢ .
(٢) ١ مل ١١ : ٤٢ .
(٣) ١ مل ٨ : ٤٤ ، ٤٥ .
(٤) ١ مل ٨ : ٩ .
(٥) خر ٣٢ : ١٦ .

فأمره الله : « قال الرب لموسى : انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين . فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما . . وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع . . . فخافوا أن يقتربوا إليه »(١) . ونحن لا نختلف معهم فى مقام الهيكل فإنه فى بقعة لها أقدس الذكريات... ذكريات صخرة المريا التى اشتراها داود من اليبوسيين وفعل كما أمره الله فبنى مذبحا حيث كان جده الأعلى إبراهيم قد بنى مذبحا قبل قرون عديدة . ومن ثَمَّ بنى سليمان بن داود هيكلا جميلا فى البقعة نفسها ، والمعتقد أن مذبح سليمان أمام الهيكل قد وضع فوق الصخرة .

عن قتادة رضى الله عنه قال : « كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام » رواه الطبرى . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَهَلَّ بِحَجَّة أَوْ عُمْرة من الأقصَى إلى المسجدِ الحَرَام غُفِرَ لَهُ مَا تقدَّم مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » رواه أبو داود وابن حبّان فى صحيحه . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تُشَدُّ الرحالُ إلاَّ إلىَ ثَلاَثةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِد الحرامِ وَمَسْجد الأقصَى ومسجدِى » رواه البخارى .

وكانت وصية الله لسليمان صريحة بقوله : « إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائى ولا تحفظون وصاياى فرائضى التى جعلتها أمامكم ، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها ، فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض

---

(١) خر ٣٤ : ١ ، ٢٩ — ٣٠ .

التى أعطيتهم إياها ، والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى ويكون إسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب ، وهذا البيت يكون عبرة كل من يمر عليه يتعجب ويصفر ويقولون : لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت ؟ فيقولون : من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذى أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها ؛ لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر »(١) .

كان حكم داود وسليمان معا (فى أورشليم) حوالى ثلاث وسبعين سنة ، ثم زالت المملكة من الوجود ، وتنسب التوراة إلى سليمان أنه أخطأ ، ولهذا قال الرب لسليمان : « من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك »(٢) .

وقد أعطى يربعام عشرة أسباط قائلا : « هأنذا أمزق المملكة من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط ، ويكون له سبط واحد من أجل عبدى داود ومن أجل أورشليم المدينة التى اخترتها من كل أسباط إسرائيل ، لأنهم تركونى وسجدوا لعشتورث إلهة الصيدونيين ولكموش إله الموآبيين ولملكوم إله بنى عمون ولم يسلكوا فى طرقى ليعملوا المستقيم فى عينى وفرائضى وأحكامى كداود أبيه »(٣) . وعلم سليمان بقضاء الله فازداد مقتا وحقدا : « وطلب سليمان قتل يربعام ، فقام يربعام وهرب إلى مصر ، إلى شيشق ملك مصر ، وكان فى مصر إلى وفاة سليمان »(٤) .

---

(١) ١ مل ٩ : ٦ — ٩ .
(٢) ١ مل ١١ : ١١ .
(٣) ١ مل ١١ : ٣١ — ٣٣ .
(٤) ١ مل ١١ : ٤٠ .

وبعد وفاة سليمان حوالى عام ٩٢٧ ق . م . تفسخت المملكة وانقسمت على نفسها إلى بلدين متعاديين : « وكانت حرب بين رحبعام ويربعام كل الأيام »(١). وفى أيام رحبعام ملك يهوذا « صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شىء وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها سليمان »(٢) .

لقد شكلت قبائل يهوذا مملكة يهوذا فى الجنوب : « فعصى إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم . ولما سمع جميع إسرائيل بأن يربعام قد رجع أرسلوا فدعوه إلى الجماعة وملّكوه على جميع إسرائيل . لم يتبع بيت داود إلا سبط يهوذا وحده»(٣). أما القبائل العشر الباقية فشكلت مملكة إسرائيل فى الشمال . وبدأت مملكة يهوذا من ٩٢٧ — ٥٨٦ ق . م . حتى السبى إلى بابل فى عهد نبوخذ نصر،وبدأت مملكة إسرائيل من ٩٢٧—٧٢٢ق.م. حتى استئصالهم فى زمن شلمناصر ملك أشور ، وكان بين المملكتين عداء مستحكم أقض مضجعهم ، وظهر بعنف بين آسا ملك يهوذا وبعشا ملك إسرائيل ، وبين امصيا ملك يهوذا ويوآش ملك إسرائيل ، واستولى ملك إسرائيل على كنوز الهيكل .

وفى عهد مملكة يهوذا استولى حزائيل ملك آرام على كنوز أورشليم ، ودفع آحاز ملك يهوذا الجزية إلى تغلث فلاسّر ملك أشور ، وفى زمن يوشيا تم العثور على سفر الشريعة وبدأت النهضة الدينية العظمى فى تاريخ إسرائيل،

---

(١) ١ مل ١٤ : ٣٠ .

(٢) ١ مل ١٤ : ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) ١ مل ١٢ : ١٩ ، ٢٠ .

لـكنها سرعان ما انتكست ، وصعد نبوخذ نصر فى عهد صدقيا ملك يهوذا واستولى على أورشليم ودمر الهيكل بعـــد نهب كنوزه وأحرق مدينة أورشليم كلها .

وفى عهد مملـكة إسرائيل صنع يربعام للأسباط العشرة عجلين من ذهب ليتعبد لهما إسرائيل ويصرفهما عن أورشليم . ومملـكة إسرائيل تتميز بالشر بأبشع صوره .

وتيقظت إسرائيل فى عهد ياهو بن نمشى ، وبدأت نهضة دينية عظمى ولـكنها سرعان ما انتكست واستمرأ الشعب العصيان . وظهر أنبياء عظام فى السامرة منهم : إيليا الذى تحدى أنبياء البعل، واليشع الذى دفع عن إسرائيل خطر مداهمة ملك آرام لها بأن صنع دواء شفى قائد جيش آرام وملك آرام نفسه ، وتتعرض إسرائيل لمداهمة فول ملك أشور فى عهد منحيم ملك إسرائيل . ثم تعرضت البلاد لغزو تغلث فلا سر فى عهد فقح بن رمليا ملك إسرائيل، ثم تستأصل شأفتها فى عصر الملك هوشع بن أيلة إذ يصعد عليه شلمناصر ملك أشور وينفى إسرائيل من السامرة ويستبدل بهم أقواماً آخرين .

ويتميز عهد مملـكة إسرائيل ببناء السامرة إذ بناها عمرى ملك إسرائيل .

تحقيق تاريخي لملوك يهوذا

من سنة ٩٢٧ ق م . إلى سنة ٥٨٦ ق . م .

مسلسل	اسم الملك	توليته ومدة حكمه	السند الكتابي	أهم الأحداث	السند الكتابي
١	رحبعام	بعد وفاة سليمان أبيه	١ مل ١٢ :١	حرب بينه وبين يربعام ملك إسرائيل	١ مل١٢ :٢١— ٢٤
		حكم ١٧ سنة	١ مل ١٤ :٢١	بنوا مرتفعات وأنصابا وسوارى	١ مل١٤ :٢٢— ٤٢
٢	آسا	فى السنة العشرين ليربعام	١ مل١٥ :٩	حرب بينه وبين بعشا ملك إسرائيل	١ مل١٥ :١٦— ١٧
		حكم ٤١ سنة	١ مل ١٥ :١٠	معاهدة مع بنهدد ملك آرام ضد بعشا	١ مل١٥ :١٩
٣	يهوشافاط	فى السنة الرابعة لأخآب	١ مل ٢٢ :٤١	صالح أخآب ملك إسرائيل	١ مل٢٢ :٤
		حكم ٢٥ سنة	١ مل ٢٢ :٤٢		
٤	يوآش	فى السنة السابعة لياهو	٢ مل ١٢ :١	حزائيل ملك آرام يستولى على كنوز الهيكل	٢ مل١٢ :١٨
		حكم ٤٠ سنة	٢ مل ١٢ :١		
٥	أمصيا	فى السنة الثانية ليوآش	٢ مل ١٤ :١	مصالحة يهوآش ملك إسرائيل	٢ مل١٤ : ٨
		حكم ٢٩ سنة	٢ مل ١٤ :٢	غزو يهوآش لملك يهوذا واستيلائه على كنوز الهيكل وسبى أمصيا إلى السامرة	٢ مل١٤ :١١— ١٤
٦	عزريا	فى السنة السابعة والعشرين ليربعام	٢ مل ١٥ :١	ولم ينزع المرتفعات	٢ مل١٥ :٤
		حكم ٥٢ سنة	٢ مل ١٥ :٢	ضربه الرب بالبرص	٢ مل١٥ :٥
٧	يوثام	فى السنة الثانية لفقح بن رمليا	٢ مل ١٥ :٣٢	ولم ينزع المرتفعات	٢ مل٥ :٣٥
		حكم ١٦ سنة	٢ مل ١٥ :٣٣		

٨	آحاز	فى السنة السابعة لفقح بن رمليا	٢ مل ١٦:١	سار فى طريق يربعام بن نباط	٢ مل ١٦:٣،٤
		حكم ١٦ سنة	٢ مل ١٦:٢	معاهدة مع تغلث فلاسر ملك أشور ضد ملك آرام وملك إسرائيل	٢ مل ١٦:٧
٩	حزقيا	فى السنة الثالثة لهوشع بن أيلة	٢ مل ١٨:١	صعد سنحاريب ملك أشور وأخذ جزية.	٢ مل ١٨:١٣
		حكم ٢٩ سنة	٢ مل ١٨:٢	حزقيا يكشف لبرودخ بلادان بن بلادان ملك بابل عن كنوز الهيكل وكنوز المملكة	٢ مل ٢٠:١٢
				اشعياء يتنبأ بخراب الهكل وسبى يهوذا .	٢ مل ٢٠:١٦
١٠	منسى	حكم ٢٥ سنة	٢ مل ٢١:١	صنع شرور يربعام بن نباط .	٢ مل ٢١:٢—٩
				الانذار بخراب اورشليم ورفض يهوذا .	٢ مل ٢١:١٣—١٥
١١	يوشيا	حكم ٣١ سنة	٢ مل ٢٢:١	العثور على سفر الشريعة .	٢ مل ٢٢:٨
				يقظة دينية لكن لم تغن عن وقوع قضاء الله	٢ مل ٢٢:٤ — ٢٤ ٢ مل ٢٢:١٧ — ٢٠
				مصرع يوشيا وقهر نخو ملك مصر له .	٢ مل ٢٣:٢٩
١٢	يهوياقيم	حكم ١١ سنة	٢ مل ٢٣:٣٦	صعد نبوخذ نصر واستعبده	٢ مل ٢٤:١،٢
١٣	صدقيا	حكم ١١ سنة	٢ مل ٢٤:١٨	عمل الشر فى عينى الرب	٢ مل ٢٤:١٩
				صعد نبوخذ نصر واستولى على أورشليم	٢ مل ٢٥:١،٨

وبهذا تقوضت مملكة يهوذا سياسيا ولم يعد لها كيان على الإطلاق منذ سنة ٥٨٦ ق . م . وتنبأ عنهم إرمياء نبيهم وكان معاصراً للملك يهوياقيم والملك صدقيا بزوال دولة يهوذا « إرميا إصحاح ٢١ » .

تحقيق تاريخى لملوك اسرائيل

من سنة ٩٢٧ ق . م . إلى سنة ٧٢٢ ق . م .

مسلسل	اسم الملك	توليته ومدة حكمه	السند الكتابى	أهم الأحداث	السند الكتابى
١	يربعام بن نباط	بايعه إسرائيل ملكا	١ مل ١٢: ٢	عمل عجل ذهب ليحول دون ذهابهم إلى أورشليم	١ مل ١٢:٢٥ ـ ٢٨
		حكم ٢٢ سنة	١ مل ١٤:٢٠	نبوءة رجل الله بمولد يوشيا ملكا ليهوذا	
				يعمل على تطهير البلاد من الأرجاس	١ مل ١٣:٢ — ٥
٢	بعشا	فى السنة الثالثة لآسا	١ مل ١٥:٣٣	انتزاع بيت بعشا قصاصا للرجس الذى	
		حكم ٢٤ سنة	١ مل ١٥:٣٣	تفشى فى إسرائيل بسببه	١ مل ١٦:٣
٣	عمرى	فى السنة ٣١ لآسا	١ مل ١٦:٢٣	اشترى جبل السامرة وبنى مدينة السامرة	١ مل ١٦:٢٤
		حكم ١٢ سنة	١ مل ١٦:٢٣	سار فى طريق يربعام بن نباط	١ مل ١٦:٢٥
٤	أخآب	فى السنة ٣٨ لآسا	١ مل ١٦:٢٩	فاق يربعام فى الرجس والخطيئة	١ مل ١٦:٣١ـ٣٣
		حكم ٢٢ سنة	١ مل ١٦:٢٩	**ايليا يتحدى أنبياء البعل .**	١ مل ١٨:١٧ـ٤٠
٥	يهورام	فى السنة ١٨ ليهوشافاط	٢ مل ٣: ١	لصق بخطايا يربعام	٢ مل ٣: ٣
		حكم ١٢ سنة	٢ مل ٣: ١	اليشع يفدى إسرائيل بشفائه لنعمان	٢ مل ٥: ١ـ١٠
				وبشفائه بنهدد ملك آرام	٢ مل ٨: ١٠
				بنهدد حاصر إسرائيل سنوات	٢ مل ٦: ٢٤

٦	ياهو بن نمشى	خيانة فى إسرائيل ومصرع يهورام وأخزيا	٢ مل ٩:٢٣-٢٩	مذبحة أنبياء البعل	٢ مل ١٠:١٥-٢٧
		حكم ٢٨ سنة	٢ مل ١٠:٣٦		
٧	يهوآحاز	فى السنة ٢٣ ليوآش	٢ مل ١٣:١	حزائيل ملك آرام يحاصر إسرائيل	٢ مل ١٣:٣
		حكم ١٧ سنة	٢ مل ١٣:١		
٨	يهوآش	فى السنة ٣٧ ليوآش	٢ مل ١٣:١٠	حرب بينه وبين أمصيا ملك يهوذا	٢ مل ١٣:١٢
		حكم ١٦ سنة	٢ مل ١٣:١٠		
٩	يربعام	فى السنة ١٥ لأمصيا	٢ مل ١٤:٢٣	عمل الشر فى عينى الرب	٢ مل ١٤:٢٤
		حكم ٤١ سنة	٢ مل ١٤:٢٣		
١٠	منحيم	فى السنة ٣٩ لعزريا	٢ مل ١٥:١٧	عمل الشر فى عينى الرب	٢ مل ١٥:١٨
		حكم ١٠ سنوات	٢ مل ١٥:١٧	دفع جزية لفول ملك أشور	٢ مل ١٥:٢٠
١١	فقح بن رمليا	فى السنة ٥٢ لعزريا	٢ مل ١٥:٢٧	غزو تغلث فلاسر ملك أشور	٢ مل ١٥:٢٩
		حكم ٢٠ سنة	٢ مل ١٥:٢٧		
١٢	هوشع بن أيلة	فى السنة ١٢ لآحاز	٢ مل ١٧:١	غزو شلمنأصر للسامرة	٢ مل ١٧:٣
		حكم ٩ سنوات	٢ مل ١٧:١	استئصال إسرائيل واستبدال أقوام آخرين بهم	٢ مل ١٧:٢٤

« وفى السنة الرابعة للملك حزقيا وهى السنة السابعة لهوشع بن أيلة ملك إسرائيل صعد شلمنأصر ملك أشور على السامرة وحاصرها وأخذوها فى نهاية ثلاث سنين ، ففى السنة السادسة لحزقيا وهى السنة التاسعة لهوشع ملك إسرائيل أخذت السامرة وسبى ملك أشور إسرائيل إلى أشور، ووضعهم فى حلح وخابور ونهر جوزان وفى مدن مادى لأنهم لم يسمعوا لصوت الرب إلهم بل تجاوزوا عهده وكل ما أمر به موسى عبد الرب فلم يسمعوا ولم يعملوا »(١) .

ووضعت خاتمة يهوذا أيضاً إذ « عمل صدقيا الشر فى عينى الرب إلهه ولم يتواضع أمام إرميا النبى من فم الرب وتمرد أيضا على الملك نبوخذ ناَّصر الذى حلفه بالله وصلب عنقه وقوى قلبه عن الرجوع إلى الرب إله إسرائيل . حتى أن جميع رؤساءَ الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أورشليم . فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله مبكرا ومرسلا لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه ، فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء . فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده . وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعا إلى بابل . وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة . وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً »(٢) .

وهذه خاتمة يهوذا من أقوى الدعائم التى يؤمنون بها ولعلهم يفيقون ! !

---

(١) ٢ مل ١٨ : ٩ — ١٢ .

(٢) ٢خب ٣٦ : ١٢ — ٢٠ .

دالت، دولة يهوذا ومن قبلها إسرائيل لكن العداء الذى شغل ملوك المملكتين إبان عهدهما قد توارثته الأجيال حتى جاءت المرأة السامرية إلى المسيح خاتم أنبياء بنى إسرائيل تسأله قائلة : « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه. قال لها يسوع: ياامرأة صدقينى أنه تأتى ساعة لافى هذا الجبل ولافى أورشليم تسجدون لله ... الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا »(١) .

وقد جاءت الساعة إذ قال الله تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون »(٢) .

---

(١) يو ٤ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ .
(٢) البقرة : ١٤٤ .

دليل الرموز المستخدمة فى الكتاب

استشهدنا فى ثنايا الكتاب بنصوص كثيرة من الكتاب المقدس ، وقد لجأنا أحيانا إلى الرمز للأسفار التى أخذت منها هذه النصوص اختصارا للوقت والجهد ، وفيما يلى بيان بالرموز المستخدمة لأسفار العهد القديم والعهد الجديد .

١ – أسفار العهد القديم :

اسم السفر	الرمز	اسم السفر	الرمز
التكوين	تك	نحميا	نح
الخروج	خر	أستير	أس
اللاويون	لا	أيوب	أى
العدد	عد	المزامير	مز
التثنية	تث	الأمثال	مث
يشوع	يش	الجامعة	جا
القضاة	قض	نشيد الإنشاد	نش
راعوث	را	إشعياء	إش
صموئيل الأول	١صم	إرميا	إر
صموئيل الثانى	٢صم	مراثى إرميا	مراثى
الملوك الأول	١مل	حزقيال	حز
الملوك الثانى	٢مل	دانيال	دا
أخبار الأيام الأول	١خب	هوشع	هو
أخبار الأيام الثانى	٢خب	يوئيل	يوئيل
عزرا	عز	عاموس	عا

اســـم السفر	الرمز	اســـم السفر	الرمز
عوبديا	عو	صفنيا	صف
يونان	يونان	حجى	حج
ميخا	مى	زكريا	زك
ناحوم	نا	ملاخى	ملا
حبقوق	حب		

ب – أسفار العهد الجديد :

اســـم السفر	الرمز	اســـم السفر	الرمز
إنجيل متى	مت	الرسالة الأولى إلى تيموثاوس	١ تى
إنجيل مرقس	مر	الرسالة الثانية إلى تيموثاوس	٢ تى
إنجيل لوقا	لو	الرسالة إلى تيطس	تى
إنجيل يوحنا	يو	الرسالة إلى فليمون	فل
أعمال الرسل	أع	الرسالة إلى العبرانيين	عب
الرسالة إلى أهل رومية	رو	رسالة يعقوب	يع
« الأولى إلى أهل كورنثوس	١ كو	رسالة بطرس الأولى	١ بط
« الثانية إلى أهل كورنثوس	٢ كو	رسالة بطرس الثانية	٢ بط
« إلى أهل غلاطية	غل	رسالة يوحنا الأولى	١ يو
« إلى « أفسس	أف	رسالة يوحنا الثانية	٢ يو
« إلى « فيلبى	فى	رسالة يوحنا الثالثة	٣ يو
« إلى « كولوسى	كو	رسالة يهوذا	يه
الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكى	١ تس	رؤيا يوحنا	رؤ
« الثانية إلى أهل تسالونيكى	٢ تس		

أهم المراجع

(أ) مراجع عربية :

١ — القرآن الكريم

٢ — الكتاب المقدس — الطبعة الأمريكية / بيروت

٣ — قاموس الكتاب المقدس — الدكتور جورج بوست / بيروت

٤ — دائرة المعارف — المعلم بطرس البستانى

٥ — تاريخ الكامل — ابن الأثير

٦ — معجم البلدان — ياقوت الحموى

٧ — مصر — إيتيين دريوتون ، جاك فانديبه
تعريب : عباس بيومى ، أحمد بدوى

٨ — فى موكب الشمس — الدكتور أحمد بدوى سنة ١٩٥٠

٩ — تاريخ مصر « من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى » — هنرى بريستيد. تعريب : حسن كمال

١٠ — أوربا العصور الوسطى — الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

١١ — تاريخ مصر الحديث — جورجى زيدان

١٢ — كتاب الطبقات — محمد بن سعد كاتب الواقدى

١٣ — تاريخ الطبرى — أبو جعفر بن جرير الطبرى طبعة ١٨٩٩

١٤ — تاريخ ابن خلدون — ابن خلدون

١٥ — فلسطين ... جريمة... ودفاع — الدكتور أرنولد توينبى

١٦ — حرب السويس — بول جونسون

١٧ — مشكلة اليهود فى العالم الجديد — جيمس باركنز طبعة ١٩٤٦

الكتاب	المؤلف
١٨ — ثمن إسرائيل	ألفريد ليلينتال
١٩ — كيف ضاع الشرق الأوسط	ألفريد ليلينتال
٢٠ — أزيلوا . . إسرائيل	إيلين بيتى
٢١ — خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية	اللواء عبدالله التل
٢٢ — كارثة فلسطين	اللواء عبدالله التل
٢٣ — التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين	خيرى حماد
٢٤ — الطريق إلى السويس	ارسكين تشيلدرز. تعريب خيرى حماد
٢٥ — إسرائيل والدول الكبرى	الدكتور يحيي عويس
٢٦ — المزاعم الصهيونية فى فلسطين	فتحى فوزى عبد المعطى
٢٧ — فلسطين عربية	العقيد محمد فرج
٢٨ — الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام	الدكتور على عبد الواحد وافى
٢٩ — حياة محمد	الدكتور محمد حسين هيكل
٣٠ — إسرائيل والتلمود	إبراهيم خليل أحمد
٣١ — الفاتيكان وإسرائيل	أنيس القاسم

(ب) مراجع اجنبية :

1 . J. H. Breasted; " Ancient Time "
a History of the Early World 2 nd, Edition / London

2 . The Story of Civilization ; Will Durant
A. Caesar and Christ
B. The Age of Faith NeW York 1950

3 . J. H. Breasted ; " Ancient Records of Egypt" 5 vol , 1907
A History of Egypt from the earliest times to The Persian Conquest 2 nd, Edition , London

4 . Sigmund Frued ; Moses and Montheism 2 nd . edition translated from German by Katherine Jones , 1940 .

5 . History of The Jews; Gratz Philadalphia U. S. A. 1941 .

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

ابراهيم خليل احمد

إسرائيل فتنة الأجيال

العصور الحديثة

مكتبة الوعي العربي

ابراهيم خليل احمد

إسرائيل فتنة الأجيال

العصور الحديثة

مكتبة الوعي العربي
لصاحبها : رؤوف نعمان
٥ شارع كامل صدقي بالفجالة
تليفون ٩١٩٩٦٥

دار العهد الجديد للطباعة
كامل محمود مصباح
ت ٩٠٢١٩٣


بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع بدار الكتب
٤٦٠٠ لسنة ١٩٧٠

مقدمة

إن هذا السفر يبحث عن دور إسرائيل كفتنة خلال الأجيال فى العصور الحديثة ، وعن الصهيونية كأداة فى قبضة الإمبريالية ، وعن التآمر الإمبريالى الصهيونى ضد الوجود العربى ، وعن خديعة إنجلترا وفرنسا للعرب أثناء الحرب الكونية الأولى والثانية ، وعن وعد بلفور وملابساته ، وعن سياسة الاستعمار فى قيام إسرائيل من حيث :

١ — الانتداب الإنجليزى على فلسطين .

٢ — والإدارة البريطانية فى تهويد فلسطين .

٣ — وتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين .

٤ — وتشجيع انتقال الملكية من العرب إلى اليهود .

٥ — وإنشاء الوكالة اليهودية .

٦ — وإنشاء الكتائب الصهيونية وتسليحها وتدريبها .

٧ — ودخول أمريكا فى القضية لصالح الصهيونية .

٨ — وقرار التقسيم ووأد (حق تقرير المصير) .

٩ — واعتراف أمريكا بقيام دولة إسرائيل .

١٠ — ومبادرة «ترومان» إلى الاعتراف بها .

ثم عن مسئولية العرب فى قيام الدولة الصهيونية ، وعن تفكك العرب وتخاذلهم وتخلفهم عسكريا وسياسيا . ثم عن الصراع مع الصهيونية العالمية ومع إسرائيل ، وعن حرب عام ١٩٤٨ ، ثم عن العدوان الثلاثى الإنجليزى

الفرنسى الإسرائيلى على مصر عام ١٩٥٦ ، وعن العـدوان الإسرائيلى التوسعى على الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٧ .

ثم عن القرارات العربية لاسترداد أرض فلسطين ، وعن صداقة الدول المحبة للسلام وتأييدها للنضال العربى .

والكتاب ينقسم الى سفرين :

فالسفر الأول عن العصور القديمة ويشتمل على ثلاثة أبواب ، وبيانها كالآتى:

الباب الأول : عن الوجهة التاريخية والجغرافية للشرق الأوسط .

الباب الثانى : عن الوجهة الشعوبية والاجتماعية لإسرائيل .

الباب الثالث : عن الوجهة الدينية والاخلاقية لإسرائيل .

أما السفر الثانى الذى نحن بصدده عن العصور الحديثة فيشتمل على أربعة أبواب ، وهى:

الباب الأول : عن الوجهة السياسية والاقتصادية لإسرائيل .

الباب الثانى : عن المخطط الصهيونى . . . التغلغـل الصهيونى فى نيويورك ، وواشنطن .

الباب الثالث : عن دراسات تحليلية . . وعد بلفور . التقسيم . الانتداب

الباب الرابع : عن ظلال . . . جوهر . . . قرارات .

هذا هو الكتاب الذى أقدمه للعالم العربى إيماناً واحتساباً للقضية العربية مؤمناً بالنصر . ومن هنا لابد من وقفة تأمل وتبصير .

لقد جاء على الأمة الإسلامية لحظات انتكست فيها ، لكن الله قيّض للأمة رجالا حققوا لها انتصاراً عسكرياً وسياسياً غسلوا به أرجاس الطغاة.

ففي عهد الخلافة العباسية توغل « هولاكو » فى الأراضى الإسلامية حتى

تصدى له السلطان قطز الخوارزمى واستطاع أن ينزل به هزيمة مروعة فى واقعة (عين جالوت) عام ١٢٦٠ م

ومن قبل الزحف المغولى كان الغزو الصليبى الذى شمل حقبة من الدهر بلغ مداها قرناً ونصف قرن من الزمان من ١٠٩٧ – ١٢٥٠ م. ولم ير المسلمون وقتئذ إلا الاستسلام لمهادنتهم. وبلغ من تحدى الصليبيين لشعور المسلمين أنهم كانوا ينقضون المعاهدات حتى أن «أرناط» أمير حصن الكرك التابع لمملكة بيت المقدس جرّد حملة للاستيلاء على مكة، والمدينة، ونهب الآثار النبوية عام ١١٨٣ م، فتصدى له العادل أخو صلاح الدين، وأعد صلاح الدين جيشاً زحف به فى يونيو عام ١١٨٧ م، فاستولى على طبرية ثم زحف منها إلى حطين، ودارت معركة رهيبة أنزل فيها صلاح الدين من الهزائم بالصليبيين مالم يعهدوه من قبل، واستسلمت بيت المقدس فى أكتوبر عام ١١٨٧، واستمر صلاح الدين فى زحفه وانتصاراته حتى سقطت معظم المدن الصليبية التى هددت المسلمين.

فلا معنى لليأس إذن مع الحياة بل تصميم على الجهاد المقدس حتى يتحقق لنا النصر بإذن الله.

المحرم سنة ١٣٩٠ هـ
مارس سنة ١٩٧٠ م

ابراهيم خليل احمد

الباب الأول

الوجهة السياسية والاقتصادية لإسرائيل

اعرف عدوك :

يعتقد اليهود اعتقادا راسخا حسب ما يقرره التلمود « أنهم مساوون للعزة الإلهية » ولذلك تكون الدنيا بما فيها ملكا لهم ، ولهم عليها حق التسلط ، ولهم مطلق التصرف فى كل شىء .

وهم ينتظرون بفارغ الصبر الزمن الذى سيظهر فيه المسيح ، ولكن من هذا المسيح المنتظر ؟

إن المسيحيين يتوقعون مجىء المسيح[1] ، ولكنه المجىء الثانى ويشاركهم فى ذلك المسلمون ومجىء المسيح إنما هو علامة من علامات القيامة .

أما اليهود فإنهم ينتظرون مجىء المسيح ليملك على الأرض ويجعلهم سادة على العالم .

ومن هنا يتبين أن لكل وجهة يبنى عليها إيمانه وعقيدته ، واليهود فى وجهتهم إنما ينكرون رسالة المسيح عيسى بن مريم وشخصيته وهذا شأنهم دائما مع الأنبياء ، فلقد نسبوا إلى أنبيائهم والآباء تهما خطيرة تمس الشرف والكرامة ، ولا تتأتى من إنسان عادى . ولقد سبق أن ذكرت ما نسبوه إلى داود النبى مع أنه يناجى ربه قائلا : « يكافئنى الرب حسب برى . حسب طهارة يدى . يرد علىّ لأنى حفظت طرق الرب ، ولم أعص إلهى .. »[2] ويشهد الإنجيل بطهارة داود : « وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبى »[3] .

إذن فلكى تنجح فى إحباط مخططات عدوك ، ينبغى عليك أن تتقن جيدا طريقة تفكيره وأسلوبه فى العمل ، وبالتالى فإن عدم الجدية فى هذا المجال أو الاستهانة بالعدو من شأنه أن يزيد من احتمالات الفشل فى الانتصار على العدو ، وإلحاق الهزيمة به .

---

(١) متى ٢٣ : ٣٩ . (٢) ٢ صم ٢٢ : ٢١ — ٢٥ . (٣) أع ١٣ : ٢٢ .

أسباب الانتصار بين يديك :

يعتمد الصهيونيون على طاقات روحية مستمدة من وعود ربانية وردت في الكتاب المقدس منها وعيد ووعد لموسى عليه السلام جاء على لسان نحميا بأن الله يفرقهم في الأرض إذا عصوه ويجمع شملهم إذا رجعوا تائبين(١) .

وتجاهلوا قضاء الله المحتوم عليهم بسبب عصيانهم الذي تجاوز كل حد والذي أعلنهم به نبيهم إرمياء بأن الله أقسم بذاته أن يخرب هيكل سليمان(٢) وأن قسم الله بخراب أورشليم تأسس على حيثيات دقيقة للغاية فإن سفر الملوك وسفر أخبار الأيام يتحدثان عن تاريخ بني إسرائيل في عهد مملكة داود فمملكة سليمان فالمملكتين يهوذا وإسرائيل وإن هذه الممالك في عهودها وملوكها أثمت آثاما خطيرة منها : « تركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم عجلين وعملوا سوارى . . . . . »،(٣) ومن ثم فإن إعلان إرمياء بخراب أورشليم كان قصاصا عادلا (٤) « لأنهم ، تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها » ، حتى أن نبيهم أشعياء يتهكم عليهم بقوله لهم : « فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم ، وإن كثرتم الصلاة لا أسمع ، أيديكم ملآنة دما » (٥) .

وينقطع عنهم الأنبياء وينقطع عنهم الوحي ازدراء لشأنهم وتحقيرا لأمرهم منذ سبيهم إلى مملكة بابل ، وإن كان الله جلت حكمته عن الاستقصاء قد ردهم إلى أرض فلسطين في زمن كورش ملك فارس لغاية ربانية حتى يبعث فيهم المسيح عيسى بن مريم حكما مقسطا .

فلما جاءهم تنكروا له وتآمروا عليه وفتنوا الأمة وألبوا الوالي الروماني

---

(١) انظر نحميا ١ : ٨ — ١٠ . (٢) إرمياء ٢٢ : ٥ . (٣) ٢ مل ١٧ : ١٦ — ٢٠ .
(٤) إرمياء ٢٢ : ٨ ، ٩ . (٥) أشعياء ١ : ١٣ — ١٧ .

عليه حتى التصقت بهم جريمة الصليب باعترافهم الصريح : « دمه علينا وعلى أولادنا »(١) .

وأعلمهم المسيح بقضاء الله المحتوم الذى لا راد لقضائه بقوله : « هوذا بيتكم يترك لكم خرابا »(٢) .

وإذا كانت إسرائيل تعتمد على الوعد الممنوح لإبراهيم فإنهم وبالأولى كان ينبغى أن يلتزموا بالعهد لأنهم تنكروا للعهد وبالتالى سلب منهم الله الوعد ، وفى هذا يقول برنابا بما يعنى أن الله ما ينسخ من آية أو ينسها يأت بخير منها أو مثلها ، فيقول برنابا : « أجاب يسوع : كل ما ينطق على كتاب موسى فهو حق فاقبلوه . لأنه لما كان الله واحداً كان الحق واحداً ، فينتج من هذا أن التعليم واحد وأن معنى التعليم واحد . فالإيمان إذن واحد . الحق أقول لكم إنه لو لم يمح الحق من كتاب موسى لما أعطى الله داود أبانا الكتاب الثانى ، ولو لم يفسد كتاب داود لم يعهد الله بإنجيله إلىّ ، لأن الرب إلهنا غير متغير ولقد نطق الله رسالة واحدة لكل البشر »(٣) .

لقد مضى إسرائيل بعهوده السالفة إبان حكم القضاة حينما كان ظل العلى يظللهم حتى أن الشعوب حسبت حسابهم فصرخوا قائلين: «ويل لنا! من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة الذين ضربوا مصر بجميع الضربات فى البرية؟! »(٤) .

وليس هذا بعيداً على الله فى عنايته بأمته فهو يقول لنا : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

مضى ذلك العهد ، « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من

---

(١) انظر متى ٢٧ : ٢٠ — ٢٥ .
(٢) متى ٢٣ : ٣٧ — ٣٩ .
(٣) إنجيل برنابا ١٢٤ : ٥ — ١٠ .
(٤) ١ صم ٤ : ٦ — ٨ .

الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »(١) .

المواجهة العربية مع العدو :

إن معركة المواجهة المصيرية الدائرة بين الأمـــة العربية والعصابات الصهيونية يبدو منها مواجهة لعدو عريق فى أساليبه يخطط على مستوى دولى منذ زمن بعيد ، يدفعه إلى هـــذا عقيدة دينية ، ويحفزه على ذلك السعى للاستقرار ، فى أرض تـكون للإسرائيليين بمثابة الوطن تجمع شملهم ، وترفع عنهم ذل الشعوب وكراهيتهم لهم منذ الأزل . وماذا تفيد عقيدتهم الدينية الممسوخة وقد تخلى عنهم الله ، وماذا يفيدهم البـكاء وقد ورّث الله الأرض لأمة هى خير أمة أخرجت للناس ؟ !

لـكن الحسد يدفع بالحاسد إلى أن يعيش فى ظلمات بعضها فوق بعض ، فقد خطط هذا العدو لتحقيق هدف أساسى تحدد فى المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى فى مدينـــة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ : وهو ضرورة إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين كمرحلة لبناء دولة إسرائيل الـكبرى التى تمتد من الفرات إلى النيل .

وبهذا الوضوح القاطع يتبين لنا أن هدف هذه الحركة الصهيونية كان وما يزال فى إنشاء كيان يهودى توسعى استعمارى يمتد من فلسطين ليبتلع سوريا ولبنان والعراق والأردن ومصر .

وكان أسلوب العمل الذى استخدمته الصهيونية وصولا إلى هذا الهدف هو حشد القوى الاستعمارية بل وتجنيدها فى سبيل إخراج الحلم الصهيونى إلى حيز الوجود .

---

(١) البقرة : ٦١ .

ولم يكن اللقاء الذى تم عندئذ بين الصهاينة والمطامع الإمبريالية البريطانية فى ١٩١٨/١٢/٤ والمطامع الإمبريالية الأمريكية فيما بعد شيئاً عسيراً ، خاصة وأن الزعيم حاييم وايزمن أكد للورد بلفور وزير خارجية بريطانيا — وصاحب الوعد المشئوم « وعد بلفور » بإنشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين — أنه لا فرق بين الاستعمار الصهيونى والإمبريالية البريطانية . وصرح وايزمن بأنه أقنع لورد بلفور بأن ما يسمى بالاستعمار ليس إلا الصهيونية .

الامبريالية والصهيونية تتآمران :

وقد ثبت فيما بعد بالواقع والتاريخ أن اللورد بلفور كان مقتنعاً بوجود رابطة دم بين أهداف الصهيونية والاستعمار حتى قبل أن يعقد معه وايزمن هذا الاجتماع بدليل الوعد الذى سبق أن أعطاه بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فى ١٩١٧/١١/٢ ، وبدليل القرار الذى اتخذه مؤتمر لندن الاستعمارى عام ١٩٠٧ بالعمل على فصل الجزأين الإفريقى والآسيوى فى المنطقة العربية أحدهما عن الآخر ، وإقامة حاجز بشرى قوى وغريب فى نقطة التقاء هذين الجزأين يمكن للاستعمار أن يستخدمه فى تحقيق أغراضه !!

ويحدد القرار هذه الأغراض بأنها « تجزئة المنطقة والإبقاء على تفككها ، ومحاربة أى اتحاد يقوم بين أجزائها ، والسعى الدائب إلى تفسيخها عملياً وفكرياً وتاريخياً » ، وهكذا تحدد دور الصهيونية فى مؤتمر لندن وتحددت وظيفة « إسرائيل » قبل إنشائها بثلاثين سنة ، ألا وهى العمل الدائب على إشاعة الفرقة والتمزق فى أرجاء الأمة العربية .

تجربة فلسطين :

كانت تجربة فلسطين تأكيداً وتعزيزاً لذلك . ولقد صرح السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى هذا الصدد بقوله : فى سنة ١٩٤٨ صمم الاستعمار وصمم الطغاة الذين وقفنا وحاربنا معهم فى الحرب العالمية الأولى ، ووقفنا

وحاربنا معهم فى الحرب العالمية الثانية ، وكانت النتيجة أننا كنا الغنيمة فى هاتين الحربين وقفنا معهم وأمددناهم بجميع مطالبهم ، وكانت هذه المنطقة من العالم تعتبر منطقة إمداد وتموين لجيوشهم ، وكانت النتيجة أن سلب جزء عزيز من الوطن العربى ، وأعطى لإسرائيل لإقامة وطن قومى لهم .

دخلنا فلسطين سبع دول عربية ، ولكن سبع دول غير متحدة .. سبع دول متفرقة ، تفرق بينها الأطماع وتفرق بينها الأحقاد .

دخلنا فلسطين لنحارب ، لإنقاذ الأمة العربية ، فانتكس الحال ووصلنا إلى المأساة الكبرى . . اغتصاب فلسطين وتشريد أهلها .

وهكذا كان الانقسام والفرقة مرة أخرى سببا فى اغتصاب أرض عربية وتمكين الصهيونية منها .

فلو أن العرب اتحدوا مثلما اتحدوا ضد الصليبيين فى عصر صلاح الدين الأيوبى ومثلما اتحدوا فى عصر السلطان قطز ضد التتار ، لما استطاعت الصهيونية أن تغتصب فلسطين وتقيم وطنا فى قلب العالم العربى حتى ولو ساعدها الاستعمار . كانت تجربة فلسطين درسا كشف عن درجة وحشية الاستعمار وأظهر نواياه الخبيثة وأطماعه فى السيطرة والتحكم والاستغلال ، كما كانت تجربة فلسطين فضلا عن ذلك درسا عرف منه العرب من هم أعداء الحرية ومن هم أعداء القومية العربية . لقد تأكد للعرب بعد تجربة فلسطين أن الدفاع عن كيان الأمة العربية يجب أن ينبع من قلب الأمة العربية نفسها ، وأن الاعتماد على أية دولة أجنبية ليس له معنى سوى الاستعمار والسيطرة .

فإذا أردنا أن نحقق الحرية ، وإذا أردنا أن نحقق الاستقلال لا بد أن نثق ونعتقد تمام الاعتقاد أننا لا بد أن نعتمد على أنفسنا ، ولا بد أن نعتمد على شعوبنا ، وأننا إذا اعتمدنا على دولة أجنبية فلن نكون فى النهاية إلا غنيمة لها كما كنا بعد الحرب العالمية الأولى .

وإننا لا يتأتى لنا استرداد ما اغتصب إلا بالقوة ، وعلى أسس ثلاثة

وهى الأخلاق والعلم والجهاد ، ومن ثم يتحتم تعميق المفاهيم الروحية ، والتخطيط السياسى والعسكرى على كل المستويات ، والإعداد العسكرى للمجابهة والمواجهة المصيرية «ولينصرن الله من ينصره ، وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» .

نظام الجيتو

الثورة الفرنسية ونتائجها على الصهيونية :

ما إن انتشرت مبادىء الثورة الفرنسية فى القارة الأوربية حتى استفاد اليهود من المساواة الاجتماعية ، وأصبح لهم نفوذ وسطوة ، خاصة إذا اعتبرنا قلة عددهم بالنسبة إلى سائر الشعوب ، وذلك بفضل الأحوال الخاصة التى اكتنفت تاريخهم ، فإن ما نالهم من الضغط والاضطهاد فيما مضى جعل فى قرارة نفوسهم نزوعاً إلى قلب نظام الحكم القائم ، وانقضاضا على السلطات التى ناوأتهم.

أما الماليون منهم فقد كسبوا ما كسبوا بمهارتهم وحذقهم لأساليب التجارة وخبرتهم وصدق نظرتهم فى الشئون الاقتصادية ، وحيازتهم المعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة .

وربما كان هذا التفوق بعد المذلة والمسكنة فيما مضى من الأزمان هو سبب تلك الكراهية التى يشاهد أثرها فى كل مكان .

وقد تأتى هذا التفوق بالتدريج إذ عاش اليهود قروناً وهم معزولون فى مستعمراتهم فى أوربا ، وكأنهم فى حجر صحى ، أو كأنهم موبوءون يخشى الإختلاط بهم .

لقد بدأ اليهود رحّلا فى عصر التوراة من زمان إبراهيم فإسحق فيعقوب فالأسباط فموسى فيشوع بن نون فعهد القضاة ، ثم فى إقامتهم ببابل وفى عودتهم إلى أرض فلسطين ، حتى جاء المسيح عليه السلام .

وظلوا رحلا فى عالم الشتات ، وككل قطعان الرحل أبوا إلا أن يعيشوا فى حظائر مسورة داخل مدن الشتات .

وكثيراً ما كانت هذه الوحدة الحلوية اليهودية تغلف بحائط خاص داخل المدينة ، ماعدا الأغنياء منهم الذين كانوا يتعدون هذا الحصار ليعيشوا فى الأحياء الراقية غير اليهودية .

وهذه العزلة السكنية هى مايعرف بنظام الجيتو وكانت تحت أسماء تختلف باختلاف المناطق التى يعيشون فيها :

ففى مصر يتجمعون فى « حارة اليهود » .

وفى أسبانيا يتجمعون فى « اليوديريا » Juderia

وفى المغرب العربى يتجمعون فى « الملة » Mellah

وفى اليمن يتجمعون فى « القاع »

ويعزى العزل السكنى إلى سببين :

١ – أن هذا العزل السكنى Residential Segregation كثيراً مايرجع إلى قوانين الدول والشعوب التى يعيش اليهود بين ظهرانيها يفرضونه بالقوة على اليهود تباعداً عنهم واستعلاء عليهم كفئة من المنبوذين — كما يعبر « ماكس فيبر » – وكذلك إحكاما للرقابة عليهم وحصراً لأخطارهم .

٢ – وكثيراً مايرجع هذا إلى صنع اليهود أنفسهم سعياً منهم كأقلية — مسحوقة ومنبوذة – إلى التركيز والحشد فى نقطة واحدة ضمانا للحماية فى حظيرة واحدة .

إن سحنة اليهودى ليست صفة جسمانية بقدر ما هى تعبير اجتماعى مكتسب من البيئة الاجتماعية ، من صنع « الجيتو » ، من حياة التشرد والاضطهاد ، والصراع ، والقلق من الأخطار التى تواجههم وتعصف بهم من آن لآخر ، حتى لقد أسماها البعض « تعبيرات الجيتو » .

إنها من فعل الانتخاب الاصطناعى لا الوراثة والبيولوجيا وقد ثبتت عن طريق التزاوج الداخلى ، والانتخاب الجنسى والانتخاب الاجتماعى والانتخاب المهنى .

ومعنى هذا أننا إذا صادفنا هذه المسحة اليهودية فى الوجه فإنما هى مجرد ميراث الاضطهاد الدينى والشعوبى أيا كان الأصل الجنسى والسلالة العرقية ، ودون أن تعنى أن صاحبه ينحدر من نسل بنى إسرائيل التوراة بالضرورة .

ونجم عن هذه العزلة أنهم اكتسبوا صفات جسمانية ومعنوية خاصة بهم وأنهم امتازوا بحدة الذهن ، وحسن التدبير وبعد النظر ، والاحتياط للطوارئ ، وأنهم نزعوا إلى الديمقراطية شأنهم فى ذلك شأن الأقليات فى دول البحر المتوسط كالأرمن الذين تفوقوا فى الصناعات الدقيقة ومن على مثالهم من الأقليات ، فيبرزون فى ميدان الطب ، وفى ميدان الهندسة ، وفى ميدان القانون ، وفى ميدان الصحافة ، وفى الاحتكارات التجارية والصناعية .

ثم إن اليهودى عموماً كان محرماً عليه دخول الجيش والبحرية والنقابات الصناعية والتجارية ، وأصبح لاسبيل أمامه إلا العمل كوسيط تجارى ، فمارس طرق المعاملات التجارية وترقب الأسواق التجارية ، والاستفادة من فرص الأسواق المالية .

وكان للقرار الذى اتخذته الكنيسة بتحريم الربا أثره فى انتهاز اليهود لهذه الفرصة ، فاتخذوا الاتجار بالمال عملا لهم وبرعوا فيه أيما براعة ، فما إن جاء القرن التاسع عشر وأعلن فيه تحرير اليهود فى معظم الدول الأوروبية الغربية ، وألغيت القيود التى كانوا بها مقيدين ، حتى انتهزوا هذه الفرصة السانحة واستخدموا الصفات التى اكتسبوها على مر السنين وبذلك بلغوا المقام الرفيع الذى يتبوأونه فى تلك الدول .

ومن هنا نستنبط أن كراهية الشعوب الأوربية لليهود لا ترجع إلى التعصب الدينى وإن يكن له فيها نصيب، ولا هى ترجع إلى الأحوال الاجتماعية التى نجمت عن تحرر اليهود فى القرن التاسع عشر، ولكن ترجع إلى حياتهم الازدواجية بين الشعوب التى يعيشون معها .

الجيتو . . الليبرالية . . الصهيونية :

اشترك اليهود فى جميع الجيوش المتحاربة على أثر نشوب الحرب العالمية الأولى. ودافعوا عن البلاد التى كانوا نازلين فيها(١) ، حتى خيل للناس أنهم فقدوا طبيعتهم اليهودية وأصبحوا من أبناء تلك البلاد .

فإن روح « حرية الفكر » الليبرالية المعاصرة وتطور(٢) الوعى السياسى فى المجتمع الصناعى الحديث ، كلها طفرات جديدة وخطيرة تهدد بانتهاء اضطهاد اليهود وبالتالى تهدد بانتفاء اللاسامية التى افتعلوها ببيئاتهم ، ومن ثم تهدد بذوبانهم فى شعوب الأمم ثقافة ولغة بل دينا وجنسا .

ومن هنا تضطرم الصهيونية بمحاولة استبقاء مناخ الاضطهاد وشبحه وتجسيد أسطورته إلى الأبد لتوقف تيار الذوبان الغلاب الذى يظل مع ذلك يفرض نفسه كواقع قاهر يتمثل أخطر ما يتمثل فى الامتزاج بالمصاهرة مع غير اليهود ، وفى تحول البعض إلى عقائد أخرى ، ولئن كان هذا اليوم أوضح وأخطر مايكون فى بوتقة الولايات المتحدة فإن أوروبا الغربية تعرفه أيضاً بدرجة أو بأخرى .

والخط التاريخى الذى أكد نفسه منذ البداية وهو تخالط وتهجن اليهود وذوبانهم جنسياً يعيد اليوم تأكيد نفسه برغم انحرافات شعارات الصهيونية ، ويفرض نفسه أكثر منه فى أى وقت مضى .

---

(١) إن اشتراكهم إنما لممارسة الحرب لخطة بعيدة يرسمونها ، فكان ٥٠٪ من الجيش الامريكى يهودا فى حين أن نسبتهم الى مجموع سكان الولايات المتحدة الامريكية لاتزيد عن ٣٪ وكان فى الجيش البريطانى ٥٠٫٠٠٠ يهودى من مجموعهم البالغ ١٠٠٫٠٠٠ .

(٢) Liberal « حزب الأحرار » Liberality « بحرية الفكر ».

ومن ثم نستطيع تفسير ظاهرة المناوأة لليهود بالرغم من اشتراكهم فى الحرب ضمن « الاتحاد المقدس » لدول الأمم الغربية فى الحرب الأوربية .

فلم تكد الحرب تضع أوزارها حتى أحس المتأملون فى أحوال الأمم هبوب ريح معاداة ومناوأة لليهود فى معظم الأقطار وقد أخذت هذه الريح تشتد رويدا رويداً حتى عمت القارة الأوربية بأكملها بل تعدتها إلى الولايات الأمريكية المتحدة ، وكان المعتقد أنها أبعد من سواها عن التعصبات الجنسية والدينية . ولقد كثرت عام ١٩٢٣ الحوادث الدالة على اتجاه هذا التيار ولاسيما فى أقطار أوربا الشرقية حيث يكثر العنصر اليهودى . وفى أمريكا كانت هنا حركة شديدة ترمى إلى مقاومة النفوذ اليهودى ومن زعمائها « هنرى فورد » ، حتى فى انجلترا أصدق صديقة لليهود كانت الصحافة البريطانية تشن حملاتها على سيطرة اليهود فى فلسطين .

ومن ثم أصبحت فكرة الصهيونية وهى وليدة الكراهية التى مابرحت تظهرها الشعوب الأوربية لليهود . فالحركة الصهيونية إذن هى من قبيل رد الفعل وغايتها حل المشكلة اليهودية بإيجاد وطن لهم .

إنهم منذ إعلان تحريرهم فى القرن التاسع عشر قد أصبحوا ملوك الصيرفة والمال وتمكنوا من السيطرة على اقتصاديات الدول ، ومن هنا فإن كراهية الشعوب لهم ناجمة عن الانتهازية والإثراء على حساب الشعوب وأنهم لم يكونوا قابلين للاندماج فى الشعوب التى حلوا بينها ويرجع ذلك إلى مزاج اليهود الروحى وعقيدتهم الدينية ومذهبهم الاجتماعى . وما برحت شخصيتهم هذه تزداد بروزا مع الأيام حتى أصبح من أهم مميزات الشعب اليهودى تماسكه وتجانسه واعتداده بذاته واستعلاؤه على الآخرين .

وهم يؤمنون بالتلمود ويقرون بأن اليهود مساوون للعزة الإلهية فالدنيا

وما فيها ملك لهم ، ويحق التسلط على كل شيء فيها ، وإنهم يقرون « أن قتل النصارى من الأفعال التي يكافىء الله عليها ، وإذا لم يتمكن اليهودى من قتلهم فواجب عليه أن يتسبب فى هلاكهم فى أى وقت وعلى أى وجه ».

لقد شردهم الله فى الأرض لكنهم لا يدركون أن تشريدهم إنما بسبب معاصيهم ، فيقرر التلمود: « أنهم شعب الله فى الأرض . وقد أوجب عليهم أن يفرقوا لمنفعتهم». والحقيقة هى ما اكتشفه برنار لازار وهو من أوثق الباحثين فى هذا الشأن بقوله : « يتراءى لى أن شعورا عاما كالمناوأة لليهود ظهر فى كل مكان وكل زمان ، قبل المسيح وبعده ، فى الإسكندرية وروما وأنطاكية وبلاد العرب ، وفارس، وفى أوربا فى مختلف عصورها ، أى بالاختصار فى كل قطر قطنه اليهود . يتراءى لى أن شعوراً هذا انتشاره لا يمكن أن يكون طارئا عرضيا أو نزوعا وقتيا بل يجب أن يرجع إلى أسباب حيوية وأصول بعيدة » .

ألا فعودة إلى قوله تعالى :

« لقد أخذنا ميثاقَ بنى إسرائيلَ وأرسلْنا إليهم رُسلاً كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوَى أنفسُهم فريقاً كذَّبوا وفريقاً يقتلون . وحسبُوا ألاَّ تكونَ فتنةٌ فعَمُوا وصمّوا ثم تاب الله عليهم ثم عَمُوا وصمُّوا كثير منهم والله بصير بما يعملون »(١) .

اليهود سبب الكوارث

اولا — عداوتهم للاسلام :

تآمر اليهود مع قريش بغية القضاء على رسول الله والمسلمين ، وأقبلت قريش بخيلها ورجلها ومن تبعها من بنى كنانة ، وأتت معهم يهود بنى سليم ، وخرجت بنو أسد ، وبنو فزارة وأشجع بنو مرة ، وكانوا جميعا فى عشرة آلاف ، جاءوا يريدون محاصرة الرسول فى عقر داره ، والقضاء عليه وعلى دعوته وعندما بلغ رسول الله مسير قريش استشار الناس ، فأشار المسلمون بحفر الخندق ، فكانت خطة بارعة وسدا منيعا أمام دخول الكفار المدينة .

(١) المائدة : ٧٠ ، ٧١ .

وعندما وصلت جموع قريش حال الخندق بينهم وبين دخولهم المدينة ، وحاروا فى أمرهم فأرسلوا أحد زعما اليهود (حيي بن أخطب) إلى يهود بنى قريظة داخل المدينة لينقضوا العهد ويخرجوا من حيادهم ، وما زال بهم هـذا اليهودى حتى نقضوا العهد وخرجوا من حيادهم .

واتصل نبأ انضمام قريظة إلى الأحزاب بالرسول وأصحابه ، فاهتزوا له وخافوا مغبته وبعث الرسول إليهم سعد بن معاذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة سيد الخزرج ومعهما بعض الصحابة ليقفوا على جلية الأمر ، على أن يلحنوا له عند عودتهم إن كان حقا ، حتى لا يفتوا فى أعضاد الناس .

فلما أتى هؤلاء الرسل ألفوا قريظة على أخبث ما بلغهم عنهم ، وأراد سعد ابن معاذ ، وكان حليف قريظة ، أن يقنعها مخافة أن يحل بها ما حل ببنى النضير أو ما هو شر منه ، فانطلقت اليهود ، ووقعوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال كعب زعيمهم : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد .

فسبهم سعد بن معاذ وانصرفوا عنهم ، ثم أقبلوا على رسول الله وأخبروه فاشتد ذلك عليه وقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه محصورين بضع عشرة ليلة حتى اشتد الكرب وأصاب المسلمين مجاعة شديدة. ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله: «اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك إن تشأ لا تعد . اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب » .

فاستجاب الله دعاءه ، وبعث الله الريح على الأحزاب ليلا حتى ما يكاد أحدهم يهتدى لموضع قدمه ، وأنزل الله قوله : « يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكانَ الله بما

تعملون بصيراً » . وقد رد الله كيدهم فى نحورهم ، وكان النصر لرسول الله والمسلمين، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره أهل الشرك والضلالة .

إن التاريخ لم يسجل لليهود وأشياعهم من المنافقين إلا النذالة والخسة ، واستعمال أساليب الدس والوقيعة وإشاعة الفاحشة حين يعجزون عن مجابهة خصومهم وجها لوجه

لقد تآمر اليهود من قبل مع المنافقين من أهل المدينة على النيل من عرض المصطفى صلى الله عليه وسلم بغية التشكيك وإشاعة الفرقة بين المسلمين ، افترى عبد الله بن أبى على عرض رسول الله فرمى أحب نسائه إلى قلبه .

ثم نزل قوله تعالى مبينا براءة عائشة متوعدا اليهود والمنافقين عذاباً عظيما : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ». وكما أن اليهود وأتباعهم لجأوا إلى أخس الوسائل فى محاربة الدعوة الإسلامية فى صدرها الأول فاشتركوا مع أعداء رسول الله فى قتاله ثم بإشاعة التهم الباطلة ضد المؤمنين والمؤمنات إلى غيرذلك من أساليب النذالة والخسة ، فإنهم كذلك لجأوا إلى الأسلوب عينه عندما عجزوا فى عام ١٩٤٨ عن الوقوف أمام جيوش العرب التى قاربت مشارف تل أبيب فعمدوا إلى بث الفتن وإشاعة الفوضى وإحداث البلبلة بين صفوف المقاتلين العرب ، فأشاعوا أن بعضا من عرب فلسطين خونة وهم من ذلك براء ، لتنعدم الثقة بين الجيوش المحاربة وأهل فلسطين ، وقد نجحوا بعض الوقت كما نجحوا فى إشاعة البلبلة فى صفوف المسلمين إزاء حديث الإفك . ألا فلنحذر تلك الأساليب ولنتيقن أنهم فتنة فى الأرض وشر خطير ولكن يقظين لها والله غالب على أمره .

ثانيا — عداوتهم للشعوب الأوربية :

أدركت الشعوب الأوربية أن اليهود لا يمكن أن يعيشوا مع شعب آخر فى الوجود إلا على أساس استعباد ذلك الشعب وتسخير عقول أبنائه وأرواحهم وامتصاص دمائهم وأموالهم فى خدمة اليهود .

وأدركت شعوب أوربا أن اليهود بمكرهم ودهائهم قد نجحوا إلى حد كبير فى إدخال العنف والبطش والوحشية إلى الدين المسيحى ، وأنهم كانوا السبب الرئيسى فى إشعال نار الكراهية والحقد والبغضاء بين الطوائف المسيحية ، وأنهم تسببوا فى إشعال الحروب الدينية الطاحنة بين الكاثوليك والبروتستانت وتسببوا فى إزهاق أرواح ملايين النصارى الأبرياء فى أوربا لأسباب واهية وعوامل خلاف مضحكة هى من صنع اليهود ودسهم ومكرهم .

وفى غمرة الأحقاد الدينية العنيفة نسى المسيحيون أو تناسوا الأساس الأول الذى بنى المسيح عليه الدين المسيحى : الأخوة ، والتسامح ، والاشتراكية .

وحينما أفاقت شعوب أوربا من غفوتها هبت ترد العدوان ، وتدفع الخطر قبل أن يستفحل الداء العضال ويستشرى السرطان اليهودى فيفتك بأجسام ملايين البشر ويحولهم إلى عبيد خدمة للشعب المختار — حسب مزاعمهم — ونال اليهود بعد تلك الصحوة جزاءهم الأوفى .

موقف الشعوب الأوربية من اليهود

١ — فى بريطانيا :

لمس الشعب البريطانى خطورتهم على الاقتصاد والدين على السواء ، فأمر الملك جون سنة ١٢٣٠ بحبسهم فى جميع أنحاء المملكة البريطانية وأمر الملك هنرى الثالث بحبسهم وتعذيبهم بعد أن اكتشف انتقاصهم لجزء من الذهب والفضة المخصص للعملة وتداولها مما أدى إلى أزمة اقتصادية ، وصادر ثلث أموالهم المنقولة وضمها إلى خزينة الدولة، وأصدر الملك إدوارد الأول سنة ١٢٧٢

مرسوما ملكيا بتحريم الربا والرهونات لما تبين له من امتصاص اليهود لأموال البلاد بواسطة الربا والرهونات اللذين يمارسهما اليهود . لكن اليهود وما جبلوا عليه من جشع وطمع لم يبالوا بهذا المرسوم الملكى بل استطاعوا امتصاص ذهب الدولة وتشويه العملة وإنقاص وزن النقد .

ولما كانت بريطانيا غير واقعة فى ذلك العهد تحت سيطرة اليهود المادية والمالية والمعنوية وغير متأثرة بدعاياتهم فقد أمرت حكومة بريطانيا بإجراء محاكمة عادلة للغشاشين ولصوص الذهب وحكم بإعدام ٢٠٠ يهودى سنة ١٢٨١م .

ولم يرهب اليهود هذا القصاص فاستمروا ينفذون خططهم الجهنمية لامتصاص دماء الشعب البريطانى والسيطرة على مقدراته والتهجم على مقدساته ، فما كان من الملك إدوارد إلا أن أصدر مرسوما ملكيا سنة ١٢٩٠ يقضى بطرد اليهود من بريطانيا فى غضون ثلاثة أشهر .

ولم يصبر الشعب البريطانى حتى تنقضى المدة ويتخلص من اليهود نهائيا ، بل هجم على تجمعاتهم قتلا وحرقا . وفى قلعة يورك احتمى جمع من اليهود استطاع الإنجليز مهاجمتهم وإشعال النار فيهم فأحرقوا خمسمائة منهم مما دعا الملك إدوارد إلى الإسراع بإجلائهم عن البلاد قبل أن يفتك بهم الشعب فى كل مكان . لكنهم شرعوا يتسللون إلى البلاد تحت حماية كرومويل معلنين يهوديتهم بعد أن دفعوا ثمن عودتهم رشوة إلى ذلك الطاغية ، وهكذا ومنذ سنة ١٦٥٦ عاد التغلغل اليهودى التدريجى فى الحياة البريطانية فى فترة غلبت فيها سياسة التسامح والتغاضى عن خطط اليهود الشريرة .

٢ — فى فرنسا :

وكذلك فعل الفرنسيون باليهود ، ذبح وقتل وحرق وتشريد وطرد من البلاد بعد أن اختنق الشعب الفرنسى بالضغط الاقتصادى الناجم عن

جشع اليهود ومؤامراتهم وتعاملهم بالربا الفاحش وسعيهم الحثيث لتدمير القيم الأخلاقية ، وتقويض أسس الحياة الاجتماعية، ولم تنج الكنائس فى فرنسا من إرهاب اليهود ، ومن وقوعها فى براثن الديون التى تضاعفت بأسباب الربا الفاحش والتلاعب بالرهونات فطردهم لويس أغسطس من البلاد ، ثم تسللوا إلى البلاد بعد عشرين عاماً ، وألغى لويس التاسع[1] ثلث ما كان لهم من ديون على الحكومة وبالقياس ألغى ثلث ما كان لهم من ديون على الكنائس وعلى أفراد الشعب ثم أصدر أمراً ملكيا بحرق جميع كتبهم وخاصة التلمود .

وطردهم فيليب الجميل ، وأصابهم من القتل والنهب شىء كثير ، ثم تسللوا إلى البلاد فى سنة ١٣٤١ .

وهاج الشعب فى فرنسا الوسطى وذبحوا من اليهود أعدادا كبيرة وطردوهم ولم تأت سنة ١٣٩٤م وفى فرنسا يهودى واحد .

إنها لعنة الله تلاحقهم أنى كانوا حسب نبوءات أنبيائهم من موسى إلى عيسى من التوراة والأنبياء والمزامير والإنجيل . إنها لعنة الله من خلال كتبهم ركيزة عقيدتهم وإيمانهم .

ثم تسلل اليهود بعد تشردهم من أسبانيا إلى فرنسا ووجدوا فيها مصاعب جمة . ولم يؤذن لهم بالسكنى فى المدن إلا فى أواخر القرن السادس عشر . وفى إبان الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٠ استغلوا ميرابو فدافع عن حقوقهم فى المساواة بسائر السكان ، ثم حاول نابليون بونابرت استغلالهم لمساعدته على تحقيق أطماعه التوسعية فى الشرق العربى ، فخانوه ، وحينما أخفق وعاد إلى فرنسا قال عنهم : « إنهم حثالات البشر وجراثيمه » .

٣ — فى المانيا :

انتشر اليهود فى ألمانيا فى القرن الثامن وسكنوا المدن الواقعة على ضفاف

(١) The Jewish Problem, Louis Golding—Hazell London, 1939.

نهر الرين ، ومنحهم الشعب الجرمانى فرصة العيش الكريم بيد أنهم عجزوا عن تغيير عاداتهم وأخلاقهم السيئة وجشعهم وحبهم للكسب الحرام والربا الفاحش ، وحينما عيل صبره أخذ يفتك بهم ويطاردهم ويجليهم عن الأماكن الاستراتيجية التى استقروا فيها ، وذبحوا وطردوا من جميع المناطق الألمانية فى أزمنة مختلفة وعلى مر السنين .

وكلما تسللوا إلى البلاد واستقروا بعض الوقت هب الشعب للفتك بهم وإجلائهم عن البلاد وتدمير أحيائهم التى كانوا يعيشون فيها بعيدين عن الشعب مفضلين العزلة والانطواء على أنفسهم حتى لا يختلطوا بالمسيحيين « الكفار الملحدين Gentiles » .

٤ — فى أسبانيا :

بالرغم من موجة الاضطهادات التى واجهها اليهود فى أوروبا الوسطى إلا أنهم لاقوا كل رعاية وحرية وإحسان فى أسبانيا إبان حكم الدولة الأموية لها ، وفى رحاب المسلمين والإسلام استظلوا بظلال السعادة والرفاهية فانتعشوا وتضاعفت ثرواتهم وتزايدوا حتى صاروا حوالى نصف مليون نسمه ، وحينما أفل نجم العرب من سماء الأندلس بدأ اليهود يلاقون المصاعب والويلات نتيجة تغلغلهم فى الحياة الأسبانية وسيطرتهم على اقتصاديات البلاد .

فقد استطاعوا عن طريق الربا الفاحش أن يستولوا على أملاك الشعب وعقاراته ، ولم تنج الكنائس من سطوتهم ، فقد كان أكثر أملاكها مرهونا لليهود .

ثم اشتعلت نيران الخلافات الدينية بين الإكليروس وحاخامات اليهود فهب الشعب يدافع عن نفسه ويفتك باليهـــود ويبطش بهم ، مستخدما

محاكم التفتيش تارة والهجوم الشعبي المفاجيء تارة أخرى ، ووصلت موجة البطش باليهود ذروتها فى عهد الملك فرديناند وزوجته إيزابلا، فبعد أن أعيتهما الحيلة فى محاولة بائسة لحل المشكلة اليهودية فى أسبانيا وجدا أن الوسيله الوحيدة لحلها هو طردهم من أسبانيا ، منعا للمذابح وحقنا للدماء وإنقاذاً لهم من غضبة الشعب الذى كفر بهم ولم يطق العيش معهم ومجاراتهم فى عاداتهم وأخلاقهم العجيبة . وصدر المرسوم الملكى فى ٣١ مارس « آذار » سنة ١٤٩٢ م ونص بالآتى : « يعيش فى مملكتنا عدد غير قليل من اليهود . ولقد أنشأنا محاكم التفتيش منذ اثنتى عشرة سنة ، وهى تعمل دائما على توقيع العقوبة على المذنبين وبناء على التقارير التى رفعتها لنا محاكم التفتيش ثبت أن الصدام الذى يقع بين المسيحيين واليهود يؤدى إلى ضرر عظيم ، ويؤدى بالتالى إلى القضاء على المذهب الكاثوليكى . ولذا قررنا نفى اليهود ذكورا وإناثاً خارج حدود مملكتنا وإلى الأبد .

«وعلى اليهود جميعا الذين يعيشون فى بلادنا ويسيطرون على ممتلكاتنا — ومن غير تمييز فى الجنس أو السن — أن يغادروا البلاد فى غضون فترة أقصاها نهاية شهر يوليو من نفس العام ، وعليهم ألا يحاولوا العودة تحت أى ظرف أو أى سبب .

«ومن أجل أن يتدبر اليهود أمورهم استعدادا للرحيل منحناهم حمايتنا الملكية لأرواحهم وأملاكهم حتى آخر يوليو ، ونسمح لهم بأن ينقلوا معهم براً أو بحراً ما يملكون من الذهب والفضة والعملة الذهبية والأشياء الأخرى التى يشملها قانون المنع العام »(١) .

---

(١) The Expulsion of the Jews from Spain ; Mascu Constable London, 1935 .

٥ — فى بقية دول اوربا :

وكذلك وقع لليهود فى كل من روسيا وبولندا وإيطاليا ورومانيا وبلغاريا وسويسرا وهنغاريا ، والمذابح التى وقعت لهم فى روسيا على مرّ الأزمنة وفى مختلف العصور يعجز القلم عن وصفها . وفى إيطاليا حاربهم البابوات وأصدروا المراسيم العديدة لتكفيرهم وتسفيه ديانتهم المرتكزة على التلمود .

وفى ١٢٤٢ أعلن البابا جريجورى التاسع اتهامات صريحة ضد التلمود الذى يطعن فى المسيح والمسيحية وشكل البابا لجنة لفحص الاتهام ، فأقرت اللجنة التهمة ، وأمرت بحرق التلمود .

وضاق الشعب بأخلاق اليهود ووقاحتهم وجشعهم فثار عليهم مرات عديدة وفى أماكن مختلفة من البلاد وخاصة فى نابولى التى فتك بهم شعبها وطرد البقية الباقية منهم عام ١٥٤٠ (١) .

ويبدو أن اليهود قد تفننوا فى التجارة حتى استطاعوا استغلال اللاسامية ومناوأة أوربا لهم لصالحهم يذكون نار المناوأة ويؤججون ضرامها كلما خبت جذوتها وكأنهم يرون الاضطهاد عنصرا من عناصر بقائهم وديمومتهم .

وأول من أضرم جذوة اللاسامية هرتزل بقوله : « من السخف أن ننكر وجود مشكلة يهودية ، فإنها موجودة حيثما توجد جماعة من اليهود . وإذا لم توجد فى جهة ما لا يلبث أن يحملها إليها المهاجرون . إننا نهاجر إلى الجهات التى لا نضطهد فيها ، ولكن ظهورنا يحمل على اضطهادنا » .

ولعل أقرب دليل على ذلك هو قضية دريفوس ١٨٩٤ — ١٩٠٦ ذلك الضابط الفرنسى اليهودى الذى حكم عليه بالإعدام سنة ١٨٩٤ فى المحاكمة الأولى بتهمة الخيانة العظمى لنقله الأسرار الحربية العسكرية إلى ألمانيا . وكان منظر

---

(١) History of The Jews, Gratz, Philadelphia, U. S. A. 1941

المظاهرات المعادية لليهود فى باريس — فى الوقت الذى كانت المعركة فيه متأججة حول قضية دريفوس — هو الذى حوّل الصحافى النمسوى تيودور هرتزل من داعية قوى من دعاة اندماج اليهود مع مواطنيهم إلى كونه رسولا مبشرا بالصهيونية.

تسرب إسرائيل إلى الدول التى اضطهدتهم وتسللهم إليها

١ — فى فرنسا :

ما لبث النفوذ اليهودى أن تغلغل فى فرنسا بعد تبرئة ذلك الضابط الفرنسى اليهودى « دريفوس » ، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر غدت فرنسا عميلة مسخرة لتحقيق أهداف الصهيونية واليهودية العالمية إلى عهد قريب .

٢ — فى انجلترا:

تسلل اليهود إلى إنجلترا وتغلغل نفوذهم فيها حتى عملت إنجلترا على ترضيتهم بمنحهم وعد بلفور وبتحقيق هجرة غير مشروعة إلى فلسطين ، ومع هذا فلم يلبثوا أن تصدوا لخالقيهم وأذاعوا دعاية مغرضة ضد بريطانيا منتهزين حادثة الباخرة اكسودس مناسبة يستفيدون منها ، فالتقطوا أفلاما سينمائية لأولئك المهاجرين المحتشدين فى قبرص ، ولم يتركوا داراً من دور السينما فى الولايات الأمريكية المتحدة إلا عرضت فيها صور أولئك التعساء المشردين !! وتتلخص الحادثة فى أن الباخرة « اكسودس » كانت تنقل عدداً من المهاجرين اليهود غير الشرعيين إلى فلسطين ، فاعترضتها فى عرض البحر قوة بريطانية مسلحة ، مما أدى إلى وقوع الاصطدام بين المهربين اليهود وجنود الإمبراطورية البريطانية ، وبعد معركة دامية استمرت حوالى ثلاث ساعات قتل خلالها ثلاثة أشخاص وجرح ٢١٧ شخصاً تمكن الجنود البريطانيون من نقل المهاجرين اليهود إلى ثلاث سفن حملتهم إلى جزيرة قبرص لإعادتهم إلى بلادهم .

ولقد عرضت الحكومة الفرنسية على زعماء الصهيونية إيجاد الملجأ الأمين لأولئك المهاجرين ، إلا أن زعماء الصهيونية رفضوا هذا العرض وتابعوا حملتهم مما اضطر الحكومة البريطانية إلى نقـــل المهاجرين إلى مرفأ هامبورج فى ألمانيا .

أما عن الأثر الذى تركته هذه الحادثة :

فقد ثار الرأى العام الأمريكى ، واندفع يصب جام غضبه ونقمته على بريطانيا ، حتى أن بعض القنصليات البريطانية فى نيويورك وغيرها من مدن أمريكا قد رشقت بالحجارة ، كما كتبت على جدرانها العبارات العدائية .

وأكثر من ذلك .. فقد انتقم الصهيونيون من البريطانيين ، وفيما كانت الصهيونية تمضى فى غيها وبينما كان اليهود يتعامون عن هذه الأعمال الإرهابية ، ارتفع صوت يهودى حر يندد بالصهيونية وكان لهذا التنديد دوى العاصفة.. لقد قال الدكتور ما غنز : « لقد كنا نعتقد أن الصهيونية ستعمل على تخفيف الحملة ضد السامية فى العالم ، ولكننا رأينا العكس تماماً . . فقد ازداد أعداؤها » . وأيد أينشتاين الدكتور ما غنز بتصريحه : « إننا نتوجه إلى اليهود فى أمريكا وفى فلسطين بألا يتركوا نفوسهم تتردى فى يأس قاتل أو بطولة زائفة قد تؤدى بهم إلى مهاوى الدمار والانتحار » .

٣ — فى المانيا :

تسلل اليهود إلى ألمانيا وأثروا ثراء كبيراً ولكن سرعان ما اضطهدوا وكان آخر ما لاقوه من عذاب وتقتيل وتشريد على يد هتلر ابتداء من السنة التى تولى فيها حكم ألمانيا عام ١٩٣٣ إلى السنة التى انهارت فيها إمبراطوريته عام ١٩٤٥ .

فالجرائم التى نسبت لليهـــود هى : الربا ، والسيطرة على مقومات

اقتصاد الدولة ، وتدمير الوطن سياسيا واقتصاديا وعسكريا بالتآمر عليه مع الأعداء ، ومحاربة القيم الأخلاقية والتشكيك فى كل دين يتعارض مع ديانتهم ، هذه الجرائم إنما كانت من نتاج أفكار أحبارهم وكهنتهم التى جاءت فى نصوص التلمود وجاءت فى مقررات حكماء صهيون — هذه الجرائم هى التى دفعت هتلر إلى أن يتخلص منهم بطريقته التى رأى أنها تتناسب مع جرائمهم .

٤ — فى روسيا :

انبثق من شعور اليهود بأن الأمم تضطهدهم عاملان فى اتجاهين متوازيين ولكنهما سرعان ما يلتقيان ليعملا معا لتحقيق هدف واحد :

الاتجاه الاول :

أنهم ملوك الصيرفة والمال ، الأمر الذى سبب لهم مناوأة الشعوب الأوربية بسبب سيطرتهم على اقتصاد البلاد .

الاتجاه الثانى :

أنهم زعماء الحركات الثورية والانتقاضية وإليهم ينسب قسط كبير من الفوضى المنتشرة فى كل جهة ، فمنهم رؤساء الأحزاب الاشتراكية المتطرفة ، ومنهم أركان النظام البلشفى وناشرو دعوته فى العالم .

فحينما قامت الثورة البلشفية كانت نسبة اليهود فى المكتب السياسى ٨٥ ٪ موزعة كما يلى [١] :

١ — لينين	؟
٢ — ستالين	متزوج من يهودية
٣ — تروتسكى	يهودى

(١) 1testiy. Robert Edmondson Oregon, U.S. A. 1953.

٤ — كامينيف	يهودى
٥ — سوكولنكوف	يهودى
٦ — زينوفييف	يهودى
٧ — ييفنوف	مسيحى

وسيأتى تفصيل التغلغل الصهيونى فى الباب الثانى لبيان مدى تغلغلهم فى مجلس إدارة الحزب والثورة وفى الدوائر الرسمية بعد الثورة البلشفية بعام واحد (١) .

توافق الاتجاه المالى مع الاتجاه الثورى :

قد يبدو أن الاتجاهين يسيران فى طريقين متضـــادين لـكن الصهيونيين بمخططاتهم وبوكالة اليهود العالمية استطاعوا السيطرة والتحكم فى الاتجاهين لصالح الصهيونية .

ولعل من الأمور المقررة أن حالة الاضطراب كثيرة الملاءمة لأرباب الصيرفة والمضاربة ، ولاسيما إذا كانت لديهم معلومات صادقة . وكان تشتت اليهود فى أرجاء الأرض ، وإذلال الشعوب الأوربية لهم ، هو ما جعلهم يتعاطفون بعضهم مع بعض تعاطفا وثيقا ، ومن هذا التعاطف كانوا يقفون على مجرى الحوادث فى مختلف البلدان ، وهذا ما يسر لليهود حصيلة طيبة من المعلومات والأنباء العالمية ، وقد أنشأوا مصالح خصيصا لهذا الغرض ، ومن قبل كان الإثراء المالى يتوقف على السبق إلى المعلومات الصحيحة .

ومن يرجع إلى تاريخ الثروات التى جمعها بعض الأسر اليهودية المشهورة كأسرة « روتشيلد » يجد أن منشأها كان بسبب الحصول على معلومات سياسية أو حربية ذات شأن والاستفادة منها قبل انتشارها ، وهذا بفضل

---

(١) المصدر السابق .

ما بينهم من الصلات الوثيقة والروابط المتينة بالرغم مما يفصلهم من المسافات .

والأمر الذى تجدر ملاحظته هو أن الطائفتين المتقدمتى الذكر تعملان فى خارج الحيز الوطنى ، فإن مراميهما دولية لا قومية ، فمن جهة يجاهر دعاة الاشتراكية بأن غرضهم إزالة الفوارق بين الأمم ، ووحدة العمال من كل الدول لمناهضة الرأسمالية والسلطة ، وبذلك يعملون على إضعاف الرابطة القومية. ومن جهة أخرى يجاهر الرأسماليون بممارسة أعمالهم فى جهات مختلفة ومصالحهم مشتتة فى بلدان متعددة وهم قلما يشتركون فى حياة الأمة والإحساس بكيانها . وإنما تهمهم حياتها الاقتصادية ، وقد قيل إن اليهود حتى فى حالة انضوائهم تحت راية وطن من الأوطان يختلفون فى نظرتهم إلى ذلك الوطن عن نظرة بقية المواطنين ، فإن وطنهم الاقتصاد ، بعكس أبناء البلاد الأصليين الذين يحسون أن وطنهم هو الأرض الطيبة مسقط رءوسهم والتى ارتووا من مياهها واستظلوا بسمائها .

ومن ثم كان ما وجه إليهم من العداوة والمناوأة أمراً ناشئا من حياتهم المغلقة والتى تعرف « بنظام الجيتو » .

الحركة القومية

كانت حركات الوحدة فى كل من إيطاليا وألمانيا تستند إلى الشعور القومى الذى نما فى كل منهما بدرجة متزايدة فى القرن التاسع عشر. أما فى إيطاليا فإن جذوره تمتد إلى أواخر العصور الوسطى وإلى عصر النهضة حيث قام الرواد مثل دانتى الذى دعا إلى رفع مستوى اللغة العامية إلى لغة وطنية ، ومكيافيللى الذى عبر عن آماله فى تحقيق وحدة إيطالية تحت زعامة فلورنسا ، ودعا إلى استخدام مختلف الوسائل حتى ولو كانت غير خلقية لتحقيق هذا الأمل الكبير . وسجل مكيافيللى هذا الأمل فى كتابه « الأمير » والذى اعتبره

الملك عمانوئيل « إنجيلا » له على الرغم من مرور حوالى ثلاثة قرون على كتابته . وقد اشتدت هذه الرغبة القومية الملحة فى القرن التاسع عشر وأصبحت تجيش فى صدر كل إيطالى من الرجل العادى إلى أكثر الناس ثقافة ، وعبر الإيطاليون عن هذه الرغبة بوسائل مختلفة مثل تأليف الجمعيات التى جمعت أفرادا من الطبقات الشعبية ، والقيام بالثورات ، وتنظيم الجيوش لمحاربة العدو .

أما فى ألمانيا ، فقد نما الشعور القومى على يد فئة من الوطنيين المفكرين أمثال شتاين ، وهادنبرج ، وكذلك بفضل الكتاب والشعراء والأدباء الذين جعلوا ألمانيا قوة فى عالم الأدب والعلم ، ثم بفضل ظهور النظريات السياسية على يد هيجل الفيلسوف الكبير ، فقد بشر بنظرية خاصة للحكم وجدت قبولا عند البروسيين ، وهى الاعتقاد بأن الدولة بمثابة إله على الأرض ، وأن الحق يجب أن يدعم بالقوة ، بل إن الحق هو القوة ، ومن أجل تحقيق قوة الدولة يجب على الملايين من المواطنين أن يعدوا أنفسهم للعمل ، وتحمل الآلام والتضحية حتى بالنفس .

وقد قبل بسمارك هذه الدعوة وآمن بها ، ومن ثم استخدم جميع الوسائل الشريفة وغير الشريفة لتحقيق أغراض الدولة .

ولقد اتفق لإيطاليا ظهور شخصيات ثلاثة كانت إيطاليا فى حاجة إليها بعد قرون طويلة من الانقسام ، وهم : ما تزينى الذى اشتهر بحماسته وعاطفته الوطنية ، وغاريبالدى الذى امتاز ببطولته الحربية ، وكافور الذى ضرب مثلا عاليا فى الحنكة السياسية ، حتى ليقال إن ما تزينى كان روح الوحدة الإيطالية ، وغاريبالدى ساعدها ، وكافور رأسها المفكر .

أما ألمانيا فقد ظهر فيها بسمارك الذى جمع بين الدهاء السياسى والحماسة

القومية والمهارة الحربية ، وساعدته كل هذه الصفات على أن ينقذ ألمانيا من الانقسام ويلم شملها ، ويجعلها من أقوى الدول على مسرح السياسة الأوربية .

أما فى مصر فقد انبثقت ثورة ٢٣ يوليو « تموز » ١٩٥٢ ، وبدأت معالم القومية العربية تتحدد على أثر دراسة الماضى والحاضر والمستقبل .

وكان الهدف العظيم للقومية العربية هو تحقيق الوحدة . . الوحدة الحقة الشاملة بين أجزاء الوطن العربى جميعا لأن الوحدة هى سبيل القوة وسبيل الرقى، وهى الطريق الوحيد لصنع كيان عربى متماسك يستطيع مجابهة محاولات السيطرة والتحكم ويستطيع الوقوف أمام الأطماع الاستعمارية التى تبغى استنزاف الثروات الهائلة الكامنة فى المنطقة العربية واستغلالها استغلالا لا يضع أية اعتبارات لصالح أصحاب هذه الثروات الأصليين أو لحقوقهم فى النمو والتقدم .

ولقد حاول الاستعمار دائما بكل وسيلة من الوسائل — حينما شعر أن أطماعه تقف دونها قوة العرب وتضامنهم وتصميمهم — أن يفتت الأمة العربية وأن يقضى على قوتها بتفتيتها . واستطاع الاستعمار فى فترة من الزمن أن يحقق أهدافه ويحقق أغراضه ، ولكنه لم يستطع أن يقضى على القوة الكبرى التى تكمن فى قلب كل عربى ، وكان خوف قوى الاستعمار الغربى من نمو حركة القومية العربية من أكبر الأسباب التى دفعت بريطانيا إلى إعطاء وعد بلفور المشئوم لتقوم فى فلسطين دولة لليهود تحقق على حد تعبير تشرشل Churchil فاصلا على الأرض العربية يحجز مصر بإمكانياتها عن المشرق باحتمالاته ومركزا لحماية المصالح البريطانية إذا ما اضطرت بريطانيا وحلفاؤها إلى الجلاء عن البلاد العربية .

ولقد اغتصبت الصهيونية قطعة عزيزة من الأمة العربية ولم تنته جريمتها بذلك . . بل ما فتئت تعتدى على حدود الدول العربية وتثير الاضطرابات

والقلاقل وتحيك المؤامرات والفتن الأمر الذى يهدد سلام وأمن الأمة العربية . إن لم يهدد سلام وأمن منطقة الشرق الأوسط كلها وبالتالى العالم أجمع . وعلى هذا فإن قيام إسرائيل هو أثر مباشر من آثار الصدام بين حركة القومية العربية وبين قوى الاستعمار الغربى الأنجلو أميركى .

الحركة الصهيونية

وترجع الحركة الصهيونية إلى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وهى تستند حسب مايزعمون إلى أسانيد من التوراة فيها إشارة إلى عودة اليهود إلى وطنهم وإعادة بناء هيكل سليمان . ولقد أتيت على هذا الزعم تفنيدا بأسس علمية بحتة فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

ومن ثمّ فإن استمرار عويلهم أمام حائط المبكى وهو الأثر الباقى من اطلال هيكل سليمان منذ نفيهم وتغربهم فى الشتات إنما هو إفصاح عن العاطفة المتأججة فى نفوسهم وإفصاح لعصيانهم الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ونبذهم لكلمات الله وراء ظهورهم .

وقد قوى هذه الدعوة إلى الصهيونية انتشار النزعات القومية فى أوربا مما دعا الصهيونيين إلى الدعوة إلى إنشاء وطن قومى لليهود يجمع شملهم ، ومع هذا فإن الروح الدينية ما برحت أن أصبحت الباعث الأول والدافع الأكبر للصهيونية .

والصهيونية مذهب دينى فى ثوب وطنى . وقد خطت الفكرة الصهيونية الخطوة الأولى فى حيز التنفيذ عام ١٨٨٢ . ثم انعقد أول مؤتمر صهيونى عام ١٨٩٧ وتمّ فيه التخطيط للدعوة الصهيونية ، فارتبط المؤتمر الأول بالاضطهاد الأول الذى أصابهم فى روسيا . وارتبط المؤتمر الثانى بالعداء الفرنسى لليهود إبان « قضية دريفوس » .

التخطيط اليهودى العالمى :

دفعت التعاليم اليهودية — فى التوراة « العهد القديم » وفى التلمود — اليهود إلى السعى الدائب من أجل السيطرة على العالم وتسخيره لخدمة الشعب المختار ! !

ومن أجل تحقيق أهدافهم أنشأوا الجمعيات والمنظمات التى تولت أمر التخطيط ورسم الطريق أمام اليهود للوصول إلى أهدافهم . ويكون اليهود فى العالم حكومة مركزية مستورة يديرها ٣٠٠ ثلاثمائة عضو ممن أطلقوا على أنفسهم لقب حكماء صهيون ، ينتخبون دائما منهم شخصا يعتبرونه ملكا وارثا لملك داود وسليمان ، ولا يعلنون عن اسمه ، وكلما مات ملك عينوا بدلا منه من بين أحبار اليهود ، ولا يخفى اليهود خططهم هذه ، واعترف بها كثير من كتابهم ورجال الدين والمال فيهم . وقد ذكر المليونير راثنو Walter Rathenau فى جريدة ألمانية The Wiener Press بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٩٠٩ : « هنالك ٣٠٠ ثلاثمائة رجل كل منهم يعرف زملاءه الآخرين ، يتحكمون فى مصير أوربا ، إنهم ينتخبون خلفاءهم من الأشخاص المحيطين بهم ، وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التى تمكنهم من القضاء على أية حكومة لا يرضون عنها » .

وقد عمد اليهود إلى تنفيذ خطط عديدة للوصول إلى أهدافهم ، ولم يبق شىء من جميع خططهم سراً من الأسرار ، إذ كشفت هذه الخطط خطبة ألقاها الحاخام Riechon فى اجتماع سرى عقده اليهود على قبر قديسهم « سيمون بن يهودا » فى مدينة براغ سنة ١٨٦٩ ، ونشرت الوثيقة فى مجلة Cantemporain بتاريخ ١ / ٧ / ١٨٨٠ من قبل السير جون ردكليف[١] .

---

(١) The Key to the mystery — Christian Nationalist, Missouri , 1938 .

ومن هذه الوثيقة تتكشف أسرار خططهم ووسائل الدعاية ومما جاء فيها :

« لقد وكل آباؤنا للنخبة من قادة يهودا ، أمر الاجتماع مرة على الأقل فى كل قرن ، حول قبر أستاذنا الأعظم الرابى المقدس سيمون بن يهودا ، الذى تعطى تعاليمه للصفوة من كل جيل سيطرة على جميع العالم ، وسلطة على نسل يهوذا .

« وها قد مضى ثمانية عشر قرنا على حرب يهوذا من أجل تلك السيطرة التى وعد بها أبراهام ، والتى اغتصبها الصليب ، ورغم أن شعب اليهود قد ديس بالأقدام ، وأهين من قبل أعدائه ، وكان على الدوام مهددا بالموت والاضطهاد والاغتصاب وجميع أنواع الشدائد فإنه لم يستسلم ، وإذا كنا قد انتشرنا فى جميع أنحاء العالم فذلك لأن العالم كله ملك لنا » .

لقد انطوى اليهود على حب الانتقام ، وباتوا على مر الأجيال المتعاقبة يناوئون الشعوب التى تحتضنهم وترعاهم ، ولا يتورعون عن الاعتراف بهذه الروح الشريرة ، فما جاء فى تلك الوثيقة فى هذا الصدد :

«ومنذ قرون عديدة حارب حكاؤنا الصليب بشجاعة وعزيمة لا تغلبان . إن شعبنا يخطو شيئا فشيئا نحو القمة ، وفى كل يوم تزداد قوتنا ، نحن نملك آلهة هذا العصر . تلك الآلهة التى نصبها لنا هارون فى الصحراء . إنه العجل الذهبى الذى عبدناه ، والذى يعتبر اليوم إله العالم أجمع » .

ومن هنا تتكشف خططهم ووسائلهم الدعائية وتصميمهم على تحقيق أهدافهم ، فما جاء فى تلك الوثيقة فى هذا الصدد :

« ومنذ اللحظة التى نصبح فيها المالكين الوحيدين للذهب فى العالم فإن

القوة الحقيقية تصبح ملك أيدينا ، وعندئذ نحقق الوعود التى قدمت لأبراهام » .

١ — فالصهيونية والصهيونيون يملكون شركات الإعلان ، ووكالات الأنباء العالمية ، فتحسب الصحف الكبيرة قبل الصغيرة حسابهم ولا تتورع عن خدمتهم ، أو السكوت عنهم على الأقل وكتمان سيئاتهم ومآربهم .

٢ — وهم يملكون دور النشر ، ودور الطبع ، ودور التأليف والترجمة ، فيحسب المؤلفون والصحفيون والإذاعيون حسابهم ، وفى هذا الصدد تكشف الوثيقة بقولها : « إذا كان الذهب هو القوة الأولى فإن الصحافة هى القوة الثانية ، ولكن الثانية لا تعمل من غير الأولى ، فعلينا بواسطة الذهب أن نستولى على الصحافة وأن نبذل المال لمن نجدهم على استعداد لتقبل الرشوة ، وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين إلى تحطيم الحياة العائلية والأخلاق والفضائل » .

٣ — وهم يملكون أكبر الجوائز العلمية العالمية ، من قبيل جائزة نوبل بالسويد ، وجائزة بولتايزر بالولايات المتحدة الأمريكية ، لأن نوبل نفسه كان يهوديا ، ولجان التحكيم فى الولايات المتحدة لا تخلو من اليهود أو من يسيطر عليهم من اليهود بوسائل الإعلام .

٤ — ويملك الصهيونيون أسهما وافرة فى شركات السينما والتليفزيون ، وينتسب إليهم عدد كبير من الممثلين والممثلات ونقاد السينما والمسرح والتليفزيون .

والدليل قائم بين أيدينا فى فيلم « الإنجيل » (١) .

---

(١) مجلة الكواكب العدد ٨١٠ فى ١٩٦٧/٢/٧ بعنوان « امنعوا هذا الفيلم » للمحقق توفيق حنا .

فالفيلم مخطط استعماري أنتجه صهيونيون قادرون على كل شيء وهدفوا إلى تعميق المفاهيم بأن ملك إسرائيل يمتد من النيل إلى الفرات وأن الذبيح الذى قدمه إبراهيم والذى افتداه الله يقولون إنه إسحق .

فالفيلم بوضعه دعاية صهيونية وإثارة فتنة فى البلاد العربية عمن هو الذبيح: أهو إسماعيل أم إسحق؟ وما يترتب على هذا من ميراث لأرض الميعاد.

ثم هدف الصهيونية فى نشر هذا الفيلم باختيار التوقيت قبل العدوان على الجمهورية العربية المتحدة فى ٥/٦/١٩٦٧ لضمان صداقة الشعوب الإمبريالية لها ومساندتها لإسرائيل فيما إذا وقع اعتداء على البلاد العربية .

٥ — وتكشف الوثيقة عن جانب خطير بأن « الذهب أعظم قوة فى عالم البشرية ، إنه قوة وفى الوقت نفسه هبة . إنه يؤمن جميع أنواع السعادة ، تلك التى يخشاها المرء ويشتهيها فى آن واحد . هنالك يكمن السر ، وعمق المعرفة بالروح التى تحكم العالم، هنالك نملك المستقبل » .

٦ — « كانت القرون الأولى الثمانية عشر التى خلت لأعدائنا ، ولكن القرن الحالى والقرون المقبلة ستكون لنا ، ويجب أن تكون لنا نحن شعب يهوذا ومن المحقق أنها ستكون لنا . إن عصور الاضطهاد والعذاب ، والأزمنة السوداء المؤلمة التى تحملها شعب يهوذا بصبر وشجاعة قد مرت بسلام ، وشكراً لتطور المدنية بين المسيحيين وتقدمها . وهذا التقدم هو الدرع الذى نختبىء من ورائه لنعمل بثبات وبسرعة خاطفة من أجل إزالة الفجوة التى مازالت تفصلنا عن غاياتنا النهائية » .

ويمتلك الصهيونيون من الوسائل السافرة والمقنعة الوسائل الفنية والمالية للتأثير على الساسة والنواب المرشحين لمراكز الزعامة والمتنازعين على الأصوات فى مواسم الانتخابات . والوثيقة تحفز بنص العبارة :

٧ — « علينا أن نتسلل إلى جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية . لابد أن نتسلم مناصب رئيسية فى القضاء والوزارات الرئيسية والجامعات ، وأقسام الفلسفة منها والقانون والموسيقى والطب والاقتصاد السياسى ، والآداب والعلوم ، وأهمها جميعاً الطب لأن الطب يطلع على أسرار العائلات ويتغلغل فى صميم الحياة البشرية فى حياة أعدائنا المسيحيين ويقبض على كل شىء لديهم الصحة والجمال ».

وليس استخدامهم لوسائل الجمال « النساء » فى هذه المعارك وما إليها بأقل من استخدامهم لوسائل المال :

٨ — « علينا أن نشجع الزواج من المسيحيات . ولن نخسر شيئاً من جراء ذلك الاختلاط بل لابد أن نكون الرابحين . وقد توصلنا إلى المصاهرة بالأسر المسيحية الكبيرة مما يمكننا من السلطة ومقاليد النفوذ فى جميع الدوائر . فلنشجع إذن الزواج العرفى يعقد أمام السلطة المدنية ولنحارب الزواج الدينى الذى يعقد فى الكنيسة ».

ثم تسترسل الوثيقة بالتوصية فتقول :

٩ — « شعبنا محافظ ، مؤمن متدين ، ولكن علينا أن نشجع الانحلال فى المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر ، وتضعف الروابط المتينة التى تعتبر من أهم مقومات الشعوب ، فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كيفما نريد ».

هذه بعض أسرار مقررات صهيون ، ومن تعاليم التلمود ما هو أدهى :

« يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء ، وأن ندخل أبناءنا فى الديانات المختلفة ، وأن تكون لنا الكلمة العليا فى الدول وأعمالها ، فنفتنهم ونوقع بينهم ، وندخل عليهم الخوف ليحارب بعضهم بعضا وفى ذلك كله نجنى الفائدة الكبرى » .

هـذه هى جوانب أعمالهم الدعائيـة وهى تقوم أساسا على أقوال

حكماء صهيون ، وتعاليم التلمود . والتوراة إلى جانب كتاب أنها مقدس هى سجل واف عن تاريخ إسرائيل . وبدراسة تحليلية لسفر استير[١] يتأكد لنا مدى تطبيقهم لتعاليم التلمود بزواج استير بالملك أحشويرش ملك فارس دون أن تخبره عن شعبها ولا عن جنسها ، وكان لجمالها الفتان ماجعل الملك يتوجها ملكة دون مناقشتها عن شعبها ولا عن جنسها ، وقد أدت دورها فى نجاة بنى إسرائيل من مؤامرة حبكها ضدهم هامان رئيس وزراء الملك أحشويرش بل أكثر من هذا استطاعوا أن ينتقموا من أعدائهم .

تضافر القوى التبشيرية مع قوة الدعوة الصهيونية .

لعلى فى كتابى « المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى الإسلامى » وهو خلاصة تجارب وخبرات فى العمل التبشيرى تحت لواء سنودس النيل الإنجيلى متضافرا مع الإرسالية الأمريكية فى مصر والسودان ، لعلى فى كتابى هذا قد كشفت وقائع وحقائق تؤكد أن التبشير والاستشراق ما هما إلا عيون وآذان صاغية وعقول مستنبطة للإمبريالية . والإمبريالية تعلم علم اليقين أن الشعوب العربية لابد أن تتحرر وتمارس حقوق سيادتها واستقلالها وعلى الاستعمار أن يحمل عصاه ويرحل . فلا بد من ضمانات لتثبيت وجودها واستغلال خيرات هذه الشعوب . وواتتها فرصتها فى المطامع الصهيونية نحو وطن قومى لليهود فى فلسطين .

وفى القديم اتخذ الاستعمار طريقه إلى الشعوب الآسيوية الإفريقية بالشكل الصليبى فتكتل المسلمون فى حرب دينية روحية وانتصروا وحرروا الشام من الصليبيين وأخذوا حذرهم منهم . وفى أيامنا هذه يختفى الاستعمار أو بالحرى الصليبية وراء الصهيونية وبهذه اللعبة الجديدة جعلوا من الصهيونية الإسفنجة لامتصاص الثورات العربية والانتفاضات الشعوبية الإسلامية .

---

(١) انظر استير ٢ : ٨ — ١١ ، ١٦ — ١٧ ، واستير ٧ : ٤ ، ٥

إن تضافر هذه القوى يتلاقى فى قمته بالتعاون الوثيق بين الإمبريالية والصهيونية، ويتضح أمر المبشرين (١) المحترفين فيما يلفقونه على الأديان التى ينكرونها ، ويجندون أنفسهم على حد زعمهم لهداية أصحابها ، فإن هؤلاء المبشرين المحترفين مهرة فى فنون الدعاية ، مدربون على تمويه الواقع وتلبيس الحق بالباطل ، فلا يشق على عقولهم ولا على ضمائرهم أن يعرضوا أحوال الناس على الصورة التى تنفر الرأى العـــام العالمى ، ولا سيما المتعصبون المستعدون للنفور سلفا .

ولا أدل على ذلك من تصريح جـــان بول سارتر الفيلسوف الوجودى فى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى ١٩٦٧/٣/١٤ عن تقييمه للأعمال الفدائية فى فلسطين من « أنه لا يستطيع أن يبدى رأيا فيما يفعله الفدائيون هناك إلا إذا رأى الوجه الآخر للصورة » .

ورأى الوجه الآخر للصورة فذهب إلى إسرائيل واتخذ قراره الذى نشرته جريدة الجمهورية فى ١٩٦٧/٣/٣١ قال : « إن حق إسرائيل فى الوجود يجب أن يكون نقطة البدء فى أى حـل للمشكلة الفلسطينية » ، ولا شك أن هذا التصريح يخالف الحـق والعدل بالنسبة لقضية فلسطين ، ويفضح سلوك هذا الفيلسوف تجاه « حق مصير أمة » ، وإن تضحيته للقيم الإنسانية وميثاق الأمم المتحدة فى ميزانه لقضية فلسطين إنما تؤكد تواطؤه مع الصهيونية التى يتفق معها روحاً وفـكراً فى فلسفته التى تلغى الأديان .

وإننا أمام أزمة الأخلاق هذه وأزمة الضمير يعوزنا استخراج ميزان عدل لما ينشره الغربيون فى عصرنا هذا ولتمييز الخبيث من الطيب ، وغير الخالص من المخلص .

---

(١) راجع « المبشرون والمستشرقون فى العالم العربى الإسلامى » للمؤلف .

ويعوزنا نحن الشرقيين المفترى عليهم أن نحسن الوزن بهذا الميزان لنفهم ما يقال كما ينبغي أن يفهم ، وإذا وقفنا عند حد الفهم فقد وصلنا إلى نتيجة سلبية قصاراها أن ننفي ما يقال .

وفي المعركة المصيرية التي نواجهها ونحن أصحاب الحقوق فيها ألزم لنا من هذه النتيجة السلبية أن نقول نحن ما يثبت الحق ، وما يدفع الشبهات ، وما ينبغي أن يقال عن العرب وعن حقوق العرب السياسية وعن حقوقهم في السيادة وعن أرضهم المسلوبةفلسطين . ومن تعانق القوى الاستعمارية الممثلة في التبشير والاستشراق مع قوة الدعوة إلى الصهيونية تتمخض فلسفة في غاية الخطورة هي فلسفة التمويه على الحق بالباطل والزيف ، بإلباس الباطل صورة الحق .

لقد استطاع زعماء الصهيونيين خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ السعي لإنشاء كيان خاص بهم في فلسطين ، وركزوا نشاطهم في الدوائر السياسية البريطانية حتى تم لهم ما أرادوا في تصريح بلفور في ١٩١٧/١١/٢ متخذين من اضطهاد دول أوربا الشرقية لهم سببا يحفزهم للتجمع .

كما سعوا خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩— ١٩٤٥ إلى دعم هذا الكيان بإنشاء دولة لهم في فلسطين ، وركزوا أكثر نشاطهم في الدوائر السياسية الأمريكية مستغلين اضطهاد النازية لهم في أوربا من ناحية وتشريد من بقى منهم من ناحية ثانية سببا ، وكان لازدياد نفوذهم في الدوائر السياسية في البيت الأبيض لحكومة الولايات الأمريكية المتحدة الأثر القوى الذى حقق لهم ما أرادوا بإنشاء دولة تلم شمل عصاباتهم .

ومن تنظيماتهم السياسية ، من الوكالة اليهودية ومن الصهيونية العالمية ما مكنهم من التغلغل والسيطرة على واشنطن حتى أن رؤساء الولايات الأمريكية المتحدة كانوا يتسابقون لاكتساب أصوات اليهود في الانتخابات

لرئاسة الجمهورية وأصبحوا مسخرين للاستجابة إلى مطالبهم حتى ولو كان على حساب حق تقرير المصير للشعوب النامية ، فعندما تنافس الحزبان الجمهورى والديمقراطى فى سنة ١٩٤٥ تسابقا إلى تأييد اليهود ، ولما تولى ترومان منصب الرئاسة أصبح أشد من سلفه روزفلت حماسة لمشكلة اليهود حتى ألح فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ على إنجلترا بأن تفتح أبواب فلسطين لقبول مائة ألف مهاجر يهودى جملة واحدة كحل لمشكلة اليهود المشردين فى أوربا وحتى يصبح اليهود فى أقرب وقت ممكن أكثرية فى فلسطين فيتسنى لهم بمعونة أمريكا تحويلها إلى دولة يهودية .

الكتاب الصهيونيون

لقد كانت الدعوة لاندماج يهود العالم فى المجتمعات التى يعيشون فيها العدو الأول للصهيونية ، تماماً كما كانت العدو الأول للاسامية . ولهذا فإن العنصرية فى غياب الوحدة القومية الطبيعية ، لم تكن جوهر الفلسفة الصهيونية فحسب بل ووسيلتها إلى الوجود أيضاً .

وإنها لمفارقة تاريخية تدعو إلى التأمل أن نلاحظ هذا التطابق الغريب بين المفهوم العنصرى للصهيونية والمفهوم العنصرى للنازية ، وهو تطابق فكرى أدى إلى استعمال أساليب العمل نفسها التى تجلت فى الاضطهاد العنصرى الذى مارسته الصهيونية قبل قيام إسرائيل وبعده .

كذلك حملت الصهيونية ، منذ نشأتها ، تلك النزعة الاستعلائية التفوقية التى كانت دوما عبر التاريخ الوليد الطبيعى للفلسفة العنصرية . إن رفض الاندماج اليهودى بالمجتمعات الأخرى لم يكن مجرد نتيجة لأشواق قومية لا واقعية ، بل كان أيضاً ، وربما أساساً ، تجسيداً لتلك النزعة الاستعلائية التفوقية . وقد سخرت الصهيونية اليهودية لتأكيد وترسيخ هذه النزعة مطورة

فكرة « الشعب المختار » إلى معنى جديد كليا عــبر عنه « آهاد هاعام » فى معرض حديثه عن التكتل العنصرى اليهودى بقوله : « إن أمة إسرائيل كأمة متفوقة وهى النسخة الحديثة للشعب المختار — تستطيع بهذه الطريقة أن تصبح نظاماً حقيقياً » . ولهــذا تبحث الأمة اليهودية « عن مكان مستقر تعيش فيه كى تتاح لها ، مرة أخرى ، الفرصة لأن تنمى عبقريتها الخاصة وتحقق رسالتها كأمة متفوقة » .

وفى ذلك الوقت الذى كان الاستعمار البريطانى يبلور فيه خططه المبكرة بشأن فلسطين ، ويفتش عن أداة لتحقيقها ، كانت الصهيونية قــد ظهرت للوجود وخطت بعض الخطوات فى طريق تبلورها السياسى من موسى هيس . . إلى ليو بنسكر . . . إلى ثيودور هرتزل ثم حاييم وايزمن .

وقد طرحت الصهيونية نفسها منذ البدء مستغلة الاضطهاد الذى كان يعانيه اليهود فى بعض البلدان من أوربا الشرقية ، كمحاولة سياسية منظمة لإعطاء حل جديد وشامل لجميع يهود العالم .

ففى سنة ١٨٩٢ كتب ليو بنسكر أحد زعماء الصهيونيين الأوائل فى كتابه « التحرير الذاتى » يقول : « إن العالم يحتقر اليهود لأنهم لا يشكلون أمة . والحل الوحيد لهذه المشكلة هو فى خلق قومية يهودية يعيش فيها الشعب فى وطنه الخاص » .

وفى سنة ١٨٩٩ قال دافيد تريتش : « يجب التمسك بفكرة فلسطين الكبرى على أن تكون البداية متركزة على الأطراف . هذه هى الصهيونية الواقعية الممكنة » .

ويقول ثيودور هرتزل : « إن فلسطين التى نريد هى فلسطين داود وسليمان » .

فالصهيونيون يتمسكون بزعمهم أن أرض الميعاد هى « فلسطين داود وسليمان » لأنها هى الأرض التى قامت فيها دولتهم سنة ١٠٠٠ ق . م ، بعد أن تاهوا فى الصحراء .

اومن فلسطين هذه خرجت أسس دعوة التوحيد التى تبناها اليهود ، وفيها تولى كثير من حكامها اليهود وملوكهم الذين رفعوا راية اليهودية من أمثال داود وسليمان .

وفى هذا يقول ثيودور هرتزل : « إن أرض سيناء ، والعريش هى أرض اليهود العائدين إلى وطنهم » . بل للوصول إلى فلسطين يقـــول ثيودور هرتزل : « إن قبرص ليست سوى خطوة إلى فلسطين » .

ويقول دافيد تريتش : « إن قبرص هى جزء من فلسطين الـكبرى » .

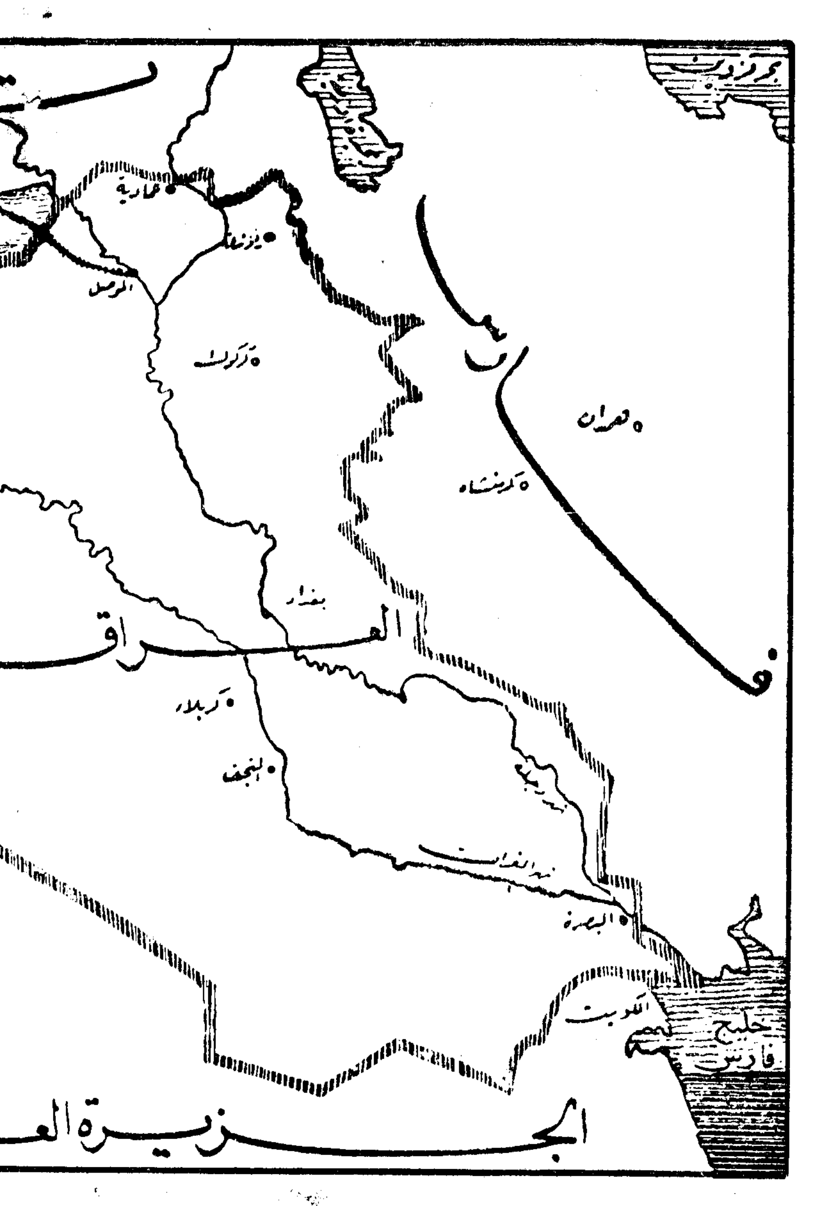
فالصهيونيون لم يـكتفوا بفلسطين وحدها ، وإنما أضافوا إليها شبه جزيرة سيناء القائمة فى شمال شرق مصر ، والتى تصل آسيا وأفريقيا ، وكانت حجتهم فى ذلك أن هذه المنطقة نزلت فيها تعاليم ومبادىء الدعوة اليهودية على موسى عليـــه السلام .

وفى سيناء صاهر موسى يثرون كاهن مدين ، وفى سيناء دفن موسى : « مات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب حسب قول الرب ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم » (١) . وعلى ذلك فإنهم يضيفون سيناء إلى فلسطين لتصبحا معاً أرض الميعاد .

وقد قال هرتزل داعية الصهيونية ومنظم حركتها وهو يسجل بعض

---

(١) تثنية ٣٤ : ٥ — ٦ .



مناطق الانتداب

في سورية وفل

قبرص
شرق الأردن
مصر
الحجاز
حلب
تدمر
معان


والفرنسي

الملاحظات فى مذكراته حول محادثاته الأولى مع السلطات العثمانية : « إن الحكومة العثمانية طلبت أربعين مليون فرنك ، وعرضت أن تعطينا بالمقابل امتياز خط حديدى بين البحر المتوسط والخليج العربى بالإضافة إلى حق إقامة جاليات ومستعمرات فى فلسطين ضمن مساحة قدرها سبعون ألف كيلو متر مربع » .

والمعروف أن مساحة فلسطين فى عهد الانتداب البريطانى لم تكن تتجاوز ٢٦ ألف كيلو متر مربع ، وعليه فيبدو أن هرتزل كان يطلق اسم فلسطين على أرض تفوق كثيراً مساحة فلسطين المعروفة .

ويشير هرتزل — بعد أن يذكر محادثاته مع البرنس هوتلو مستشار القيصر الألمانى غليوم الثانى — إلى المطالب التى سوف يتقدم بها إلى الدول بقوله : « المساحة من نهر النيل إلى الفرات . لابد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا يكون فيها الحاكم يهودياً . . . وما إن تصل نسبة اليهود إلى الثلاثين حتى تفرض الإدارة اليهودية نفسها سياسياً » .

أما مطامعه فى سيناء فتعود إلى أوائل هذا القرن إذ طرح هرتزل أمام اللورد لانسدون وزير خارجية بريطانيا حينئذ فكرة إقامة جاليات ومستعمرات يهودية فى وادى العريش وسيناء .

وقد رحب لانسدون بالفكرة وأبدى استعداده لتوصية اللورد كرومر بتسهيل مهمة مبعوث هرتزل للاستطلاع ، وأطلق هرتزل على سيناء اسم « فلسطين المصرية » . وفى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٢ سجل الخواطر التى راودته عن كيفية رى الصحراء بواسطة مياه النيل .

ومع أن جهود هرتزل فى استعمار سيناء قد فشلت فإن الحركة الصهيونية

لم تصرف النظر عن هذه الأرض العربية ، ففى ١٥ فبراير «شباط» عام ١٩١٧ نادى بن جوريون ، وبن زفى بضرورة ضم العريش للوطن القومى اليهودى . فالمطامع الصهيونية لم تتخل عن سيناء وامتداد «دولة إسرائيل» حتى الضفة الشرقية لقناة السويس . وامتازت المطامع الصهيونية التوسعية بين سنتى ١٩١٧ ، ١٩٢٠ بالتركيز على المطالبة بالأراضى الضرورية للزراعة والرى والصناعة والمناطق التى تكفل المنعة العسكرية والسيطرة الاستراتيجية على مداخل فلسطين الرئيسية . وتمسكت الحركة الصهيونية بضرورة ضم شرقى الأردن إلى الوطن القومى ، فما إن أعلنت الإدارة العسكرية البريطانية فى فلسطين فى أكتوبر «تشرين الأول» عام ١٩١٨ إقامة إمارة شرقى الأردن حتى عارضت الحركة الصهيونية إنشاءها وظل زعماؤها يصرون على ضرورة[1] الحصول على شرقى الأردن حتى خط سكة حديد الحجاز .

وقال الدكتور حاييم وايزمن — بعد إعلان قيام إمارة شرقى الأردن — إن تدفق المهاجرين اليهود إلى فلسطين هو الوسيلة إلى التوسع فى شرقى الأردن .

وتمتد أطماع الصهيونية إلى سهل حوران وجبل الشيخ ومنطقة دمشق والرقعة الواقعة بين دمشق والحدود السورية اللبنانية .

ومطامع الصهيونية لا تنحصر فى ضم سيناء وضم شرقى الأردن ورقعة كبيرة من سوريا كما تقدم ، بل إنها تطمع كذلك فى منطقة لبنان الجنوبى لوجود منابع نهر الأردن ومجرى نهر الليطانى ومصبه فيها . . فضلا عن أهميتها الاستراتيجية والعسكرية للدولة الصهيونية .

---

(١) سيأتى دور شرقى الأردن فى الحديث عن تحليل الانتداب البريطانى فى الباب الثالث .

إن الاعتداء الإسرائيلى على الجمهورية العربية المتحدة فى ٥ يونيو « حزيران » ١٩٦٧ واحتلالها لمناطق عربية تحاول البقاء فيها تحقيقاً لأطماعها التوسعية فى الأقطار العربية كان وفقاً لخطة محكمة أعدها قادة الحركة الصهيونية منذ نشأتها وقبل وعد بلفور وعملوا على تنفيذها على مراحل قبل وبعد قيام إسرائيل .

وهكذا نشأت الحركة الصهيونية كحركة سياسية تهدف إلى تحويل اليهودية من مجرد دين إلى قومية تتجسد فى دولة تجمع جميع يهود العالم فى وطن قومى خاص .

وكانت هذه الدعوة غريبة تماماً عند يهود العالم حتى أواخر القرن التاسع عشر حيث كانت الأكثرية اليهودية تعتبر اليهودية ديانة سماوية لا رابطة سياسية ، وترى أن حل المسألة اليهودية هو فى اندماج وذوبان اليهود كمواطنين فى المجتمعات التى يعيشون فيها . لذلك لم تصادف تلك الدعوة صدى مقبولا بل استقبلت على العكس ، من اليهود والعالم على السواء ، بالاستغراب والرفض . ونظر إليها كرد فعل غير متوازن لاضطهاد اليهود فى بعض دول شرق أوربا وكإفراز خيالى على هامش جموع عصر القوميات .

والواقع أن اليهود قد نالوا حقوقاً سياسية فى البلاد التى استوطنوها ، ففى فرنسا استفادت اليهودية كثيراً من مبادئها التحررية ، وقام رجال الثورة : ميرابو ، والأب غريغوار ، وسانت إتيان ، يقاتلون من أجل بسط ظل المساواة والأخوة على الجميع . وقد أكد هذه المبادىء الثورية كليرمون تونيير أحد أعضاء المجلس التأسيسى بالكلمات التالية : « إننا لا نمنح شيئاً لليهود كشعب ونمنح كل شىء لليهود كمواطنين . . . » ، وهكذا نالت اليهودية المساواة التامة فى فرنسا .

وفى عام ١٨٧٤ نال اليهود فى إنجلترا وهولنـدا وألمانيا وبلجيـكا والدانمرك والنرويج كامل حقوقهم الدينية والسياسية .

وفى أمريكا ينال كل مواطن حقوقاً سياسية كاملة ، فالقوانين الأمريكية لا تعترف بأكثرية تحكم أقلية ، وأقلية تخضع ، وإنما عاملت جميع المواطنين على قدم المساواة دون تمييز ، على نقيض من الإمبراطورية البيزنطية التى اعتبرت الطوائف غير المسيحية أقلية دينية وعوملت معاملة خاصـة تتفق ومعتقداتها الدينية .

بينما ظل يهود أوربا الشرقية يكافحون لنيل حرياتهم الدينية والسياسية أسوة بإخوانهم فى أوربا الغربية .

من الروسيا . . . اندلعت الشرارة الأولى للصهيونية كحركة سياسية تهدف لاستعادة مجد صهيون فى أرض الميعاد ، وراحت بذرة هذه الفـكرة تترعرع فى نفوس غلاة اليهود من ذوى المطامع السياسية ، وفى عام ١٨٩٧ عقد هرتزل أول مؤتمر صهيونى فى مدينة بال بسويسرا على أثر الحملة المغرضة التى شنتها الصحف الفرنسية على دريفوس أثنـاء محاكمته وأدلى بتصريحه للمؤتمرين بقوله: «لست أنصحكم بأن تهاجروا إلى فلسطين فذلك خطر عليكم وعلى السكان الأصليين . ابتعدوا عن فلسطين واجتنبوها واختاروا لأنفسكم بلداً غيرها. ذلك خير لكم وأولى». وكان أن وضع كتابه الأول عن الصهيونية « دولة يهوذا » شرح فيه هدفها الأساسى كما تضمن خطة عمليـة مدروسة لتحقيق هدفهم سنة ١٨٩٥ .

وبعد مرور اثنتى عشرة سنة على مولد فـكرة هرتزل الصهيونية عقد المجلس اليهودى الأمريكى اجتماعاً اتخذ فيه قراراً بشجب كل محاولة ترمى إلى

إنشاء دولة يهودية ، وأعلن معارضته الشديدة للحركة الصهيونية السياسية مصرحاً بأن « صهيون كانت حقيقة وطننا العزيز فى الماضى . . ولكنها الآن ليست سوى ذكرى مقدسة وعزيزة على قلوبنا .. وهى ليست محط آمالنا فى المستقبل . إن أمريكا هى أرضنا وصهيوننا » .

وهكذا يبدو جليا أن الصهيونية كانت بالنسبة ليهود أمريكا الأولين حركة سياسية غريبة عنهم .

وقال مستر مورغانتو : « إن يهود فرنسا المستنيرين قد وجدوا صهيونا لهم فى فرنسا ، ويهود إنجلترا وجدوا صهيونا فى إنجلترا ونحن يهود أمريكا قد وجدنا صهيونا فى أمريكا . ولذا فأنا أرفض أن أسمى صهيونيا فإنما أنا أمريكى » . وقال : « إن الصهيونية هى أكبر خدعة فى تاريخ اليهودية لأنها تقوم على مجموعة من الأخطاء والأسس الفاسدة فهى مستحيلة التحقيق ، ولا ترتكز على أسس اقتصادية أو سياسية فضلا عن انعدام المثل الدينية » .

ورغم هذه المعارضة فقد أصر الزعماء الصهيونيون على رأيهم ، وواصلوا الجهد والإقناع ونجح هؤلاء وفى مقدمتهم وايزمن Weizmann وسوكولوف Soclov فى خداع الجماهير وتضليلها واستطاعوا أن يجذبوا إليهم عدداً من ذوى النفوذ وخاصة فى بريطانيا وأمريكا . حتى هرتزل المعارض الأول لفكرة « فلسطين » عاد واستسلم ووافق على قيام الدولة اليهودية فى فلسطين .

وبقيت الصهيونية فى حيز الكتابات المتفرقة والتجمعات الضئيلة المحدودة الأثر حتى استطاع أن يخطو خطوة إيجابية بعد عامين من إصدار كتابه « دولة يهوذا » ونجح فى عقد مؤتمر بال أول مؤتمر صهيونى عالمى سنة ١٨٩٧ فى مدينة بال بسويسرا وحضره ١٩٧ مندوباً من أمريكا وأوربا وتدارس المؤتمر الوسائل العملية الكفيلة بتحقيق هدفهم فى إعادة بناء « دولة داود الخامدة » وكان هرتزل

فى لباقته يرى وجوب الحصول على موافقة السلطان العثمانى لقيام دولة يهودية فى فلسطين وقال فى ذلك : « ليس لنا أن نبدأ شيئاً من أعمالنا الاستعمارية فى فلسطين قبل الحصول على ترخيص قانونى بدخولنا إليها » .

وهرتزل كان من الكتاب المتيقظين أمثال فولتير ، وجان جاك روسو رسل الثورة الفرنسية . فإن تصريحه باستئذان السلطان إنما لهدف الدخول معه فى مفاوضات والحصول منه على اتفاقيات وامتيازات كالتى حصل عليها الملك فرنسوا الأول ملك فرنسا من السلطان سليمان القانونى سلطان تركيا باسم حماية المسيحيين فى الشرق . لكنه أخفق فيما أراد . وعلى الرغم من معارضة يهود أمريكا للصهيونية فإن بعض اليهود النازحين من أوربا الشرقية حملوا معهم إلى أمريكا تقاليدهم وانعزاليتهم ، وسعوا لتطبيقها فى أمريكا ، فابتعدوا عن المواطنين الأمريكيين وعاشوا فى أحياء خاصة بهم ، كما اعتادوا أن يعيشوا فى أوربا .

وفى هذه الأحياء المنعزلة ، وبين فئة اليهود المتزمتة ، وجدت بذرة الصهيونية تربة خصبة لنموها ، فى حين راحت حركة الإصلاح تكافح هذا التيار الجديد الجارف .. تيار الحركة السياسية الصهيونية . وعندما أعلن وعد بلفور القاضى بإنشاء وطن قومى لليهود بفلسطين تفاوتت حرارة التأييد له :

فإن فئة من يهود أمريكا المحافظين شنت حملات شعواء على هذا الوعد ، بينما قبل دعاة الإصلاح من اليهود هذه الدعوة ورحبوا بالتعاون مع زعماء الحركة الصهيونية الجديدة منادين بجعل فلسطين ملجأ أميناً للجميع ومركزاً روحياً لليهود .

أما غلاة الصهيونيين من اليهود فقد تشددوا فى المطالبة بإنشاء وطن قومى يهودى بفلسطين .

وهكذا ظل الصراع سجالا بين الصهيونيين المتطرفين وبين المعتدلين من اليهود ، حتى كان عام ١٩٣٣ عندما شن هتلر حملته الاضطهادية التعذيبية على اليهود فى ألمانيا وبعض بلدان أوربا .

فانتهز زعماء الصهيونية هذه المناسبة وقاموا بحملة دعاية واسعة فى الأوساط اليهودية فى أمريكا وأوربا ، وكان من الطبيعى أن وقف عدد كبير من المنظمات اليهودية إلى جانب الصهيونيـة يؤيدها فى دعوتها لاغتصـاب فلسطين وطرد أهلها العرب .

والجدير بالذكر ، وفلسطين تعتبر جزءاً من جنوبى سوريا الطبيعية ، أن الغالبية العربية ولمدة ألف وثلاثمائة وثمان وستين سنة تعيش بسلام وطمأنينة ، وظلت طوال هذه المدة تتولى الإشراف على الأماكن المقدسة وتدعو بالإسلام كديانة توحيد إلى جانب المسيحية واليهودية[1] .

كان مؤتمر بال العالمى المنعقد سنة ١٨٩٧ نقطة تحول هامة فى تاريخ الحركة الصهيونية ، فقد سجل أول نجاح عملى للصهيونية فى بعض أوساط يهود العالم ، وحدد لها هدفها السياسى المباشر مؤكداً « أن هدف الصهيونية هو أن تخلق للشعب اليهودى وطناً فى فلسطين يحميه قانون عام » ، كما وضع البرنامج العام للاستعمار الصهيونى من ثلاثة خطوط رئيسية :

١ — تنظيم الحركة الصهيونية العالمية .

٢ — ثم تخطيط حركة الاستعمار الصهيـــونى فى فلسطين وتمويلها والإشراف عليها .

٣ — ثم إجراء الاتصالات والمفاوضات السياسية لتأمين الدعم السياسى العالمى لتحقيق هذه الأهداف .

---

(١) انظر الباب الثانى عن وايزمن والانتداب .

وهكذا وضعت فى أوربا الخطوط الأولى لأغرب وأفدح عملية اغتصاب استعمارى فى التاريخ الحديث ، من قبل أناس لم يروا فلسطين أو يطئوها من قبل .

وابتدأت الحركة الصهيونية تسير رحلة طويلة جريا وراء قوة دولية كبرى تؤيد فكرة الوطن القومى اليهودى .

وابتدأت الحركة الصهيونية رحلتها الأولى إلى الإمبراطورية العثمانية مقدمة إغراءات مالية كبيرة مقابل السماح بالهجرة وتأسيس المستعمرات فى فلسطين ، واصطحب ثيودور هرتزل المسيو فاميرى إلى السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠١ وعرض على السلطان مليونين من الجنيهات ثمنا لإجابة مطالبهم .

ولكن السلطان — رغم حاجته إلى المال فى ذلك الوقت — رفض مطالب اليهود ، فقد أحس بسوء نواياهم ، ورد على المسيو فاميرى ردا يعتز له العرب وحفظه اليهود فى قلوبهم. فقد جاء فى رسالة السلطان إلى هرتزل : « أنا لا أستطيع إعطاءكم قدما واحدة فى فلسطين ، لأنها ليست ملكى . . وعلى اليهود أن يحفظوا أموالهم لأنفسهم فقد يأخذون فلسطين هدية من أعدائنا ولكنهم لن يصلوا إلى هدفهم إلا على جثثنا » . ولم يكتف السلطان بذلك بل حرم على اليهود المقيمين فى فلسطين امتلاك أراض جديدة ، ووضع رقابة شديدة على الحدود الفلسطينية ، حتى يمنع تسرب أى يهودى إليها [1] .

---

(١) حدث هذا بعد أن تنبه السلطان الى مآرب الصهيونية لكن كان قد تسلل باكورة الصهاينة إلى فلسطين عام ١٨٨٢ حين تمكن اليهودى المالى البارون ادمون دى روتشيلد من إقناع الحكومة العثمانية بالسماح له بإنشاء بعض مستعمرات زراعية فى بعض الأماكن فى فلسطين وتأسست شركة « بيكا » للاستيطان ونشأت مستعمرات أربع للزراعة هى « ريشون ليزيون » و « حترون يعقوب » و « روشينا » و « بتاح تكفا » هذه المحاولة تحولت إلى دولة عام ١٩٤٨ .

ثم استأنفت الرحلة مسارها إلى عاهل الإمبراطورية الألمانية وعرضوا عليه إنشاء شركة لاستثمار الأراضي تعمل في فلسطين تحت حماية الإمبراطورية الألمانية ، لكنه ارتاب في صدق نواياهم فرفض مطلبهم . وفكر اليهود في إنجلترا صديقتهم الحميمة وطلبوا منها مكاناً آخر غير فلسطين أي منطقة يحققون فيها فكرتهم ويقيمون دولتهم ، وعرض هرتزل على تشمبرلن استيطان اليهود في قبرص أو مدغشقر أو أستراليا وهي من المناطق التي كانت خاضعة للنفوذ الإنجليزي ، وهنا ثار جدل كبير بين فريقي اليهود السياسيين والعمليين ، فكان السياسيون يرون الرضا بأي منطقة أخرى بينما أصر العمليون على فلسطين .

وأدركت حركة الصهيونية العارفة بمصالح الاستعمار البريطاني ونواياه مع اقتراب الحرب العالمية الأولى ، أن الاستعمار البريطاني هو القوة الوحيدة المهيأة لأن تشكل السند الفعال للحلم الصهيوني . وهكذا تخلت نهائيا عن محاولاتها اليائسة لدى الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الألمانية واتجهت نحو بريطانيا مؤكدة لها باستمرار أن اليهود في فلسطين سيكونون جزءاً لا يتجزأ من الإمبراطورية البريطانية .

وكان الحلفاء أكثر ولاء لليهود واهتماما بمصلحتهم . . إذ سرعان ما رحبوا باليهود ، ولم ينتظروا نهاية الحرب حتى كانت إنجلترا تعلن على لسان وزير خارجيتها بلفور التصريح[1] المعروف باسمه في اليوم الثاني من نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩١٧ والذي نص على أن حكومة إنجلترا تعتزم إقامة وطن قومي لليهود ، وهكذا ظهر غدر الإنجليز وممالأتهم للصهيونية وخيانتهم للعرب[2] .

---

(١) انظر الباب الثاني « روتشيلد وبلفور » .

(٢) كانت ممالأة بريطانيا للصهيونية استخفافا بزعماء العرب الذين ضيعوا البلاد في سبيل مصالحهم الخاصة .

وفى عام ١٩١٤ أى قبل ثلاث سنوات من وعد بلفور ، كتب الدكتور حاييم وايزمن إلى رئيس تحرير جريدة المانشستر يقول : « من الممكن الآن أن نقول إنه إذا وقعت فلسطين فى دائرة النفوذ البريطانى ، وإذا شجعت بريطانيا بعد ذلك توطن اليهود هناك ، فإنه من الممكن أن نوجد فى تلك البلاد خلال ثلاثين عاما من الآن مليون يهودى أو أكثر يشكلون حرساً فعــالا لقناة السويس » .

هذه القــوة الاستعمارية الفريدة فى نوعهــا ، حملت منـذ نشوئها المبــكر فــكراً وعملا نزعة عدوانية سافرة عنصرية استعلائية لازمتها طيلة مراحل عملها وتجسدت كأوضح ما يــكون بعد ذلك فى الدولة الصهيونية إسرائيل .

ورأت الإمبريالية هذه النزعة العنصرية فى الصهيونية وبهؤلاء تشكل الضربة القاضية للإمبراطورية العثمانية المتداعية ، ورأت فيهم الفرصة لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية القديمة . وهكـذا مدت بريطانيا يدها للصهيونية تنتشلها فلسفة وحركة ، لتبدأ وإياها فى إعداد فصول المؤامرة الـكبرى على فلسطين ، وظهرت قضية فلسطين فى حيز الوجود دوليا .

ولما وضحت الرؤية للصهيونيين كشفوا القناع عن مخططاتهم وأنهم منـذ نشأتهم قاموا على فــكرة اغتصاب فلسطين كاملة ، وطرد شعبها خارج حدودها . إنها لم تقم بقصد إيجاد مكان لليهود المضطهدين يعيشون فيه بأمان ، ولا حتى بهدف إيجاد تجمع يهودى فى فلسطين ، ولا حتى بقصد إقامة دولة يهودية على جزء من أرض فلسطين . إن الصهيونية التى فهمها البعض فى البداية على أنها مجرد رد على موجة اضطهاد اليهود ، سرعان ما سارعت إلى ملاشاة هذا الفكر

مؤكدة أن الهدف من حركة الهجرة والاستعمار هو جعل فلسطين وطنا قوميا يهوديا يجد تعبيره السياسى فى الدولة اليهودية الواحدة .

هـذا التصميم المبكر على اغتصاب فلسطين وإقامة إسرائيل نجـده فى الكتابات الصهيونية الأولى ، وفى قرار المؤتمر الصهيونى الأول العالمى فى بال سنة ١٨٩٧ ثم مؤتمر آخر فى بال سنة ١٨٩٩ ثم فى لنـدن ، وكان من نتائج هـذه المؤتمرات : إنشاء بنك يهودى برأس مال قـدره مليونان من الجنيهات تستخدم فى شراء الأراضى من عرب فلسطين .

وقد أصروا على فلسطين وطناً لهم وهـذا ما عبر عنه الدكتور حاييم وايزمن فى مؤتمر السلم العالمى بباريس عام ١٩١٩ حين أكد أن نظرة الصهيونيين لفلسطين هى أن تكون يهودية تماما بقدرما إنجلترا إنجليزية .

وانعقد المؤتمر الصهيونى الخامس وصرح ماكس نوردو بقوله : « يدعى خصومنا أن فلسطين غير قادرة على استيعاب اليهود ، بل إنها قادرة على استيعاب ١٤ أو ١٥ مليونا من اليهود على أن يكون من الواضح أن فلسطين تشمل الأراضى المجاورة » .

وانعقد المؤتمر الصهيونى العشرون وصرح بن جوريون بقوله : « ما من صهيونى يقبل أن يتنازل عن أصغر رقعة من فلسطين » .

هذه التصريحات فى مزاعم الصهيونيين تستند على قانونيتها بحسب مزاعمهم كذلك من التاريخ المقدس من التوراة .

فهم يقيمون مملكة داود وسليمان من سنة ١٠٠٠ ق . م . إلى سنة ٩٢٧ ق . م حين اتسعت رقعتها وشملت سيناء وشرق الأردن وأجزاء من سوريا الحالية ومن لبنان وغرب العراق .

وإن إبراهيم عليه السلام الجد الأكبر لبني إسرائيل كان يقيم قبل هجرته في « أور » بأرض العراق حين كانت تابعة للدولة الكلدانية ، ثم إنه سار في طريقه متجها إلى حاران ، ووصل إلى مناطق أخرى من شمال الحجاز . ومن أجل ذلك فإنهم « اليهود » يرون أنهم الوريث الشرعي لجدهم الأعلى إبراهيم عليه السلام في هذه المنطقة .

وأسرف بعضهم في زعمهم ، ودفعتهم أنانيتهم وحبهم للسيطرة والتحكم إلى المزيد من الأطماع ، ولم يكتفوا بالأجزاء السابقة من فلسطين وسيناء والعراق وسوريا ، وإنما أضافوا إليها أجزاء من مصر « الوجه البحري » زاعمين أن بني إسرائيل قد عاشوا في دلتا النيل بمصر فترة طويلة ، وأن موسى نبيهم نشأ وشب في مصر ، وأن الأجداد الأول اليهود — وهم يقصدون بذلك أبناء يعقوب الذي هو إسرائيل — سكنوا مصر فترة طويلة ، وأنهم « أي الإسرائيليين » قد خرجوا من مصر لظروف طارئة حين أمرهم موسى بالخروج معه لينشروا دين الله ومبدأ التوحيد ولينقذوا أنفسهم من اضطهاد المصريين ، وعلى ذلك فاليهود يدخلون شمال مصر في حدود ما أسموها أرض الميعاد ، حسب وصية الله لإبراهيم وعهده له: « في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » [1] .

وحملت الصهيونية فلسفة عنصرية صريحة ، بل لقد كانت بحكم نشأتها مسوقة إلى جعل العنصرية أساسها الفكري الجوهري وهو الحل لأوضاع اليهود في غمار حركة التحرر الليبرالية، واستندوا في ذلك إلى نداء عزرا ونداء

---

(١) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب الباب الثاني « الوجهة الشعوبية والاجتماعية » . وانظر تكوين ١٥ : ١٨ .

تحميا لشعب إسرائيل بعد عودته من سبى بابل بعدم الامتزاج ومصاهرة الشعوب إبقاء على نقاء النسل (١).

دراسة تحليلية

١ — المنطقة التى يريدونها وطنا :

إذا كان دعاة الصهيونية يعتقدون أنهم أصحاب حق فى فلسطين فلماذا رضوا بجزء منها دون الآخر ؟ ثم لماذا تهاونوا ذات يوم فى هذا الحق حين أخذوا يبحثون عن بديل عنه إذا كان ما يزعمونه حقا لهم ؟

فى إبّان الحرب الكونية الأولى لجأوا إلى بريطانيا والتمسوا منها أن تمنحهم أى منطقة تحت نفوذها سواء أكانت مدغشقر ، أم أستراليا ، أم قبرص ، ولقد صرح ثيودور هرتزل بقوله : « يكفى أن تعطونا أية قطعة من الأرض تتناسب وحاجات شعبنا ويكون لنا السيادة عليها ». بل إن كثيرا من زعماء الصهيونية اعترضوا على التمسك بفلسطين ودعوا يهود العالم أن يستبعدوا هذه الفكرة من أذهانهم ، وكان مما قاله ليوبنسكر : « ليس هدفنا هو الأرض المقدسة ولكننا نريد أى بقعة من الأرض تخصص لنا » . حتى الدكتور حاييم وايزمن فى نظرته إلى وعدالله لإبراهيم (٢) يقول قولا غير محدد : « إننى أعتقد أن الله قد وعد أبناء إسرائيل بفلسطين، ولكنى لا أعرف الحدود التى رسمها . إننى أعتقد بأنها أوسع من الحدود المقترحة الآن ، وربما ضمت شرق الأردن . فإذا حافظ الله على وعده لشعبه فى الوقت الذى يختاره فإن واجبنا هو إنقاذ كل ما يمكن إنقاذه من بقايا إسرائيل » (٣) .

---

(١) المصدر السابق ، وانظر : عزرا ٩ : ١ — ١٢ .

(٢) انظر تك ١٧ : ٥ — ٨ . (٣) مذكرات هرتزل ص ٤٧٣ .

لقد استمسك بالوعد ونسى العهد ، لقد غض النظر عن حيثيات نقضهم للعهد وبالتالى ضياع الوعد نهائيا ، لقد تجاهل نبوءة نبيهم إرمياء [١] بقضاء الله على أورشليم ، وتجاهلوا نبوءة المسيح عيسى بن مريم [٢] تأييدا لنبوءة سابقه إرمياء النبى .

وتتضافر الأحداث لتتميم إرادة الله فيدمر الإمبراطور تيطس الهيكل عام ٧٠ م ، ثم يسبى الإمبراطور هادريان بنى إسرائيل فى كل أرجاء الإمبراطورية عام ١٣٥ م . ومن ثم فقد زال حتى كيانهم الروحى وقد سبق أن زال كيانهم السياسى نهائيا عام ٥٨٦ ق . م .

وتؤكد الأحداث إرادة الله من أنه رذل شعب بنى إسرائيل فإنه قد ادخر لميراث أرض الميعاد أحفاد ذاك الذى قال عنه : « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » [٣] . فالميراث إذن لأبناء عمومتهم والأرض إذن صارت للعرب .

إن هرتزل المبشر بالصهيونية لم يتجرأ على المطالبة بأرض فلسطين فصرح لتشمبران بقوله : « إن قاعدتنا يجب أن تكون فلسطين أو بالقرب منها . وبعد ذلك سيكون بإمكاننا أن نقيم جاليات فى أوغندة وذلك لأن جماهيرنا مستعدة للهجرة . ولكن يجب علينا أن نبنى على أسس قومية .وقد كان الجانب السياسى هو الذى شدنا إلى مشروع العريش » [٤] .

ويقول ماكس نوردو : « إن أوغندة هى معسكر ليلى لليهود . . محطة فى منتصف الطريق إلى فلسطين » .

---

(١) إرمياء ٢٢ : ٨ ، ٩ .

(٢) لوقا ١٩ : ٤١ — ٤٤ .

(٣) تك ١٧ : ٢٠ .

(٤) مذكرات هرتزل ص ٤٧٤ .

وتوهم حاييم وايزمن حدود أرض الميعاد بأن « الحد الاستراتيجى الطبيعى الوحيد هو القطاع الضيق الذى يقع فى الشمال من صيدا إلى أقصى الحد الجنوبى للبنان ، والحد الطبيعى الآخر هو وادى البقاع فى حيازة الأطراف الجنوبية للبنان وجبل الشيخ وتحصينها بشكل يكفل السيطرة على المخرج الجنوبى لهذا الوادى »(١).

فلو أن اليهود الصهيونيين مقتنعون بأحقيتهم فى فلسطين لما فكروا حتى مجرد التفكير فى أرض غيرها .

ترى لو قدر لليهود أن يستولوا على إحدى المناطق التى كانوا يريدونها مثل مدغشقر ، هل كانوا سيجدون مايبررون به استيلاءهم على هذه المنطقة ؟

قد يقولون : إن مدغشقر هى أرض ميعادهم ، وعند ذلك سيحشرون فى كتبهم المقدسة كعادتهم وفى تلمودهم مايثبت أن الله وعدهم بمدغشقر ، وسيدعون أيضا أن لهم فى مدغشقر حقا تاريخيا ويستدلون على ذلك بأسانيد كاذبة ، وسيذكرون فى كتبهم تاريخ دولتهم فى هذه المنطقة . فاليهود كما هو معروف عنهم لديهم القدرة الكافية على التزوير والافتراء .

إن اليهود لا يتورعون عن تزييف كل حقيقة ، ما دام ذلك يحقق لهم أهدافاً وأغراضا .

وهكذا يتبين لنا بصورة لا ريب فيها أن اليهود ليس لهم حق تاريخى فى فلسطين ، وأن هذا الزعم ليس إلا واحدا من الأباطيل التى يطلقها الأفاقون ودعاة الصهيونية ليصدقها من فسدت أحلامهم وساروا فى ركب الصهيونيين فأضلوهم سواء السبيل .

---

(١) وايزمن ص ٤٧٤ .

٢ — بطلان نظرية المحافظة على نقاوة سلالتهم :

لقد صرح موسى هيس فى كتابه « روما والقدس » لعام ١٨٦٢ « بأن اليهود يجمعهم أصل مشترك نقى »، وأكد هذا ليوبنسكر فى كتابه « التحرير الذاتى » لعام ١٨٨٢ : « أن الفضل فى بقاء اليهود شعبا واحداً وعنصراً متميزا يعود لقوانين الزواج التى كانت تحرم الزواج بغير اليهودى أو اليهودية »، ويرى نفس الرأى ثيودور هرتزل فى كتابه « دولة يهوذا » لعام ١٨٩٥ «أن قانون الأحوال الشخصية لليهود يعوق الامتزاج العنصرى » .

الواقع والتاريخ ينفيان انتماء الصهاينة الى الأسباط :

إن الصهاينة اليوم لاعلاقة لهم بإسرائيل التوراة ، وإن الصهيونية تتنافى مع التوراة التى أوحى بها الله لموسى نبيه ، وقد فندت ادعاء الصهاينة بأنهم شعب الله المختار تفنيداً من توراتهم ومن مقدساتهم بما يثبت أن شعب إسرائيل قد تبدد على الأرض وامتزج بالشعوب بالمصاهرة [١] وبدخول الشعوب الوثنية إلى اليهودية .

كما حدث فى العصور الوسطى أن خشيت الكنيسة من موجة الاختلاط باليهوديات فأصدرت المجالس الكنسية قرارات مشددة بمنع زواج المسيحيين باليهود ، كما فعل مجلس توليدو عام ٥٣٨ م ، وعام ٥٨٩ م ، ومجلس روما عام ٧٤٣ .

وإن هذه القرارات بتحريم الاختلاط فى المصاهرة بين المسيحيين واليهود دليل قاطع على خطورة المدى الذى كان الزواج المختلط قد وصل إليه بالفعل . بل إن اضطهاد القوط الغربيين فى أسبانيا لليهود فى القرنين الخامس والسادس الميلادى

(١) حزقيال ١٦ : ٣ ، ٤٥ ؛ عزرا ٩ : ١ ، ٢ ، ١٢ ؛ نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٧ .

إنما يرجع كما يؤكده بعض المؤرخين إلى نشاطهم فى التبشير باليهودية وإلى تفشى الزواج المختلط بينهم وبين المسيحيين .

أما فى عصرنا الحديث فتتواتر الأدلة والأحداث الثابتة التى تؤكد الاختلاط والمصاهرة والتحول والإذابة فى المجتمعات على حد سواء .

فمع اختفاء التعصب الدينى فى أوربا الصناعية ، وأكثر منه مع الحركة العلمانية المطردة ، انهارت الحواجز أمام التحول والزواج ، وتوسعت العلاقات غير الشرعية . وقد زادت بصورة لافتة للنظر التحولات الفردية فى العصور الحديثة ، ويمكن أن نتخذ من بعض الأسماء الشهيرة مؤشرا فى ذلك الاتجاه مثلا : الشاعر هاينى ، والموسيقى مندلسون ، وغيرهما من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية .

وفى روسيا القيصرية كان حصول اليهود على المساواة المدنية رهنا بتحولهم إلى المسيحية . أما فى روسيا البولشفية فإن ستالين تزوج من يهودية وكذلك مولوتوف تزوج من يهودية أيضا .

ومن الأدلة القاطعة بل والمثيرة على مدى اختلاط اليهود فى العصور الحديثة والوسيطة فى أوروبا ، ما كشفت عنه تجربة النازية فى ألمانيا . فقد كان على المرء الذى يبغى إثبات الدم الآرى فيه أن يقدم نسبا يخلو لعدة أجيال من العناصر غير الآرية ، ويعنى هذا أنه يخلو من عنصر اليهودية على وجه التحديد ، ولكن المفاجأة أن التجربة كشفت أن عددا ضخما من حالات المواطنين الألمان إلى أقصى حد ثبت أن أجدادهم وأجداد أجدادهم تجرى فى عروقهم الدماء اليهودية ، تماما كما تردد عن ريتشارد فاجنر من قبل .

والخلاصة :

أن جسم الطائفة اليهودية ليس ثابتا جنسيا بل هو متحرك وفى تغير داخلى

مستمر ، وفى ابتعاد دائم عن الأصول الأولى بحيث يتضاءل أبدا وباستمرار حجم النواة النووية الحقيقية من بنى إسرائيل التوراة فيهم حتى تـكاد تختفى وتنقرض ، فضلا عن أن تظل قابلة للتعرف عليها وتحديدها . إنها عملية إحلال وإبدال مزمنة وإنما معدية أحيانا ظاهرة ومستترة . إنها تـكاد تـكون عملية « تغيير دم » كلية وشاملة .

وفى النتيجة يـكاد يصبح جسم اليهود فى آخر المطاف شيئا مختلفا جنسيا عن يهود التوراة إن لم يـكن لاعلاقة له بهم تقريبا أو فى الأعم الأغلب [١]. ويقرر لومبروزو Lombroso أن اليهود جنسيا آريون أكثر منهم ساميين أو بتعبير آخر انهم أوربيون تهودوا أكثر منهم يهوداً تأوربوا .

وتخريجا من هذا وترتيبا عليه تسقط على الفور عدة أفـكار ومعتقدات شائعة ومتفشية ، ولـكن لا ظل لها من الحقيقة فى نظر العلم الصحيح .

فأولا مادام اليهود لم يعودوا من الساميين فى شىء فيمكننا هنا أن نرى الخطأ الشائع الفاشى ، إن لم يكن المغالطة الـكبرى المتعمدة ، فى تسمية اضطهاد اليهود « بضد السامية » ، فنحن فى الحقيقة إزاء مشـكلة « ضد الصهيونية » ببساطة وبلا تعقيد .

ولا تفسير لهذه التسمية الخاطئة إلا أنها تعتمد على أسس التوراة التى تسبق بـكثير التغيير الجذرى ، والإحلال والإبدال المطلق الذى لحق بدماء اليهود ، والاضطهاد النازى لليهود فى ألمـانيا لم يـكن فى جوهره إلا اضطهاد

---

(١) ويتأكد هذا كله حين نتذكر ما سبق أن ألمعنا إليه بشأن الامتزاج فى مختلف عصور التاريخ قبل الميلاد بالمصاهرة ، وما تعرض له اليهود من مذابح واضطهادات قبل الميلاد وإبادة كاملة للعشرة الأسباط سنة ٧٢٢ ونفى لسبطى يهوذا وبنيامين سنة ٥٨٦ وبعد الميلاد فى النفى الشامل فى عصر الإمبراطور هادريان سنة ١٣٥ والمذابح والاضطهادات فى روسيا القيصرية ثم فى ألمـانيا النازية ومع هذا فسرعان مابلغوا الملايين.

ألمان لألمان فإنهم بحسب الجنس ينتمون للآرية وإنما يختلفون فقط فى العقيدة الدينية وطريقة السلوك المعيشى ، ويسقط كذلك ببساطة وتلقائية أى دعوى قرابة دم بين العرب واليهود . قد يكون يهود التوراة والعرب أبناء عمومة — وإنما تاريخيا فحسب ، حين بدأ الكل قبائل مختلفة من الساميين الشماليين ، وحين كانت اللغة العبرية لغة تشتق من الأصول العليا التى تفرعت عنها العربية .

وقد يكون من الصحيح ، بل إنه الصحيح بالفعل ، أن أسماعيل أبا العرب وإسحق أبا اليهود إخوة غير أشقاء وكلاهما ابنا إبراهيم .

ولكن فى البداية فقط تصدق هذه الأخوة على تسليمها ، أما بعد ذلك فقد ذاب نسل أحدهما فى دماء غريبة ووصل الذوبان إلى حد الإحلال حتى أصبحنا إزاء قوم غرباء لاعلاقة لهم ألبتة بإسحق فضلا عن إسماعيل .

ولا يمكن بعد أن اختفى يهود التوراة أن يكون يهود أوربا وأمريكا أقارب العرب جنسياً أكثر من قرابة الأوربيين والأمريكيين للعرب !! وغير هذا ليس إلا من قبيل أوهام العوام . إن اليهود اليوم إنما هم أقارب الأوربيين والأمريكيين وامتداد لهم ، بل هم فى الأعم الأغلب بعض وجزء منهم وإن اختلف الدين ، ومن هنا كان اليهود فى أوربا وأمريكا ليسوا كما يدّعون غرباء أو أجانب دخلاء يعيشون فى المنفى وتحت رحمة أصحاب البيت ، وإنما هم أصحاب البيت نسلا وسلالة لايفرقهم عنهم سوى الدين .

أما أين يمكن أن يكون اليهود غرباء فى منفى ودخلاء بلا جذور ؟ فذاك فى بيت العرب وحده ، فى فلسطين حيث لا يمكن لوجودهم أن يكون

إلا استعماراً واغتصابا بالقهر والابتزاز . وغير هذا قلب بشع لحقائق التاريخ من الوجهة الجنسية والنوعية والشعوبية .

وانطلاقا من هذا يسقط كذلك أى ادعاء سياسى للصهيونية فى « أرض الميعاد » ، فبغض النظر عن أن القانون الدولى يتكفل بشجب وتفجير ادعاءاتهم على أى أساس تاريخى أو دينى فإن علوم الجنس والنوع والشعوب تبدد أى أساس جنسى أو نوعى أو شعبى قد يزعمون فى هذا الصدد .

فمن ناحية أخرى لا علاقة لهم جنسيا أو نوعيا أوشعوبيا بفلسطين وهم أجانب غرباء عنها دخلاء عليها مثلما يعد الأوربيون أو الأمريكيون بالنسبة إليها . وهم حين يغتصبونها ليخلقوا منها إسرائيل الصهيونية فليست هذه هى عودة الابن القديم بعد رحلة طالت عبر الزمان والمكان وإنما هى غزو الأجنبى الغريب بالإثم والعدوان .

وما هى أرض الميعاد ؟

إن حديث المرأة السامرية مع المسيح عليه السلام عن الناحية المكانية وحيرتها فى بحثها عن الحقيقة بقولها : « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه »(١)، فأجابها المسيح بقوله : « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (٢) ، وبهذا الإفحام انتفت الناحية المكانية وانتفى الزعم بأرض الميعاد .

---

(١) يوحنا ٤ : ٢٠

(٢) يوحنا ٤ : ٢٤ .

٣ — اتفاق المصالح الامبريالية والصهيونية :

في أوائل القرن العشرين وبينما كانت سياسة الاستعمار البريطاني تتجه نحو تثبيت الوجود البريطاني في الهند ومصر ، وأجزاء كبيرة من إفريقيا كان حتما عليها تأمين وحماية الطرق الحيوية المؤدية لهذه المستعمرات ، في هذه الفترة بدأت تظهر أوضاع جديدة على المسرح العالمي. فقد ظهر التنافس داخل حركة الاستعمار بصورة جدية ، كما بدأت أطماع الدول المستعمرة تطغى على اتفاقيات اقتسام مناطق النفوذ المعقودة فيما بينها سابقاً .

وكانت مجالات جديدة للاستعمار والتنافس قد بدأت في الظهور لاسيما في الشرق العربي ، نتيجة دخول الإمبراطورية العثمانية في دور انهيارها النهائي ، بالإضافة إلى أن نذر رياح حركات التحرر أخذت تلوح في الآفاق .

وكان لابد من مخططات جديدة لمواجهة الأوضاع الناشئة ، وقد خلص الاستعمار البريطاني نتيجة المراجعة الشاملة التي أجراها لهذه الأوضاع إلى تأكيد الاستراتيجية القصوى التي تمثلها فلسطين في الظروف الجديدة ، والدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه بحكم موقعها في مستقبل الاستعمار البريطاني :

١ — ففلسطين موقع أساسي لحماية « قناة السويس » أخطر طريق مائي يربط الشرق بالغرب ، وهو لبريطانيا طريق الهند وإفريقيا ومن ثم فهو يعد مفتاحاً خطيراً لمصالح الاستعمار البريطاني في الهند .

٢ — وفلسطين نقطة التقاء القارات الثلاث « إفريقيا وآسيا وأوربا » ومركز استراتيجي رئيسي للسيطرة على السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط ، وسواحل البحر الأحمر .

٣ — وفلسطين قاعدة حيوية لأية مشاريع توسعية مقبلة قد تنشأ في سوريا والأردن والعراق وجزيرة العرب بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية .

وكانت الخطة التى وضعها الاستعمار البريطانى لفلسطين تتناسب وهذه الأهمية التى تمثلها فى نظره، كما تدعو للدهشة فعلا.

فبالإضافة إلى ضرورة ضمها لحظيرة الاستعمار البريطانى، خلصت بريطانيا منذ ذلك الوقت إلى ضرورة توطين أكثرية أجنبية غريبة على أرض فلسطين تشكل فيها عازلا دفاعيا هجوميا فى آن واحد. ووثائق الاستعمار البريطانى حافلة دامغة فى هذا الصدد.

ففى عام ١٩٠٤ كانت بريطانيا تمثل أقوى وأكبر الإمبراطوريات الاستعمارية فى العالم، ولم يكن ينافس بريطانيا فى التطلع إلى إمبراطورية الرجل المريض «تركيا» سوى فرنسا التى رأت بعد الحرب السبعينية أن القارة الإفريقية هى مجالها الطبيعى فى التوسع.

وكانت ألمانيا رغم حداثة عهدها بالاستعمار قد بدأت هى الأخرى تتطلع إلى إفريقيا وإلى مناطق نفوذ الاستعمار الأنجلو — فرنسى.

درست بريطانيا كل هذه الظروف ورأت أنه من الضرورى إيجاد جبهة استعمارية (١) واحدة لتنسيق مصالح الاستعمار المتضاربة، ولقطع خط الرجعة على أية حركة تحاول استغلال التنافس الاستعمارى للقضاء عليه وتعريض كيانه للخطر.

ونظراً لأن بريطانيا كانت تشك فى نيات ألمانيا لمحاولتها دعم الإمبراطورية العثمانية المتداعية، فقد قصرت مشروعاتها الاستعمارية فى نطاق الدول الاستعمارية القديمة.

---

(١) راجع «المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى الإسلامى» للمؤلف.

فسارعت بعد حادث « فاشودة » فى جنوب السودان إلى توقيع الاتفاق الودى مع فرنسا (١٩٠٤) محذرة إياها من خطط ألمانيا التوسعية فى إفريقيا . وقد اتسع نطاق هذا الاتفاق فشمل كلا من إيطاليا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وأسبانيا وبريطانيا ، واتفقت الدول المذكورة على تأليف لجنة من خبرائها لتتولى دراسة الحلف الجديد ، وأسس تكوينه ، وأهدافه ووسائله .

توجيهات «كامبل بنرمان» وتقرير اللجنة :

وقد جاء فى توجيهات رئيس الوزارة البريطانية فى ذلك الوقت مستر « كامبل بنرمان » لهذه اللجنة الآتى :

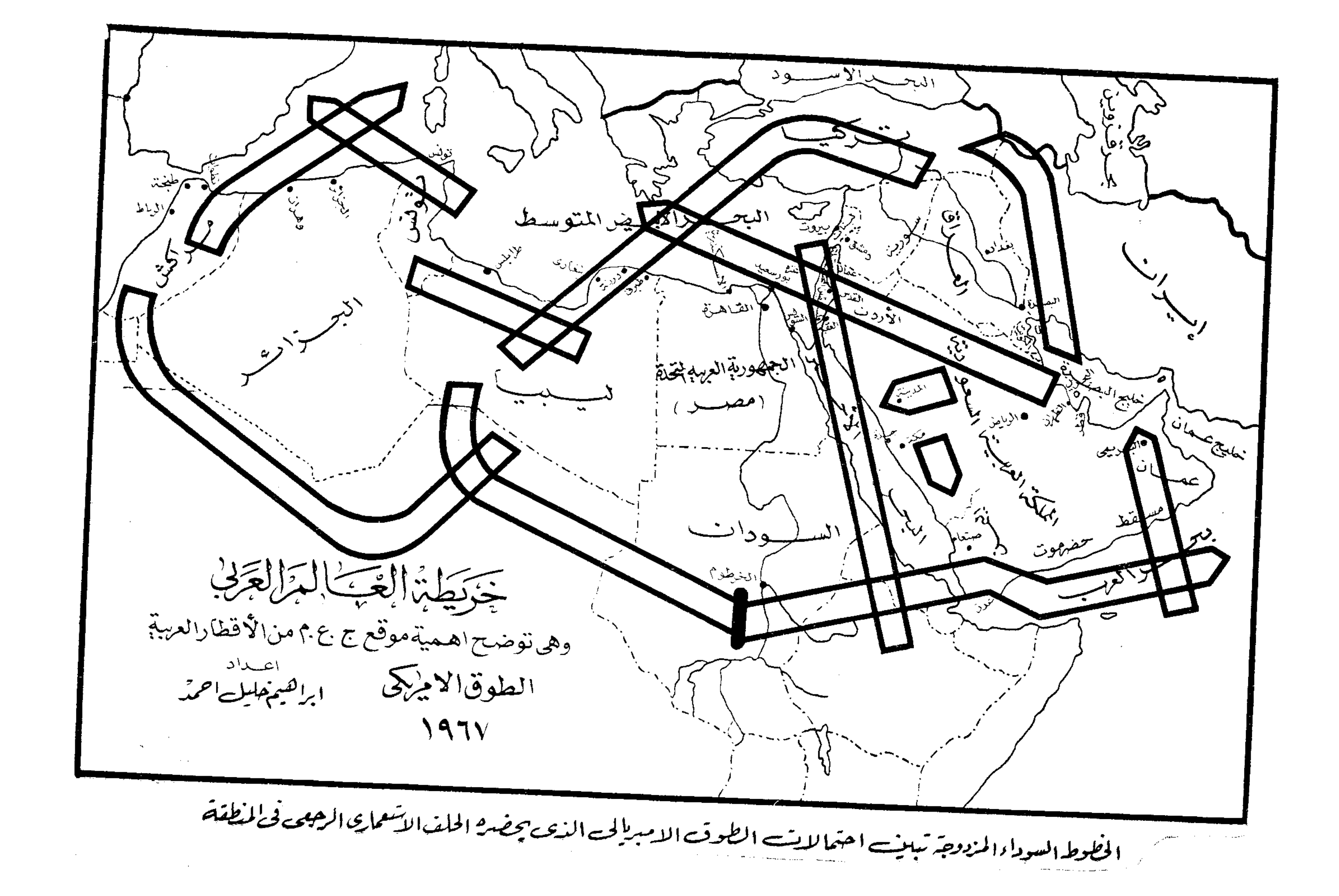
« إن الإمبراطوريات تتكون ، وتتسع ، وتقوى ثم تستقر إلى حد ما ثم تنحل رويدا رويداً ثم تزول . والتاريخ ملىء بمثل هذه التطورات وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة .

« فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين ، ومن قبلها بابل وأشور والفراعنة وغيرها . . . فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون السقوط والانهيار بينما العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية . . . هذه هى مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا » .

الجدية فى العمل :

أخذت اللجنة فى دراسة تاريخ الإمبراطوريات ، وكيف نشأت ، وكيف حكمت ، وكيف انحلت ، وأسباب هذا الانحلال من كافة النواحى السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية .

وأخذت تدرس أيضا وضع الإمبراطوريات الحاضرة ، وكيف يمكن أن تدوم ومن أين يمكن أن تأتيها المخاطر . واستخلصوا من كل ذلك خطة



الخطوط السوداء المزدوجة تبين احتمالات الطوق الامبريالى الذى يحضره الحلف الاستعمارى الرجعى فى المنطقة

للمستقبل ضمنوها تقريرا كاملا وشاملا قدموه إلى وزارة الخارجية البريطانية التى أحالته بدورها إلى وزارة المستعمرات وأهم ما جاء فى التقرير الآتى :

١ — أهمية السيطرة على البحر المتوسط لأنه الشريان الحيوى للاستعمار ، فهو الجسر بين الشرق والغرب ، وملتقى طرق المواصلات فى العالم ، وإن من يسيطر على شواطئه الجنوبية الشرقية يستطيع التحكم فى العالم .

٢ — استبعد التقرير أى خطر على الاستعمار من المستعمرات الحرة « أى البلاد التى استوطنها الإنجليز » مثل جنوب إفريقيا . . كندا . . . أستراليا . كما قلل من خطر استقلال الهند ، والملايو ، والهند الصينية ، ومناطق جنوب شرقى آسيا ، لأن المشاكل الدينية والعنصرية والطائفية واللغوية ستشغل هذه الأقطار فور استقلالها ولأجل طويل .

كما قلل التقرير من خطر المستعمرات فى إفريقيا وفى المحيطين الأطلسى والهادى لانعزالها . وأكد التقرير أن مصير هذه المستعمرات هو الارتباط بالدول الأوربية اقتصاديا وثقافيا إذا انعدم ارتباطها السياسى والعسكرى نتيجة للاستقلال .

٣ — أكد التقرير أن الخطر على الاستعمار يكمن فى البحر المتوسط ، صلة الوصل بين الشرق والغرب ، وفى حوضه حيث مهد الديانات والفلسفات والحضارات عبر القرون والأجيال . وأن يسكن فى هذه المنطقة شعب واحد تتوافر له من وحدة تاريخه ووحدة لغته وآماله كل مقومات التجمع والترابط . كما أنه إذا ما تكاملت لهذا الشعب كل هذه المقومات علاوة على ثرواته الطبيعية ، ونزعة أهله إلى التحرر ، فإنه ستحل الضربة القاضية حتما بالإمبراطوريات لاستعمارية ، وعندها ستتبخر أحلام الاستعمار .

لذلك فعلى كل الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار وضع

هذه المنطقة المجزأة المتخلفة على ما هو عليه من تفكك وجهل ، وأوصى التقرير بضرورة محاربة اتحاد هـــذه الجماهير أو ارتباطها بأى نوع من الارتباط الفكرى أو الروحى أو التاريخى .

وكإجراء سريع لدرء الخطر أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقى من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى ، واقترح لذلك إقامـــة حاجز بشرى قوى وغريب فى منطقة الجسر البرى الذى يربط آسيا وإفريقيا ويربطها معا بالبحر الأبيض المتوسط بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار ، وعدوة للسكان فى المنطقة .

على أساس هذا التقرير سارت سياسة الاستعمار فى الوطن العربى لتمزيق هذا الوطن ومحاربة حركته التحررية ، وعلى هديه حدد منذ مطلع القرن العشرين موقفه من عروبة فلسطين .

٤ — التحديات التى تواجهها الدول العربية :

لقد طالعتنا جريدة المحرر اللبنانية(١) الصادرة فى ٢٤ إبريل « نيسان » ١٩٦٧ أى قبل العدوان الإسرائيلى فى ٥ يونيو « حزيران » ١٩٦٧ عن حلف استعمارى رجعى موجود الآن وحقيقى كالموضح بالرسم .

فلقد بات الاستعمار يدرك أن المواطن العربى تعود أن يرفض الأحلاف الغربية فى المنطقة ، وكالعادة كان تكيفه مع هذه الحقيقة سريعا وللغاية وتحايله عليها يتناسب مع حاجته إليها ، وتغير المنطق من الحلف إلى القواعد العسكرية .

لقد كانت الغاية الأساسية للأحلاف الغربية التقليدية فى منطقة الشرق الأوسط طوال الخمس عشرة سنة التى خلت تستهدف ما يلى :

١ — ضمان النفوذ الغربى فى المنطقة سياسيا واقتصاديا .

---

(١) بقلم غسان كنفانى .

٢ — حماية إسرائيل .

٣ — إيقاف المد الثورى والحيلولة دون اتساعه .

وبالوسع تلمس هذا الحلف الموجود عمليا فى الشرق الأوسط باسم قواعد عسكرية عبر حلقتين : واحدة منهما أساسية والثانية احتياطية .

أما الحلقة الأساسية فترتكز على النقاط التالية :

من القواعد الأمريكية بالمغرب مرورا بتونس ، إلى القواعد الإنجليزية بليبيا ، وتتكىء هذه الحلقة على « دولة الأسطول السادس » فى المتوسط وتكمل سيرها من ثم . . من إسرائيل إلى الأردن إلى السعودية ، إلى عدن إلى الساحل الجنوبى للجزيرة ، فالخليج حيث تنعقد فى البحرين .

أما الحلقة الاحتياطية والتى يمكن استدعاؤها بسهولة لدى أى نزال طارىء فتمتد من المغرب حتى الكويت ، مروراً بتونس وليبيا والسودان والسعودية والجنوب المحتل والخليج وإسرائيل والأردن ودولة الأسطول السادس فى المتوسط .

إن الحديث عن « حلف قادم » هو مجرد قفز فوق الموضوع الراهن فالحلف الاستعمارى الرجعى اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، موجود عمليا . . وان يكون من الممكن حدوث ذلك التنسيق الاقتصادى والسياسى والعسكرى بين دول هذا الحلف بالشكل الذى نراه يتبلور يوميا ، لو لم يكن هذا الحلف موجودا وجودا فعليا وبصيغة غير معلنة .

إن الإثباتات — إن كان ثمة حاجة لها — للتدليل على وجود هذا الحلف يمكن استعراضها بإيجاز كما يلى :

١ — صفقات السلاح الأمريكى البريطانى للأردن والسعودية وإسرائيل والمغرب فى وقت واحد .

٢ — الوضع فى الجنوب اليمنى المحتل تبلور نهائيا بصيغة « وراثة الرجل الأبله » وهو الشعار الذى كان يوازيه فى نهاية القرن الماضى شعار « وراثة الرجل المريض » فى القسطنطينية . والرجل الأبله هنا هو حكم السلاطين الذين وضعتهم بريطانيا بنفسها على رأس السلطة هناك .

٥ — الحملة الفرنسية على مصر رائدة الاستعمار للمنطقة :

إن الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ يتعين على القوى الثورية التقدمية دراستها من نواح متعددة : فإن حملة عسكرية تأخذ طريقها إلى الشرق مزودة بالأجهزة العلمية ، وبمطبعة عربية وأخرى فرنسية ، ويرافقها عدد من العمال والعلماء الإخصائيين فى شتى العلوم ، تدفعنـــــا إلى أن نتساءل : أهى حملة عسكرية حربية أم حمـــلة علمية تجسسية ؟ فإن الغرب إذا تحرك إنما يتحرك بأبعاد مدروسة ، لذلك فإن الحملة تهدف إلى التحصيل العلمى وهو أبقى لها من السيطرة العسكرية . فـكان مما عنيت به الحملة رسم خرائط لمصر ، ودراسة أحوالها الاقتصادية والاجتماعية ، وقد جمع ذلك كله بعد رجوع الحملة إلى فرنسا فى كتاب اسمه « وصف مصر » ، كما اهتموا بدراسة آثار مصر القديمة فرسموا الـكثير منها ، وفى عام ١٧٩٩ كشف أحد الضباط الفرنسيين حجرا قرب رشيد كان مـكتوبا عليه عبارات بالهيروغليفية والديموطيقية واليونانية القديمة وفى عام ١٨٢١ استطاع شامبليون أن يفك طلاسم هذا الحجر وبذلك أمكن الوصول إلى أسرار الـكتابة المصرية القديمة ، وقراءة النقوش الموجودة على الآثار المصرية . وبذلك تم كشف قسط كبير من تاريخ مصر القديم ، وبعث هذه الحقبة الزاهية الخاصة بمدنية من أسبق مدنيات العالم .

ومما قامت به الحملة أيضاً دراسة مشروع توصيل البحرين الأبيض والأحمر وهو ما تمخض فى النهاية عن مشروع قناة السويس ذات الأهمية الـكبرى فى تاريخ مصر الحديث .

إن الغرب يسير وفق مخطط مدروس يربط بين الماضى والمستقبل، وانطلاقا من الحاضر يعدون خططهم كاملة ثم يحققون أهدافهم إن عاجلا أو آجلا، حسب إمكانيات استيعاب الأيام لخططهم .

٦ — حقائق تاريخية عربية :

عاصرت قضية فلسطين نهاية الثورة العربية الكبرى إبان الحرب الكونية الأولى . ونشأت كمشكلة قومية بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها . وتمت التجزئة حسب معاهدة سايكس — بيكو ، واحتل الإنجليز فلسطين لتنفيذ وعد بلفور ، والأردن ، والعراق ، كما احتل الفرنسيون سوريا ولبنان .

كانت الحركة العربية فى تلك الآونة حركة ذات مفاهيم عشائرية ، ولما وقعت التجزئة أخذت تتبلور بشكل بطىء على أسس علمانية ، لكنها مع الأسف فقدت وحدتها العضوية ، وانقسمت إلى حركات وطنية مستقلة لها قياداتها المتعددة المنفصلة .

ومع الزمن أخذ الترابط فى العمل القومى يفقد قوته وفعله بين هذه الحركات الوطنية . ولا شك أن تقطيع أوصال المشرق كان سببا مباشرا فى تمزيق الحركة العربية الواحدة .

ثم اختلاف الظروف الاستعمارية التى وقعت تحت طائلها هذه الأقطار قد ساعد على انكماش النضال القومى على صورة حركات وطنية متعددة تناضل من أجل الاستقلال القطرى .

وهذا ما جعل القضية الفلسطينية تتقلص فى حدودها القطرية ، وبرزت قياداتها المستقلة لتقود الكفاح الوطنى الفلسطينى بمعزل عن التفاعل الإيجابى مع الحركات الوطنية الأخرى فى البلاد العربية التى كانت تخوض فى نفس الوقت معارك الاستقلال .

وبالرغم من كل ذلك كانت الروابط الروحية تشد الحركة الوطنية فى فلسطين بالحركة الوطنية فى كل من سوريا والعراق . وقد حافظ هذا الترابط إلى حد كبير على المفهوم القومى للقضية الفلسطينية ، فبقيت فى إطارها العام مسألة قومية ، وإن كانت عناصر الفعل فيها قطرية فى غالبيتها — فالثوار فلسطينيون ، والثورات وقادتها فلسطينية وفلسطينيون ، وساحة المعركة أرض فلسطين .

وبقيت القضية فى حدودها الإقليمية إلى أن استقلت بعض الأقطار العربية مثل سوريا ولبنان والعراق ، وقامت الجامعة العربية ، وتولت الدفاع عن قضية فلسطين فى المحافل الدولية ، إلى أن صدر قرار التقسيم ، ودخلت الجيوش العربية فلسطين كحل قومى للمشكلة .

ولكن هذا الحل فشل لأن الدول العربية أسقطت من حسابها القوى الفلسطينية الفاعلة فى المعركة بتجميدها هذه الفعاليات الثورية المسلحة .

والحق أن هذه العملية كانت خطة مدبرة من القيادات العربية الحاكمة فى الأردن والعراق ومصر . وحلت النكبة بثقلها على الشعب العربى الفلسطينى ، وتأثرت بها إلى حد بعيد معظم الأقطار العربية المجاورة لفلسطين .

إن الذهنية العشائرية الانفعالية التى قادت الثورة العربية الأولى هى نفس الذهنية البورجوازية العاجزة التى سيطرت على معركة سنة ١٩٤٨ الفاشلة ، لقد سلبت الجماهير الفلسطينية إرادة العمل بالقوة والضغط السياسى ، ومزقت الحركة الوطنية الفلسطينية كشرط أساسى لدخول الجيوش العربية وسلامتها. حلت النكبة وشعرت الجماهير العربية بمرارة المأساة والهزيمة فتحركت

بعنف وأطاحت بالحكام المنحرفين ، وبدأ التيار القومى يقوى ويشتد إلى أن برزت إلى حيز العمل الثورى حركات عقائدية تقود الجماهير فى طريق الثورة .

كانت تلك المرحلة تمثل بداية الانعطاف التاريخى فى الحياة العربية ، فقوى دعاة الحركات القومية ، وأخذت تتوثق الروابط القومية ، وامتدت الدعوة القومية ، وأخذت تنادى بشعار الوحدة طريقا إلى فلسطين ، وهذا ما جعل النضال القومى يبنى على أسس علمية حية (١).

عرض موجـــز

للتحركات العسكرية للجيوش الأجنبية والتدخل الأجنبى فى البلاد العربية

اولا – الحروب الصليبية :

هزيمة الصليبيين على أيدى المصريين عام ١٢٢١ م .

ثم هزيمتهم وإزالتهم من الوجود العربى «الفلسطينى والمصرى» عام ١٢٤٩ م .

وأسر الملك لويس التاسع ملك فرنسا فى مدينة المنصورة .

رد الفعل :

تربص الغرب بالشرق ، وفى غفلة من حكام تركيا استطاع فرنسوا الأول ملك فرنسا الحصول على امتيازات من السلطان سليمان القانونى باسم حماية المسيحيين فى الشرق. وتمكنت فرنسا من بسط نفوذها عن طريق الهيئات التبشيرية والعلمية التى ثبت بالواقع والتاريخ أن أعضاءها عيون وآذان للإمبريالية العالمية .

---

(١) للباحثين والمجتهدين فى التحرى انظر :

ا — الهاشميون وقضية فلسطين — للدكتور أنيس صايغ لبنان .

ب — ملوك العرب — لأمين الريحانى — طبعة ١٩٢٤ .

حـ — مذكرات عبد الله التل — عبد الله التل — الأردن .

ثانيا — الاحتلال الفرنسى :

١ — ١٧٩٨ — ١٨٠١ مصر

٢ — ١٨٣٠ — ١٩٦٢ الجزائر

٣ — ١٨٨١ — ١٩٥٦ تونس

٤ — ١٩١٢ — ١٩٥٦ مراكش بالاشتراك مع أسبانيا

٥ — ١٩١٨ — ١٩٤٦ سوريا ولبنان

ثالثا — الاحتلال الانجليزى :

١ — ١٨٣٤ — ١٩٦٧ عدن

٢ — ١٨٨٢ — ١٩٥٦ مصر

٣ — ١٨٩٩ — ١٩٥٦ السودان

رابعا — الاحتلال الايطالى :

١٩١١ — ١٩٥١ ليبيـا

خامسا — التامر على فلسطين :

١٦ / ٥ / ١٩١٦ معاهدة سايكس / بيكو

٢ / ١١ / ١٩١٧ وعد بلفور

١٩٢٢ أقرت عصبة الأمم صك الانتداب البريطانى على فلسطين.

ويصرح الكاتب اليهودى آرثر كوستلر عن وعد بلفور بقوله: « إنه وثيقة سياسية أعطت فيه أمة لأمة أخرى وعدا بأرض تملكها أمة ثالثة » .

* * *

التدخل الاجنبى فى مصر نتيجة لنزوات حكامها وقتئذ :

إن الغفلة التى اتسم بها سعيد والانسياق فى تيار النزوات التى اتسم بها إسماعيل ورط البلاد بالتزامات سياسية وأعباء مالية ضيعت على البلاد ليس حقوقها فى قناة السويس فحسب ، بل سيادتها على البلاد بعدئذ . ولا أدل من

طلب لجنة التحقيق التى شكلت لدراسة المالية المصرية تأليف وزارة أوربية فى مصر عام ١٨٧٨ برئاسة نوبار باشا الأرمنى تضم وزيرا إنجليزيا وآخر فرنسيا عدا عدد كبير من الموظفين الأوربيين الآخرين الذين شغلوا بعض المناصب الكبرى فى الإدارة المصرية .

وقد استطاع جمبيتا رئيس وزراء فرنسا أن يؤثر فى إنجلترا فيقنع وزير خارجيتها بأن ترسل الدولتان مذكرة مشتركة إلى الخديو تعدانه فيها بالمساعدة فى رد الأخطار التى قد تواجهه ، وقدمت المذكرة إلى الخديو فى ٧ يناير ١٨٨٢ ، فأثارت شعور الوطنيين المصريين إذ أن مجرد توجيهها يعد تدخلا سافراً فى شئون مصر .

المؤتمرات السياسية واقتسام الشام :

إن تقرير « كامبل بنرمان » السابق ذكره كان ومازال موضع تقدير ساسة الإمبريالية ، ومن خلال الحقيقة الاستعمارية التى أثبتها تقرير « كامبل بنرمان » يتضح لنا التقاء الاستعمار الجديد مع الحركة الصهيونية المتصاعدة . فالاستعمار يهدف إلى محو عروبة المنطقة التى تصل آسيا بإفريقيا ، والصهيونية تريد السيطرة على أرض الميعاد وإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين.

سار الاستعمار والصهيونية منذ عام ١٩٠٧ جنبا إلى جنب ، حيث التقت أهدافهما لمحو عروبة فلسطين ، ولما لم تكن بريطانيا تسيطر على فلسطين وقتئذ ، فقد اقترحت توطين اليهود وإقامة مستعمرات لهم فى شبه جزيرة سيناء ، إلا أن الحكومة المصرية فى ذلك الوقت تنبهت إلى هذا الخطر وقاومته بشدة .

وعادت بريطانيا تعرض على الصهيونيين استيطان مستعمرة « أوغندة »

فى وسط إفريقيا كمنطقة تجمع اليهود ثم يصير نقلهم بعد ذلك إلى فلسطين ، غير أن المؤتمر الصهيونى فى عام ١٩٠٨ رفض هذا العرض ، وأصر على ضرورة هجرة اليهود إلى أرض الميعاد .

ومنذ ذلك التاريخ وضعت الصهيونية كل إمكانياتها ونفوذها المالى والسياسى فى خدمة الاستعمار البريطـانى ، وساهمت فى خلق ظروف الحرب العالمية الأولى ، كما اتفقت مع بريطانيا للضغط على أمريكا لدخول الحرب بجانب الحلفاء مقابل الوعد بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

وما إن نشبت الحرب العالمية الأولى حتى أخذ اليهود يضغطون على بريطانيا لتحقيق وعودها لهم ، بالرغم من أن بريطانيا سبق أن وعدت العرب باستقلالهم مقابل مساعدتهم لها فى القضاء على الإمبراطورية العثمانية .

وقبل نهاية الحرب قدم الزعيم الصهيونى «البريطانى الجنسية» «صموئيل» إلى الحـكومة البريطانيـة تقريرا عرض عليها فيه مشروع تأسيس دولة يهودية فى فلسطين تحت إشرافها ، واقترح حشد ٣ أو ٤ ملايين يهودى أوربى فيها ، وبرر مشروعه بجملته المشهورة : « فنـكون بذلك قد أوجدنا بجانب مصر وقناة السويس دولة جديدة موالية لبريطانيا» . وبعد مشاورات شـكلية صـدر فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ تصريح بلفـور وزير خارجيـة بريطانيا وقتئذ ، والمشهور « بوعد بلفور » والذى جاء فيه :

« إن حـكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومى فى فلسطين للشعب اليهودى . وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية . . . » . وقد جاء هذا الوعد بعد سنة ونصف سنة فقط من اتفاق بريطانيا مع العرب على استقلال البلاد العربية ومن ضمنها فلسطين .

لقد حاولت بريطانيا أن تبرر صدور « وعد بلفور » بظروف الحرب العالمية الأولى ، وأن ما قصد به هو الحصول على تأييد الصهيونية العالمية وخصوصا فى أقوى معاقلها بالولايات الأمريكية المتحدة لقضية الحلفاء .

والواقع أن وعد بلفور ما هو إلا جزء من خطة الاستعمار للقضاء على عروبة فلسطين ، ويؤيد هـذا ما قاله الدكتور حاييم وايزمن بعد انتهاء الحـــــرب :

« إننا اتفقنا مع الحـكومة البريطانية على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب »

من ذلك يتضح لنا أن الادعاء التاريخى بالوطن القومى ، وأطماع الرأسمالية اليهودية ، وخطط الاستعمار العالمى ـ التقت أهدافها على أرض فلسطين .

فلولا الاستعمار البريطانى بالذات لمـا قامت مشكلة إسرائيل ولمـا واجه العالم مأساة من أفجع مآسيه .

بريطانيا تتآمر على العرب :

منذ أن التقت أهداف الاستعمار والصهيونية فى أوائل القرن الحالى أخذت بريطانيا تعمل جاهدة لتنفيذ مخططها الاستعمارى بتمزيق شمل الوطن العربى ، والسيطرة عليه سياسياً واقتصاديا ، وكان سبيلها فى ذلك هو إقامة دولة إسرائيل لتـكون قاعدة للاستعمار العالمى وأداة للإرهاب والعدوان على الشعب العربى .

وقد سنحت لبريطانيا هذه الفرصة فى فترة الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ ، فاستطاعت باعتبارها أكبر الدول الاستعمارية وقتئذ وأقواها نفوذا بالتعاون مع الاستعمار العالمى والصهيونية العالمية ، والرجعية العربية

أن تنفذ تخطيطها المرسوم والموجه إلى قلب الأمة العربية فى فلسطين .

لقد بدأت بريطانيا سياستها فى هذه الفترة بالغش والخداع ، فأطماعها فى أملاك الإمبراطورية العثمانية معروفة منذ أن احتلت مصر عام ١٨٨٢ ولهذا أخذت تعلن عن مبادىء الحرية وعن حق تقرير المصير بالنسبة للشعب العربى مقابل أن يثور على الحكم التركى.. إلا أن العرب كانوا حريصين ، ولم يستجيبوا إلى هذه الوعود التى لاتستند إلى أى دليل أو اتفاق ، بل كانت مجرد وعود جوفاء .

ولكن على أثر الهزائم التى منى بها الإنجليز فى معركتى غاليبولى فى تركيا وكرت العمارة فى العراق بدأوا فى اتخاذ خطوات إيجابية بالاتصال بالعرب لإجراء مفاوضات للوصول إلى اتفاق .

قبول الشريف حسين لوعد بلفور [1] :

أكد هجارث — مندوب القيادة البريطانية فى مصر — للشريف حسين أن وعد بلفور لا يعرض العرب لحكم اليهود قط . وأخذ يصور له حسنات وهمية يجنيها العرب من تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين : منها أن صداقة الصهيونيين للعرب تتيح للهاشميين صداقة دول كثيرة تخضع للنفوذ الصهيونى ، وأن يهود أوربا وأمريكا سيهاجرون إلى فلسطين وهم يحملون ثرواتهم لاستغلالها فى البلاد ، وإشراك العرب بأرباحها .

ولقد سبق أن استعمل بالمرستن هذا المنطق مع السلطان العثمانى بواسطة سفيره ١٨٣٩ — ١٨٤٠ للسماح باستيطان اليهود لأجزاء من فلسطين ، وإذا كنا نصدق هجارث ، وليس لدينا مصدر رسمى غيره عن تفاصيل رحلته لمقابلة

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين للدكتور أنيس صايغ ص٦٧ .

الحسين ، فإن الحسين « أبدى استعداده التام لقبول الفكرة ووافق عليها بحماس قائلا : إنه يرحب باليهود فى كل البلاد العربية » . لكن هجارث لم يكتم سخريته من حماس الحسين ، وقال إن عميد الهاشميين وافق على مشروعه ، « دون أن يعرف شيئا عن واقع فلسطين الاقتصادى » .

ومما يدعونا إلى تصديق ما رواه هجارث أن حسين نفسه كتب مقالا فى جريدة « القبلة » [١] بعد زيارة ضيفه البريطانى بوقت قصير ، يمدح فيه الهجرة اليهودية إلى فلسطين ويشيد بأثرها فى تطوير البلاد ويعلن تشجيعه لها . ولم يجد الحسين فى مقاله فرقا بين اليهود والصهيونيين إلا أنها « حركة سامية لا اعتراض عليها » .

الثورة العربية الكبرى (٢) :

اندلعت الثورة العربية ضد تركيا ، وبدا كل شيء وكأنه يسير فى طريق مضاد تماما لما كان مأمولا ومرجوا من العناصر العربية القومية التى تحركت إلى الثورة ضد الخلافة العثمانية ، مدفوعة بأحلام عريضة فى استقلال الأمة العربية ووحدتها .

وكان السبب الرئيسى هو دور الشريف حسين الذى اختاره الإنجليز عدوا لتركيا ، واختاره فى نفس الوقت أحرار العرب ، تصوروا من الجانبين — وعلى غير اتفاق بينهما — أن الثورة ضد الخليفة العثمانى لا يمكن أن تنجح إلا إذا تصدرها رأس تعلوه عمامة ! !

---

(١) ١٩١٨/٣/٢٣ .

(٢) ملوك العرب — أمين الريحانى . وللدكتور أنيس صايغ المؤرخ اللبنانى القدير فى دراسة له عن الهاشميين وفى صفحة ٩٨ من الجزء الأول فيها نص عن التيارات التى لعبت دورا بين القوميين مثل عزيز المصرى ، ولما أخفقت هذه التيارات معه واجهته السلطات البريطانية بالتعويق ومراقبة تحركاته ثم طارده من مصر ، فاختار اسبانيا مقرا لنفيه .

ووفد على الشريف حسين رسول من كتشنر قائد القوات البريطانية فى مصر يعرض عليه أن يشارك فى المجهود الحربى ضد سلطان تركيا ، وأن ينتزع المسلمين خليفة عليهم بعد سقوط استانبول ، وتجمع كل المصادر التاريخية أن الشريف حسين قبل أن يفتح باب الحديث عريضا ومتصلا مع الإنجليز لعدة أسباب :

١ — أن رسول كتشنر ثم رسل مكماهون من بعده — وبينهم لورنس — حملوا إليه ذهبا كثيرا وسلاحا كثيرا ووعدوه بذهب أكثر وسلاح أكثر .

٢ — أن الشريف حسين كان فى حاجة إلى المال لأن مواسم الحج بارت كلها بسبب ظروف الحرب ، وانقطاع طريق البحر .

٣ — أن السلطان العثمانى كان يشك فى شريف مكة وأبنائه ولا يثق بهم ، ورفض أن تكون فيهم إمارة الحجاز متوارثة لهم .

٤ — أن أحرار العرب بدأوا يسقطون واحداً بعد واحد أو يبتعدون عن الثورة أو ما بقى من أشباحها ، حتى لم يعد فى الميدان غير الهاشميين والإنجليز .

فقد انسحبت أو أبعدت أو صفيت حتى بالاغتيال — كما حدث لعبد القادر الجزائرى ، وكما حدث لعزيز المصرى — كل العناصر القومية التى حلمت يوما باستقلال العرب ووحدتهم .

لم يبق إلا الهاشميون . . . ولورنس . . . وستورز . . .

وقد اتخذت بريطانيا من الشريف حسين ركيزة للاعتماد عليها ، وجرت المفاوضات على شكل رسائل متبادلة بين آرثر مكماهون المندوب السامى البريطانى فى مصر فى ذلك الوقت ، والشريف حسين شريف مكة ، وتبودلت بينهما عشر رسائل فى الفترة من يوليو ١٩١٥ — إلى مارس ١٩١٦ ، وكانت تعرف برسائل مكماهون — حسين .

وقد اعترفت بريطانيا فى هذه الرسائل بحق العرب فى الاستقلال والوحدة ، وكان من نتيجة ذلك ثورة العرب على الأتراك وتركهم صفوف الجيش التركى والانضمام إلى القوات العربية التى شكلت فى ذلك الوقت لمعاونة القوات البريطانية الزاحفة إلى فلسطين وبلاد الشام . وحينما اطمأنت بريطانيا إلى العرب وأنهم قد صدقوا وعودها ، بدأت سلسلة من الاتفاقات السرية مع حلفائها .

فعقدت معاهدة بطرسبورج بين بريطانيا وفرنسا وروسيا فى مارس « آذار » سنة ١٩١٦ ، وقد اتفق فى هذه المعاهدة على تقسيم أملاك الدولة العثمانية بين الدول الثلاث ، فكانت أملاك تركيا فى آسيا الصغرى من نصيب روسيا ، وسوريا ولبنان من نصيب فرنسا ، والعراق وفلسطين من نصيب بريطانيا ، واستبعدت من التقسيم الحجاز ونجد واليمن .

ثم جاء اتفاق «سايكس ــ بيكو » فى مايو سنة ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا تدعيما لما اتفق عليه فى معاهدة بطرسبورج الذى وزع العالم العربى شركة بين الاستعمار البريطانى ، والاستعمار الفرنسى ، ولقد أذيعت تفاصيل هذه المعاهدة وسط أحداث الثورة العربية وذلك أن نسخة منها كانت محفوظة فى سجلات وزارة الخارجية لروسيا القيصرية ، وحين انهارت القيصرية بهزيمتها فى الحرب وبقيام الثورة الشيوعية حرصت الحكومة الثورية الجديدة على أن تذيع أمام الرأى العام العالمى كل الارتباطات الاستعمارية التى كانت سبب الحرب العالمية الأولى ومحركها القوى ، وروع أحرار العرب جميعا بنصوص هذه المعاهدة إلا الهاشميين .

ولما اطمأنت بريطانيا إلى أن زمام الأمور أصبح فى يدها . . أصدرت وحدها فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ وعد بلفور وبلغته سراً إلى زعماء الصهيونية قبل دخول جيوشها إلى فلسطين .

ومما هو جدير بالذكر أن بريطانيا كتمت تفاصيل اتفاقها مع حليفتيها روسيا وفرنسا وتآمرها مع الصهيونية على اغتصاب فلسطين عن حلفائها العرب، كما أنها لم تعلن تفاصيل اتفاقها مع العرب فى الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين ومكماهون والمعروفة برسائل « حسين ـ مكماهون » .

وكان وعد بلفور صدمة لكل عربى حر إلا الهاشميين الذين كانوا يعتبرون الثورة العربية الكبرى مسألة عائلية توزع مناصبها جميعا على أبناء الشريف حسين: الأمير على أكبر أبنائه نائبا للملك فى الحجاز، والأمير عبدالله نائبا للملك فى العراق، والأمير فيصل نائبا له فى الشام . كل ذلك ونصيب الأسرة الهاشمية فى الثورة لم يزد على رصاصة أطلقت فى الهواء من شرفة القصر فى مكة إعلانا لبدئها فى حركة مسرحية اقترحها عليه « لورنس » الذى شهدها ووصفها فى أعمدة الحكمة السبعة .

وحين كتبت بعض الصحف البريطانية تبدى تخوفها من أن التاريخ قد يقول يوما إن بريطانيا طعنت أصدقاءها العرب فى ظهورهم أثناء معركتهم إلى جانبها، اكتفى رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج بأن يقول وقتها :

« لدى ما يحملنى على الاعتقاد وأنا واثق — أنه ليس فيما فعلناه ما يمكن أن يكون مفاجأة لأصدقائنا العرب » ! !

وعلى أثر نشوب الثورة الشيوعية فى أكتوبر سنة ١٩١٧ التى كان من ورائها قولا وعملا وتمويلا وتخطيطا عتاة اليهود الصهيونيين، أعلنت الحكومة السوفيتية ـ هادفة لتأكيد قانونية وعد بلفور بإعلانه للعرب الطرف الثانى — الاتفاقات السرية التى عقدتها حكومة روسيا القيصرية — مع إنجلترا وفرنسا — وقد استغلت الحكومة التركية ذلك فى تنبيه العرب إلى افتضاح مؤامرات بريطانيا، مما دعا العرب الأحرار إلى التساؤل

من بريطانيا عن حقيقة هذه الاتفاقيات ، فنفت بريطانيا ذلك بشدة ، وأكدت عزمها على مساعدة العرب على نيل حريتهم وتشكيل حكومات وطنية مستقلة فى البلاد العربية .

وبالرغم من هذه الوعود التى بذلتها بريطانيا « باحترام استقلال البلاد العربية » فقد فوجىء العرب بوضع فلسطين بعد تحريرها تحت إشراف إدارة أراضى العدو المحتلة . وباشرت السلطات البريطانية وضع « وعد بلفور » موضع التنفيذ وسمحت لليهود بالمشاركة فى إدارة البلاد وإعدادها للوطن القومى اليهودى .

ويقول الكاتب اليهودى آرثر كوستلر عن وعد بلفور : «إنه أول وثيقة سياسية تحصل عليها الصهيونية تأييدا لأهدافها » . وبصدوره دخلت فلسطين أولى مراحل كفاحها الطويل حفاظا على عروبتها وحريتها .

أما وجهة نظر بريطانيا باستعمار فلسطين فيمكن أن نأخذ مثالا عنها من رسالة بعث بها الكولونيل مايتز تساغن إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩١٩ يقول فيها : « إننا نسير بحكمة زائدة مستهدفين السماح لليهود بإنشاء وطن قومى فى فلسطين. لقد حررنا العرب من نير الاستعمار التركى ولن نستطيع البقاء فى مصر إلى الأبد . . وبريطانيا تتحكم الآن فى الشرق الأوسط . ونحن لانستطيع أن نكون أصدقاء للعرب واليهود فى آن واحد ، وإننى أقترح منح الصداقة البريطانية لليهود وحدهم باعتبارهم الشعب الذى سيكون صديقنا المخلص الموالى فى المستقبل » .

ويقول الدكتور أنيس صايغ(١) عن الخطة التى استخلصت منها

(١) الهاشميون وقضية فلسطين — صفحة ٦٩ .

بريطانيا قانونية وعد بلفور : « افترض حلم سايكس الديبلوماسي البريطاني الذي شارك في التوقيع على اتفاقية سايكس — بيكو المشئومة التي قسمت العالم العربي ، أن يكون للحركة القومية العربية زعامة « معتدلة » تربط بين أهداف الحركة والأطماع الصهيونية » .

لذلك علقت الآمال على فيصل منذ أن استبشر لورنس به خيرا وأخذ يقدمه على أبيه وإخوته وسلط الأضواء عليه ، ونتيجة لذلك أعد المسئولون البريطانيون في القاهرة مشروع لقاء بين الدكتور حاييم وايزمن وفيصل ، هو الأول من نوعه بين زعماء الحركتين المتناقضين ، ليسهم الجمع بينهما في تحقيق الحلم ويسهل على بريطانيا تحقيق وعد بلفور ، بعد أن نجح هجارث في الحصول على تأييد الحسين في مطلع ١٩١٨ . وكان وايزمن قد جاء إلى فلسطين في ربيع تلك السنة على رأس لجنة صهيونية - بريطانية خولتها الحكومة البريطانية درس مستقبل العلاقات بين اليهود وسلطات الاحتلال في فلسطين ، وعهدت إليها بتقوية تلك العلاقات وتنظيم شئون يهود فلسطين وتأسيس مستعمرات جديدة ، وكانت تلك اللجنة تمثل صهيوني العالم ، واشترك فيها أربعة من كبار الصهيونيين ، ومراقبان رسميان أحدهما يهودي صهيوني « جيمس روتشيلد » والآخر ضابط شبه مستعرب أصبح فيما بعد وزيراً للمستعمرات ، الميجور أورمسبي جور « اللورد هارلش » فيما بعد .

غادرت اللجنة لندن ، بعد أن قابلت الملك جورج الخامس ، ووصلت القدس في أوائل إبريل « نيسان » ١٩١٨ ، وعملت في الأسابيع الأولى من إقامتها في فلسطين على تركيز وضعها بين يهود فلسطين وفي تأسيس شبه حكومة ودوائر رسمية وسفارات وشرطة وجيش وميزانية . وقد حاولت بعد أن انتهت من تلك الأعمال ، أن تقنع زعماء فلسطين بالتعاون معها . ولكنها

فشلت وصدها أغلب الزعماء ، بالرغم من جهود رونالد ستورز . عند ذلك رتب الجنرال اللنبي ، القائد العام للقوات البريطانية فى فلسطين ، أمر الجمع بين رئيس اللجنة وفيصل ، وكان فيصل يقيم مع جنوده فى جوار العقبة ، قبيل بدء الهجوم العام على الشمال ، وكان والده قد أخبره بمضمون مباحثاته مع هجارث ، وطمأنه إلى حسنات وعد بلفور ومزاياه . وقد ذكر فيصل فيما بعد ، فى حديث أجراه مع صديقته السيدة أرسكن أن والده أرسل يأمره بألا يهتم بالضجة التى أقامها بعض العرب حول قصة وعد بلفور حينما عرفت تفاصيله ، وأن يتابع عمله فى خدمة البريطانيين ، وإلا فهو « خائن » فى نظر أبيه .

وقد كان فيصل فى خدمة بريطانيا والصهيونية العالمية ، وقد جاء فى أهرام ٣٠ يونيو « حزيران » ١٩٦٦ أن السيد / أحمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قدم عشر وثائق خطيرة إلى ممثلى الملوك والرؤساء العرب أثناء انعقاد ثالث وآخر جلسات دورتها الحالية ومنها هذه الوثيقة « اتفاقية وايزمن / فيصل » ، وتتضمن المواد التالية :

المادة الأولى : قيام علاقات بين الدول العربية وفلسطين وتعيين ممثلين معتمدين فى بلديهما .

المادة الثانية : إنشاء لجنة لوضع الحدود بين الدولة العربية وفلسطين .

المادة الثالثة : الموافقة على تنفيذ وعد بلفور الصادر فى ١٩١٧/١١/٢ .

المادة الرابعة : تنشيط الهجرة اليهودية على نطاق واسع ، وإسكان اليهود فى الأراضى .

المادة السابعة : الجمعية الصهيونية تساعد الدول العربية على تنمية مواردها الطبيعية وإمكانياتها الاقتصادية .

المادة الثامنة : يتعاون الطرفان بانسجام وتفاهم تامين لدى مؤتمر الصلح في جميع الأمور الواردة في هذا الاتفاق .

ولقد استندت الصهيونية في قانونية الاستيطان بفلسطين إلى الاتفاقية التي تمت بين فيصل ووايزمن في ٣ يناير ١٩١٩ والمعروفة باتفاقية فيصل وايزمن والتي قدمتها إلى لجنة التحقيق البريطانية سنة ١٩٣٨ وتنص على ما يأتي :

« اتفق الطرفان على ما يلي :

« تأسيس كيان فلسطيني منفصل عن الدولة العربية في سورية » (مادة ١) .

« تقوم الدولة الفلسطينية ، بكل التدابير لتحقيق وعد الحكومة البريطانية في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ في دستورها وإدارتها » (مادة ٣) .

« اتخاذ كل الإجراءات الضرورية لتعهد هجرة اليهود إلى فلسطين على نطاق واسع وتشجيعها بأسرع وقت ممكن ليستقر المهاجرون الجدد في البلاد » (مادة ٤).

« أن يرسل الصهيونيون لجنة لدرس أوضاع فلسطين وإمكانياتها ومدى استثمارها لصالح العرب واليهود » (مادة ٧)

« أن تكون الحكومة البريطانية هي الحكم في حال نشوب خلاف بين الطرفين » (مادة ٩)

وقد يبدو لأول وهلة أن النص واحد في الوثيقة التي قدمها الشقيري وفي الوثيقة التي قدمتها الصهيونية إلى لجنة التحقيق البريطانية سنة ١٩٣٨ ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فإن التزييف اللفظي في التركيب والبناء يعطي الصهيونيين حقوقا لا مناص منها .

والواقع أن بريطانيا استطاعت أن تعتمد على شخصية عربية حققت لها

مطامعها الإمبريالية وحققت لها تنفيذ وعد بلفور، والفضل فى هذا الاكتشاف لصالح الإمبريالية الصهيونية هو فى نصيحة لورنس الذى قال : « لا أمل فى قيام وحدة عربية ، لا فى الحاضر ولا فى المستقبل ، وإن التعامل مع العرب يجب أن يكون بواسطة الهاشميين ، وبواسطة أبناء الحسين بنوع خاص »(١) .

وهكذا كانت الخطة الثانية هى خطـــة التهويد « Judaization » بعد أن تحقق لبريطانيا الاطمئنان إلى تنفيذ وعد بلفور من الجانب العربى ، ولا يتأتى تهويد فلسطين إلا بوضعها تحت سلطة الانتداب البريطانى .

الانتداب البريطانى على فلسطين

وفى عام ١٩٢٢ أقرت عصبة الأمم صك الانتداب الذى تضمن المخطط العملى لتأييد الدولة الصهيونية ، ونصت المادة الثانية منه على مسئولية الدولة المنتدبة ـــ بريطانيا — عن تهيئة الأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية بما يكفل تنفيذ إنشاء الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، وفى ظل الحكم العسكرى البريطانى الممهور بتوقيع عصبة الأمم سارت عملية خلق إسرائيل وفق ذلك المخطط المدروس الشامل .

بريطانيا تنفذ صك الانتداب :

كان لابد أولا من إيجاد نسبة من السكان اليهود تكون كافية لتبرير

---

(١) لورنس فى مذكرة رسمية من وثائق وزارة الخارجية البريطانية وكان اقتراحه فيها أن يصبح الشريف حسين ملكا للحجاز ، ويخلفه ابنه على، وأن يكون فيصل ملكا فى سوريا، وزيد ملكا فى شمال العراق ، وعبد الله ملكا فى جنوب العراق .

فكرة الوطن القومى اليهودى نظريا ، وإقامة الدولة الصهيونية عمليا . وهكذا فتح الاستعمار البريطانى أبواب فلسطين لهجرة اليهود الغرباء ، وبسط حمايته على الهجرة غير المشروعة .

فبينما لم يزد عدد المهاجرين اليهود طيلة ٣٥ عاما قبل الاحتلال البريطانى عن ٢٥ ألف يهودى ، فإنه قد دخل مهاجرا إلى فلسطين خلال الأربع السنوات الأولى فقط من الاحتلال أكثر من ٢٦ ألف يهودى .

وارتفع هذا العدد إلى ١٠٠ ألف بعد عشر سنوات من الاحتلال ، ثم ارتفع إلى ٢٥٠ ألفاً بعد ١٧ سنة من الاحتلال .

لقد دخل الاستعمار البريطانى فلسطين وفيها ٥٦ ألف يهودى فقط ، وغادرها بعد أن ترك فيها ٧٠٠ ألف يهودى ، أى أن عدد اليهود ارتفع بمقدار ١٢ ضعفا خلال فترة الاحتلال البريطانى وبفضله . وكان لابد بعد إيجاد السكان اليهود من إيجاد الأرض لهم .

ولما لم تُجدِ سياسة الإغراء المالى التى لجأت إليها الصهيونية ، تقدم الاستعمار البريطانى ليمارس سياسة شاملة من تضييق الخناق على العرب ، وسن التشريعات الزراعية المجحفة ، وتحميل المزارعين من العرب مزيداً من الضرائب بهدف دفعهم إلى بيع أراضيهم بينما تمنح الأراضى لليهود ويشجعون بمختلف الحوافز القانونية على امتلاك الأرض. ومع ذلك فإن نسبة ما استحوذوا عليه لم تزد على ٢½ ٪ ولم يتجاوز مجموع الأراضى التى امتلكها الصهيونيون حتى عام ١٩٤٨ ٦٪ من مجموع أراضى فلسطين، وهى مساحة ليست بكافية لاستيعاب اليهود المهاجرين .

وكان لابد من تأسيس إدارة صهيونية تنظم وجود أولئك السكان على تلك الأراضى وتكون نواة حكومة الدولة الصهيونية مستقبلا .

وهكذا رفض الاستعمار البريطانى البحث فى أى حكم وطنى أو حتى

دستورى ، لأن ذلك كما قال تشرشل : « يتناقض مع الوعد الممنوح لليهود بإقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين » . ولكنه اعترف فى الوقت نفسه بالوكالة اليهودية ، وأشرك اليهود على نطاق واسع فى إدارة البلاد بحيث أصبحت الوكالة اليهودية فى فلسطين « دولة داخل دولة » ، وكان لابد أخيراً من إيجاد قوة عسكرية منظمة تحمى هذا الوجود الصهيونى النامى من جهة ، وتقاتل لإقامة الدولة الصهيونية حين يأتى الوقت من جهة ثانية .

وهكذا سمح الاستعمار البريطانى للوكالة اليهودية بتأسيس منظمة الهاجاناه العسكرية والمنظمات الإرهابية الصهيونية التى تفرعت منها : الأرغون ، والشترن ، وأمد المستعمرات اليهودية المبنية على أساس استراتيجى بالسلاح ، وأسهم فى تدريب اليهود عسكريا. كل ذلك فى الوقت الذى كان فيه السجن المؤبد والإعدام من نصيب من يمتلك سلاحا من العرب ، وكانوا يقترون على الجيش العربى فى السلاح ولا يسلحونه إلا بأسوأ أنواعه وأقدمها ، وكان بعضها من بقايا الحرب الروسية اليابانية فى مطلع القرن ، وكان بعضه يتفجر فى وجه الجنود عند استعماله . وكانوا يتركون الجنود الجدد على فوضويتهم البدائية التى تحول دون تحويلهم إلى جنود حقيقيين ، وكانوا يمنعون الضباط العرب من الاطلاع على الخطط العسكرية التى هى من اختصاصهم ، وكانوا يكتمون هذه الخطط حتى عن القائد العام « العربى » .

مؤتمر ومعاهدات الصلح

حين عقد مؤتمر الصلح فى يناير سنة ١٩١٩ ، شكل وفد عربى ليعرض أمام المؤتمر مطالب العرب فى الحرية والاستقلال كما وعد الحلفاء . . . كما طالبت الوكالة اليهودية بتنفيذ وعد بلفور الممنوح للصهيونيين بإقامة وطن قومى يهودى

بفلسطين. وأعلنت بريطانيا أن وعودها لا تشمل فلسطين ، وأخذت مع فرنسا تخططان وتبحثان شئون البلاد العربيـة بينهما على ضوء مصـالحهما فقط دون أدنى اعتبار للمواثيق والعهود التى قطعتاها على نفسيهما ، ودون مراعاة للمواثيق والمبادىء الدولية .

وفى يونيو ١٩١٩ انتهى مؤتمر الصلح فى فرساى من وضع ميثاق عصبة الأمم المتحدة ، وكان واضحا أن الحلفاء قد نسوا فى نشوة انتصارهم مبادئهم ووعودهم للشعوب التى تحررت من الحـكم التركى والألمانى ، كما توصلوا إلى طريقة جديدة تمـكنهم من السيطرة على الشعوب باسم « الانتداب » ، وجاء المجلس الأعلى للحلفاء فى مؤتمر سان ريمو فى إبريل سنة ١٩٢٠ ليؤكد وضع فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطانى ، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وذلك بعـــد أن آثر أبناء الشريف حسين وهم : فيصل ، وعبد الله ، وزيد ، الخضوع لرغبات بريطانيا والوكالة اليهودية مقابل عروش زائفة عرضها عليهم الإنجليز .

ثم وقع المجلس الأعلى للحلفاء معاهدة سيفر مع تركيا فى أغسطس سنة ١٩٢٠ تحت شعار فصل الولايات العربية عن تركيا المهزومة .

ومن الغريب أن يكون ذلك قبل بحث صك الانتداب على فلسطين وجاءت هذه المعاهدة مؤكدة لوعد بلفور ، ولإنشاء وطن قومى فى فلسطين . غير أن معاهدة لوزان التى عقدت بين الحلفاء وتركيا فى يوليو ١٩٢٣ وحلت محل معاهدة سيفر لم يرد فيها قبول تركيا مبدأ الانتداب على الولايات العربية المشطورة منها ، أو قبولها وعد بلفور ، فقد رفض كمال أتاتورك معاهدة سيفر وكل ما جاء فيها .

الانتداب على فلسطين والتدخل الامريكى :

على الرغم من إعلان عصبة الأمم مشروع الانتداب على فلسطين فى يوليو

١٩٢١ فإن إقرار صك الانتداب لم يتم إلا فى يوليو ١٩٢٢ ويرجع ذلك إلى تدخل أمريكا فى الأمر لمحاولة الاتفاق مع بريطانيا لصيانة مصالحها فى فلسطين قبل إقرار صك الانتداب على أساس أنها إحدى دول الحلفاء التى اشتركت فى الحرب . وقد اتخذ الكونجرس الأمريكى قرارا فى يوليو ١٩٢٢ بتأييد إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، وبإقرار صك الانتداب ، والموافقة على أن تكون بريطانيا هى الدولة المنتدبة على فلسطين .

وقد أشير فى صك الانتداب إلى وعد بلفور وموافقة دول الحلفاء على إنشاء وطن قومى لليهود ، ومسئولية الدولة المنتدبة فى إنشاء هذا الوطن .

كما صار الاعتراف بالوكالة اليهودية كهيئة لإبداء المشورة والمعونة لإدارة فلسطين فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، كما نص على تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين ومنحهم الجنسية الفلسطينية . . وأن تكون الإنجليزية والعبرية والعربية هى اللغات الرسمية فى فلسطين .

تواطؤ بريطانيا سبب الاضطرابات بفلسطين

عينت بريطانيا السير « هربرت صموئيل » مندوبا ساميا لها ، وهو صهيونى النزعة يهودى الديانة ، وما إن تسلم مقاليد الحكم فى البلاد حتى شرع فى الاستمرار فى عملية تهويد الإدارة ، وتهيئة البلاد لقيام الوطن القومى اليهودى . رغم استنكار العرب وتنبيههم لبريطانيا بخطورة هذه الإجراءات ، واتخذت بريطانيا عدة أساليب ملتوية لتطمئن العرب ، واتخذت من سياسة لجان التحقيق ، والكتب البيضاء ، والقرارات بعد كل ثورة ، وسيلة لإخفاء نواياها وأهدافها الحقيقية .

كما لم تحاول بريطانيا تنفيذ شروط انتدابها على فلسطين رغم إجحافها

بحقوق العرب ، فهى لم تمنح العرب حق الحكم الذاتى ، ولم تحقق لهم إنشاء أى مؤسسة من مؤسسات هذا الحكم كما يقضى بذلك ميثاق عصبة الأمم ، بل على العكس أخذت تسلب الشعب حقوقه وتغزوه بسيل من المهاجرين اليهود من كافة أنحاء العالم . وبصفة عامة تجاهلت كافة حقوق وأمانى الشعب العربى فى فلسطين ، مما أدى إلى قيام الاضطرابات والثورات فى كافة أنحاء البلاد .

الاضطرابات فى فلسطين :

كانت أولى هذه الاضطرابات فى عام ١٩٢٠ التى انقلبت إلى ثورة مسلحة فى كل من القدس ويافا ، وقتل فيها كثير من اليهود المقيمين والمهاجرين .

ولما وجدت بريطانيا أن مهمتها فى فلسطين ليست بالسهولة التى تصورتها لجأت إلى أسلوبها التقليدى بتأليف لجنة تحقيق فى إبريل عام ١٩٢٠ باسم « لجنة التحقيق العسكرية » للوقوف على أسباب هذه الثورة . وقد جاء تقرير هذه اللجنة صفعة لبريطانيا لأنها أوضحت الأسباب الحقيقية لهذه الاضطرابات التى تعرفها بريطانيا حق المعرفة ، والتى تنحصر فى خيبة أمل العرب لعدم تنفيذ الوعود باستقلالهم ، ولاعتقادهم بأن وعد بلفور يتضمن إنكارا لحق مصيرهم، وخوفهم من إنشاء الوطن اليهودى .

وبالرغم من هـذا الاتهام الصريح لبريطانيا الذى جاء فى تقرير اللجنة والذى منع نشره فى فلسطين ، فقد استمرت بريطانيا فى سياستها لتمكن اليهود من السيطرة على البلاد مما أدى إلى قيام ثورة يافا عام ١٩٢١ التى شملت معظم أنحاء البلاد . وقد تردد صدى هذه الثورة فى البلاد العربية المجاورة ، مما أدى إلى قيام مظاهرات شعبية فيها تندد ببريطانيا وتلعن عهودها ومواثيقها .

ووفقا لسياسة بريطانيا التقليدية شكلت لجنة تحقيق عرفت باسم لجنة

هيكرافت ، وقد جاء تقرير اللجنة فى أكتوبر عـام ١٩٢١ يدين بريطانيا ويؤيد تقرير اللجنة السابقة .

وفى عام ١٩٢٢ سافر وفـد من عرب فلسطين إلى بريطانيا لعرض قضية بلاده فيها . وقد اهتم مجلس اللوردات بوجهة النظر الفلسطينية ، وقرر عـدم الموافقة على صك الانتداب لمناقضته لعهود بريطانيا للعرب ، ولأنه لا يتفق مع رغبات سكان فلسطين .

إلا أن الضغط الصهيونى على مجلس العموم جعل هذا المجلس يتغاضى عن قرار مجلس اللوردات وأيد سياسة الحـكومة التى كان يوجهها مستر تشرشل وزير المستعمرات فى ذلك الوقت ، والذى جاء فى رده على الوفـد الفلسطينى : « إن الحـكومة البريطانية لا تسمح بوضع دستورى فى فلسطين يحول دون تنفيذ عهد خطير قطعته بريطانيا كوعد بلفور ، ولا توافق على تأليف حكومة وطنية فى هذه المرحلة ، لأن ذلك يحول دون الإيفاء بعهودها للشعب اليهودى » .

وأصدرت بريطانيا كتابا أبيض فى يونيو ١٩٢٢ ، أوضحت فيـــه أن عهودها للشريف حسين شريف مكة لا تشمل فلسطين ، كما رفضت قيام حـكم وطنى فى فلسطين ، وأعلنت تصميمها على استمرار الهجرة اليهودية وتنفيذ سياسة الانتداب .

وقد حاولت بريطانيا فى هذه الفترة إنشاء مجلس تشريعى لفلسطين يكون معظم أعضائه من الموظفين الإنجليز واليهود ، ويكون للمندوب السامى حق نقض قراراته ، إلا أن العرب لم يوافقوا ورفضوا الاشتراك فيه ، فاستعاض الإنجليز عنه بمجلس استشارى مثل فيه الموظفون الإنجليز واليهود فقط رغم أن العرب كانوا يؤلفون ٩١ ٪ من سكان فلسطين وقتئذ .

ثورة ١٩٢٩ :

وفى عام ١٩٢٩ ثار العرب ضد بريطانيا والصهيونية وشملت الثورة جميع البلاد وخاصة مدينة الخليل . وقد اشترك فى هذه الثورة كثير من أبناء البلاد العربية ، وتكبد الإنجليز واليهود خسائر فادحة نتيجة للهجمات التى كان يشنها الثوار العرب .

الكتاب الأبيض ١٩٣٠ :

وبالرغم من معرفة بريطانيا لأسباب الثورة فقد شكلت لجنة تحقيق جريا على سياسة المماطلة والخداع عام ١٩٣٠ برئاسة القاضى والترشو قاضى القضاة البريطانى السابق ، لمعرفة أسباب الثورة . ومرة أخرى تجىء النتائج مؤيدة لوجهة النظر العربية وتؤكد الظلم الواقع على العرب فى كل المجالات السياسية والاقتصادية والزراعية .

واضطرت بريطانيا فى أكتوبر من العام نفسه إلى إصدار الكتاب الأبيض الثانى المعروف بكتاب «باسفيلد» — نسبة إلى اسم وزير المستعمرات فى ذلك الوقت — وأكدت فيه عزمها على تنفيذ توصيات لجان التحقيق، ووضعت نصوصا تقيد انتقال الأراضى العربية إلى اليهود ، كما حددت الهجرة ورسمت خطوط الإصلاح الزراعى والاجتماعى فى البلاد ، كما أعلنت عن عزمها على تشكيل مجلس تشريعى.

لم يرفض العرب المشروع كما كانت بريطانيا تتوقع ، مما أحرج الحكومة البريطانية ، وأخذ غلاة الاستعماريين ينتقدون الحكومة ويطالبون بإلغائه ، كما قامت المظاهرات اليهودية فى انجلترا وأمريكا احتجاجا على المشروع ، مما حدا بالحكومة إلى التراجع عنه . وهكذا عادت بريطانيا إلى النقطة التى بدأت منها واستمرت سياستها وإجراءاتها التعسفية .

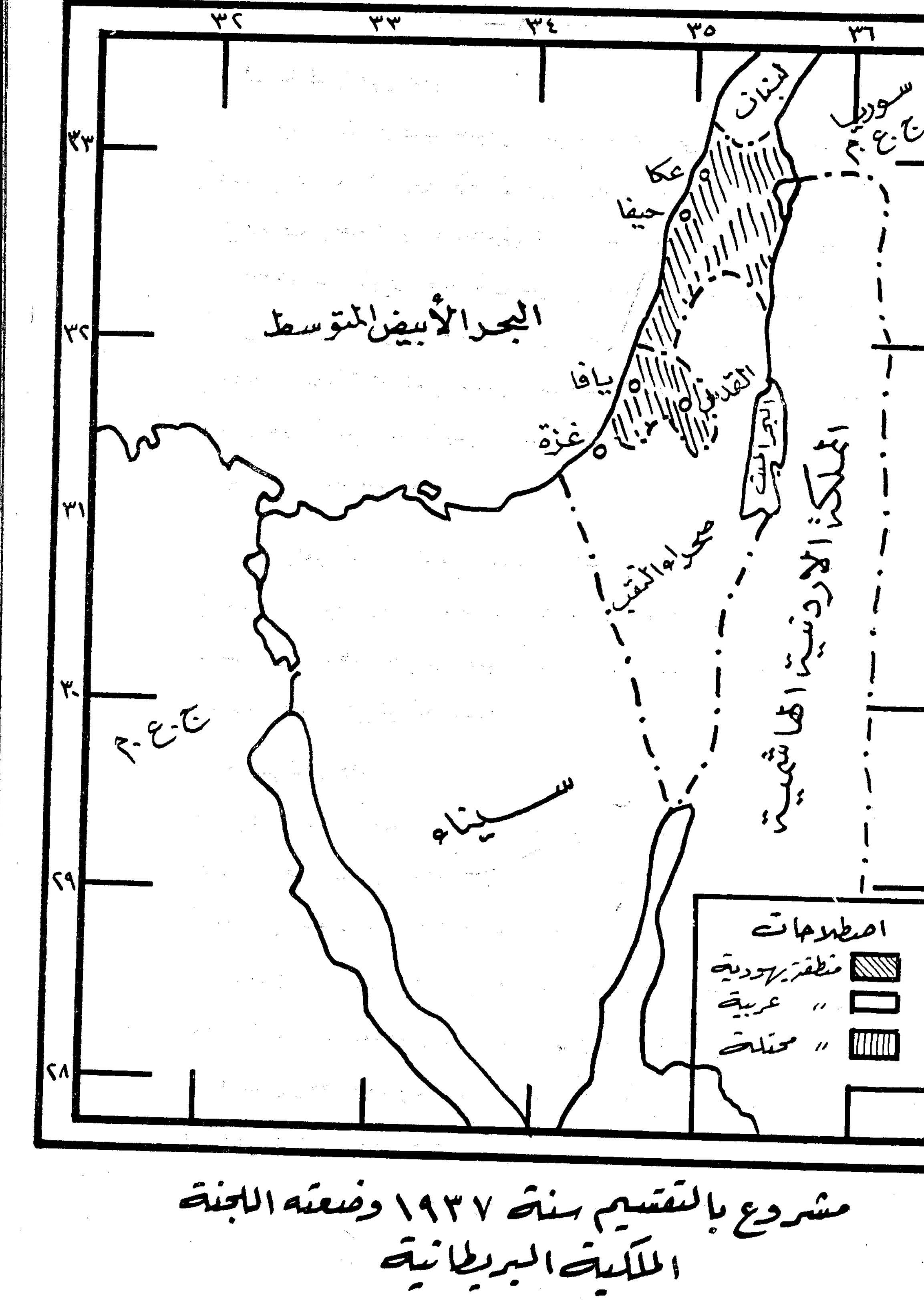
مشروع المجلس التشريعى ١٩٣٥ :

وإزاء تجدد حركات المقاومة عام ١٩٣٢ وما بعده ، فكرت بريطانيا فى وسيلة جديدة للخداع والتضليل ، فعرضت فى عام ١٩٣٥ مشروعا على العرب واليهود لإنشاء مجلس تشريعى من ٢٨ عضوا منهم أربعة عشر عضوا عربيا ، وسبعة من اليهود ، وسبعة من الموظفين الإنجليز . وقد قبل العرب هذا المشروع من ناحية المبدأ إلا أن اليهود بالاتفاق مع بريطانيا رفضوا المشروع وطالبوا بأن يكون لهم نصف الأعضاء على الأقل . وكانت بريطانيا قد رفعت نسبتهم السكانية إلى ٢٨٪ بعد أن كانوا ٥٪ عام ١٩١٨ ، وبدا أن الحكومة البريطانية غير متحمسة للمشروع وعلى استعداد للرجوع عنه ، فقامت ثورة عربية جديدة عام ١٩٣٥ احتجاجا على تآمر بريطانيا — وكانت الثورة بقيادة الشيخ عز الدين القسام وهو من أبناء سوريا — على قاعدة شعبية واعية ناتجة عن تنظيمات وخلايا سرية ، وكان مركزها حيفا ، وشملت جميع أنحاء البلاد ، وقد استشهد فيها قائد الثورة « الشيخ عز الدين القسام » واثنان من رفاقه أحدهما من مصر وثانيهما من فلسطين .

ثورة عام ١٩٣٦ :

وفى إبريل سنة ١٩٣٦ أعلن إخوان الشهيد عز الدين القسام الثورة الكبرى التى استمرت حتى أواخر سنة ١٩٣٩ ، وكانت أعظم ثورة عربية فى النصف الأول من القرن العشرين ، إذ اشترك آلاف من عرب فلسطين يدعمهم مئات من أحرار العرب الثوريين فى حرب ضد الإمبراطورية البريطانية ، وفى مواجهة جيش الإمبراطورية البريطانية الذى قدر بحوالى ثمانين ألف جندى .

وقد سجل العرب عشرات الانتصارات العسكرية فى جبال فلسطين ووديانها على الجيش البريطانى الذى كان مسلحا بأحدث أنواع الأسلحة ويقوده أكبر قادة بريطانيا العسكريين أمثال ويفل ، وديل ، ومونتجومرى .



مشروع بالتقسيم سنة ١٩٣٧ وضعته اللجنة الملكية البريطانية

اللجنة الملكية البريطانية :

وحينما رأت بريطانيا جيوش الثورة تسيطر على البلاد سارعت فى أغسطس عام ١٩٣٦ إلى الإعلان عن تأليف « اللجنة الملكية البريطانية التى تعرف باجنة « بيل » للتحقيق فى أسباب الثورة ، وفى « يوليو » عام ١٩٣٧ أعلن تقرير اللجنة الذى نص على انتهاء الانتداب على فلسطين على أساس التقسيم إلى دولتين إحداهما عربية وتضم شرق الأردن ، والأخرى يهودية ، ومنطقة ثالثة تشمل القدس وبيت لحم وتمتد فى ممر يشمل مدينتى اللد والرملة حتى يافا على البحر الأبيض ، وتظل تحت الانتداب البريطانى ولا يسرى عليها مفعول وعد بلفور .

وقد رفض العرب مشروع التقسيم كما رفضه اليهود أيضا ، لأن هذا الحل يخالف وعد بلفور ويناقض تعهدات بريطانيا لهم بجعل فلسطين يهودية . وقد عرضت بريطانيا هذا الحل على عصبة الأمم فى ذلك الوقت لإقراره، واستطاعت بنفوذها الحصول على موافقة العصبة .

مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ :

إلا أن استمرار الثورة العربية بقوة جعل بريطانيا تتراجع عن مشروع التقسيم ، وأصدرت قرارا باستحالة قيام دولة يهودية ، كما أقرت أن قضية فلسطين قضية تخص الشعب العربى لا فى فلسطين وحدها بل فى كل الأقطار العربية .

ودعت إلى عقد مؤتمر لندن فى فبراير سنة ١٩٣٩ وحضره ممثلون عن حكومات مصر والسعودية والأردن والعراق واليمن ، كما حضره ممثلون عرب عن فلسطين وحضره مندوبون عن اليهود ، وكان الإنجليز يجتمعون مع العرب فى الصباح ومع اليهود فى المساء .

وكان من الممكن فى هذا المؤتمر التوصل إلى تسوية للقضية لولا ارتباط

السياسة البريطانية الدائم بخططها ومشاريعها الاستعمارية . وبدأ تدخل الولايات المتحدة الأمريكية لصالح الصهيونية العالمية . وقد عرض فى هذا المؤتمر مشروع قيام حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة لضمان مصالحها العسكرية والاقتصادية على أن تسبق قيام هذه الحكومة فترة انتقال لمدة عشر سنوات ، ويشترط كذلك موافقة كل من العرب واليهود على أسس هذا المشروع . وقد رفض العرب هذا المشروع لطول فترة الانتقال وشرط موافقة اليهود ، كما رفضه اليهود لأنه يخالف وعد بريطانيا بجعل فلسطين يهودية .

الكتاب الأبيض ١٩٣٩ :

إن تراجع بريطانيا فى الواقع عن مشاريع التقسيم يرجع أولا إلى اشتداد الثورة العربية فى فلسطين حيث كانت قوات الثوار تسيطر على معظم أجزاء البلاد ، كما يرجع إلى شعورها باقتراب خطر الحرب العالمية الثانية التى كانت على الأبواب وحاجتها إلى استمالة العرب إلى جانبها .

ففى مايو سنة ١٩٣٩ أصدرت بريطانيا كتاباً أبيض أوضحت فيه سياستها بما لا يخرج عما عرض فى المؤتمر ، مع بعض التعديلات الطفيفة بالنسبة لتحديد الهجرة ومنع انتقال الأراضى إلى اليهود حسب ظروف كل منطقة فى البلاد .

وقد قابل عرب فلسطين والدول العربية هذا الكتاب بتحفظ شديد لسابق خبرتهم بألاعيب بريطانيا ، أما اليهود فقد سارعوا إلى رفض هذا المشروع الجديد لأنه يخالف جميع اتفاقيات بريطانيا السرية والعلنية معهم .

الخلاصة

اولا — الكتب :

١ — الكتاب الأبيض يونيو ١٩٢٢ : التصميم على الهجرة ، والتمسك باتفاقية الشريف حسين .

٢ — الكتاب الأبيض أكتوبر ١٩٣٠ : كتاب باسفيلد ، تنفيذ توصيات لجنة شو .

٣ — « « مايو ١٩٣٩ : تحديد الهجرة ، منع انتقال الأراضى .

ثانيا — اللجان :

١ — لجنة التحقيق العسكرية عام ١٩٢٠ : انتهت من عملها بإدانة بريطانيا والحنث بوعودها للعرب .

٢ — لجنة هيكرافت عام ١٩٢١ : انتهت من عملها بإدانة بريطانيا وتأييد التقرير السابق .

٣ — لجنة والتر شو عام ١٩٣٠ : انتهت من عملها بإدانة بريطانيا ، وتأييد وجهة النظر العربية .

٤ — اللجنة الملكية البريطانية « بيل » عام ١٩٣٦ : انتهت من عملها بإقرار انتهاء الانتداب ، ومشروع التقسيم وإقرار عصبة الأمم لمشروع التقسيم .

ثالثا — المجالس التشريعية :

١ — مجلس استشارى عام ١٩٢٢ : من الإنجليز واليهود فقط .

٢ — مجلس تشريعى أكتوبر عام ١٩٣٠ : لتنفيذ مضمون الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ .

٣ — مشروع لمجلس تشريعى عام ١٩٣٥ : مكون من ١٤ عربيا ، ٧ يهود ، ٧ إنجليز .

رابعا — المؤتمرات :

١ — وفد عربى فى لندن عام ١٩٢٢ : استطاع إقناع مجلس اللوردات بوجهة النظر العربية إلا أن الضغط

الصهيونى إلى مجلس العموم بدل
الأوضاع ونجم عنه رد تشرشل
الذى يكشف نوايا الاستعمار
لفلسطين .

٣ — مؤتمر لندن عام ١٩٣٩: تمخض عن إقرار حكومة
فلسطينية ، وعلى اجتياز البلاد
لفترة انتقال لمدة عشر سنوات .

المقاومة العربية والإرهاب الصهيونى

وملامح الحرب الكونية الثانية

١ — لم يقف العرب الأحرار عرب فلسطين صامتين إزاء الخطر المحدق ببلادهم نتيجة لهذا المخطط البريطانى الصهيونى. وقد خاضوا طيلة ثلاثين عاما من ١٩١٧ — ١٩٤٧ نضالا شعبياً بطوليا ضد بريطانيا أكبر قوة استعمارية فى العالم وضد الصهيونية العالمية بامتداداتها السياسية واحتكاراتها المالية الضخمة .

ومنذ صدور وعد بلفور ثم صك الانتداب حتى عام التقسيم ١٩٤٧ تتالت الانتفاضات الثورية من العرب الأحرار عام ١٩٢٠ ثم عام ١٩٣٣ ثم الانتفاضة الثورية الكبرى عام ١٩٣٦ ثم الثورة الشعبية الشاملة عام ١٩٣٧ ، وفى هذه الانتفاضات الثورية أثبت الشعب الفلسطينى ، بالرغم من تكبيله وتقييد حريته وإرادته وسلب سيادته على أرضه وإنكار حق تقرير المصير عليه ، بالرغم من هذا كله أثبت كيانه ليتصدى للدفاع عن أرضه ووطنه .

وقدم شعب فلسطين خلال هذا النضال المرير آلاف الشهداء ، وتعرض لأعنف عمليات القمع الاستعمارى من السجن والتعذيب إلى أحكام الإعدام رمياً بالرصاص أو بالشنق ، إلى نسف البيوت والقرى دفاعاً عن عروبة فلسطين

وتأكيداً لرفض أبنائها العرب للوطن القومى اليهودى الذى لاسند له من التاريخ كما سبق أن صرح بذلك الدكتور أرنولد توينبى المؤرخ البريطانى .

أمام هذه المقاومة العربية العنيفة التى وصلت ذروتها عام ١٩٣٨ ونتيجة لهبوب رياح الحرب العالمية الثانية تظاهرت بريطانيا بالرضوخ وأصـــدرت فى عام ١٩٣٩ الـكتاب الأبيض الذى ألغت فيه مشروع التقسيم المجحف الذى كانت قد اقترحته لجنة بيل الملـكية البريطانية وأعلنت أن التزاماتها تجاه فـكرة الوطن القومى اليهودى قـــد انتهت وأن الهجرة اليهودية ستقف نهائياً بعد إدخال ٧٥ ألف يهودى خلال خمس سنوات ، وأنها ستنهى الانتداب على فلسطين بعد عشر سنوات ، ملوحة بإمكانية الموافقة على قيام دولة بأكثرية الثلثين العربية .

رفض اليهود الكتاب الأبيض معلنين أن الهجرة يجب أن تستمر ، وأن الوطن القومى اليهودى يفترض قيام الدولة اليهودية ، وابتدأت الصهيونية فى الخارج عملية ضغط عالمية واسعة تركزت فى بريطانيا وأمريكا بشكل خاص ، كما ابتدأت فى الداخل موجة من الإرهاب الصهيونى المسلح ضـــد بريطانيا والعرب على السواء ، ومنذ عام ١٩٤٤ انتقلت موجة الإرهاب الصهيونى المسلح إلى مستوى جديد من العنف فنسفت بعض دوائر السلطات البريطانية ، وشنق عدد من الجنود البريطانيين ، ودمرت الجسور والمبانى ، واغتيل اللورد موين الوزير البريطانى للشرق الأوسط ، بينما أخلد العرب إلى السكينة بانتظار وفاء بريطانيا بتعهدها سنة ١٩٣٩ .

سيطرة بريطانيا على الشرق الأوسط :

قامت بريطانيا باحتلال طرق المواصلات الحيوية عبر قنـــاة السويس ، وأراضى الشرق الأوسط الممتدة من البحر المتوسط إلى الخليج العربى . وأصبحت بريطانيا القوة الوحيدة المسيطرة على المنطقة ، فقد انتهت منافسة كل من روسيا وألمانيا لهـا ، كما انتهت منافسة فرنسا بأخذ نصيبها باحتلال كل من

سوريا ولبنان . وجاء صك الانتداب الذى أصدرته عصبة الأمم مصحوباً بالمعاهدة بين بريطانيا والعراق ليضيف شكلا رسمياً لواقع الإشراف . أما فلسطين — كما توضح سابقاً — فكان لبريطانيا سلطات إدارية كاملة ومطلقة تمارسها عن طريق مندوبيها السامين ، وأما شرق الأردن فكان تابعاً للإدارة الفلسطينية وإن ظل مستثنى من نصوص وعد بلفور

وبذلك كانت العراق ، وشرق الأردن ، وفلسطين تؤلف همزة الوصل البرية ، وفيما بعد أصبحت طريقا لتدفق البترول بين البحر الأبيض والخليج العربى كما كانت قناة السويس الموجودة فى الأراضى المصرية هى الطريق البحرية والتى كان يتحتم بقاؤها تحت سيطرة بريطانيا دون منافس .

وتمكنت بريطانيا بفضل هذه العلاقات الخاصة مع العراق وفلسطين وشرق الأردن ومصر من المحافظة على سيطرتها التامة على المنطقة ، وأصبح الممثل البريطانى « الرئيس ذا النفوذ » ، فله سلطاته وواجباته ووسائله الخاصة لتنفيذ هذه الواجبات ، وكان هو الذى يقدم النصيحة والمشورة والتدريب على فن الحكم والمساعدة بالرجال والخبراء فى مختلف الميادين .

وبذلك تحقق حلم بريطانيا فى السيطرة التامة على المنطقة بلا منافس ، وأمكنها أن تفتت الشعب العربى إلى دول وإمارات ، متعاونة فى ذلك مع الرجعية العربية التى وجدت أن مصالحها تتفق مع مصالح الاستعمار فى تجزئة الوطن العربى .

وهذا الوضع مضاد للوعود التى قطعتها بريطانيا وفرنسا على نفسيهما نحو العرب ، فقد أعلنتا بلاغا فى نوفمبر سنة ١٩١٨ بأن الهدف من محاربة الدولة العثمانية فى أملاكها بالشام هو « تحرير الشعوب التى عانت طويلا من اضطهاد الأتراك وعسفهم تحريراً كاملا ونهائياً ، وإقامة حكومات وإدارات تستمد

سلطاتها من أهل البلاد الذين يجب أن يكون لهم الحق المطلق فى اختيارها وممارستها » .

وكانت صلاحيات بريطانيا بموجب الانتداب قد أشارت إلى القواعد العسكرية البريطانية بصفتها حاميات إمبراطورية . وبدا للعرب أنهم خدعوا وجروا من أنوفهم ليصبحوا جزءا من هذه الإمبراطورية ، وكانت السياسة البريطانية فى فترة الانتداب قائمة على نوع من الوصاية يساعد فيها الموظفون والمستشارون الإنجليز على إقامة دول الشرق الأوسط معتمدين فى ذلك على الباشوات والشيوخ لحكم البلاد بدلا من إزاحتهم من الطريق ، ثم تأتى مرحلة أخرى تمنح فيها هذه البلاد استقلالها على أساس معاهدات وصفقات قائمة على تبادل أصيل للمصالح التى تضمن حاجات بريطانيا الاستراتيجية. ومادام الملوك والحكومات العربية لا يخرجون على حدود السياسة الخارجية التى تضعها لهم الحكومة البريطانية فلا إشراف ولا تدخل ويظلون محتفظين باستقلالهم الاسمى ماداموا لا يقومون بأى عمل مستقل عن التوجيه البريطانى ، وعلى هذا الأساس تضمنت المعاهدة البريطانية العراقية عام ١٩٣٢ وكذلك المعاهدة البريطانية المصرية عام ١٩٣٦ جميع النصوص الضرورية التى تضمن مصالح بريطانيا والتى كانت تتضمن أربع نقاط حيوية :

أولا — التحالف الأبدى مع بريطانيا .

ثانيا — موافقة كل من الطرفين على أن حماية خطوط المواصلات البريطانية أمر ضرورى لكليهما .

ثالثا — أن أيا من الفريقين لن يتخذ موقفا من الدول الأجنبية يتعارض مع المعاهدة أو يسبب ارتباكا للفريق الآخر .

رابعاً — السماح بإقامة القواعد البريطانية العسكرية مع إعطاء بريطانيا الحق فى استخدام كافة التسهيلات الموجودة فى البلاد فى حالة نشوب الحرب .

وبذلك كانت هذه المعاهدات تضمن لبريطانيا حق الحماية العسكرية لمصالحها الاستراتيجية الحيوية ، ولكيان هذه الدول السياسى — هذا علاوة على السيطرة الاقتصادية التى كانت تمارسها بريطانيا من حيث السيطرة على الناحية المصرفية « البنوك » والمالية وتبعية هذه الدول لكتلة الاسترلينى ، وبذلك أصبحت الحركات الوطنية التى تطالب بالاستقلال الكامل بحكم الوضع معادية لمصالح بريطانيا ، كما أنها من ناحية أخرى تعتبر حركات غير دستورية ، إذ أن المعاهدات فرضت على الملوك والحكام التزامات بأن يعتبروا مصالح بريطانيا الحيوية مصالح حيوية لبلادهم ولأنفسهم .

وعلى هذا الأساس اعتبر الإنجليز أن فرضهم حكومة معينة على مصر فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ كان من صميم اختصاصات بريطانيا حيث أن الملك قد وافق على التسليم بها فى معاهدة سنة ١٩٣٦ .

وكانت معاهدة سنة ١٩٣٦ ، التى عقدت بين مصر وبريطانيا والتى اشتركت فى توقيعها جبهة وطنية تضم كل الأحزاب السياسية العاملة فى ذلك الوقت ، صك الاستسلام للخديعة الكبرى التى وقعت فيها ثورة سنة ١٩١٩ ، فقد كانت فى مقدمتها تنص على استقلال مصر ، بينما صلبها فى كل عبارة من عباراته يسلب هذا الاستقلال كل قيمة وكل معنى له .

كذلك كان اشتباك القوات البريطانية مع القوات العراقية عام ١٩٤١ لإعادة الحكم الملكى إليها إثر ثورة رشيد عالى الكيلانى متفقا تمام الاتفاق مع نصوص المعاهدة ودستور العراق أيضاً .

المعاهدات كانت تفرض على الملوك تعيين رؤساء وزارات موالين لبريطانيا :

وبذلك أصبحت سياسة بريطانيا تسير فى حلقة مفرغة بالنسبة للعرب ؛

فليست هناك ضرورة لمنح العرب استقلالهم ما داموا لم يطالبوا به . أما إذا طالبوا بالاستقلال فإن المطالبة فى حد ذاتها تكون كافية لحرمانهم منه . . وقد كانت المعاهدات تفرض على الملوك من ناحية عملية تعيين رؤساء وزارات موالين لبريطانيا ، وكان هذا يحتم عليهم أيضا أن يضمنوا لهذه الحكومات بطريق أو بآخر برلمانات تمنحها الثقة أو تسكت على الأقل .

وكانت هذه البرلمانات تتكون من العناصر الرأسمالية والإقطاعية ومن أصحاب الآراء المعتدلة «جدا» الذين يمكن أن يوكل إليهم تأييد سياسة العهد القـــائم .

وبذلك أقيمت الملكيات العربية الدستورية ببرلماناتها المنتخبة فى ظل التوجيه البريطانى ، وكانت القوة البريطانية هى التى تحافظ على وجودها وبقائها فى السلطة ، وكثيرا ما أعادت إليها القوة التى فقدتها . وأصبحت القواعـــد العسكرية البريطانية فى البلاد العربية لا كقواعد لقوات حليفة يقصد منها أن تكون موجهة ضد أعداء خارجيين — كما نصت المعاهدات على ذلك — بل كانت فى الواقع قواعد بوليسية موجهة ضد العرب تؤمن مصالح الصهيونية العالمية التى بدأت فى احتلال أراضى فلسطين منذ بداية الإدارة البريطانية عام ١٩١٨ ، كما أصبح ملوك العرب ورؤساء وزاراتهم حراساً تعينهم بريطانيـا للمحافظة على مصالحها فى البلاد العربية ، وتحرم على العرب كل ما يؤمنون بأنه حق من حقوقهم .

أما فلسطين فقد استطاع الصهيونيون — عن طريق وعد بلفور ، وصك انتداب بريطانيـا لفلسطين الصادر من عصبة الأمم والذى أضفى على الوعـد الصفة الدولية — أن يغتصبوا موطىء قدم لهم تحت حماية بريطانيا وعطفها وتشجيعها ، ودخلت فلسطين فى مشكلة تاريخية استمرت ثلاثين عاما منذ عام

١٩١٧ — ١٩٤٧ تعانى جسما غريباً تسبب فى طرد أبناء فلسطين المواطنين، إذ أمكن لبريطانيا بالتعاون مع الصهيونية العالمية محو عروبة فلسطين ، وتنفيذ حلمها القديم بإقامة الحاجز البشرى بين عرب آسيا وعرب أفريقيا من شعب غريب عن المنطقة موال لها وللاستعمار العالمى ، ليكون أداة لضرب الشعب العربى وتفتيت كفاحه .

وأبان الميثاق التقاء الأهداف الإمبريالية بالأهداف الصهيونية بهذا النص :

« إن قطعة من الأرض العربية فى فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ لحركة عنصرية عدوانية ، أرادها المستعمر لتكون سوطا فى يده يلهب به ظهر النضال العربى إذا استطاع يوما أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة ، كما أرادها المستعمر فاصلا يعوق امتداد الأرض العربية ، ويحجز المشرق عن المغرب ، ثم أرادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتى للأمة العربية تشغلها عن حركة البناء الإيجابى .

إن ذلك كله تم بطريقة تحمل طابعا استفزازيا ولا تقيم وزنا لوجود الأمة العربية أو لكرامتها .

ممارسة حقوق السيادة والتحرر من المعاهدات :

إن التاريخ يقدم لنا أدلة بارزة على الانتفاضة القومية ضد سيطرة الاستعمار وتحكم الصهيونية :

اولا — تركيا :

ظهر مصطفى كمال أتاتورك الذى رأى فى معاهدة سيفر المنعقدة فى ١٠ / ٨ / ١٩٢٠ إهداراً لكرامة تركيا ، وسرعان ما قامت حركة قومية قاد صفوفها ضد مؤامرات الحلفاء على تركيا واتخذ أنقرة عاصمة للبلاد ، وقاد الجيوش

إلى النصر، وأرغم الحلفاء على الاعتراف بتركيا مستقلة ذات سيادة، واضطرهم إلى عقد معاهدة جديدة هى معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ بمقتضاها امتدت حدود تركيا إلى ما بعد أدرنة بقليل، واعترف الحلفاء بملكية تركيا للقسطنطينية وتراقيا الشرقية وآسيا الصغرى.

ثانيا — ألمانيا :

ودليل ثان لا يقل عن الأول فى روعته ظهر بظهور أدولف هتلر الذى ما إن أصبح رئيسا للوزارة عام ١٩٣٢ حتى أعلن عزمه على التخلص من أحكام معاهدة فرساى، فبعد أن استرد إقليم السار أعلن التجنيد الإجبارى، وزيادة عدد الجيش، ووضع موارد البلاد الفنية والاقتصادية بأكملها لتجهيز قواتها الحربية بأحدث الأسلحة، كما شرع فى تحصين أراضى الراين، وأخذ فى تنفيذ برامجه التى تهدف إلى توحيد جميع الشعوب المتكلمة باللغة الألمانية تحت راية الرايخ، وشرع فى السيطرة على أوربا الوسطى كما شرع فى تحطيم قوة عدوه بريطانيا.

ثالثا — معركة بورسعيد :

بل إن معركة بور سعيد عام ١٩٥٦ هى نقطة تحول للأمة العربية تولد عنها انتفاضات قومية وقيام الحكم الجمهورى بالعراق ثم باليمن، إلى معارك مستمرة لتصفية الرجعية العميلة للإمبريالية فى الأقطار العربية، إلى سيادة الجزائر، وإلى سيادة جمهورية الجنوب العربى واستقلاله.

الشعوب العربية تفتقر الى الوحدة فى الهدف والصف :

يقول الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »[١].

ويقول المسيح عليه السلام: « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب »[٢].

---

(١) آل عمران : ١٠٣. (٢) لوقا ١١ : ١٧.

ويستنبط الدكتور يحيى عويس[1] الموقف العربى بقوله : « كانت الأمة العربية تسير فى سياستها على التمسك بالمثالية ، وتعلق الأمل على الدبلوماسية ، والتفاهم والصداقة كوسائل لتحقيق الأهداف . وإن معظم الدول العربية لم تكن قد استكملت سيادتها القومية بعد وغالبيتها كانت مرتبطة بمعاهدات سياسية مع بريطانيا » .

فى هذا الوقت كانت الصهيونية تسعى جادة لتحقيق أطماعها . لا عن طريق التمسك بالقيم الأخلاقية والمثل العليا . ولا عن طريق الاعتماد على الدبلوماسية والتفاهم ، ولا عن طريق الحق والعدل ، وإنما عن طريق المخادعة والدعاية الكاذبة ، والتدبير المحكم لأعمال الضغط السياسى ، واستغلال النفوذ المالى مع سلسلة محكمة من أعمال الإرهاب والتنكيل والتهديد والغدر والقتل المتعمد.

وتعرضت فلسطين كما تعرض كل صوت حر مثل صوت الكونت برنادوت ، وصوت جيمس فورستال ، واللورد موين لخطة عسكرية منظمة من الإرهاب الصهيونى من عصابات الهاجاناه والبالماخ The Hagana and Palmach ومنظمة الأرغن زفاى ليومى The Urgon Zvai Laumi وعصابات الشترن The Stern groups التى يقودها ناثان فريدمن بتواطؤ مع الدول الكبرى .

إن الحكومات العربية كانت مكتوفة الأيدى لارتباطها بالتزامات قبل الحلفاء ، أو لانشغال ساستها بالتفكير فى الوسائل التى تحقق بها الأهداف القومية وحل المشاكل المحلية العاجلة .

لم يقدر الصهيونيون حرج مركز إنجلترا إبان الحرب ، بل راحوا يوجهون إليها الطعنة تلو الطعنة ، غير عابئين بسقوط هيبتها أو اضمحلال مصالحها . وكان الصهيونيون قد بدءوا يفقدون الأمل فى العناصر البريطانية المؤازرة ، التى

---

(١) إسرائيل والدول الكبرى ص ٣٧ — ٤٠ .

طالما استغلوها ، فبريطانيا التى كانت تميل إلى عدم إثارة الرأى العام العربى وبخاصة فى السنين الحرجة قبيل الحرب العالمية الثانية ، لن تجرؤ على تحقيق المطامع الصهيونية بل إنها سوف تسير فى سياسة تردد كتلك التى تمخض عنها الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ (١) .

لذلك رأى الصهيونيون الاتجاه إلى تأييد دولة كبرى غير بريطانيا وبخاصة بعد أن بدأت تلوح عليها عوامل الضعف السياسى ، فحاول فريق منهم استمالة روسيا ، ولكن الغالبية رأت أن تتجه إلى الولايات الأمريكية المتحدة لاستغلال ساستها كما استغل ساسة بريطانيا فى السنين السابقة (٢) .

لقد كان لدى الصهيونيين فرص العمل بحرية فى الحقل الأمريكى الذى يزخر بالعناصر اليهودية ذات النفوذ المالى الكبير ، وحيث لا توجد جبهة عربية معارضة ، وحيث تتوافر العناصر الصهيونية الأمريكية التى يمكنها استغلال يهود أمريكا لتحقيق المآرب الصهيونية دون أن يتيقظ الرأى العام الأمريكى لحقيقتها ومدى آثارها على المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط .

تحولت قيادة الصهيونية من العناصر البريطانية إلى العناصر الأمريكية ، وتحول مركز القيادة العامة من لندن وسويسرا إلى نيويورك وواشنطن ، وكان هذا التحول متمشيا مع منطق الأهداف الصهيونية . فالعناصر البريطانية وقادة الصهيونية القدماء وعلى رأسهم حاييم وايزمن قد لا تستطيع إقحام حكوماتها فى سياسة تتعارض مع الاتجاه العام للسياسة البريطانية فى الشرق الأوسط ، وهو عدم إثارة الرأى العام العربى والإسلامى بإجراء سافر فى صالح اليهود .

---

(١) إن توصيات الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ على ما أثارته من ضجة فى الأوساط العربية اعتبرتها الصهيونية تراجعا وتخاذلا من جانب بريطانيا .

(٢) انظر تعليق كرمت روزفلت فى المجلد الثانى — العدد الأول ص ٤ من مجلة The Middle East Journal.

أما العناصر الأمريكية فقد كانت أمامها الفرصة للسير فى سياسة التطرف ، والتمادى فى المطالب ، وإقحام السياسة الأمريكية وسياسة البيت الأبيض فى سياسات لم يفهم مدى عواقبها نظراً لجهل غالبية الرأى العام الأمريكى بحقيقة مصالح أمريكا فى الشرق الأوسط ، ولاعتبارات أخرى سيرد ذكرها فى الباب الثالث .

تغيير ميزان القوى

انتقلت إذن القيادة العملية للصهيونية فى الميدان السياسى من لندن إلى نيويورك فواشنطن تحت لواء عناصر كانت تمثل الجبهة المتطرفة[١] تحت لواء أناس من أمثال سلفر الأمريكى الذى حاز تأييد الصهيونية المطلق بتصريحاته التى كان يرمى من ورائها إلى إقحام حكومة الولايات المتحدة فى سياسة صهيونية محضة ، ولقد كان سلفر هذا يجاهر بتأييده لسياسة العنف والإرهاب التى سار عليها اليهود فى فلسطين ، ولم يكن ليتورع عن إظهار مقاصده الجامحة فى الأوساط السياسية الأمريكية ، بل لقد حصل على تأييد شامل لاتجاهه المتطرف .

فيقول مثلا منددا بسياسة وايزمن — التى كان يعتبرها معتدلة إلى حد المساس بحقوق الصهيونية : « إن سياسة الدبلوماسية القديمة لم تعد ذات جدوى اليوم . يجب على اليهود أن يستعدوا ويتكتلوا للطوارىء والحرب والصراع الدموى والتكتيك الإرهابى ، وألا يخلطوا بين هدف الصهيونية وهدف إنشاء دولة يهودية بمجرد قبول عدد معين من اللاجئين اليهود »[٢] .

---

(١) لم يكن هناك انقسام بتاتا بين قادة الصهيونية ، وإنما كان هذا اختلافا فى الإمكانيات : إمكانيات تحقيق الهدف — بين جانب يمثله وايزمن وآخر يمثله سلفر .

(٢) ورد هذا النص فى مجلة Ziopist Review, Abba Hillel Silver

وهكذا وجد الصهيونيون حقلا خصبا فى الولايات المتحدة للتنظيم المحكم الذى ساعد على تحقيق مآربهم ، مستغلين فى ذلك أساليب الضغط السياسى الحزبى ، والنفوذ المالى المتوفر ، وجهل الرأى العام الأمريكى بحقيقة المطامع الصهيونية وخطرها على المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط .

وبينما كان وايزمن ورفاقه يستميلون روزفلت وساسة البيت الأبيض ويحاولون إقناعهم بمؤازرة الصهيونية رسميا ، كانت العناصر الصهيونية الأخرى تسعى جادة فى شتى الولايات المتحدة الأمريكية لإصدار بيانات وقرارات تؤيد بها الأهداف الصهيونية ، حتى إذا ماتجمعت تلك القرارات كان لها أثرها الجماعى على السياسة العليا للولايات المتحدة . حدث هذا بينما كانت الحرب العالمية الثانية على أشدها بين عامى ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ (١) !

وأحكمت المنظمات الصهيونية تدابيرها ، وانتقلت من ميدان الولايات المتحدة الأمريكية إلى ميدان السياسة المركزية العليا . ونجح قادة الصهيونية فى الإيعاز إلى عدد من النواب والشيوخ فى الكونجرس الأمريكى لاقتراح استصدار قرار علنى بربط عجلة السياسة الأمريكية بالأهداف الصهيونية ، ونص هذا القرار الذى كان مقررا على الكونجرس أن يصدره نثبته فيما يلى :

« تستعمل الولايات المتحدة وساطتها لاتخاذ التدابير اللازمة فى سبيل فتح باب الهجرة على مصراعيه ، حتى يتيسر لليهود الهجرة إلى فلسطين دون قيد أو شرط ، وأن تهيأ الفرصة كاملة لاستعمار « استيطان » اليهود للأراضى الفلسطينية حتى يتمكنوا من تكوين دولة ديمقراطية حرة فى فلسطين » (٢) .

---

(١) راجع مقال كرمت روزفلت فى المجلد الثانى — العدد الأول ص ٤ من مجلة The Middle East Journal

(٢) أرجىء إصدار القرار نهائيا عام ١٩٤٤ بالنسبة لظروف الحرب ، بيد أن الكونجرس أصدر قرارا مشابها له فى ديسمبر ١٩٤٥ .

طرح هذا القرار على المسئولين فى البيت الأبيض ، وبعد استطلاع رأى الملحقين العسكريين لأمريكا فى الشرق الأوسط ، طلب جنرال مارشال أن يرجأ استصدار القرار خوفا من إثارة الرأى العام العربى ، ونظراً لحاجة الحلفاء إلى الاستقرار فى الشرق الأوسط ، واعتزامهم نقل القوات الاحتياطية المرابطة هناك إلى الجهة الغربية ، وجبهة الشرق الأقصى . وكان مارشال بعيد النظر فى نصيحته ، فإصدار مثل هذا القرار المؤيد للصهيونية سوف يثير حالة من القلق فى الشرق الأوسط مما يضطر بريطانيا إلى الإبقاء على عدد من قواتها ومعداتها للمحافظة على النظام فى تلك المنطقة . ومرة أخرى نجد أن المصالح الذاتية الاستراتيجية المحضة — وليس أى اعتبار إنسانى أو أخلاق آخر — كانت هى المحرك الأول للسياسة التى اتبعتها الدول الكبرى .

ولكن هل كفت الصهيونية عن المضى فى خططها حتى بعد اقتناعها بالمصالح الاستراتيجية المؤقتة للولايات المتحدة ؟

لا . إن الصهيونية لا تتورع عن أن تلقى بأية دولة أو أية حكومة إلى جحيم الأخطاء السياسية والتهورات الدبلوماسية مادام ذلك يحقق المطامع التى تبتغيها وتسعى إليها .

فقد ذهبت وفود من زعماء الصهيونية بعد أيام من إعلان إرجاء هذا القرار إلى الرئيس روزفلت وطلبت إليه أن يصدر تصريحا رسميا يؤيد فيه الأهداف الصهيونية . وكان لهم ما أرادوا ، وأصدر روزفلت تصريحا يؤيد فيه الآمال الصهيونية ، ولو أنه حرص على ألا يقيد حكومة الولايات المتحدة بارتباطات محددة . « ومنذ ذلك الوقت كانت السياسة المتبعة بالنسبة لقضية فلسطين ترسم فى البيت الأبيض على الرغم من إرشادات ونصائح المختصين فى وزارات الخارجية والحربية والبحرية حيث استمرت المعارضة الشديدة — التى كانت تزيد يوما

بعد يوم — لتلك السياسة التى تؤيد الأهداف الصهيونية (١) .

التدخل الامريكى فى المشكلة :

كانت أمريكا حتى ذلك الوقت بعيدة عن المشكلة حيث فرضت على نفسها العزلة منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى . ولكن منذ أن أخذت أهمية منطقة الشرقين الأدنى والأوسط الاستراتيجية والاقتصادية تبرز للعيان ، ونظراً لتطور الرأسمالية الأمريكية فى فترة مابين الحربين العالميتين وحاجتها إلى أسواق جديدة لاستثماراتها — بدأ الاستعمار الأمريكى الجديد — ومن ورائه الصهيونية العالمية — يطل برأسه ، وبدأت أمريكا تقحم نفسها فى شئون المنطقة ، ورأت مايمكن أن يحققه لها قيام دولة يهودية فى فلسطين بمساعدتها المادية والمعنوية من مكاسب لرأس المال الأمريكى، لتكون قاعدة ورأس جسر لامتداده وسيطرته على جميع أجزاء المنطقة .

كما أحست الصهيونية باحتمال تراجع بريطانيا فى مخططها لإقامة دولة يهودية فى فلسطين ، فارتمت فى أحضان الاستعمار الأمريكى ليكون البديل عن الاستعمار البريطانى لتحقيق أهدافها الأثيمة .

ومنذ ذلك الوقت بدأ كل من الاستعمارين الأمريكى والبريطانى يتنافسان لكسب الصهيونية إلى جانبهما ، وكانت أرض فلسطين وشعب فلسطين هما ميدان التنافس ، وقد امتد هذا التنافس إلى الأحزاب السياسية فى كل من بريطانيا وأمريكا التى أخذت كل منهما تسعى لإرضاء الناخبين اليهود فى بلدها .

---

(١) كرمت روزفلت فى المجلد الثانى — العدد الأول — ص ٤ من مجلة :
The Middle East Journal

وقد نشطت الصهيونية فى إثارة هذا التنافس واستغلاله إلى أبعد الحدود ، ونجحت فى إقحام أمريكا فى ميدان القضية الفلسطينية كطرف أقوى ومتحمس إلى جانبها ، مما جعل بريطانيا تتخلى عن ترددها ، وأسرعت فى مجاراة أمريكا فى هذا السبيل إرضاء لحليفتها الصهيونية وأملا فى كسب ود إسرائيل المنتظرة .

وكانت أولى بوادر تدخل أمريكا أثناء انعقاد مؤتمر لندن فى فبراير سنة ١٩٣٩ حيث رضخت بريطانيا باسم التحالف والصداقة لضغطها ، وأعلنت إيقاف المباحثات . وحينما اضطرت بريطانيا إلى إصدار الكتاب الأبيض فى مايو ١٩٣٩ طلب عدد من أعضاء الكونجرس الأمريكى يمثلون الحزبين الحاكم والمعارض من لجنة الشئون الخارجية بحث اقتراحهم بإلغاء الكتاب الأبيض فورا وبإعلان فلسطين دولة يهودية . وفى نفس الوقت أصدر حزب العمال المعارض فى بريطانيا بيانا جاء فيه : « إن سياسة الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ تمثل استسلاما آخر للعدوان ، وهى نكسة للقوى التقدمية، لذلك فهو يطالب الحكومة البريطانية أن تتجاوز عن هذه السياسة ، وأن تعيد فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية » .

وقد أجبرت ظروف الحرب العالمية الثانية التى نشبت فى سبتمبر ١٩٣٩ دولتى الاستعمار على إيقاف منافستهما مؤقتا والنظر بعين الواقع والمصلحة إلى علاقاتهما مع العالم العربى ، فعمدت بريطانيا فى أوائل ١٩٤٠ إلى إصدار بعض أنظمة الأراضى تنفيذا لما جاء فى الكتاب الأبيض ، وإظهارا لحسن نيتها تجاه العرب ، كما قام الرئيس الأمريكى روزفلت باتصالات مع الدول العربية لإقناعها بتأييد بريطانيا ، والوقوف إلى جانبها واعدا بتسوية القضية الفلسطينية تسوية عادلة بعد انتهاء الحرب مؤكدا تدخله الشخصى لحماية حقوق العرب فى فلسطين.

وما إن اطمأنت الدولتان إلى أن العرب قد خدعوا بأساليبهما ، وانتهت الثورة فى فلسطين وتشتت قادتها ، وانحاز الحكام العرب إلى الحلفاء وأعلنوا الحرب على ألمانيا النازية ، حتى بدأ التنافس يعود مرة أخرى إرضاء للصهيونية على شكل بيانات من الحكومتين تؤيدان فيها قيام الوطن القومى اليهودى والمطالبة بإلغاء الكتاب الأبيض وإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين ، وأخذ اليهود يتدفقون على فلسطين من كل أنحاء العالم ، وأغدقت أمريكا عليهم المال والسلاح ، وأمدتهم بريطانيا بالأراضى والمدربين .

وما إن جاء عام ١٩٤١ حتى أصبحوا قوة عسكرية واقتصادية يعتد بها فى فلسطين، ينتظرون إشارة البدء لتنفيذ سياسة الاستعماريين البريطانى والأمريكى .

وفى نوفمبر سنة ١٩٤٥ أدلى مستر بيفن وزير خارجية بريطانيا ببيان عن القضية الفلسطينية نسف فيه الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ من أساسه وأعلن إدخال أمريكا طرفا فى القضية وفى أى حل لها ، ودعاها للتعاون مع بريطانيا فى تأليف لجنة تحقيق إنجليزية — أمريكية مشتركة لبحث مسألة يهود أوربا والقيام باستعراض آخر لمشكلة فلسطين .

وقد تألفت هذه اللجنة فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ : من اثنى عشر عضوا نصفهم من الإنجليز والنصف الآخر من الأمريكان ، وقد كان واضحا من قرار اللجنة أن هدف بريطانيا وأمريكا هو إلغاء الكتاب الأبيض نهائيا ، وإزالة كل أثر من آثاره ، وفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين لضمان وجود أغلبية يهودية منظمة ومسلحة قبل الإقدام على اتخاذ الخطوة النهائية بإعلان دولة إسرائيل .

هذا بالرغم مما جاء فى توصيات اللجنة من معارضة لقيام دولة عربية أو يهودية فى فلسطين ، ومن ضرورة بقاء الدولة المنتدبة فى إدارة البلاد لحين وضعها تحت الوصاية الدولية .

الباب الثانى

المخطط الصهيونى لاغتصاب فلسطين

المخطط الصهيونى لامتلاك أراضى فلسطين

إن أول مستعمرة يهودية زراعية أنشئت فى فلسطين يرجع تاريخها إلى عام ١٨٨٠ ، وكانت بدائية متأخرة . فقد ابتاع الصهيونيون [1] مستعمرة رفح لينقلوا إليها مهاجرى الإسرائيليين من روسيا ورومانيا وغيرهما ، وذلك لأن رفح قريبة من فلسطين ، وفى طور سيناء حيث نزل الإسرائيليون عند خروجهم من مصر .

فقد ابتاع الكسندر ريستوفيتش أحد تجار غزة من مشايخ العرب التابعين للحكومة المصرية ١٤٠٠ دونم [2] من الأراضى الزراعية ، واتفق مع الصهيونيين على أن يبيعهم هذه الأراضى .

ومن عادة الأهالى هناك أن يكون البيع بينهم عرفا ، فلما اتصل الخبر بمديرية طور سيناء أبلغته لقلم المخابرات فى نظارة الحربية لأن علاقة طور سيناء بهذا القلم دون سواه .

فصدر الأمر من السردار بإلغاء هذا البيع ، ووقفت المسألة عند هذا الحد ، وكان المشترى قد دفع ثمنا للدونم الواحد ٣٠ ثلاثين قرشا ، واتفق مع ثيودور هرتزل وشركائه على أن يبيعهم الدونم بمبلغ ١٠٠ مائه قرش .

ويبدو أن الصهيونيين الأمريكيين كانوا قد حاولوا شراء هذه الأراضى فلم يفلحوا ، فحكمهم الخواجة الكسندر ريستوفيتش من الوصول إلى بغيتهم .

وقد يزعم الصهيونيون أنهم امتلكوا الأراضى بثمن غال ، ومهما كان الأمر فإن طريقة شرائهم للأرض كانت سلباً ونهبا لأملاك العرب الذين

---

(١) الأهرام فى ١٤ / ٤ / ١٩١١ .

(٢) الدونم = ١٠٠٠ متر مربع .

لم يفطنوا إلى ما يخططه الصهيونيون من أهداف بعيدة للاستيلاء على فلسطين كلها ، إذ أرادوا أن يستندوا على حق شرعى فى الاستقرار الزراعى يعتمدون عليه فى مطالبتهم بفلسطين .

ومع هذا وعلى الرغم مما بذلوه فى شراء الأراضى فإن تلك الأرض تشكل نسبة ضئيلة من المساحة التى تسيطر عليها إسرائيل فى الوقت الحاضر .

أما ما اغتصبته الصهيونية من أرض فلسطين نهباوسلبا فهو نسبة كبرى تتضاءل أمامها نسبة ما اشتروه غدرا من الأرض بالإضافة إلى ما امتلكوه من البيوت والفاكهة والأموال المنقولة التى يستعملها اليهود ، ويتمتعون بها ، فهى مازالت حقا شرعيا للاجئين العرب الذين يعيشون خارج بيوتهم فى الوقت الحاضر . إن كثيرا من اللاجئين يعيشون على مرمى البصر من تلك البيوت فى ظروف قيد الشقاء والقنوط .

إذن فاليهود فى فلسطين خلال الانتداب البريطانى لم يكن ينقصهم الكثير من مظاهر الدولة « وإن كانت تنقصهم المقومات القانونية للسيطرة على الدولة كالأكثرية العددية وبلوغ السلطة النهائية »، فلقد كانوا يحصلون على القوانين والأنظمة الملائمة لأغراضهم فى معظم الحالات والظروف ، وكانوا يتمتعون بالكثير من ميزات الحكم الذاتى سواء كان ذلك عن طريق قانونى أو عن طريق الأمر الواقع . كما كانت الوكالة اليهودية (١) تعنى بالكثير من نواحى حياتهم عن طريق دوائرها المختصة بالعمل السياسى والمالى والتعليمى والصحى والاستيطانى وسواها . ولقد كانت الوكالة اليهودية وأجهزتها المختصة والمؤسسات المتعاونة معها تمهد لاستيلائهم على أكبر رقعة ممكنة من الأراضى

---

(١) انظر الرسم البيانى عن المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٩٧ — ١٩٤٨ إعداد : أسعد عبد الرحمن — بيروت — فبراير ١٩٦٥ .

العربية ، ومن أمـــلاك الدولة ، وتعمل على ذلك بشتى الأساليب القانونية وغير القانونية .

كما كانت هذه الوكالة تعمل على تقوية شأنها بتهجير أكبر عدد ممكن من إخوانهم اليهود إلى فلسطين ، بوسائل تعتبرها السلطات مشروعة وأخرى غير مشروعة لـكى يتغير ميزان السكان العددى فى صالحهم تدريجيا .

ذلك أن اليهود فى فلسطين كانوا يدركون أن كون ميزان القوى الاقتصادية والتنظيمية والسياسية فى صالحهم ، وكون ميزان القوة العسكرية فى صالحهم أيضاً لم يكن ليجعلهم ينسون أن ميزان القوة العـددية للســكان لم يـكن فى صالحهم .

وإن الوكالة اليهودية مدعوة إلى تصحيح هـذا الوضع العددى ليصبح فى صالحهم ، للتغلب على إحـدى الحجج العربية القوية فى رفض الوطن القومى لليهود ألا وهى حجة الأكثرية العربية وحق الأكثرية العربية فى تقرير مصيرها ، وبالتالى فى تقرير مصير وطنها فلسطين .

الوكالة اليهودية وصك الانتداب :

جاء فى صك الانتداب على فلسطين ، كما صادق عليه مجلس عصبة الأمم فى ٢٤ يوليو ١٩٢٢ ما يأتى :

يعهد بإدارة فلسطين إلى صاحب الجلالة البريطانى كحاكم منتدب ، وتجعل حكومة الانتداب مسئولة عن وضع وعـد بلفور الصادر فى ٢ / ١١ / ١٩١٧ موضع التنفيذ ، مع العلم بأن صك الانتداب يعترف بالرابطة التاريخية بين الشعب اليهودى وفلسطين .

وقد نصت المادة الرابعة من صك الانتداب على الاعتراف بوكالة يهودية مناسبة ، وتعتبر كهيئة عامة غرضها تقديم المشورة للإدارة الفلسطينية

والتعاون معها فى شتى المسائل الاقتصادية والاجتماعيـة وغيرها من المسائل التى قد تؤثر فى قيام الوطن اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين .

هدف الوكالة :

١ — تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين بكافةالوسائل والطرق .

٢ — تأكيد الضمانات التى تكفل الحاجات الدينية اليهودية .

٣ — الدعاية للغة العبرية والثقافة اليهودية .

٤ — شراء الأراضى كأملاك يهودية والإنفاق عليها من الصندوق القومى اليهودى .

٥ — العمل على نجاح الاستيطان الزراعى ، وتشجيع الطاقة العماليةاليهودية .

اجهزة الوكالة :

١ — المجلس وهو الهيئة الحاكمة العليا .

٢ — اللجنة الإدارية وتتألف من أربعين عضوا بالتساوى « صهيونيين ولا صهيونيين » .

٣ — اللجنة التنفيذية وهى تشكل وحدة كلية منفردة ولها مسئوليةجماعية .

تواطؤ بريطانيا مع الوكالة اليهودية :

وانتعشت الوكالة اليهودية بتشجيع الانتـداب البريطانى فى فلسطين ، فأوجدت الظروف الملائمة لنمو المجتمع اليهودى فى فلسطين ، وتزايد قوته العددية والعسكرية والسياسية والتنظيمية والاقتصـادية مع ارتفاع مستواه الاجتماعى والثقافى ، وتعاظم وحدته وتراصه رغم تباين أصول فئاته . وهكذا تمكن هذا المجتمع من إرساء أسس اقتصادية امتدت إلى شتى القطاعات وإلى مختلف أجزاء البلاد ، ضمن مخطط واع بعيد النظر تتضح مبرراته اليوم كما كانت تتضح فى حينها للذين كانوا يعنون بالقضية الفلسطينية بجد ، ويدرسون الخطر الصهيونى

بتعمق ومسئولية ، ووصل بهم الترابط بين بعضهم وبعض فى مختلف الدول إلى الحد الذى يبدو من البيان التالى الذى يوضح المقاعد التى يشغلونها والمكاتب التى يديرونها فى كل أنحاء العالم :

اسم الدولة	عدد المقاعد	اسم الدولة	عدد المقاعد
الولايات الأمريكية المتحدة	٤٤	أستراليا ونيوزيلندة	١
بولونيا	١٤	الهند	١
بريطانيا وأيرلندة الشمالية		بلغاريا	١
والحرة	٧	مصر	١
ألمانيا	٧	يوغوسلافيا	١
فلسطين	٦	اليونان	١
رومانيا	٦	مراكش..الجزائر..تونس	١
فرنسا	٤	سويسرة	١
تشيكوسلوفاكيا	٣	إيطاليا	١
هنغاريا	٢	لاتفيا	١
النمسا	٢	ليتوانيا	١
الأرجنتين	١	هولندا	١
بلجيكا	١	مقعد يوزعه المجلس على أى دولة أو	
كندا	١	مجموعة من دول قد تطلب تمثيلها	١
جنوب إفريقيا	١		١١٢

من هذا يتبين مدى امتدادهم واتصالاتهم وبالتالى مرونة الحركة الدعائية لهم فى مختلف الدول للوصول إلى أهدافهم .

الوكالة اليهودية والاقتصاد الاسرائيلي :

إن الاقتصاد الإسرائيلي اليوم هو تتمة لاقتصاد صهيوني كانت تتوفر له وسائل القوة ، وكانت تحيط به الإطارات التنظيمية والعقائدية الصالحة لنموه . أي أن الاقتصاد الإسرائيلي اليوم إلى جانب مايجنيه من ثمار جهود المجتمع الإسرائيلي الحالي يجني ثماراً سخية بجهود بذلت طيلة ثلاثين سنة ضمن ظروف كانت ملائمة له دون ريب ، مهما ادعى اليهود أنها كانت معادية لهم وتقف في سبيلهم .

كان هنالك عدد كبير من المؤسسات العامة ، وشبه العامة ، التي تعمل بنشاط وعلى نطاق واسع في خدمة الأغراض الصهيونية .

من هـذه المؤسسات ما كان من مشتقات المؤسسة الأم « أي المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية» ، ومنها ما كان مستقلا ، على أن صيغة الاستقلال يجب أن تؤخذ بتحفظ ، فإن المؤسسات المستقلة — وبعضها مما كان يناهض الوكالة اليهودية ويصرح باختلافه معها الاختلاف العقائدي والسياسي — إنما كانت مستقلة بالمعنى المحدود ، أي أنها لم تكن مؤسسات نص عليها دستور الوكالة ، أو انبثقت عن مقررات الوكالة . وبخلاف هذا كانت هذه المؤسسات تنسجم مع الوكالة في أهداف العمل رغم التباعد المؤقت في وسيلة العمل ، كما أنها كانت تجمد شكاواها من الوكالة ومآخذها عليها في الساعات العصيبة ، وعلى الأخص عند مجابهة العرب أو السلطة المنتدبة أو العالم الخارجي .

ومن هذه المؤسسات التي كانت تعمل أثناء الانتداب :

١ — الجمعيـة اليهودية للاستعمار بفلسطين Palestine Jewish Colonization association : أنشأها البارون إدمون دي روتشيلد سنة ١٨٨٣م . وقد أنفقت هذه الجمعيـة منذ تأسيسها حتى أواخر الانتـداب مايزيد على ١٥ مليون جنيه فلسطيني ، وابتاعت مايزيد عن ٤٥٠٫٠٠٠ دونم من الأراضي .

٢ — صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار لمتد Jewish Colonial Trust Ltd. :

وهو من المؤسسات المنبثقة عن المؤسسة الأم أو التابعة لها . أنشيء هذا الصندوق سنة ١٨٩٩ ، واختص أولا بالأعمال المصرفية ثم فيما بعد بمهمة

الائتمان على الأوراق المالية للمؤسسات الصهيونيـة المنبثقة عن المنظمـة الصهيونية ، وقد أنشأ الصندوق بنك « انجلو فلسطين ليمتد » سنة ١٩١٣ كشركة فرعية له ، كما أنشأ بدوره مؤسسات مالية فرعية للقروض الزراعية والصناعية للتأمين والاستعمار المالى وللرهون العقارية ولبناء المساكن .

٣ — الصندوق القومى اليهـودى « كيرن كايميت الإسرائيلى ليمتـد » Jewish National fund Ltd.: وهو أيضا تابع للمؤسسة الأم ، أنشىء عام ١٩٠٧ ومهمته شراء الأراضى الزراعية والمدن ، وإدارتها بالنيابة عن الوكالة اليهودية والائتمان عليها ائتمانا دائما ، على اعتبارها وقفا يهوديا باسم الشعب اليهودى لايجوز بيعه أو التصرف به ، أو السماح باستغلاله لغير اليهود ، أو استخدام غير اليهود للعمل فى الأراضى التابعة له ، هذا إذا لزم استخدام عمال بالأجرة للعمل الزراعى .

وجاء فى دستور الوكالة اليهودية لدى توسيعها الموقع فى زيورخ فى ١٤/٨/ ٢٩ (١):

« ينبغى ألا يتسلم الأرض أحد من غير اليهود . فإذا توفى المستأجر اليهودى ولم يكن له وريث يهودى ، فيحق للصندوق أن يسترد الأرض بشرط أن يعطى الوارث مهلة ثلاثة أشهر قبل الاسترداد ، ويشترط على الوارث خلال هذه المدة أن ينقل حقوقه إلى يهودى ؛ وإلا استرد الصندوق الأرض دون أن يكون للوارث حق الاعتراض » .

٤ — الصنـدوق الفلسطينى التأسيسى « كيرن هايسوا ليمتـد » : Palestine foundation fund

أنشىء فى عام ١٩٢٠ كجهاز تابع للمنظمة الصهيونية وتحول منها إلى الوكالة اليهودية عام ١٩٢٩ على أن يكون الإدارة المالية لبناء الوطن القومى اليهودى (٢) .

(١) Report of Immigration, Land Settlement and Development by Sir John Hobb. P. 78, 79 London 1930 .

(٢) انظر الرسم البيانى من إعداد : أسعد عبد الرحمن — بيروت فبراير ١٩٦٥ من كتابه « المنظمة الصهيونية العالمية » .

برنامج بلتيمور

تناسق العمل بين المنظمات الصهيونية وبرنامج بلتيمور :

ومما هو جدير بالذكر أن الأحزاب السياسية اليهودية كانت تولى القضايا السياسية والقومية اهتماما واضحا ، وتكرس لها نصيبا يذكر من برامجها وسياستها ، وعلى وجه التحديد فإن معظم الأحزاب قبلت بدون تحفظ برنامج « بلتيمور » .

فقد عقد مؤتمر صهيونى أمريكى فى فندق بلتيمور فى نيويورك خلال عام ١٩٤٢ ، وصدر عن هذا المؤتمر عدة مقررات هامة عرفت فيما بعد ببرنامج بلتيمور وهى :

١ — إنشاء دولة يهودية فى فلسطين فوراً تكون جزءاً أصيلا من العالم الديمقراطى .

٢ — رفض الكتاب الأبيض البريطانى الصادر فى مايو ١٩٣٩ والذى وضع قيودا صارمة على انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود .

٣ — إطلاق الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والاستيطان اليهودى فيها دون عوائق .

٤ — وضع شئون الهجرة والاستيطان تحت سيطرة الوكالة اليهودية .

٥ — تشكيل قوة عسكرية يهودية تحت العلم اليهودى والاعتزاز بها .

مدى مساعدات المنظمة اليهودية حتى بعد قيام اسرائيل :

أبرق رئيس المنظمة الصهيونية فى أمريكا عام ١٩٥٢ إلى بن جوريون يقول : إن الوكالة اليهودية الأمريكية قد تنبهت للخطر ، وأعدت لكل شىء

عدته ، وإن المنظمات الصهيونية فى أمريكا بإمكانها الآن أن تحرك الرأى العام الأمريكى ، لكى يبادر لمعونة إسرائيل ، ويضغط على البيت الأبيض، أو غيره من الدوائر الرسمية الأمريكية ، مستخدما نفس الوسائل الناجحة التى استعملها فى عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ولولاها لما قامت إسرائيل (١) .

ويجمل أن أذكر بضعة من الأحزاب أثناء الانتداب لاتساق الموضوع فمنها (٢) :

١ — حزب العمل اليهودى الفلسطينى « ماباى » :

وهو القوة الدافعة فى إنشاء حركة المستعمرات ، واتجاهه اشتراكى ، ومنطق سياسته القائلة بوجوب قيام اليهود بالعمل فى جميع المرافق التى بين أيديهم بالادعاء أن هذه السياسة تمنع استغلال اليهود للغير . ويستهدف فى سياسته الخارجية عدم الارتباط بأية كتلة دولية وتقوية السلطة السياسية والأدبية لهيئة الأمم المتحدة .

٢ — حزب عمال مزراحى :

« بويل مزراحى » يقول هذا الحزب بالقومية المرتكزة إلى مركز دينى ، وينصرف اهتمامه إلى بناء الدولة على أسس الدين اليهودى . ولهذا فإن اهتمامه بالشئون الاجتماعية ينبثق عن موجبات دينية .

٣ — حزب الإصلاحيين :

ويشكلون حزبا يمينيا متطرفا يقول بإنشاء دولة إسرائيل على جانبى الأردن على أسس قومية متطرفة ، ومن هذا الحزب انبثقت المنظمات الإرهابية العسكرية

(١) إن هذا اعتراف صريح بالأسلوب الذى به قامت إسرائيل فى حركة استفزازية لا أخلاقية غير قانونية .

(٢) نقلا عن تقرير حكومة فلسطين جزء ثان ص ٩٢٥ — ٩٦٢ Sirvey of Palestine

« بريت ترومبلدور » أو « بيطار » و « أرغون زفاى ليومى » و «شترن» .

وقد نشطت هذه المنظمات المسلحة وفى طليعتها « الهاجاناه » وهى المنظمة العسكرية شبه الرسمية التى كانت الوكالة اليهودية تشرف على تمويلها وتجهيزها. كما كانت هناك أيضاً المنظمة الإرهابية المعروفة باسم «أرغون زفاى ليومى» وهذه المنظمة هى التى راحت منذ سنة ١٩٤٣ تقوم بأعمال التخريب فى المؤسسات الحكومية ، وقد انشق عنها فيما بعد منظمة أخرى عرفت باسم « شترن » وقامت هذه المنظمة الإرهابية خلال سنى الحرب الأخيرة بأعمال غاية فى الجرأة والوحشية ، ومنها اغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط فى أحد شوارع القاهرة فى نوفمبر ١٩٤٤ ودفعت هذه الحوادث الوحشية بريطانيا إلى أن تعلن عن سخطها وغضبتها على الصهيونية . فقد صرحت الصحيفة البريطانية « كوفنترى » فى شهر مايو سنة ١٩٤٧ « بأن الرأى العام البريطانى قد أبدى سخطه ونقمته ليس فقط على يهود فلسطين ، بل على اليهود البريطانيين لأنهم أى يهود بريطانيا أيدوا بالعاطفة أعمال أولئك الإرهابيين الصهيونيين فى اغتيال الجنود البريطانيين والتمثيل بجثثهم ، ولهذا كان من الطبيعى أن تتضاعف الكراهية والنقمة ضد اليهود ، وتكون خطرا داهما يتهدد جميع يهود بريطانيا إن لم يبادر العقلاء إلى وضع حد لهذه الأعمال »(١) .

٤ — الحزب الشيوعى :

وهو منذ إنشائه يعارض الصهيونية بشكل عام ، إلا أنه كان يقول بإنشاء الوطن القومى اليهودى ، وبإلغاء الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ الذى وضع قيودا على انتقال الأراضى العربية لليهود ، وعلى الهجرة اليهودية فى فلسطين .

---

(١) الاحتجاج شكلى فلا قصاص ولا استمساك بالحق والعدل لكنها الصهيونية بقوتها وثقلها لن تحرم العطف ، يؤيد ذلك العبارة الأخيرة من التصريح : « إن لم يبادر العقلاء إلى وضع حد لهذه الأعمال » .

٥ — حزب المابام :

« حزب العمال الاتحاديين » وهو يهدف إلى جمع شمل اليهود فى داخل دولة اشتراكية يهودية ، وتدريب الشباب اليهودى فى داخل إسرائيل وخارجها ليكونوا طليعة فى إنشاء المزارع الجماعية ، وهو يدعو إلى وضع تشريع تقدمى اجتماعى ، ويدعو إلى حرية الضمير ، ويعارض كل اضطهاد فى داخل الدولة ، ويهتدى بنظريات كارل ماركس ، وانجلز ، ولينين ، وستالين، وينتهج سياسة مناهضة للفاشية تهدف إلى إقامة سلام دولى دائم وتوطيد الصداقة بين إسرائيل والاتحاد السوفيتى والقوى التقدمية الأخرى فى العالم . ويعارض إقامة قواعد عسكرية أو اقتصادية للدول الأجنبية فى إسرائيل .

تعدد الأحزاب فى اسرائيل ، تعدد السبل مع اتفاق الهدف :

إن تعدد هذه الأحزاب وانقسامها الظاهر فى الرأى حول بعض المسائل الداخلية يعود بالدرجة الأولى إلى ما قبل قيام إسرائيل ، وإلى طبيعة أصلها ، ومنشئها الأوربى ، وبالتالى إلى الأفكار الصهيونية التى نادى بها ثيودور هرتزل ، ودخلت فى صلب منظمة الصهيونية العالمية لتصبح جزءاً من تاريخها الحافل بالتعقيد والتآمر .

هذا التعدد ، الذى يشاء البعض اعتباره من مظاهر الديمقراطية الصحيحة ، ينبع بصورة رئيسية من تركيب إسرائيل العجيب وطبيعة القادمين إليها من المهاجرين اليهود . إنه نسخة طبق الأصل من وضع إسرائيل المجتمعى ، والتناقضات القائمة فى وجودها ، وليس تنافسها وتطاحنها إلا من قبيل التسابق على اقتسام المغانم والأسلاب ، والمزايدة السياسية فى أسواق الصهيونية السياسية. فالتحزبات والتجمعات والتكتلات التى تتخذ شكل الأحزاب السياسية وتطبع نفسها بالطابع العقائدى ليست فى الواقع غير تعدد فى الوسائل لتحقيق أهداف الصهيونية والحفاظ على مصالحها .

أسلوب العمل الموحد بين الصهيونية والوكالة اليهودية

عرف الصهيونيون فى عصرنا هذا مواطن القوة التى تسخرها لهم الدعاية المستترة ، فشنوا الحملات فى أرجاء العالم بأسماء غيرهم ، وهى فى الواقع سلاحهم الذى يعتمدون عليه .

ذلك لأن جمهرة القراء يصغون إليها ، ولا يهتمون أو لا يتهمون قائليها ، بل لا يشعرون بأسباب تدعو إلى الاتهام فى أكثر الأحيان .

وساعدهم الاستعمار على هذا الأسلوب المستتر لأن خطر العروبة عليه أكبر من خطر الصهيونية ، وما يماثلها من الأخطار العنصرية ، ولهذا فإن الصهيونيين قد تمكنوا من تسخير الدعاية لأغراضهم وذلك بالسيطرة وامتلاك الكثير من أجهزتها ، وقد برعوا فى تسخيرها وإخفاء مراميها .

ومن أساليب الدعاية ما أثاره الممثل الإسرائيلى فى كندا فى عبارة السيد / عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية استنكاراً للعدوان الإسرائيلى الأثيم على العرب الآمنين فى ديارهم بقوله : « سيرى العالم حرب إبادة ومذابح جماعية يتحدث عنها التاريخ وتذكرها الأيام كما ذكرت شبيهاتها المغولية والصليبية » .

اتخذ هذه العبارة ليبدأ بها دفاعه عن الأعمال الإرهابية التى ارتكبتها العصابات الصهيونية لتبرير أعمالها باعتبارها تواجه كراهية العرب للصهيونية ، وانتكست الصرخة لغير صالح العرب بفضل أسلوب الدعاية الصهيونية ضد العرب الذى يعتمد دائما على سياسة «دموع التماسيح » .

وجميع عصابات منظمات الهاجاناه ، والبالماخ ، والأرغن زفاى ، والشترن ، ترتكب أعمالها الشريرة منذ سنة ١٩٣٥ بتوجيهات من الوكالة اليهودية

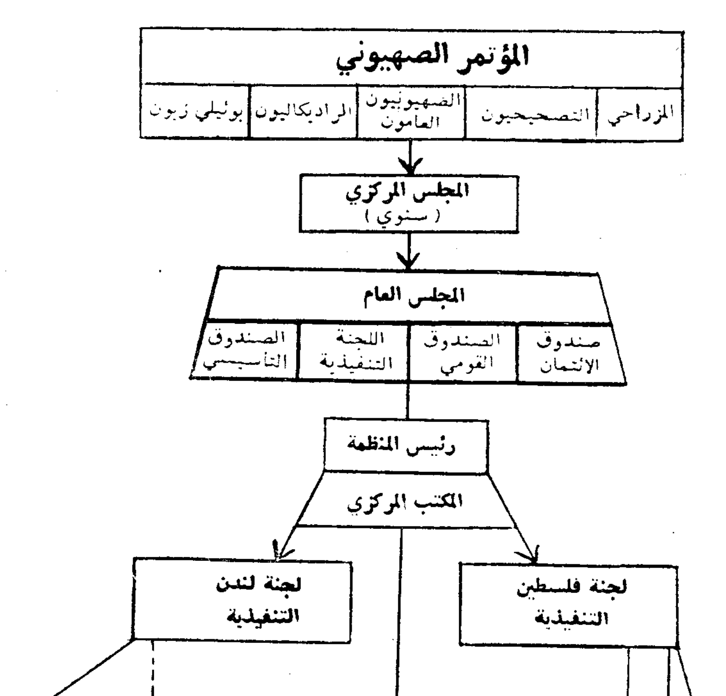
العالمية ، ومن عقيدة دينية تمتد جذورها عبر القرون إلى عهد يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام ، إذ تزعم التوراة أن يشوع قد أمر الإسرائيليين بذبح الرجال والنساء فى مختلف الأعمار دون شفقة أو رحمة وإبادتهم حتى تخلو المدينة لهم: « وأحرق يشوع عاى وجعلها تلا أبديا خرابا إلى هذا اليوم . وملك عاى علقه على الخشبة إلى وقت المساء وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة وأقاموا عليها رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم »(١) .

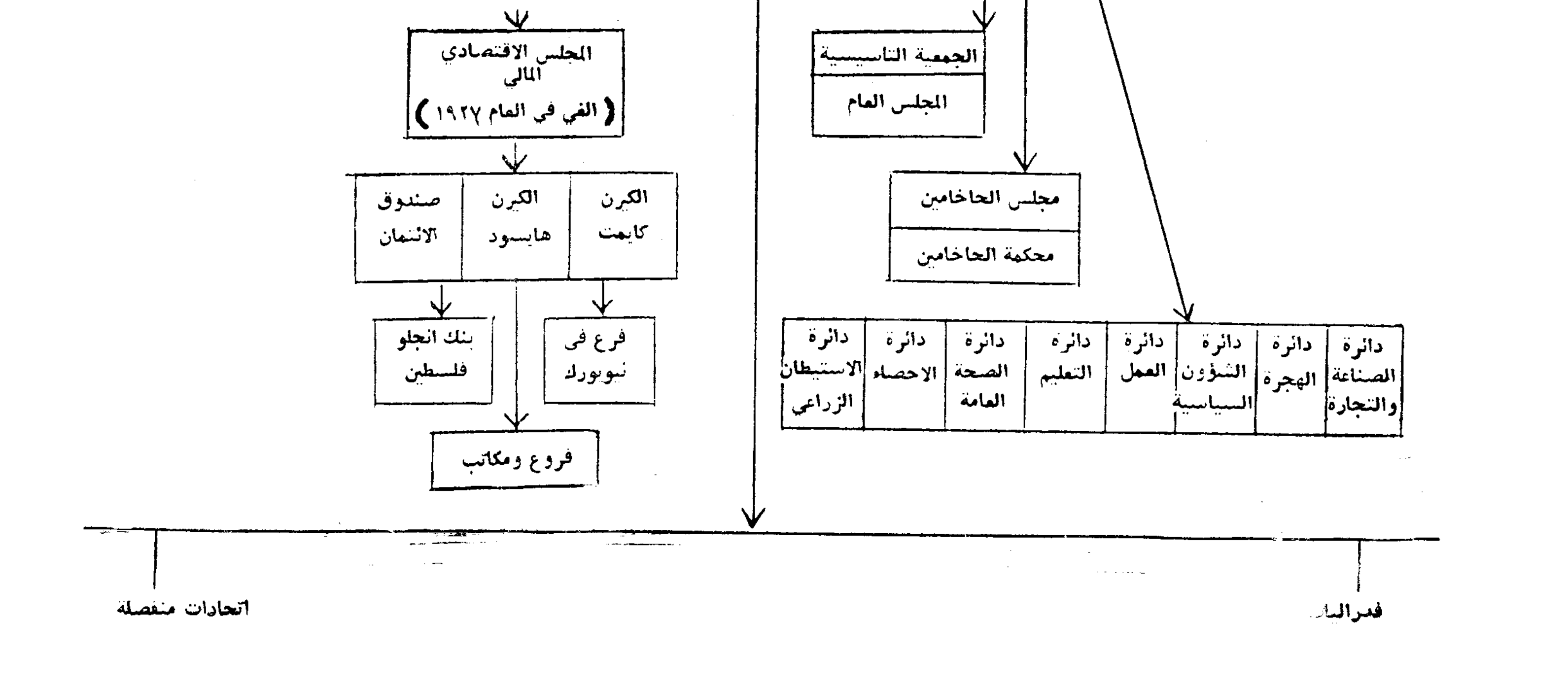
ولم يكن العرب وحدهم يستنكرون هذا العدوان فحسب ، بل إن رجالا من ذوى الضمائر الحية من بريطانيا قد استنكروا أعمال هذه العصابات ، وقيام دولة الصهيونيين بفلسطين ، ومن هؤلاء الدكتور أرنولد توينبى الذى وصف المذابح وأعمال الإبادة التى ارتكبتها العصابات الصهيونية فى قرية دير ياسين بقوله : « إن الأعمال الشريرة التى اقترفها اليهود الصهيونيون ضد عرب فلسطين ، والتى لايمكن مقارنتها بالجرائم التى اقترفها النازيون ضد اليهود ، وذلك لفظاعتها وعنصر الوحشية بها ، و التى لايمكن تصورها من أساليب الوحشية التى اتخذت من ذبح النساء والرجال والأطفال فى « دير ياسين » فى التاسع من إبريل « نيسان » سنة ١٩٤٨ ، مما نتج عنه هروب السكان العرب مذعورين فى أعداد كبيرة من المناطق التى تقع ضمن نطاق أعمال القوات اليهودية المسلحة » .

ولهم فى دعايتهم ما مكنهم من تضليل الرأى العام العالمى، من ذلك أن مناحم بيجين الإرهابى الخطير قام بزيارة للولايات الأمريكية المتحدة فى موسم انتخابات رئاسة الجمهورية ، وتألفت لجنة استقبال وكان فى جملتها بعض

---

(١) يشوع ٨ : ٢٨ — ٢٩ .


المؤتمر الصهيوني
المزراحي
التصحيحيون
الصهيونيون العامون
الراديكاليون
بوئيلي زيون
المجلس المركزي
(سنوي)
المجلس العام
صندوق الائتمان
الصندوق القومي
اللجنة التنفيذية
الصندوق التأسيسي
رئيس المنظمة
المكتب المركزي
لجنة فلسطين التنفيذية
لجنة لندن التنفيذية



المجلس الاقتصادي المالي
(الفي في العام ١٩٢٧)
الكيرن كايمت
الكيرن هايسود
صندوق الائتمان
فرع في نيويورك
بنك انجلو فلسطين
فروع ومكاتب
الجمعية التاسيسية
المجلس العام
مجلس الحاخامين
محكمة الحاخامين
دائرة الصناعة والتجارة
دائرة الهجرة
دائرة الشؤون السياسية
دائرة العمل
دائرة التعليم
دائرة الصحة العامة
دائرة الاحصاء
دائرة الاستيطان الزراعي
اتحادات منفصلة

الشيوخ وأعضاء الكونجرس ، وحكام الولايات المتحدة ، وحملة الأقلام وأرباب الصحافة والإذاعة ، حتى رجال الدين أنفسهم ، فقد اجتمعوا كلهم للاشتراك فى استقبال المحتفى به زعيم المنظمة الإرهابية « أرغون زفاى ليومى » The Urgan Zvai Laumi . وقد قوبل « مناحم بيجين » بحماس وتأييد للأعمال الباهرة — فى نظرهم — التى قام بها فى فلسطين من نسف فندق الملك داود بمن فيه من النزلاء والخدم الأبرياء ، إلى وضع قنبلة موقوتة تحت مبنى القنصلية البريطانية ، إلى شنق عدد من الجنود البريطانيين ، إلى ذبح النساء العربيات والأطفال ، والمسنين فى دير ياسين . وكانت زيارته فى وقت تشتد فيه المعركة الانتخابية مما جعلها فرصة استغلها الخزبان للفوز بأصوات اليهود بأن عمد البعض من المرشحين ، زيادة فى استرضاء اليهود ، إلى الإيعاز إلى صحيفة « نيويورك تايمز » لكى تنشر مقالا عن « بيجين » بعنوان : الرجل الذى هزم إمبراطورية وكسب المجد لإسرائيل .

ومع هذا فإن الحق أحق أن يتبع ، ففى غمرة هذه المظاهر تبرز جماعة من الأمريكيين « المعتدلين » يستهجنون أعمال العصابات الصهيونية . فلقد استهجن السناتور آرثر كابر ، والسناتور هربرت أوكنور — إدراج اسميهما فى لجنة الاستقبال دون علمهما أو موافقتهما ، كما أبرق عضو الكونجرس الأمريكى جون كنيدى إلى لويس برومفيلد يطلب شطب اسمه من لجنة الاحتفال بمناحم بيجين وهذا الأخير لم ينج من مداهمة الدهماء له من الصهيونيين الذين لقى مصرعه بأيديهم إبان رئاسته لجمهورية الولايات الأمريكية المتحدة .

ووقف من اليهود المعتدلين من يستهجن أعمال العصابات الصهيونية منهم العلامة الأمريكى ألبرت أينشتاين ، والبروفسور سيدنى هوك ، وغيرهما من كبار

العلماء والشخصيات اليهودية المتزنة ، إذ أعلنوا منذ اللحظة الأولى معارضتهم لسياسة مناحم بيجين الإرهابية التى تشجع العنصرية الدينية .

بل يقرر الدكتور أرنولد توينبى بقوله : « لم تكن لليهود مبررات فى عام ١٩٤٨ لتشريد عرب فلسطين من بيوتهم ، بقدر مالم تكن هناك مبررات عند نبوخذ نصر ملك بابل ، وتيطس وهادريان أباطرة الرومان ومحاكم التفتيش الإسبانية والبرتغالية فى عهد الملك فرديناند والملكة إيزابلا . ولعل الصهيونيين فى عام ١٩٤٨ كانوا يعرفون من تجاربهم الخاصة — من سبق اضطهاد الشعوب الأوربية لهم ـ ماذا يعملون ! ! ولعلها مأساتهم الكبرى » .

أما الظلم الذى وقع عليهم من اختباراتهم مع سادتهم الألمان النازيين فإنه لم يجنبهم الوقوع فى ذلك ، بل دعاهم إلى تقليد بعض الأمور والأعمال الشريرة التى اقترفها النازيون ضدهم ، ولاريب فى أن ذبح النازيين لليهود رغم ما أضفى عليه الصهيونيون من مبالغة كان عاراً صارخا .

لكن ذبح الصهيونيين للعرب العزل من السلاح والآمنين فى ديارهم لا يمكن وصفه بأية عبارات مستمدة من معاجم إنسان الغاب .

التغلغل الصهيونى فى الغرب

١ — التغلغل اليهودى فى الولايات المتحدة الامريكية :

يؤكد روبرت إدموندسن [١] مدى التغلغل اليهودى فى الولايات المتحدة بالقائمة التالية :

I Testify . Robert Edmondson , Oregon U.S.A. 1935 . (١)

الوظيفة	عهد الرئيس ويلسون ١٩١٤ — ١٩١٨	عهد الرئيس روزفلت ١٩٣٩ — ١٩٤٥
المستشار للشئون الاقتصادية	برنارد باروخ	برنارد باروخ
المستشار للشئون المالية	المليونير هنرى مورجانتو	المليونير هنرى مورجانتو [١]
المستشار للشئون السياسية	الكولونيل ماندل	صموئيل روزنمان
المستشار القانونى الدولى	وولتر ليمان	وولتر ليمان
المستشار القضائى	جستس لويس براندیس	جستس لويس براندیس
كبير المستشارين السياسين والمتسلط على البيت الأبيض	المليونير فيلكس فرانكفورتر	المليونير فيلكس فرانكفورتر

وروزفلت نفسه كان يهوديا ، ولذلك جمع أيام حكمه أكبر عدد من اليهود وحشدهم فى دوائر الحكومة ، ولقد صور المجاهد الأمريكى إدموندسن فى كتابه « أشهد » هذا التغلغل الصهيونى فى سيطرة اليهود على اقتصاديات البلاد ومواردها الطبيعية. وفى عهد روزفلت اتخذت نجمة سليمان شعاراً لدوائر البريد، وعلى أختام البحرية الأمريكية وعلى طبعة الدولار الجديد ، وعلى ميدالية رئيس الجمهورية ، وعلى شارة الصدر التى يضعها العمدة Sheriff فى كثير من المناطق .

وقد تنبأ بالخطر الذى يهدد الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة لسيطرة اليهود على جميع مرافق الجمهورية الفيلسوف بنيامين فرانكلين بقوله [٢] : « إن

(١) المليونير هنرى مورجانتو قدرت ثروته بألفى مليون دولار .

(٢) Philadalphia museum 1787.

A great big danger threatens the United States of Amerca, the Jewish terror . If on the constitution we are drafting , we fail to put a end to Jewish immigration . =

الولايات المتحدة مهددة بخطر عظيم » . والخطر الذى قصده فرانـكلين هو الخطر اليهودى ، فقد رأى بعين السياسى والفيلسوف مستقبل الولايات المتحدة بعد مائتى عام فرآها تركع تحت أقدام بضعة ملايين يهودى يسيطرون على سياستها ، ويوجهون ثقافتها ودعايتها وفنها ، ثم ترتبط بهم مصالحها الاستعمارية بعد ذلك فتضعهم فى فلسطين رأس جسر لمحاولتها التى لا تنتهى للسيطرة على المنطقة العربية ، ولإسقاط الأنظمة الثورية التى نبتت فى أرضها . والرسالة التى وجهها هذا الفيلسوف اللامع صاحب وثيقة الاستقلال إلى ممثلى الأمة الأمريكية لامثيل لدقتها فى تصور المستقبل الذى تجرى الآن فصوله وأحداثه . كأن بنيامين فرانـكلين كان يقرأ فى كتاب مفتوح فيقول [١] :

— إن خطرا عظيما يهدد الولايات المتحدة . . هو الرعب اليهودى .

— إننا إذا ماعجزنا عن طريق هذا الدستور الذى نضعه عن وقف الهجرة اليهودية ، فإنهم « اليهود » سوف يحكموننا فى أقل من مائة عام ، وسوف يغيرون نظام حكمنا ، الذى بذلنا نحن الأمريكيين دماءنا ، وقدمنا أرواحنا فى سبيله .

— إننى أحذركم أنـكم إذا لم تلقوا باليهود خارجا بحيث لا يعودون

= They " the Jews " will govern us in less than a hundred , and will change the form of our government for which we the Americans shed our blood and gave our lives .

I am warning you , if you do not thrash the Jews out , never to come again , your sons , and grandsons curess will follow you eternality. Benjamin Franklin .

(١) رسالة بنيامين فرانكلين إلى المؤتمر الدستورى الاتحادى الذى عقد بفلادلفيا عام ١٧٨٧ .

أبداً مرة أخرى ، فإن لعنة أولادكم وأحفادكم سوف تلاحقكم إلى الأبد .

بنفيا مين فرانكلين

فهل جاوز فرانكلين الحقيقه ؟

إن ماتصوره الفيلسوف منذ قرنين تقريبا يتم الآن بدقة بالغة.

وعودة إلى التغلغل الصهيونى فى واشنطن حيث نلتقى بالرئيس ترومان خليفة الرئيس الراحل روزفلت ، فقد كان ترومان هذا من أشد المتحمسين للصهيونية ، وكتابه المقدس المفضل هو التلمود ! !

وقد جمع من حوله أقطاب اليهود وعملاءهم ، وملأ الدوائر بهم ، فكان عهد ترومان من أسوأ العهود فى رئاسة جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية ، بل كان أسوأ من سلفه « روزفلت » وجمع حوله فى أكبر مناصب الدولة :

الوظيفة	الاسم	ملاحظات
المستشار الخاص	سام برجر	
المستشار للشئون الخارجية	دافيد نايلز	
مساعد المستشار « « (اوربا)	دين انشيسون	نصف يهودى
رئيس لجنة الذرة	تيودور اشبلز برنارد باروخ	
مساعد المندوب السامى فى ألمانيا	تينو ايزر	
السفير فى لندن	بول داربرج	
حاكم ألاسكا	كرونتج	
مدير الإنتاج الحربى	فليخمان	
مساعد مدير التعبئة الدفاعية	واينبرج	

الوظيفة	الاسم	ملاحظات
سكرتير وزارة الدفاع	ماكس ليفا	
سكرتيرة وزارة الدفاع	أنا روزنبرج	
سكرتير القوات الجوية	فينلــــتر	
رئيس أركان حرب القوات الأمريكية	الجنرال مارك كلارك	
مدير المخابرات العامة	الجنرال جينز برج	
مدير المساعدات الحربية الخارجية	الجنرال ليمان	
استراتيجية قيادة الجو	الجنرال كيرتس لى مى	
القائد الأعلى للقوات المسلحة	الجنرال دوايت أيزنهاور	نصف يهودى
رئيس أركان حرب الإدارة والمهمات	الجنرال فيلدمان	
المحامى العام — قضايا الدولة	فيليب بيرلمان	
نائب سكرتير عام العمل	فيليب كيسر	
المستشار السياسى المندوب السامى فى ألمانيا الغربية	ربر	
مساعد وزير الداخلية	ولف سون	
مساعد خاص لترومان	سبتجارن	
حاكم جزيرة فيرجين	موريس كاسترو	
رئيس لجنة المواد الخام	وليم بالى	
مساعد المدعى العام	هاريس	
رئيس المجلس الاستشارى للاقتصاد	ليون كيسرلنج	
السكرتير الصحفى المسئول فى الأمم المتحدة	بنجامين كوهين	
مساعد وزير الخارجية وهو الذى سبق فوضع ميثاق هيئة الأمم المتحدة	ليوبا فونسكى	
مستشار الحزب اليهودى للشئون الدفاعية .	جوليوس كلين	

ومن هذا يظهر أن ترومان جعل حاشيته من الصهيونيين ومكنهم من الوظائف العليا بالوزارات والمصالح الحكومية. وبلغت نسبة شغلهم للوظائف الحرة والمهن الحرة بالإضافة إلى سيطرتهم على أجهزة الحكومة درجة عالية :

من المحامين	٧٠ ٪	يهود	يقابلها	٣٠ ٪	أمريكيون
من الأطباء	٦٩ ٪	«	«	٣١ ٪	«
من التجار	٧٧ ٪	«	«	٢٣ ٪	«
من موظفى الدولة	٣٨ ٪	«	«	٦٢ ٪	«

مع الإحاطة بأن الوظائف الرفيعة فى البيت الأبيض يسيطر عليها الصهيونيون سيطرة كاملة ، وليس بينهم عمال مزارعون أوكادحون أوعاطلون.

بينما نسبة تعدادهم تقدر ب ٤ ٪ من نسبة السكان

٢ — التغلغل اليهودى فى هيئة الامم المتحدة :

وجاءت الإحصائية عن السنوات الأولى التى أعقبت تأسيس جمعية الأمم المتحدة بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية سنة ١٩٤٥ (١) تؤكد أن منظمة هيئة الأمم المتحدة يسيطر عليها الصهيونيون :

الوظيفة	الاسم	الديانة
السكرتير العام	تريجفى لى	يهودى
مساعد السكرتير العام لشئون الإعلام	بنجامين كوهين	«
مدير المكتب الإدارى	ك . وايتر	«
مستشار خاص للإدارة الاقتصادية	ا . روزنبرج	«
مدير الإدارة الاقتصادية	د . وينتروب	«

(١) World Dictatorship, Hillary Cotter. Suffolk, 1951.

الوظيفة	الاسم	الديانة
مدير قسم الإعلام	بنويث ليڤى	يهودى
نائب مدير الهيئة الإدارية	ماكس ابراموفتش	»
مدير الإدارة القانونية	ا . فيلر	»
مدير إدارة المطبوعات . قسم الوثائق	د . زايلودسكى	»
مدير قسم الترجمة	ج . رابينوفتش	»
مدير مركز الأمم المتحدة فى جنيف	ج . شابيرو	»
مدير التنفيذات	م . بيرجمان	»
مدير عام مكتب العمل الدولى فى جنيف	د . مورس	»
سكرتير البنك الدولى	م . مندلر	»
مدير إدارة الاعتمادات المالية الدولية	ك . چت	»
مساعد » » »	و . التمان	
مدير الأبحاث فى الاعتمادات المالية الدولية	م . برنشتاين	»
المستشار الأول فى الاعتمادات المالية الدولية	جوزيف جولد	»
المستشار الثانى فى الاعتمادات المالية الدولية	ليو لاڤنال	»
المدير الفنى لهيئة الصحة العالمية	ج . ماير	»
مدير مؤسسة اللاجئين الدولية	م . كوهين	»
مساعد مدير مؤسسة اللاجئين الدولية	چ . جيكوبسن	»

الوظيفة	الاسم	الديانة
نائب المدير الفنى لهيئة الصحة العالمية	ز . دوتشمان	يهودى
مدير مكتب التوتر الدولى	و . كليمنبرج	»
عضو لجنة الطاقة الذرية الدولية	برنارد باروخ	»
نائب مندوب الولايات المتحدة الدائم	إيرنست كروس	»
ممثل الأمم المتحدة فى كوريا	الفرد كاتزن	»
مندوب الولايات المتحدة فى اللجنة الاقتصادية وشئون الموظفين	إزادور لوبين	»
مندوب بولندا الدائم	جوليوس كاتز سوشى	»
مندوب روسيا فى مجلس الأمن	مانيلو سكى	»
مدير قسم التعويضات الدولية	ر . يودين	»

وفى قسم اليونسكو بالأمم المتحدة يسيطر اليهود على النشاط الثقافى للأمم المتحدة ، ويوجهون ذلك النشاط إلى خدمة الأهداف اليهودية العالمية .

ومن المسئولين الكبار عن اليونسكو :

الوظيفة	الاسم	الديانة
مدير إدارة نشر الثقافة	ج . إيزنهارت	يهودى
مدير قسم التبادل الثقافى الدولى	س . لوفمان	»
مدير قسم العلاقات العامة	ه . كابلان	»
مدير إدارة الموظفين	ه . سيلسكى	»
مدير قسم الإسكان	م . أبرامسكى	»
مدير العلاقات الخارجية	آلف سمرفلت	»
مدير قسم الإنشاءات	ب . وير مايل	»
[illegible]	[illegible]	»

٣ — التغلغل اليهودى فى بريطانيا :

وجاء فى كتاب : The Jews of Britain , Sidney Salomon
Hutchinson . London 1939

« إن اليهود شرعوا يتسللون إلى البلاد تحت حماية كرومويل معلنين يهوديتهم سنة ١٦٥٦ . وسرعان ماتغلغلوا فى الحياة البريطانية محطمين تقاليد الشعب البريطانى وعاداته » .

ومن أبرز الأعمال والشخصيات التى ظهرت وذلك من قبيل المثال :

أبرز الأحداث أو الشخصيات	التوقيت
روتشيلد يمنح الحكومة البريطانية قرضا بما يوازى ٢٠ مليون جنيه	١٨٣٦
تأسيس أول جريدة إنجليزية يهودية	١٨٤١
تأسيس المنظمة اليهودية « الصهيونية »	١٨٩٧
تعيين جورج فيلبس رئيسا لبلدية لندن	١٨٩٧
تعيين السير ماثيو ناثان حاكما لساحل الذهب	١٩٠٠
تعيين السير هربرت صموئيل وزيراً للحكومة	١٩٠٩
» » » » أول مندوب سام بريطانى بفلسطين	١٩٢٠
تعيين القاضى ريدنج فى منصب قاضى القضاة	١٩١٣
» اللورد ريدنج سفيرا البريطانيا فى الولايات المتحدة الأمريكية	١٩١٨
» » » حاكما للهند	١٩٢٠
منح وعد بلفور ترضية لروتشيلد تقديرا لخدماته للدولة	١٩١٧
تعيين الجنرال السير موناش « جون موناش » قائدا للجيش	١٩١٨
تفويض عصبة الأمم بريطانيا للانتداب على فلسطين	١٩٢٠
تعيين هور بليشا وزيرا للحرب	١٩٢٧

هكذا كان التغلغل اليهودى التدريجى فى الحياة البريطانية فى الفترة التى غلبت فيها سياسة التسامح والتغاضى عن خطط اليهود الشريرة .

٤ — التغلغل اليهودى فى فرنسا :

وجاء فى نشرة Arnold Leese , Gothic Ripples العـــدد ١١٣ بتاريخ ٢٩/١١/١٩٥٠ عن أبرز الشخصيات الفرنسية الذين وصلوا إلى مناصب عليا فى الدولة فى النصف الأول من القرن العشرين وهم من اليهود :

الوظيفة	الاسم
وصل إلى رئاسة الوزارة الفرنسية	ليون بلوم
» » » » »	منديس فرانس
» » » » »	إدجار فور
وصل إلى رئاسة الجمهورية الفرنسية	فنسان أوريول
وصل إلى منصب الوزارة مرات عديدة	رينيه ماير
» » » » »	جول موخ
» » » » »	دانيال ماير
» » » » »	موريس شومان
ممثل فرنسا الدائم فى مجلس الأطلنطى	هيرفى الفاند
وصل إلى منصب الوزارة مرات عديدة	ل . فروسار
» » » » »	موريس بقسن
» » » » »	ج . رواف
» » » » »	جاك شترن
» » » » »	هنرى الفر

الوظيفة	الاسم
رئيس الحزب الشيوعى	م . توريز
وصل إلى منصب الوزارة ومسئول عن الطاقة الذرية	جاستون بالوسكى
وصل لمنصب سكرتير عام المؤسسة التعاونية الاقتصادية لأوربا	ر . مارجولين
وصل لمنصب سكرتير للجنرال ديجول	آ . مانتو
وصل لمنصب السفارة وحاكم المغرب	ج . جرانفال
وصل لمنصب السفارة وحاكم للجزائر	ج . سوستيل
مستشار دائم لرؤساء الحكومات ومدير جريدة La Lumiere	جورج بورى
نائب رئيس المجلس التأسيسى	أندريه ويتسلم
أستاذ كرسى الاجتماع فى السوربون	ريمون آرون
سفير فرنسا فى موسكو	لوى جوكس
سفير فرنسا فى كل من الهند واليابان وتشيكوسلوفاكيا	دانيال ليفى
رئيس محكمة الاستئناف العليا	ليون ميس
رئيس المكتبة الوطنية	جولين كين
مدير المباحث العامة	روبرت هيرشى
حاكم بنك فرنسا	و . بومجارتنر
ممثل الصحافة الفرنسية فى الولايات المتحدة	هنرى توريز
مدير مختبر الذرة	لف كوفارسكى
قائد الجيش الفرنسى فى القطاع المحتل من ألمانيا وكان وزيرا للدفاع فى حكومة فور	الجنرال كوبنج
قائد القوات الفرنسية فى اليابان	الجنرال زنوفى بيسكونى

الوظيفة	الاســـم
رئيس حلف الأطلنطى N. A. T. O.	أدميرال لوى كان
سكرتير عام القوات المسلحة الفرنسية	أدميرال لوى كان
وزير الدفاع	الجنرال بيبلو
رئيس أركان حرب الإدارة فى القيادة العليا لقوات الحلفاء فى أوربا	الجنرال بيير برساك
ممثل فرنسا فى محاكات نورمبرج	روبرت فالكو
ممثل فرنسا فى محادثات أراضى الراين والرور فى موسكو	ﻫ . الفاند
ممثل فرنسا فى جرائم الحرب	ر . كاش

هذا قليل من كثير مما يؤكد تغلغل النفوذ الصهيونى فى حكومات فرنسا ووصوله إلى المناصب الرفيعة الحساسة فى مختلف أجهزة الدولة .

• — التغلغل الصهيونى فى روسيا البلشفية (١) :

كانت نقمة اليهود على روسيا القيصرية عظيمة ، لأنها كانت فى نظر اليهود الركن المكين للمسيحية ، ولأن روسيا لم تهضم تغلغل اليهودية العالمية فى الكيان الروسى ، ولم تسمح بسيطرة اليهود على مقدرات الشعب الروسى كما أنها كانت تشجع عمليات القمع الانتقامية التى كانت توجه لليهود كلما تسببوا فى تدمير اقتصاد بلد من بلدان روسيا ، فكانت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧

(١) «التموجات الهمجية» Gothic Ripples , Arnold Ieese النشرة رقم ٧٧ بتاريخ ٢٨ يونيو سنة ١٩٥١ .

وكان من ورائها قولا وعملا وتمويلا عتاة اليهود ، والممولون الرئيسيون للثورة البلشفية كانوا من اليهود أمثال : ماكس واربرج ، وشقيقه بول واربرج Paul Warburg وهما من الشركة اليهودية فى نيويورك Kulin Soeb & Co. وكراسن Krassin ، وفيرز تنبرج Furstenberg وفى أيام الثورة الأولى استولى اليهود على السلطة ، وانتقموا من الشعب الروسى القيصرى ، وقتلوا ملايين الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال [١] .

وحينما قامت الثورة البلشفية كانت نسبة اليهود فى المكتب السياسى وفى مجالس الحرب والثورة بنسبة ٧ : ٨ .

« إن الأفكار اليسارية للصهيونيين والمؤيدة لروسيا تبدو الآن وكأنها تخص الجيل القديم فقط . أما بالنسبة للجيل الجديد فالصورة تختلف كليا .

« فطبيعة تركيب الاقتصاد الإسرائيلى الحالى هى من أقوى أسباب ضمور أيديولوجية اليسار فى الأحزاب الإسرائيلية وخاصة بالنسبة لحزب الماباى ، الحزب الحاكم فى إسرائيل .

« فإنهم فى واقعهم يؤمنون بالتغيير الاجتماعى وبالتطور وليس بالثورة . ومن ثم فإن الحافز الحقيقى لأيديولوجية قيادتهم وتمويلهم للثورات هو حافز الحاجات النفعية لهم فحسب .

«ومن ثم فإنهم سرعان ما ينتقضون على الثورة ذاتها ، إذا ما وجدوا أنها قد تحقق خيرا للشعوب التى قامت من أجلها، وقد حدث ذلك فى الثورة البلشفية ذاتها» [٢] .

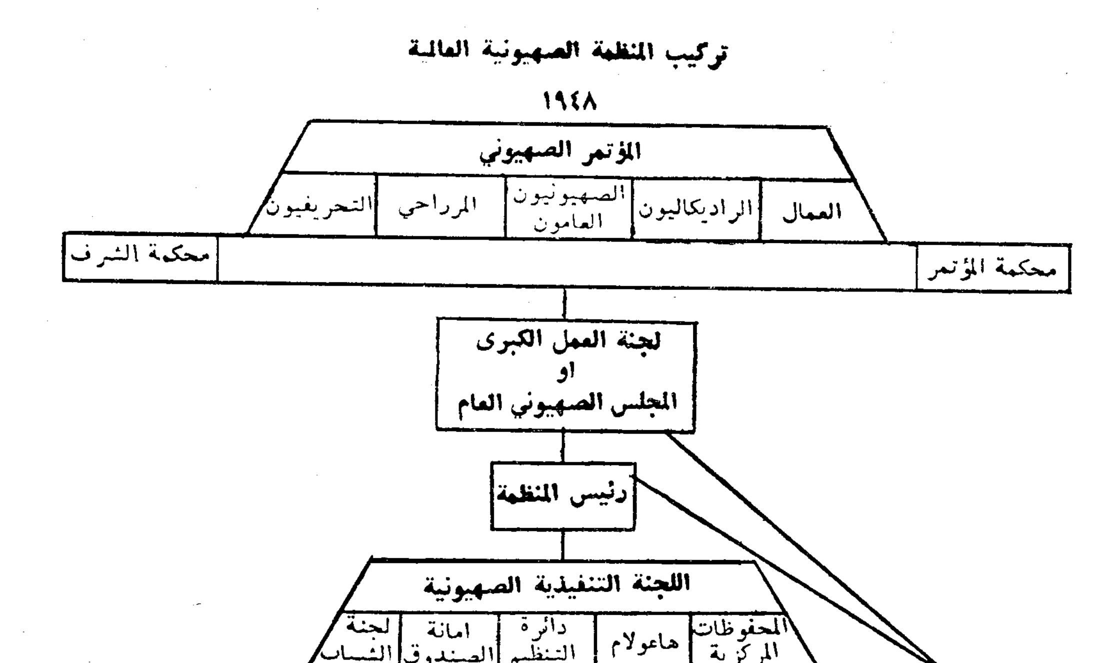
---

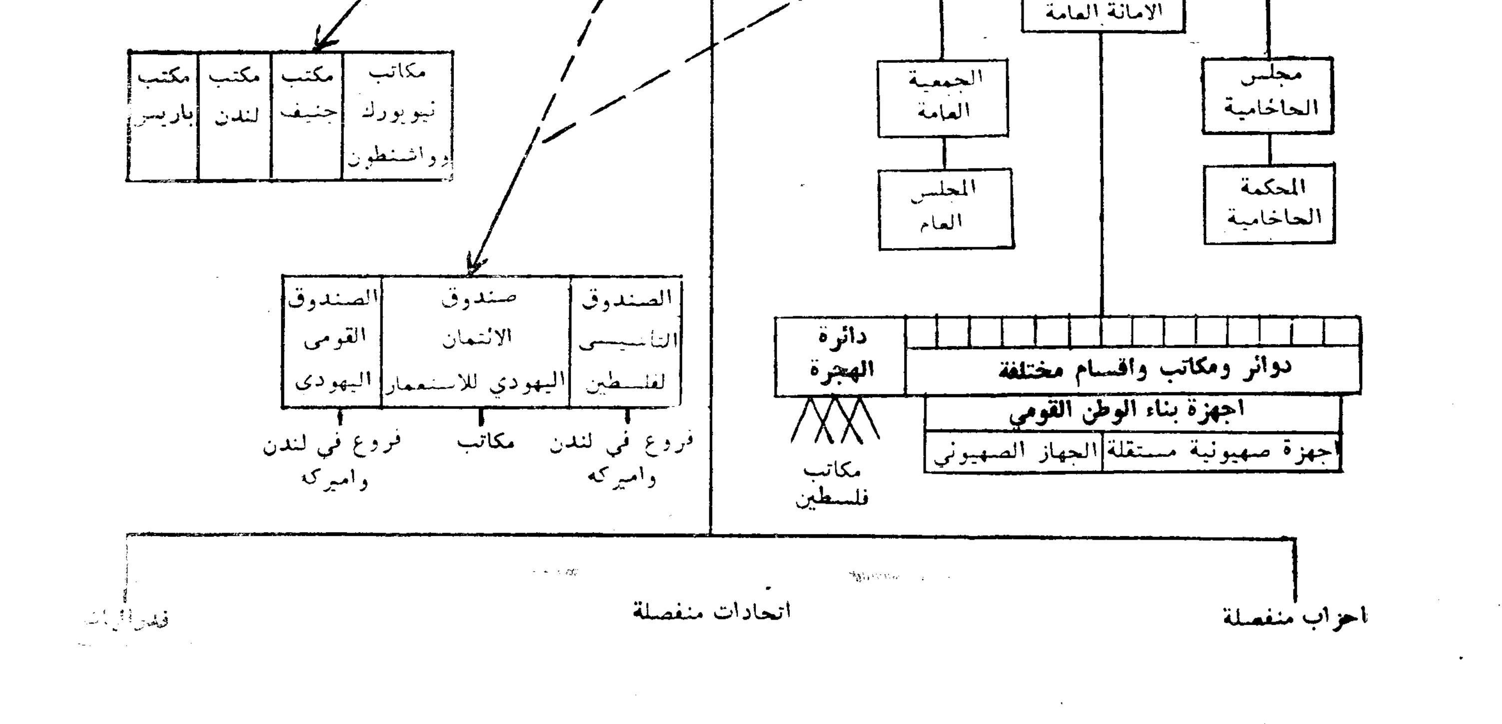
(١) إن انتقام إسرائيل الجبان امتداد لعصر الهمجية زمان يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام « يشوع ٦ : ٢١ ، ٢٤ » وفى زمان سبى بابل فى ضيافة أحشويرش ملك فارس «أستير ٩ : ٥ » .

(٢) ألن أريان : التغير العقائدى فى إسرائيل ، ص ٧٠ .

تركيب المنظمة الصهيونية العالمية

١٩٤٨





الامانة العامة
مجلس الحاخامية
المحكمة الحاخامية
الجمعية العامة
المجلس العام
مكاتب نيويورك وواشنطون
مكتب جنيف
مكتب لندن
مكتب باريس
الصندوق التأسيسي لفلسطين
صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار
الصندوق القومي اليهودي
فروع في لندن واميركه
مكاتب
فروع في لندن واميركه
دائرة الهجرة
مكاتب فلسطين
دوائر ومكاتب واقسام مختلفة
اجهزة بناء الوطن القومي
اجهزة صهيونية مستقلة
الجهاز الصهيوني
احزاب منفصلة
اتحادات منفصلة

ويقول هالهرمان عن التقلب العقائدى للصهيونيين : « إنهم صورة غريبة لحزب اشتراكى يقدم الجزر لحمار رأسمالى ، لأنهم يعتقدون بأن البلد يحتاج إلى الاستثمارات بشدة » (١) .

٦ — التغلغل اليهودى فى الدوائر الروسية البلشفية (٢) :

البيان	مجموع الموظفين	اليهود منهم	نسبة اليهود
أول حكومة بعد الثورة	٢٢ وزيراً	١٧ وزيرا	٧٨ ٪
إدارة الحرب	٤٣	٣٤	٨٠ ٪
لجنة الشئون الداخلية	٦٤	٤٥	٧٠ ٪
لجنة الشئون الخارجية	١٧	١٣	٨٠ ٪
لجنة الشئون المالية	٣٠	٢٦	٨٧ ٪
لجنة الشئون القضائية	١٩	١٨	٩٥ ٪
لجنة الشئون الصحية	٥	٤	٨٠ ٪
لجنة التوجيه العام	٥٣	٤٤	٨٣ ٪
لجنة البناء والتعمير	٢	٢	١٠٠ ٪
لجنة الصليب الأحمر الروسى	٨	٨	١٠٠ ٪
إدارة الأقاليم	٢٣	٢١	٩١ ٪
شئون الصحافة	٤٢	٤١	٩٧,٦ ٪
لجنة التحقيق عن الموظفين	٧	٥	٧١ ٪
لجنة التحقيق عن ذبح القيصر وأسرته	١٠	٧	٧٠ ٪

(١) جوزيف بادى ، حكومة دولة إسرائيل ، ص ٢٧٢ .

(٢) "I Testify" Robert Edmondson, Oregon; U. S. A. 1935.

البيان	مجموع الموظفين	اليهود منهم	نسبة اليهود
مجلس الاقتصاد الأعلى	٥٦	٤٥	٨٠ر٤ ٪
مكتب العمال والجنود فى موسكو	٢٣	١٩	٨٢ر٦ ٪
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفيتى الرابع	٣٤	٣٣	٩٧ ٪
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفيتى الخامس	٦٢	٣٤	٥٥ ٪
اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى	١٢	٩	٧٥ ٪
الجملة	٥٣٢	٤٢٥	٨٠ ٪

أى أن نسبة اليهود فى الوظائف الهامة كانت تقدر بحوالى ٨٠ ٪ بينما يمثلون ١ ½ ٪ من الشعب السوفيتى .

٧ — اليهود فى ألمانيا :

وقصة اليهود فى ألمانيا وتسلطهم على مقدراتها تختلف عن سيطرتهم على بريطانيا ، وفرنسا ، وأمريكا ، وهيئة الأمم المتحدة .

ذلك لأن النفوذ اليهودى فى ألمانيا أدى إلى تدميرها وخسارتها حربين عالميتين كانت فيهما المنتصرة ثم ترجح كفة أعدائها بسبب خيانة اليهود فى داخل ألمانيا وخارجها .

ففى سنوات الحرب الكونية ، وما قبلها بقليل وما بعدها ، كان اليهود يتسلطون على المراكز الحساسة فى الدولة الألمانية وهذه الإحصائية نقلا عن Bolshevism was Jewish in Germany ; Arnold Leese; London 1933.

فالمهيمنون على الوزارة الألمانية :

هاس	Hasse	لندزبرج	Landsberg
كوتسكى	Kautski	ألزخ	Alzech
كون	Kohn	هرتسفلد	Hertsfeld

والمهيمنان على المالية :

شيفر	Schiffer	برنشتاين	Bernstein

فى المقاطعات الالمانية :

١ — بروسيا

الداخلية بروس Preuss ، فروند Freund

وزير الداخلية هرش Hirsch

وزير العدل روزنفلد Rosenfeld وكانت وزارته يهودية ١٠٠٪

وزير المالية سمن Simn

٢ — سكسونيا

يهيمن على الحكومة لبنسكى Lipinski وشوارتز Schwartz

٣ — رينمبرج

يهيمن على الحكومة تالهايمر Talheimer وهيمان Heiman

٤ — هس

المتسلط على الحكومة فولد Fuld

والذين قادوا ثورة ميونخ البلشفية سنة ١٩١٨ هم اليهود :

Luxembourg	Eismer	Lowenherg	Rothschilv
Arnold	Liebknecht	Kaiser	Rorsnfeld
Wolheim	Rosenhek	Berenbaum	Reis
Kranold			

وكان رؤساء مجالس العمال والجنود من اليهود . وكان مدير بوليس برلين وفرانكفورت وميونخ وأسن من اليهود .

ومن أجل هذا خسرت ألمانيا الحرب الكونية الأولى التى كانت من صنع اليهود أنفسهم ، والتى خططو لها انتقاما من قيصر ألمانيا الذى لم يشجعهم فى الاستيطان بفلسطين حينما طلبوا منه ذلك . وقد عادت نكبة ألمانيا عليهم وحدهم بالفائدة إذ وجدوا الصديقة الوفية ممثلة فى بريطانيا التى منحتهم وعد بلفور للاستيطان بفلسطين . وظل تسلط اليهود على ألمانيا قائما إلى أن جاء هتلر سنة ١٩٣٣ وشرع فى تحرير ألمانيا من سيطرة اليهودية الصهيونية .

وحينما تسلم هتلر مقاليد حكم ألمانيا عين لجنة من العلماء لدراسة مشكلة اليهود ووضع المقترحات لحل تلك المشكلة المزمنة . وبعد دراسة طويلة قرر العلماء الألمان أن الحل الوحيد لمشكلة اليهود هو قتلهم أو ترحيلهم عن البلاد .

ونفذ هتلر قرار علمائه وعامل اليهود كما عوملوا على مر العصور ، من قتل وحرق وطرد من البلاد لخياناتهم ولغدرهم .

٨ — التغلغل اليهودى فى محكمة نورمبرج :

جاء فى Nuremburg, Peter Clavocoressi, London 1947

وأيضا جاء فى نشرة Gothic Ripples ; Arnold leese

فى العدد ٤٦ فى ٢١ / ١ / ١٩٤٩ عن محاكمات نورمبرج ما يلى :

مما يكشف لنا عن سيطرة اليهود العالمية على مختلف الإدارات والأقسام في الأمم المتحدة محاكمات نورمبرج التي خطط لها اليهود، وأمروا بها، وعينوا لها القضاة، ونواب الأحكام، والمنفذين وجميعهم من اليهود. وحين اجتمع مندوبو حكومات الحلفاء بريطانيا وأمريكا وفرنسا وروسيا في لندن لوضع قانون المحكمة في ١٩٤٥/٨/٨ كانت أسماؤهم كما يلي :

الاسم		الدولة	الديانة
جويت	Jowitt	مندوب بريطانيا	يهودي
روبرت جاكسون	R. Jackson	« الولايات المتحدة الأمريكية	يهودي
روبرت فالكو	R. Falko	« فرنسا	يهودي
ترينين	A. Trainin	« الاتحاد السوفيتي	يهودي
نيكتشنكو	I. Nikitchenko	» » »	روسي

ومن الشخصيات البارزة التي كان لها دور أساسي في محاكمات نورمبرج القاضي اليهودي روزنمان Samuel Rosenman الذي أعد ترتيبات المحكمة كما يلي :

الوظيفة	الاسم		الديانة
سكرتير روزنمان للإعداد للمحاكمة	شلدون كلوك	Sheldon Clueck	يهودي
مستشار روزنمان « «	ه. لفنتال	H. Leventhal	يهودي
القاضي البريطاني في المحكمة	لورد جستس لورنس	L. Justice Lawrence.	يهودي
نائب القاضي البريطاني في المحكمة	جستس بيركت	Justice Birkett	يهودي

الوظيفة	الاسم	الديانة
نائب القاضي الروسي في المحكمة	كولونيل فولكوف Col. Volchkov	يهودي
القاضي الأمريكي في المحكمة	فرانسيس بيدل F. Biddle	»
نائب القاضي « « »	جوني باركر John Parker	ماسوني
القاضي الفرنسي في المحكمة	دونيدي دي فابري Donnedieu de Vabrer	»
نائب القاضي الفرنسي في المحكمة	روبرت فالكو R. Falko	يهودي
عضو لجنة الجرائم	لوترباخت Lauterpacht	»
مترجم الجلسة الأخيرة في المحكمة	جاكوبوفتش A. Jacoubovitch	»
مترجم الأحكام للسجناء في المحكمة	فرانك W. Frank	»
معد فيلم الوثائق التي استخدمت ضد المتهمين	كارل جاكوبي Karl Jacobi	»
المسئول عن سجن المتهمين طوال المحاكمة	الكولونيل أندروز Col. B. Andrus	»
المسئول عن المحكومين بعد صدور الحكم	س . بندر S. Binder	»
الطبيب النفساني في سجن نورمبرج	ل. جولدن سن L. Goldenson	»
منفذ الأحكام	جون ودز . John Woods	»

وأثناء التنفيذ اتبعت طريقة وحشية لا تقضى على المحكوم عليهم بالإعدام بالسرعة المعهودة فى عمليات الشنق التى لا ينبض فيها قلب المحكوم عليه أكثر من بضع دقائق .

وقصد اليهود من وراء ذلك إلى تعذيب المحكوم عليهم العشرة ، فظل

بعضهم حيا لمدة ٢٤ دقيقة ، وأقلهم قضى نحبه فى عشر دقائق . وكان انتقاما جبانا من اليهود نحو زعماء ألمانيا الذين كان ذنبهم الأول والأخير الوقوف فى وجه الصهيونية وسيطرتها الرهيبة على مقدرات ألمانيا .

هذه هى الصهيونية فى ماضيها وحاضرها ، وفى سيطرتها على هيئة الأمم المتحدة ، وسيظل العالم العربى بأسره والدول المحبة للسلام تؤمن بتبعية هيئة الأمم المتحدة للصهيونية العالمية إلى آن تتخلى عن تأييدها لعصابات إسرائيل .

وحينما نجد أن الأغلبية من دولها الأعضاء قد عادت إلى الحق وسحبت اعترافها بإسرائيل ، عندها يقول العالم العربى بأسره والدول المحبة للسلام : إن هيئة الأمم المتحدة قد خرجت من قبضة الصهيونية العالمية ، وبأن كيانها ووجودها كهيئة تمثل دول العالم على مختلف الأديان السماوية والفلسفات البشرية تهدف لإقرار السلام على الأرض .

وقائع قيام إسرائيل

استطاعت الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية بثقل ضغطها على إنجلترا وأمريكا وفى إبان الحرب العالميـــة الثانية أن ترغم إنجلترا على إلغاء الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ وإزالة كل أثر من آثاره وفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين لضمان وجود أغلبية يهودية منظمة ومسلحة قبل الإقدام على اتخاذ الخطوة النهائية بإعلان دولة إسرائيل . فتألفت لجنة أنجلو أمريكية(١) مشكلة من اثنى عشر عضواً نصفهم من الإنجليز والنصف الآخر من الأمريكان لبحث مسألة يهود أوربا والقيام باستعراض آخر لمشكلة فلسطين ، وانتهت اللجنة بتوصياتها إلى معارضة قيام دولة عربية أو يهودية فى فلسطين وضرورة بقاء الدولة المنتدبة فى إدارة البلاد لحين وضعها تحت الوصاية الدولية .

(١) شكلت اللجنة الأنجلو أمريكية فى ديسمبر « كانون الأول » ١٩٤٥ .

وانتقد العرب واليهود توصيات اللجنة كل من وجهة نظره ، وهاجموا السياسة البريطانية ، وأعلن كل منهما الكفاح حتى تتحقق أهدافه . فاصطنع اليهود حوادث ١٩٤٦ المعروفة ضد الضباط والجنود البريطانيين ، كما اتخذت الجامعة العربية[١] قراراً بدعوة بريطانيا للمفاوضة مع العرب للوصول إلى حـــل عادل .

التمهيد لمؤتمر لندن الثانى والتخطيط للقيادة البريطانية العربية للجيوش السبعة :

ينبغى إماطة اللثام عن الظروف العربية التى دعمت مؤتمر لندن الثانى للعمل. فمن مذكرات الجنرال جلوب فى كتابه « جندى مع العرب » صفحة ٦٢ ، ٦٣ يقول الجنرال جلوب : « فى سنة ١٩٤٦ عقد الملك عبد الله معاهدة جديدة مع الحكومة البريطانية . وبعد مرور عامين على هذه المعاهدة ، رغب الأردن فى تبديل بعض بنودها ، فأوفد لجنة لمفاوضة البريطانيين .

---

(١) جامعة الدول العربية والملك عبدالله : « من التحفظات الرسمية للملك عبد الله أمير شرق الأردن وقتها على دخول الجامعة العربية والاشتراك فى ميثاقها سنة ١٩٤٤ وهى موجودة فى ملفات الجامعة العربية بخط أمينها عبد الرحمن عزام » شروط عبد الله لدخول الجامعة العربية:

١ — يجب أن تتحد البلاد السورية قبل أن تدخل الجامعة . إنه لا يقبل بجامعة عربية سورية فيها غير موحدة تحت عرشه .

٢ — يجب أن تتعهد بريطانيا بحماية فكرة الجامعة وتأييدها ، إن كان للجامعة أن تنجح .

٣ — إن حقه بعرش سورية يقوم على وعود منحها له الإنجليز من قبل .

٤ — يجب تصغير لبنان وتحويله إلى وطن طائفى مستقل عن المجموعة العربية .

٥ — يجب إبقاء الاحتلال البريطانى للسودان .

٦ — لا ضرورة لإقامة كيان عربى موحد ومستقل فى ليبيا .

٧ — يجب العمل لمنع دخول السعودية واليمن الجامعة .

٨ — يجب قبول بتواصى اللجان البريطانية لفلسطين .

« وكانت اللجنة مؤلفة من رئيس مجلس الوزراء توفيق باشا أبو الهدى ، وفوزى باشا الملقى . . . ومنى كمستشار عسكرى .

«وسرعان ما أخذت بريطانيا بوجهة النظر الأردنية فعدلت المواد المقترح تعديلها ، وبعد هذه المفاوضات أجرى توفيق باشا محادثات سرية مع وزير الخارجية أرنست بيفن ، ولم يكن توفيق باشا يحسن الإنكليزية فرافقته كترجمان — فبعد أن أوضح السبب لهذه المحادثة السرية ، ذكر توفيق باشا بأن الانتداب البريطانى على فلسطين سينتهى قريبا ، وأن اليهود أعدوا العدة لتأليف حكومة تشرف عليهم عقب انتهاء الانتداب ، ولكن العرب لم يهيئوا شيئاً من هذا ، فاليهود لهم شرطتهم ، ومجالسهم النيابى ، وقد أعدوا نواة لجيشهم من جماعات «الهاجاناه» بينما العرب فى فلسطين لا يملكون السلاح ، وليس لديهم الوسائل الكفيلة بإقامة جيش يحميهم — كما أوضح توفيق باشا أن النتائج حول نهاية هذا الموضوع ما زالت غامضة ، وقد قدر أن واحداً من أمرين سيقع :

«إما أن اليهود سوف لا يعتبرون قرارات الأمم المتحدة فيحتلون فلسطين بأسرها حتى حدود نهر الأردن بالقوة ، أو أن مفتى فلسطين سيعلن نفسه حاكما عاما على البلاد . وإن نتائج هذين الأمرين ليست فى مصلحة الأردن وبريطانيا .

«فالمفتى يعتبر بريطانيا ألد أعدائه ، وقد قضى مدة الحرب مع هتلر ، كما أنه عدو للأردن ، ويعتبر نفسه المنازع الوحيد لجلالة الملك عبد الله — وقد ذكر أبو الهدى أن حكومة جلالة الملك كثيرا ما تتلقى الرسائل والعرائض من زعماء الشعب الفلسطينى راغبة فى تدخل الجيش العربى لحماية الفلسطينيين بعد خروج القوات البريطانية من هناك . وقد رأى الرئيس أبو الهدى أنه ليس ثمة

مانع من دخول الجيش العربى إلى البلاد بعد انسحاب البريطانيين .

« وإنى أذكر حتى اليوم المستر بيفن ، وهو جالس فى مكتبه بعد أن أنهيت ترجمه الحديث ، يرد على الرئيس الأردنى قائلا : إن ذلك هو الحل الوحيد المعقول .

«ولم أر بدا من أن أوضح للرئيس الأردنى بأن الجيش العربى ليس بمقدوره أن يحتل منطقتى غزة والجليل فى الضفة الغربية . فأيد الرئيس الأردنى فكرتى ، وقد قمت بدورى فذكرت هذا المستر بيفن الذى قال : « إن هذا هو الحل الوحيد ، لكن يجب ألا تذهبوا إلى أبعد من ذلك وتحتلوا المنطقة اليهودية» .

«قال الرئيس أبو الهدى : «ليس لدينا هذه الإمكانيات لو تمنينا ذلك» . وقد تابع كلامه مشيرا إلى المعاهدة البريطانية الأردنية ، بأن على الفريقين المتعاقدين أن يتشاوروا فى حال حدوث أزمة ما ، وأن الأردن لن يتخذ أية خطوة إيجابية إلا بعد مشاورة الحكومة البريطانية . عندئذ شكر المستر بيفن توفيق باشا لوضوح موقف حكومة الأردن ، وأعلن موافقته على مشروع حكومته » .

مؤتمر لندن الثانى وتحلل بريطانيا من التزاماتها بمقتضى الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ :

وجدت بريطانيا فرصتها الذهبية فى هذه الدعوة للتحلل من التزاماتها السابقة ولتقرير سياستها المقبلة ، فدعت إلى عقد مؤتمر لندن الثانى بينها وبين العرب واليهود فى سبتمبر ١٩٤٦ ، واشترك فيه مندوبون عن مصر والعراق وسوريا والأردن والمملكة السعودية واليمن وفلسطين ، كما حضره مندوبون عن الوكالة اليهودية .

وقدمت بريطانيا فى هذا المؤتمر مشروعاً أطلق عليه اسم مشروع «موريسون» نسبة إلى مستر موريسون رئيس مجلس العموم العمالى ، وقد تضمن المشروع تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية تتمتع بنوع من الحكم الذاتى « منطقة عربيه ـ منطقة يهودية ـ منطقة القدس ـ منطقة النقب » تحت إشراف حكومة مركزية .

وقد رفض العرب هذا المشروع لأنه يؤدى إلى تقسيم فلسطين كما أنه خالف الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ الذى كان أدنى حد لمطالب العرب اعترفت به بريطانيا ، وقدموا مشروعا عربيا على أساس قيام دولة واحدة واعتبار اليهود المهاجرين فلسطينيين لهم كافة الحقوق كمواطنين فى الدولة الفلسطينية ، كما نص على مبدأ التحالف البريطانى — الفلسطينى . وقد طلبت بريطانيا مهلة لدراسة المشروع العربى حتى منتصف شهر ديسمبر سنة ١٩٤٦ .

أما اليهود فقد رفضوا مشروع « موريسون » جملة وتفصيلا ، وأعلنوا مقاومتهم لكل مشروع لا يستهدف إقامة دولة يهودية فى فلسطين ، وابتدأوا فى عمليات إرهابية ضد الإنجليز والعرب ، ولم يتقدموا إلى المؤتمر بأى مشروع مقابل .

وعندما استأنف مؤتمر لندن اجتماعاته فى يناير سنة ١٩٤٧ رفض اليهود الاشتراك فيه إلا إذا كانت أبحاثه تتضمن قيام الدولة اليهودية . وفى الوقت نفسه رفضت بريطانيا المشروع العربى ، وقدم مستر بيفن وزير خارجية بريطانيا مشروعا جديداً عرف باسم « مشروع بيفن » لا يختلف كثيرا عن مشروع « موريسون » ، وقد رفض العرب هذا المشروع الجديد ، وتمسكوا بضرورة إلغاء الانتداب وإعلان استقلال

فلسطين وإعطاء شعبها حق تقرير مصيره [١] .

الأمم المتحدة وقضية فلسطين :

فشل مؤتمر لندن وانتهت مباحثاته وأعلنت بريطانيا على لسان وزير خارجيتها فى فبراير ١٩٤٧ أنها لا تستطيع أن تفرض حلا نهائيا بالقوة لأنها دولة منتدبة ، ولذلك أصبح من واجبها رفع الأمر إلى الأمم المتحدة لتقرر وتفرض الحل الذى تراه .

إن تخلى بريطانيا عن مسئولياتها تجاه قضية فلسطين ، ورفعها إلى الأمم المتحدة ، يرجع إلى أنها أرادت أن تسخر هـذه الهيئة الوليدة لتنفيذ سياسة الاستعمار ، وإضفاء الصبغة الشرعية والقانونية على هذه السياسة بعد أن عجزت هى وحليفتها أمريكا عن فرض الوطن القومى ومشاريع التقسيم إزاء المقاومة العنيفة التى أبداها العرب منذ انتداب بريطانيا على فلسطين . . . ومما ساعد على ذلك أنه كان لبريطانيا وأمريكا نفوذ وتأثير كبيران على هيئة الأمم المتحدة بعد خروجهما منتصرتين على دول المحور فى الحرب العالمية الثانية، هذا فى الوقت الذى لم يكن فيه لدى الدول المنضمة للهيئة أية فـكرة عن قضية فلسطين إلا من وجهة النظر الاستعمارية والصهيونية ، كما لم تـكن حركة التحرر الإفريقى الآسيوى قد ظهرت فى الوجود لا فى الأمم المتحـــدة ولا على الصعيدين الدولى والشعبى .

وإزاء كل هذه العوامل أرسلت بريطانيا إلى الأمين العام للأمم المتحدة مذكرة فى إبريل ١٩٤٧ تعلن فيها تخليها عن الانتداب وتطلب منه عرض القضية الفلسطينية فى دورة خاصة .

---

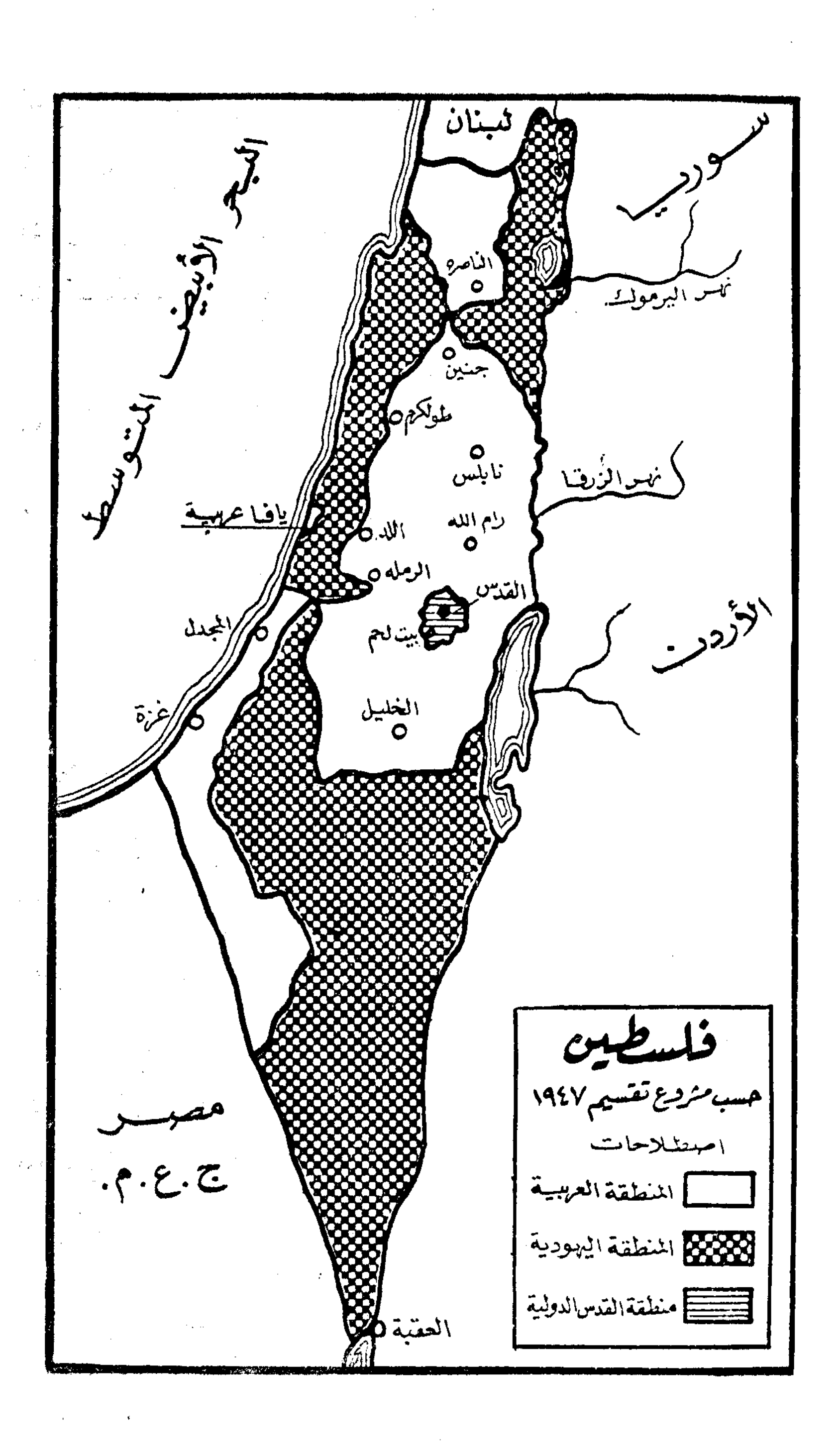
(١) مطالبتهم مع مافيها من حقوق شرعية لـكن عرب فلسطين لم يكونوا وقتئذ على مستوى الدفاع عن كيانهم بالنسبة لموقف إسرائيل وتأهبهم لتثبيت كيانهم بحرب مرمدة . وكان أولى الاستمساك بالـكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ حتى يتمكنوا من السيطرة المطلقة .

وقـــد عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة جلسة خاصة فى ٢٨ إبريل ١٩٤٧ للنظر فى هذه القضية ، وقررت تأليف لجنة تحقيق دولية مكونة من ممثلى إحدى عشرة دولة للتقدم بتوصياتها فى شأن القضية . وبعد أربعة أشهر قدمت اللجنة تقريرها الذى أوصى بضرورة إنهاء الانتداب وتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية . وقد اختلفت اللجنة فيما بينها بالنسبة للملاءة بين الدولتين المقترحتين فرأت أكثرية اللجنة تقسيم فلسطين إلى منطقة عربية ومنطقة يهودية ومنطقة الأماكن المقدسة فى القدس ، وقد عرف هذا المشروع بمشروع الأكثرية ، أما الأقلية وهم ممثلو الهند ويوغوسلافيا وإيران فقد رأوا أن تكون الحكومتان العربية واليهودية مستقلتين استقلالا ذاتيا وتتألف منهما دولة اتحادية باسم دولة فلسطين ، وقد عرف هذا المشروع بمشروع الأقلية.

وفى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٨ عقـــدت الأمم المتحدة جلسة خاصة لدراسة ومناقشة تقرير اللجنة « مشروع الأكثرية ومشروع الأقلية » . وقد تكلم فى هذه الجلسة مندوب عن عرب فلسطين ورفض التقسيم والهجرة والدولة اليهودية وطالب بقيام دولة واحدة فلسطينية ديمقراطية مستقلة .

كما تكلم مندوب عن الوكالة اليهودية وأعلن موافقة اليهود على مشروع الأكثرية وطالب بتوسيع رقعة الدولة اليهودية على حساب المنطقة العربية ، كما أعلن استعداد اليهود لملء الفراغ الذى سيحدثه انسحاب الإنجليز من فلسطين .

وقد أيد كل من مندوبى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى مشروع الأكثرية أما مندوب بريطانيا فقد امتنع عن التصويت على أى قرار وأعلن عن عزم بريطانيا على إنهاء انتدابها فى ١٥ من مايو سنة ١٩٤٨ وعلى إنهاء إجلاء قواتها فى أغسطس سنة ١٩٤٨ على ألا تتولى الحكومة


لبنان
سوريا
البحر الأبيض المتوسط
الناصرة
نهر اليرموك
جنين
طولكرم
نابلس
نهر الزرقا
يافا عربية
اللد
رام الله
الرملة
القدس
الأردن
المجدل
بيت لحم
غزة
الخليل
فلسطين
حسب مشروع تقسيم ١٩٤٧
اصطلاحات
المنطقة العربية
المنطقة اليهودية
منطقة القدس الدولية
مصر
ج.ع.م.
العقبة

البريطانية أية مسئولية إدارية أو عسكرية لا بموجب الانتداب ولا بمقتضى توصيات الأمم المتحدة خلال هذه الفترة . . . وكان موقف بريطانيا هذا مناورة بارعة لحث الدول للموافقة على مشروع التقسيم وقيام الدولة اليهودية التى تستطيع ملء الفراغ وحماية الأمن وحفظ الاستقرار .

وفى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ عرض مشروع التقسيم للتصويت على الجمعية العمومية فقبل بأغلبية ٣٣ صوتا وعارضه ١٢ صوتا وامتنعت ١٠ دول عن التصويت . وبذلك أقرت ٣٣ دولة فقط مشروع التقسيم « تقسيم فلسطين » وقيام الدولة اليهودية . وما كان ذلك ليحدث لولا ضغط أمريكا على معظم الدول المنضمة لهيئة الأمم المتحدة واضطرار بعضها إلى تغيير موقفها فى آخر لحظة نتيجة هذا الضغط .

مقاومة العرب لمشروع التقسيم :

وما إن أعلن قرار التقسيم حتى عم العالم العربى ثورة عارمة ضد هذا القرار المشين فى تاريخ الإنسانية ، واستعد العرب فى كل مكان للدفاع عن الحق العربى والوجود العربى فى أرض فلسطين . وكان عرب فلسطين أسبق من غيرهم فى مقاومة الكارثة التى حلت ببلادهم وبالوطن العربى . . فاشتبكوا مع الإنجليز واليهود فى معارك دامية يحدوهم الإيمان بعدالة قضيتهم وإن كان ينقصهم السلاح والعتاد الذى كان عبارة عن بعض الأسلحة الألمانية والعثمانية القديمة ، فى الوقت الذى كانت فيه قوات جيش الهاجاناه اليهودى تضم ٦٢ ألف مقاتل مسلحين بأحدث الأسلحة التى سلمها لهم البريطانيون ، علاوة على عصابتى الأرغون وشترن اللتين كانتا تضمان أكثر من ستة آلاف شخص مدرب ومسلح .

كما قامت المظاهرات فى جميع أنحاء الوطن العربى التى طالبت الحكومات

العربية بالعمل على تحرير فلسطين من عصابات الصهيونية . ودعت الجامعة العربية إلى عقد اجتماع بالقاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٤٧ يحضره رؤساء وزارات الدول العربية ، وتمخض هذا الاجتماع عن نداء وجه إلى الأمة العربية والرأى العام العالمى جاء فيه : « إن الدول العربية تنفيذاً لإرادة شعوبها ستتخذ من التدابير الحاسمـــة ما هو كفيل بإحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب » .

ولم يشر هذا النداء إلى القرارات السابق اتخاذها فى اجتماعات صوفر وعاليه وبلودان(١) ، وفيها تهديد لمصالح بريطانيا وأمريكا فى المنطقة . إلا أن المجلس فى اجتماعه قرر إمداد عرب فلسطين بالمال والسلاح والرجال . . واستطاعت الجامعة العربية أن تشـكل « جيش الإنقاذ العربى » من ثلاثة آلاف مقاتل فقط مسلحين بأسلحة قديمة . وقد تمـكن المناضلون الفلسطينيون وجيش الإنقاذ بالرغم من سوء تسليحهم وضعف تدريبهم وإمكانياتهم من توجيه ضربات قاصمة إلى القوات اليهودية وأن يجعلوا من قرارت الأمم المتحدة

---

(١) رفض العرب مشروع تقسيم لجنة بيل ، وعادت ثوراتهم من جديد ، وهى أكثر ما تـكون صمودا وثباتا ، وضج العالم العربى كله بالشكوى ، واحتجت حكومات العراق ومصر والسعودية على مسلك الإنجليز والصهيونية ، وعقد العرب مؤتمرا لهم فى بلودان ، وفيه أعلنوا عدة قرارات كان من أهمها :

١ — رفض مشروع بيل رفضا باتا .

٢ — اعتبار فلسطين دولة عربية وهى جزء من الوطن العربى .

٣ — ضرورة العمل على إلغاء الانتداب الإنجليزى .

٤ — وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

٥ — العمل على منع اليهود من الاستيلاء على الأراضى العربية الفلسطينية .

وكان لهذه القرارات صدى جعل بريطانيا تصدر كتابها الأبيض لعام ١٩٣٩ .

حبرا على ورق . وقد اشترك فى هذه المعارك كثير من المتطوعين العرب من خارج فلسطين من مصر وسوريا والعراق وليبيا وغيرها واستشهد كثيرون منهم قبل دخول الجيوش العربية أرض فلسطين فى مايو سنة ١٩٤٨ .

وجدير بالذكر أن أول المصريين الذين استشهدوا فى هذه الفترة هو الشهيد المهندس الزراعى كمال الدين حسنين فهمى الذى استشهد فى معركة « وادى الصرار » يوم ٢٨ إبريل سنة ١٩٤٨ .

تدخل مجلس الأمن :

جاء فى قرار التقسيم تشكيل لجنة خماسية لتنفيذ قرار التقسيم مكونة من مندوبين عن دول « بوليفيا — تشيكوسلوفاكيا — الفليبين — الدانمرك — بنما » ، وقد قاطع العرب اللجنة ولم يتصلوا بها وظلت تجتمع فى أمريكا وبريطانيا لترسم لنفسها سياسة العمل لتنفيذ التقسيم . وأخيراً أدركت اللجنة أن مهمتها مستحيلة دون اللجوء إلى القوة ، فطلبت من مجلس الأمن أن يقر إرسال قوة دولية إلى فلسطين لتساعد اللجنة فى تنفيذ التقسيم . ولكن أمريكا عارضت هذا الطلب بشدة ، كما تقدم اليهود عن طريق أمريكا وبريطانيا بشكوى إلى مجلس الأمن يتهمون فيها الدول العربية بعدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ومقاومتها .

وقد اجتمع مجلس الأمن فى ١٦ مارس سنة ١٩٤٨ ، واستمع المجلس إلى شهادة رئيس لجنة التقسيم الذى قرر استحالة التقسيم ، ورفض طلبه بإرسال قوات دولية كما ذكر آنفاً . إزاء هذا الموقف تراجعت كثير من الدول عن قرارها السابق بالموافقة على التقسيم ومنها أمريكا نفسها ، وقد قرر مجلس الأمن إعادة القضية للجمعية العامة لإعادة النظر فيها ، كما قرر دعوة العرب واليهود إلى عقد هدنة فى فلسطين وتعيين قناصل

أمريكا وبلجيكا وفرنسا فى القدس مشرفين على تنفيذ اقتراح الهدنة ، مع استمرار بريطانيا للقيام بالتزاماتها كدولة منتدبة .

ومما لا شك فيه أن قرار مجلس الأمن كان نسفا كاملا لقرار الأمم المتحدة القاضى بتقسيم فلسطين واعتبر نصرا كبيراً لوجهة النظر العربية .

التآمر البريطانى الصهيونى على احتلال فلسطين والتواطؤ العربى :

إلا أن بريطانيا كانت تسير وفقا لخطة بارعة خاصة بها ، وكانت واثقة من نجاح فكرتها « فكرة التقسيم » بالرغم من قرار مجلس الأمن . لذلك عملت بريطانيا على تمكين اليهود من السيطرة على أكبر عدد ممكن من المواقع والمعسكرات البريطانية فى فلسطين أثناء وجودها وبمعونتها ، كما اتخذت كافة الوسائل لإجبار العرب على الجلاء عن المناطق التى رأت أنها ضرورية لقيام وسلامة الدولة اليهودية . وعملت فى الوقت نفسه مع عملائها من حكام الدول العربية للقضاء على الكفاح الشعبى العربى وتآمرت على تدخل الجيوش العربية فى المعركة على ألا تتجاوز فى زحفها المناطق المخصصة للعرب حسب مشروع التقسيم . وقد جاء فى مذكرات عبد الله التل قائد منطقة القدس صفحات ٨١ — ٨٢ — ٨٣ عن قيادات الجيش الأردنى ليلة ١٤ مايو بدء حرب فلسطين التى كان الملك عبد الله فيها قائدا أعلى لجيوش الدول العربية كلها أن عدد قواد الجيش ٥١ قائدا يرأسهم جميعا جلوب باشا برتبة فريق قائد الجيش العربى وهو بريطانى الجنسية ، ومن بين هؤلاء الواحد والخمسين خمسة قواد عرب منهم عبد الله التل وكيل قائد الكتيبة الخامسة .

ومن الأعمال التى لا يغتفرها التاريخ أمر رسمى صادر من فريق رئيس أركان حرب الجيش العربى « جلوب » فى ٢٨ / ٩ / ١٩٤٨ يطلب فيه :

١ — مصادرة أسلحة الجهاد المقدس فى القدس ومنطقة الخليل .

٢ — كسب الشعب لعطف سيدنا فيتحولون تدريجيا عن علاقتهم بالقوات المصرية .

٣ — ترويج الشائعات بين الناس عن قرب رحيل القوات المصرية إلى بلادها .

كيف تم انسحاب بريطانيا :

منذ أن اتخذت بريطانيا قرارها بالانسحاب من فلسطين فى فبراير سنة ١٩٤٧ بدأت بالانسحاب من المناطق اليهودية أولا وتسليم ما بها من معسكرات ومرافق ومطارات ومستودعات ذخيرة إلى العصابات اليهودية فى الوقت الذى منعت فيه دخول الأسلحة والمتطوعين العرب داخل البلاد لمساعدة إخوانهم عرب فلسطين. وبذلك أتاحت الفرصة لليهود لتنظيم أداتهم العسكرية والإدارية قبل ستة أشهر على الأقل من الانسحاب الكامل من فلسطين .

كما قامت القوات البريطانية فى هذه الفترة بمطاردة المناضلين العرب والقيام بحملات تفتيشية فى الأحياء العربية بحثا عن الأسلحة لمصادرتها . وقد اضطر عشرات الألوف من المواطنين العرب إلى ترك المناطق اليهودية فى حيفا ويافا والقدس ، نظرا لتعدد هجوم العصابات الصهيونية عليهم بوحشية وهم عزل من السلاح ، فى الوقت الذى كانت فيه السلطات البريطانية تغض الطرف عن مثل هذه الهجمات ، كما قام اليهود بعدة مجازر بشرية لإرهاب العرب أشهرها مجزرة قرية « دير ياسين » العربية القريبة من القدس التى حدثت فى أوائل عام ١٩٤٨ أثناء وجود بريطانيا كدولة منتدبة على فلسطين . فقد دخلت العصابات الصهيونية القرية فى وقت كان فيه رجالها وشبابها يقومون بأعمالهم فى مدينة القدس ، وعملت فى أهالى القرية من النساء والأطفال والشيوخ قتلا وتذبيحا دون أن تلقى أية مقاومة ، وكانت حصيلة هذه المذبحة

٢٥٠ قتيلا ذبحوا ذبح النعاج وشوهت جثثهم ثم ألقيت فى بئر القرية .

إن ما حدث فى قرية « دير ياسين » وغيرها من القرى العربية عام ١٩٤٨ هو صورة طبق الأصل لما حدث فى المدن والقرى العربية عام ١١٨٦ قبل الميلاد وأشهرها مذبحة « أريحا » (١).

وما إن جاء يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وهو تاريخ انتهاء انتداب بريطانيا على فلسطين حتى كان اليهود قد استولوا على معظم مدن الساحل من حيفا فى الشمال حتى أسدود فى الجنوب ، كما استولوا على المناطق اليهودية فى الداخل وعلى مابها من معسكرات ومستودعات ومطارات ومرافق ، وتمكنوا من تشريد معظم المواطنين العرب العزل المقيمين فى هذه المناطق تحت سمع بريطانيا وبصرها . وبذلك استطاع اليهود بمساعدة بريطانيا أن يفرضوا قرار التقسيم باحتلال جميع المناطق المخصصة لهم بموجب هذا القرار وطرد العرب منها فى الوقت المحدد لانتهاء انتداب بريطانيا وهو ١٥ مايو ١٩٤٨ .

معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ :

كان للموقف الذى وجد فيه المجاهدون الفلسطينيون فى الفترة السابقة أثره فى الشعوب العربية التى طالبت حكوماتها بضرورة التدخل المسلح لمنع المجازر التى ترتكب على أرض فلسطين تحت سمع وبصر بريطانيا وأمريكا ، وارتفعت الهتافات ضد الحكام العرب فى كل قطر عربى ، وتحركت المظاهرات الشعبية مطالبة بإنقاذ عرب فلسطين .

فاجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وأصدرت قرارا فى

---

(١) « حرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » يشوع ٦ : ٢١ .

١٢ إبريل سنة ١٩٤٨ بالتدخل بالجيوش العربية لإنقاذ فلسطين وحددت يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ موعداً لحركة هذه الجيوش .

ومن هنا يظهر التساؤل : هل كانت بريطانيا موافقة على هذا القرار أو على الأقل على علم به ؟ وهل موافقتها على هذا القرار تتنافى مع وعودها لليهود وسياستها التى اتبعتها للعمل على قيام دولة إسرائيل ؟

لقد أثبتت الأحداث فعلا أن بريطانيا كانت على علم بكل الإجراءات التى كانت الدول العربية تنوى اتخاذها ، واستطاعت أن توجه قرار اللجنة السياسية لخدمة خططها ولتثبيت واقع إسرائيل ، بل إنها كانت مؤيدة ومحرضة على تقرير اشتباك الجيوش العربية فى معركة فلسطين .

فمصر والعراق والأردن — وهى الدول التى لها جيوش يعتمد عليها فى ذلك الوقت — كانت مرتبطة مع بريطانيا باتفاقيات ومعاهدات تحتم على الطرفين المتعاقدين التشاور فى الظروف التى يمكن أن تؤدى إلى قيام حرب أو التهديد بالحرب بين أحد الأطراف وطرف ثالث . هذا فى الوقت الذى كان يرى فيه حكام هذه الدول أن بريطانيا هى الحليف الطبيعى والصديق التقليدى لهم ، علاوة على ما لبريطانيا من قواعد عسكرية وخبراء عسكريين فى هذه البلاد ، بل إن قيادة الجيش الأردنى وكثيرا من ضباطه من الضباط الإنجليز ، وعلى رأسهم « جلوب باشا » .

ومما لاشك فيه أن بريطانيا وجدت أنه من المناسب أن تسارع فى تأييد عملية التدخل العسكرى من قبل الجيوش العربية ؛ لأن ذلك يمتص النقمة الشعبية التى أخذت تواجه عملاءها من حكام البلاد العربية ، ويمكنها فى الوقت نفسه من التحكم فى عمليات هذه الجيوش والحد من حماس الشعوب العربية فى هذا السبيل .

وقد ظهر ذلك واضحا فى الإجراءات التى صاحبت قرار اللجنة السياسية والتى نصت على أن الجيوش العربية هى الوسيلة الوحيدة الصالحة لحماية عرب فلسطين وإنقاذ عروبتها ، وبذلك كفت الجامعة العربية يد المساعدة عن المجاهدين العرب الذين كانوا يقاتلون ببطولة وبسالة منقطعة النظير . كما قررت الجامعة العربية حل جميع المنظمات الشعبية العسكرية فى فلسطين وإيقاف نشاطها وإبعادها عن المعركة بحجة أن ذلك يعرقل عمليات الجيوش العربية ، وضرورة وضع خطة عسكرية مشتركة لتحركات الجيوش العربية ، وتكوين قيادة عامة واختيار القائد الأعلى للجيش الأردنى رئيسا لهذه الهيئة ، وهذا يعنى تعيين الجنرال جلوب البريطانى رئيس أركان حرب الجيش الأردنى قائدا فعليا للعمليات العسكرية .

كما أعلنت الطوارىء والأحكام العرفية بحجة حماية المجهود الحربى ، ووضعت التشريعات لضرب الحركات الوطنية تحت شعار مكافحة النشاط الهدام وجواسيس الصهيونية .

لقد كانت كل هذه الإجراءات فى الواقع لمصلحة السياسة البريطانية الجديدة التى أرادت أن تستغل حركة اندفاع الشعب العربى لإنقاذ فلسطين فى سبيل تثبيت كيان إسرائيل .

العمليات العسكرية فى فلسطين :

دخلت الجيوش العربية فلسطين ليلة ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، واستطاع الجيش المصرى فى أيام قليلة احتلال جنوب فلسطين بأكمله كما استطاع السيطرة على منطقة النقب الجنوبى وخليج العقبة .

واستطاعت القوات خفيفة الحركة بقيادة الشهيد أحمد عبد العزيز أن تسيطر على مدينة بيت لحم وضواحى القدس الجنوبية . وسيطر الجيش

السوري والجيش اللبناني على منطقة الجليل بأكملها حتى جنوب بحيرة طبرية ماعدا بعض المستعمرات في الجليل الشرقي .

وسيطر الجيش العراقي على قلب فلسطين وأحدق بتل أبيب وكانت خطوطه الأمامية على بعد أميال من ساحل البحر الأبيض ، واحتل الجيش الأردني منطقة القدس والقدس القديمة ومنطقة رام الله باللد والرملة ، والتقى بالجيش العراقي في الشمال وبالجيش المصري في الجنوب والغرب .

وكان من الممكن أن تواصل هذه الجيوش تقدمها وتحتل جميع المناطق التي احتلها اليهود أثناء وجود القوات البريطانية لولا التآمر من قبل بريطانيا مع بعض الحكام العرب ، ووقوف أمريكا بجانب الصهيونية في المجال الدولي والسياسي، فمنذ الأيام الأولى للقتال توقف الجيشان العراقي والأردني في الأماكن المعينة لها عند حدود المنطقة المخصصة لليهود ولم يتخطياها ، واكتفى الجيش الأردني باحتلال القدس القديمة في الوقت الذي كان اليهود يسيطرون فيه على منطقة القدس كلها . وبدأت أمريكا تعلن للعالم أن الحالة في فلسطين تهدد السلم العالمي، وطلبت من مجلس الأمن العمل على إيقاف القتال ولو اضطر الأمر إلى استخدام القوة وفرض العقوبات على الدول العربية(١) .

اسرار التآمر البريطاني مع الرجعية :

١ — من تصريح صحفي للملك عبد الله نشرته وكالة رويتر في ٤ يناير سنة ١٩٤٩ بعد الهجوم الإسرائيلي على منطقة النقب وتعاون الملك عبد الله لضرب الجيش المصري : « إنني أفضل أن يحتل « الإسرائيليون » النقب من أن يبقى بيد المصريين لأن استرجاع النقب من اليهود أهون من استرجاعه من المصريين، وإني أخاف على فلسطين من قريب حاسد أكثر من عدو حاقد » .

(١) الدول المجني عليها إذا هبت لأخذ حقوقها بالقوة وقف العالم الإمبريالي يستنجد بمجلس الأمن لوقف القتال وفرض عقوبات على الدول العربية . إنه منطق معكوس !!

٢ — فى ١٠ / ١٢ / ٤٨ حمل عبد الله التل بوصفه قائد القدس العسكرى رسالة من موشى ديان[١] إلى الملك عبد الله . وساورت عبد الله التل الوساوس ففض الرسالة وإذا بها من الياهو ساسون يدعو الملك عبد الله . ويعيد عبد الله التل الرسالة سيرتها الأولى فى مظروف جديد ويقدمها للملك الذى سرعان ما حدد موعدا للقاء بينه وبين الياهو ساسون وموشى ديان فى ١٦ / ١ / ٤٩ . وعند التقائه بالياهو ساسون استقبله بهذه العبارة : « أنا ملك عربى لا أخلف وعدا ولا أخون عهدا ، تعرفون نواياى وشعورى نحوكم ورأيى ألا يقف أحد بيننا الآن بعد أن خمدت الفتنة وانتهى لكم الأمر فى الجنوب ، وأنت تعلم ياساسون أننا لم نحاربكم ولم نعتد على ما خصص لكم»[٢]، واستقر رأيه على التفاوض على ما يأتى :

١ — المفاوضات سرية وشخصية بينه وبين الياهو ساسون .

٢ — تنفيذ قرار أريحا .

٣ — اللد والرملة يجب أن تكونا على الحالة التى سبقت الانسحاب منهما .

٤ — النقب لليهود .

٥ — المفاوضة حول يافا والقدس العربية والقدس الجديدة .

٦ — المفاوضة حول اللاجئين الفلسطينيين .

الملك عبد الله يحرض اسرائيل على احتلال غزة :

اجتمع الملك عبد الله بالياهو ساسون فى الشونة فى ٣٠ / ١ / ١٩٤٩ ، ودار الحديث وأغلبه حول المادة الخامسة من رسالة ساسون ونصائحه للملك . فقد كرر ساسون رأى بن جوريون ونصيحته لجلالة الملك بسحب الجيش العراقى من لواء السامرة ووضع قوات من البوليس مكانه ويتعهد اليهود بعدم

---

(١) مذكرات عبد الله التل ص ٤٤١ .

(٢) » » » ص ٤٦٠ .

التعرض المنطقة بسوء ، وبذلك يتجنب اليهود الاحتكاك بالعراقيين وهم جيش هاشمى أمره يهم سيدنا كثيرا . وحينما سمع جلالته حديث ساسون قال :

« إن شاء الله يشرف عبد الإله فى هـ ٣ بهذين اليومـــين وسيكون ما ترغبون » .

وبعد أن وعد جلالته ساسون بمقابلة عبد الإله فى هـ ٣ محطة ضخ البترول على الحدود العراقية الأردنية قال بكل جرأة أمام رئيس الحكومة الذى تحمس لحضور هذا الاجتماع ، قال جلالته مخاطبا ساسون :

« كنت والله أريدكم أن تأخذوا لنا غزة فهى منفذنا على البحر ، ولا بد لنا من ميناء ولتكن مجدل عسقلان » .

وطرب ساسون وديان لسماع تصريحات كهذه وقال ساسون :

« الله يقدرنا على تنفيذ ما يرغب فيه سيدنا » (١) .

هذا قليل من كثير مما نتألم له وتسبب فى نكسة الجيوش العربية السبعة.

الهدنة الأولى :

وفى ٢٢ مايو سنة ١٩٤٨ أصدر مجلس الأمن قراراً بإيقاف القتال ، وقد رفض العرب هذا القرار بمذكرة أرسلت إلى مجلس الأمن . غير أن ضغط بريطانيا وأمريكا على المجلس وعلى الدول العربية المصحوب بالتهديد والوعيد أرغمها على إيقاف القتال صباح ٧ يونيو سنة ١٩٤٨ لمـــدة أربعة أسابيع على أن يتمكن الوسيط الدولى الكونت برنادوت الذى عينه المجلس فى ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ولجنة الهدنة التى عينها فى ٢٢ إبريل ١٩٤٨ من إيجاد حل عادل للقضية ، وعلى أساس الوعد بعدم إرسال متطوعين أو أسلحة لفلسطين خلال هذه الفترة ، وإنذار المخالف بتطبيق العقوبات العسكرية والاقتصادية ضده .

(١) مذكرات عبد الله التل ص ٤٦٥ .

وبالرغم من ذلك فقد استغل اليهود هـــذه الفرصة بمساعدة بريطانيا وأمريكا وفرنسا فى جلب المتطوعين والأسلحة الخفيفة والثقيلة والطائرات مستخدمين فى ذلك ميناء حيفا الذى سلمته بريطانيا لليهود فى يونيو سنة١٩٤٨ على الرغم من تحديدها لشهر أغسطس من نفس العام موعداً للانسحاب منه ، هذا فى الوقت الذى طبقت فيه هذه الدول قرار حظر إرسال الأسلحة إلى الدول العربية بكل دقة . وفى هذا الوقت قدّم الـكونت برنادوت مقترحاته لحل القضية وهى لا تخرج فى مضمونها عن مشاريع التقسيم السابقة ، فرفضها العرب كما رفضها اليهود لأنها تضع حدا لأطماعهم وخططهم التوسعية . وكنتيجة لهذا استؤنف القتال يوم ٩ يوليو سنة ١٩٤٨ . وبالرغم من الإمدادات التى حصل عليها اليهود فى فترة الهدنة فقد استطاعت القوات العربية أن تشدد قبضتها على القوات اليهودية ، وقام سلاح الطيران المصرى بغارات عنيفة على تجمعات اليهود وطرق مواصلاتهم ، واستنجد اليهود مرة أخرى بحلفائهم ، وطار الـكونت برنادوت إلى مجلس الأمن وطلب اتخاذ إجراءات عاجلة لوقف القتال ، واجتمع مجلس الأمن يوم ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ وطلب وقف القتال فى خلال ثلاثة أيام وفى الوقت نفسه بدأت بريطانيا تتآمر مع حلفائها من الحـكام العرب حينما وجدت المعركة تسير فى صالح الجيوش العربية ، فهددت بإيقاف معونتها المالية والعسكرية للأردن وبسحب الضباط البريطانيين من الجيش الأردنى .

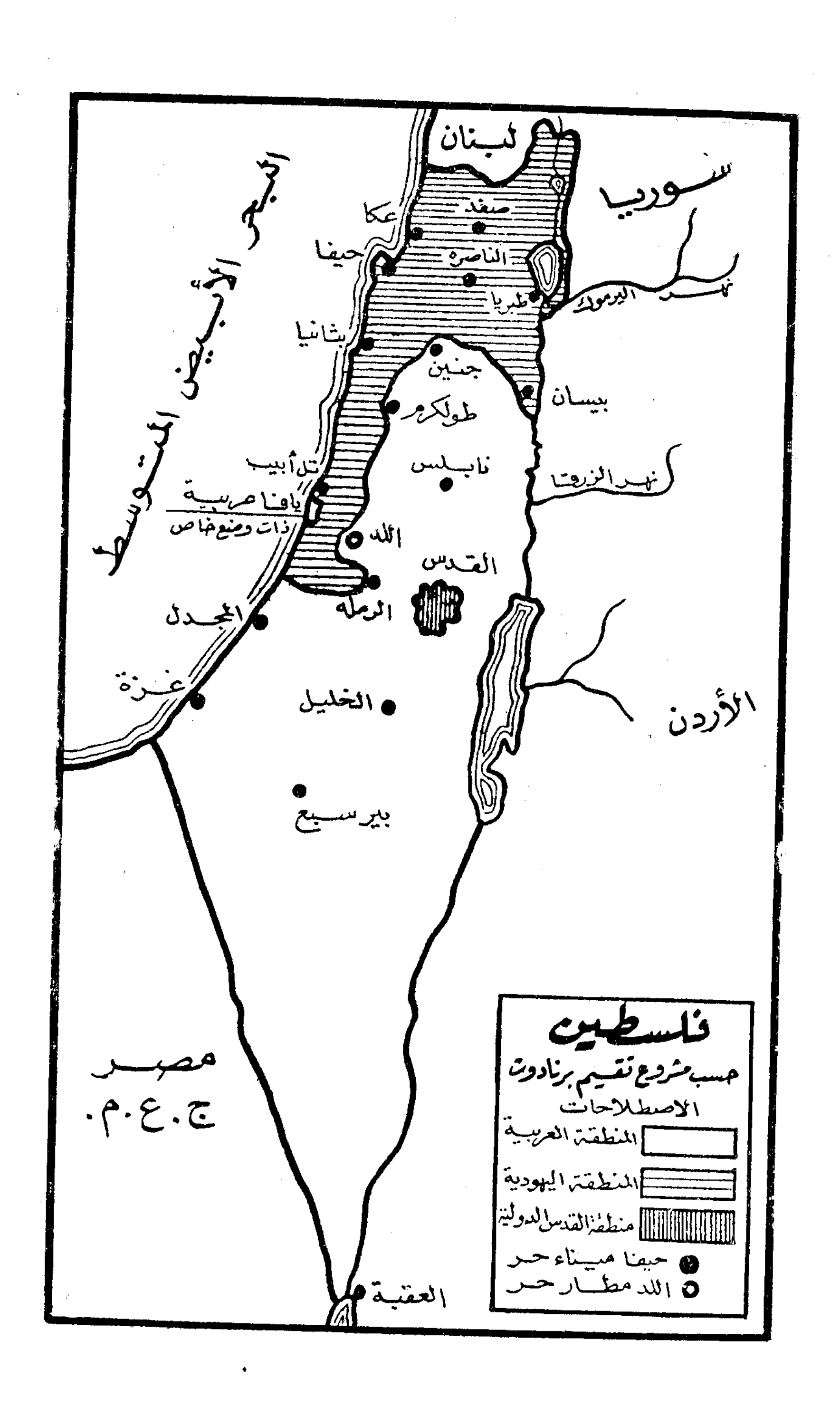
وتبع هذه التهديدات توقف القتال فى جبهتى الجيش الأردنى والجيش العراقى ، وانسحاب الجيش الأردنى من منطقة « اللد والرملة » ، والجيش العراقى من منطقة « رأس العين » ، وجيش الإنقاذ العربى من منطقة «الجليل الغربى» دون قتال . فانـكشف بذلك جناح الجيش المصرى الذى كان متقدما

حتى « أسدود » وأصبحت مؤخرته وخطوط مواصلاته معرضة لهجمات اليهود . وبذلك انقطع الاتصال بين الجيوش العربية وحــدث ارتباك فى جبهتها الواحدة المتماسكة .

الهدنة الثانية :

إزاء هذا الموقف المتدهور قررت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قبول قرار مجلس الأمن بإيقاف القتال ، فأوقف القتال يوم ١٧ يوليو فى منطقة القــــدس كما أوقف فى كل الجبهات الأخرى يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٨ وقـدم الـكونت برنادوت مقترحات جديدة ، لحل القضية يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ أرسلها إلى الجمعيــة العامــة للأمم المتحدة تقوم على أساس تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية وهى لا تختلف عن المقترحات السابقة مع إدخال بعض التعديلات على حدود الدولتين ووضع القدس تحت إشراف دولى وتدويل ميناء حيفا ومطار اللد وضم المناطق العربية إلى شرق الأردن . إلا أن « برنادوت » قتل على يد اليهود فى مدينة القدس فى نفس اليوم الذى أرسل فيه التقرير إلى الجمعية العامة بحجة محاباته للعرب .

وقد أيدت بريطانيا مقترحات « برنادوت » الجديدة ، أما أمريكا فقد استمرت فى تأييد إسرائيل دون قيد أو شرط ، مما حدا باليهود إلى عدم الإذعان لقرار وقف القتال وبدأوا فى شن هجماتهم على جبهة الجيش المصرى وعلى مؤخرته فى الوقت الذى لم يحاول فيه أى جيش عربى الاشتراك فى القتال لتخفيف العبء عن الجبهة المصرية ، مما اضطر معه الجيش المصرى إلى الانسحاب لتقصير خطوط مواصلاته متخذا غزة قاعدة له ، واستطاع اليهود فى هذا الوقت احتلال معظم أراضى النقب ، باستثناء قطاع غزة ، كما احتلوا


لبنان
سوريا
البحر الأبيض المتوسط
عكا
صفد
حيفا
الناصرة
طبريا
نهر اليرموك
بتانيا
جنين
بيسان
طولكرم
نابلس
تل أبيب
يافا عربية
ذات وضع خاص
نهر الزرقا
اللد
القدس
الرملة
المجدل
غزة
الخليل
الأردن
بير سبع
مصر
ج.ع.م.
فلسطين
حسب مشروع تقسيم برنادوت
الاصطلاحات
المنطقة العربية
المنطقة اليهودية
منطقة القدس الدولية
حيفا ميناء حر
اللد مطار حر
العقبة

قطاع خليج العقبة وبعض ضواحى القدس فى الجبهة الأردنية دون قتال . هذا فى الوقت الذى لم يحرك فيه مجلس الأمن ساكنا إزاء خرق اليهود لقرار وقف إطلاق النار (١) .

وكان الدكتور « رالف بانش » قد عين وسيطا دوليا خلفا للكونت برناودت الذى قرر انسحاب كلا الطرفين المتقاتلين إلى الأماكن التى كانا يحتلانها قبل يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٨ ، إلا أن اليهود لم يذعنوا لهذا القرار الذى أيده مجلس الأمن واستمروا فى عملياتهم العسكرية ولم يتخذ مجلس الأمن أى إجراء لوقف اليهود عند حدهم (٢) .

اتفاقيات رودس :

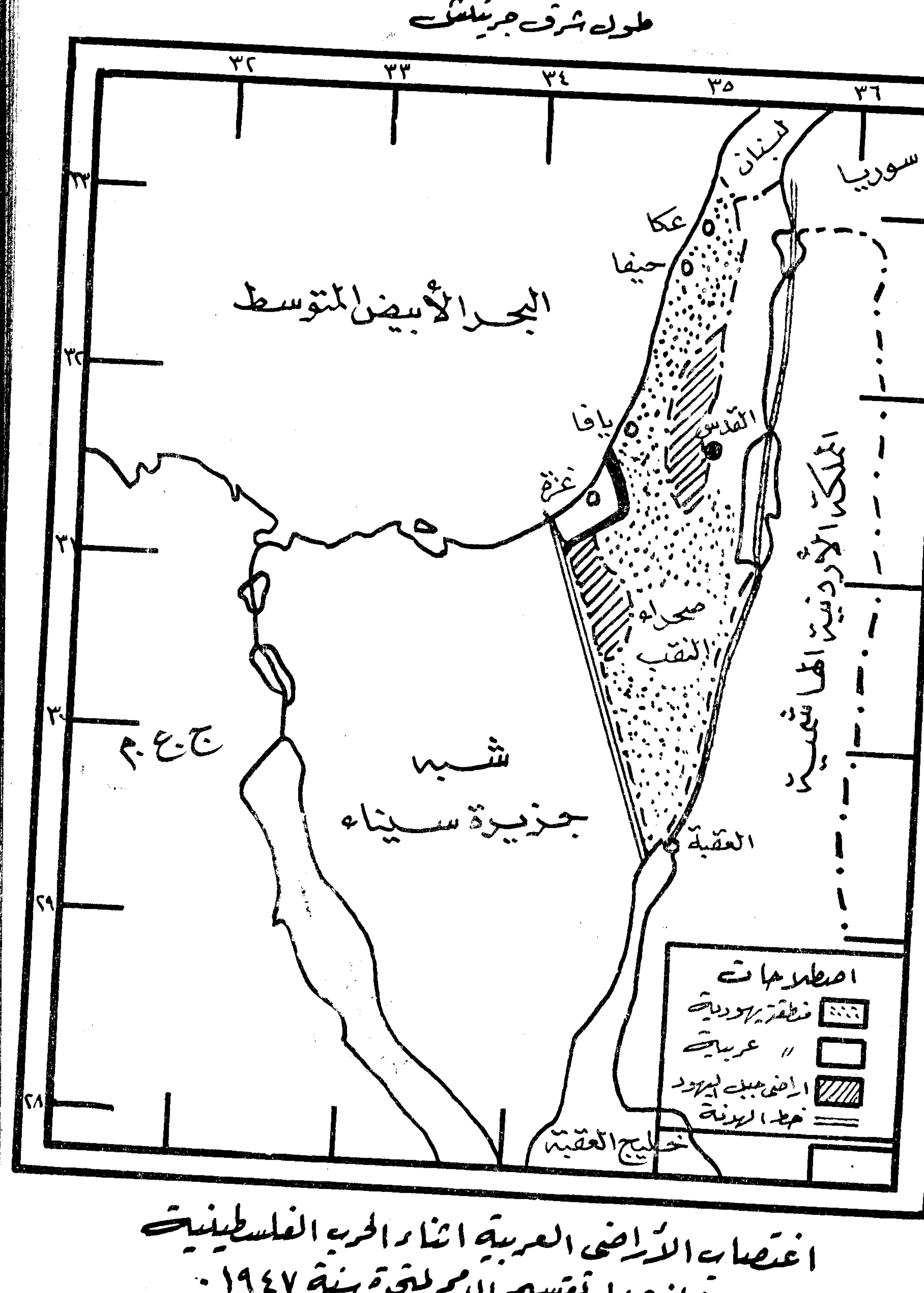
وأخيرا وافق مجلس الأمن على اقتراح الدكتور رالف بانش يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٤٨ بدعوة العرب واليهود إلى عقد اتفاقية هدنة جديدة وإنشاء مناطق مجردة من السلاح ، وتخفيض قواتهما المسلحة ، ولم تكتف بريطانيا وأمريكا بما حققه اليهود على أيديهما من انتصار على الحق والحرية ، فعملتا على إكمال رقعة إسرائيل إلى الحد الذى تستطيع فيه تحقيق اكتمالها الزراعى والاقتصادى ، وتأمين نفسها ضد العرب .

كانت الخطة الأنجلو أمريكية تقضى بتبنى عقد هدنة بين مصر وإسرائيل وبذلك تضمنان تأييد الدول العربية لهذه الخطوة حيث أن مصر هى أكبر الدول العربية ودخولها فى مفاوضات مع إسرائيل لعقد هدنة يشجع غيرها من

---

(١) شتان بين قرار مجلس الأمن فى مايو سنة ١٩٤٨ وتهديد الدول العربية فيه وقرار مجلس الأمن فى ١٥ يوليو سنة ١٩٤٨ وتبتلع إسرائيل مناطق لاحتلالها دون حرب .

(٢) نفس الوضع بالنسبة لقرارات مجلس الأمن بانسحاب إسرائيل إلى المواقع قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ .



اغتصاب الأراضي العربية أثناء الحرب الفلسطينية
بالإضافة إلى تقسيم الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧.

الدول العربية على الدخول فى مثل هـذه المفاوضات . ونجحت المؤامرة الإنجلو أمريكية ، وتم لبريطانيا وأمريكا ما أرادتاه فاجتمع الجانبان المصرى والإسرائيلى فى جزيرة رودس وانتهت المباحثات « باتفاقية رودس » الشهيرة فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٩ ، وتم لإسرائيل بموجبها ماطالبت به أمريكا من قبل ورسمت حدود الهدنة مع مواقع القوات اليهودية الجديدة ، ونتيجة لذلك دخل النقب شماله وشرقه ضمن الأراضى التى تسيطر عليها إسرائيل .

وقد نجحت هـذه الاتفاقية فى جر الدول العربية الأخرى إلى رودس الواحدة تلو الأخرى على الرغم من استمرار قيام الهدنة الثانية التى فرضها مجلس الأمن على طول الجبهات الأردنية والعراقية واللبنانية من الناحية القانونية . فعقدت اتفاقية هدنة مع لبنان فى ٢٣ مارس سنة ١٩٤٩، ومع سوريا بتاريخ ٢٠ يوليو سنة ١٩٤٩ . أما العراق فقد رفضت توقيع اتفاقية هدنة على أساس عدم وجود حدود مشتركة بينها وبين إسرائيل . أما اتفاقية الهدنة مع الأردن التى عقدت فى ٣ أبريل سنة ١٩٤٩ فكانت كارثة جديدة .

فقد تخلت الأردن عن مناطق شاسعة من الأراضى الفلسطينية لليهود بموجب هذه الاتفاقية دون أى قتال . هذا مع العلم بأن اتفاقيات الهدنة التى عقدت مع الدول العربية الأخرى كانت وفقاً للمناطق التى تحتلها جيوشها بعد توقف القتال . وبذلك تشرد آلاف آخرون من المواطنين العرب الذين اضطروا إلى ترك قراهم وأملاكهم لتكون نهباً لليهود ، ولينضموا إلى قوافل اللاجئين التى كانت تتجه صوب البلاد العربية لتعيش فى الكهوف والخيام ، وبذلك قامت إسرائيل على أساس الاغتصاب والإرهاب وبتدعيم دول الاستعمار .

كيف ضاعت فلسطين

١ — الاستعمار هو عدونا الأول :

يرجع السبب الأول فى ضياع فلسطين إلى الخطأ الجذرى فى المفاهيم بأن عدونا إنما هو إسرائيل ، ولهذا انحصرت مقاومتنا فى مقاومته لاستخلاص الوطن السليب منه وإعادته إلى أهله .

وقد كان هذا الخطأ ناجما عن حسن نية العرب ، وقد صرف الاهتمام عن العامل الحقيقى والأساسى فى مأساة فلسطين . وقد أدى هـذا الخطأ إلى امتصاص القوى الثورية طيلة عشرين سنة فى حرب مع إسرائيل . إنما عدونا الأول والأخير هو الاستعمار الذى خلق إسرائيل وأقامها على أرضنا الطيبة لتكون قاعدته والمكان الذى يستقر فيه نفوذه وتتوطد دعائم عدوانه ومؤامراته ومناوراته على الشرق الأوسط . فالاستعمار القديم ممثلا فى زعيمته السابقة بريطانيا هو الذى أصدر وعد بلفور لليهود ، وهو الذى ضمن صك الانتداب النص أن تكون فلسطين وطنا قوميا ، وهو الذى فرض التقسيم وأشرف على تنفيذه خطوة خطوة .

والاستعمار الجديد ممثلا فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تولت الزعامة بعد الحرب الكونية الثانية ، هو الذى خلق دولة إسرائيل وعزز كيانها المزيف بما أضفاه عليها من حماية سافرة ودعم يتمثل فى أنواع السلاح ومليارات الدولارات ، وكان الهدف منها الحيلولة دون مضى الركب العربى فى طريقه السريع نحو التحرر الكامل والتقدم الحضارى والوحدة الشاملة .

٢ — التجزئة العربية سر انتصار اسرائيل :

من هنا يتضح أن التجزئة العربية كانت سببا مباشراً بل لعلها السبب

الأساسى فى قيام إسرائيل ، كما أن استمرارها كان عاملا قويا فى بقاء إسرائيل حتى اليوم . ومن هنا كانت مقاومة الاستعمار لكل وحدة عربية حقيقية ، ولو أن المعارك الضخمة التى خاضها الشعب العربى ، وما زال يخوضها ضد الاستعمار ، فى وحـــدة أصيلة لاتتسرب إليها مؤامرات الاستعمار لانتصرنا واستردنا أرض فلسطين . من ثم فإن موقف الاستعمار وموقف إسرائيل من أى وحدة عربية أنهما يريان فيها عملية تطويق تخنق إسرائيل، والطوفان الذى يهددها بالانهيار والزوال . ولهذا فإن الإمبريالية الصهيونية أشد حرصاً على تجزئة العالم العربى ، ولعل هذا هو السبب فى نشوة الفرح التى غمرت إسرائيل بعد حركة الانفصال بين سوريا ومصر ، فلولا التجزئة ما كانت إسرائيل وما ضاعت فلسطين .

٣ — فلسطين قد ضاعت على أرض فلسطين :

إن فلسطين ضاعت فى موقعها لا فى عصبة الأمم ، ولا فى هيئة الأمم المتحدة ولا فى المحافل الدولية ، وإنما ضاعت فى أرض فلسطين نفسها التى شهدت معارك زائفة ، وشهدت تيجاناً تصنع وعروشاً تمنح ورجالا يسيرون فى فلك الاستعمار ، لهذا لم يأبهوا لفلسطين وعروبتها . لـكن هـذه الحقيقة لاتصرفنا عن الاهتمام بما يدور فى المحافل الدولية من مناقشات وقرارات حول قضية فلسطين ، ولابما يمكن أن يتخذ فيها من مقررات تتعلق بأصول القضية أو فروعها ، وذلك لأن العمل على الصعيد الدولى يعتبر جزءاً متمما لما يجب أن يقع على أرض فلسطين نفسها من جهود مخططة تخطيطا واعيا كما انتهت إليه قرارات مؤتمر الخرطوم . ما أخـــذ بالقوة لابد أن يسترد بالقوة . فالعمل السياسى والعسكرى ينبغى أن يسيرا بأيهما يتحقق استرداد أرض فلسطين غاية وأمل الأمة العربية كلها .

٤ – فلسطين قد ضاعت بسبب شلل الحكومات العربية :

إن الاستعمار كان متحكما عن طريق معاهداته فى الدول العربية كمصر والأردن والعراق ، وعن طريق عملائه فى الجامعة العربية التى تولت فى تلك الأيام زمام القيادة فى عملية الكفاح الثورى فى فلسطين على الصعيدين السياسى والعسكرى .

ولقد كانت بريطانيا تسيطر فى عام ١٩٤٨ على شئون أكثر من دولة من دول الجامعة العربية سيطرة سياسية وعسكرية ، عن طريق بعض الحكام الخونة الذين يشدهم إليها أكثر من رابطة ، أوعن طريق القواعد العسكرية والجوية البريطانية والأمريكية المنتشرة فى أكثر من دولة من دول الجامعة العربية .

وكانت المعاهدات والمواثيق العسكرية تحتم على بعض هذه الدول التشاور مع بريطانيا فى كل حالة يمكن أن تؤدى إلى حرب أو إلى التهديد بحرب ، والتعاون لحل أى خلاف قد يقع بين إحدى هذه الدول وبين طرف ثالث .

وكان حكام بعض هذه الدول يرون فى بريطانيا حليفتهم الطبيعية وصديقتهم التقليدية ، وكانت بعثاتها العسكرية إلى جيوش هذه الدول تمارس أعمال التدريب والتسليح والمشاورة فى الظاهر ، والسيطرة على هذه الجيوش فى الواقع وعلى ما لديها من إمكانيات وأسلحة وعتاد .

وكان بعض هذه الدول ، وما زال ، مرتبطا بدول الاستعمار ، بالإضافة إلى الارتباطات التقليدية ، بروابط سياسية وبترولية واقتصادية . وقد أثبتت الوقائع أن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية هما اللتان تآمرتا مع حليفتهما إسرائيل على قيامها ، وعلى استخلاص قرار التقسيم ، وعلى فرض تنفيذه .

ومن الطبيعى والحالة هذه أن تكون بريطانيا هى التى وجهت حرب

فلسطين سنة ١٩٤٨ الوجهة التى تريدها ، وهى تنفيذ التقسيم ، وقيام إسرائيل ، ومن هنا تنبع المسئولية الـكبرى فى ضياع فلسطين ، ومن هنا تتجسد الأوضاع التى أدت إلى هذا الضياع .

• — فلسطين قد ضاعت لافتقار العرب الى الأسلوب العلمى فى الدعاية :

إن العاطفة التى تحرك الثوار العرب للدفاع عن بلادهم تحتاج إلى عقلية على مستوى المعارك الدولية لتحريكها ، ولـكن الارتجال الذى رافق المعركة من أولها إلى آخرها كان من أسباب ضياع فلسطين . فقد قدرت اللجنة العسكرية التى ألفتها الجامعة العربية، لتهيئة الدفاع عن عروبة فلسطين وتنظيمه، احتياجات هذا الدفاع بثلاثة آلاف متطوع من البلاد العربية ، مسلحين بعشرة آلاف بندقية مع أن لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية كانت قد قدرت قوات اليهود فى تقريرها الذى أصدرته عام ١٩٤٦ على الوجه التالى :

جيش الهاجاناه ٦٢٫٠٠٠ مدربين ومسلحين بأحدث الأسلحة ومنها المدفعية .
عصابة الأرجون ٦٫٠٠٠
عصابة الاشترن ٣٫٠٠٠

بالإضافة إلى قوة الشرطة اليهودية المركزية الخاضعة للإدارة البريطانية ويقدر عددها بحوالى ٢٫٠٠٠ فيصبح المجموع ٧٣٫٠٠٠ يواجهون ٣٫٠٠٠ جندى عربى بأسلحة عتيقة .

فلم تـكن الجهات التى تولت إدارة دفة المعركة على مستوى القضية . إذ لا استعداد ، ولا تأهب ، ولا تقدير صحيحاً لقوة الخصم وطاقاته . ولو عبئت القوى الوطنية تعبئة صحيحة وعلى أسس سليمة ، ووفق تقدير صحيح للمعطيات والإمكانيات ، ولو تجسدت هذه التعبئة فى التوعيات الـكاملة والمفاهيم السليمة لطبيعة المعركة واتجاهاتها ، وتبلورت فى شكل تدريب وتسليح

كاملين ، لا تقف الحاجات المحلية حائلا دونهما ، سواء فى داخل فلسطين أو خارجها ، لما كانت النكسة ، مهما كان موقف الاستعمار وأعوانه .

وتمضى عشرون سنة تقريبا على هذه المعركة الارتجالية ويتحدث الدكتور سيد نوفل فى مارس سنة ١٩٦٥ ليفسر الفشل الذى منيت به الدعاية العربية بأسباب منها :

١ — قوة ونفوذ الدعاية الصهيونية وأثرها الكبير على المؤسسات الصحفية والإذاعية والتليفزيونية فى العالم وفى الغرب خاصة .

٢ — ضعف الموارد المادية الكافية للعمل الدعائى وبالتالى عدم توفر القدرات الكافية على ترويج آرائنا ومواقفنا والحقائق الأساسية لقضيتنا .

٣ — عدم التجاوب الكافى من قبل الدول العربية لإمداد الجامعة العربية بالمواد الإعلامية الكافية أو بالإمكانيات الفنية لتسهل لها المهام المنوطة بها . هذه الأسباب الثلاثة تقدمها الجامعة العربية لتفسر العجز الإعلامى العام الذى ميّز ركودها فى الأشهر الأخيرة الماضية ، والكثير من فشلها السابق فى هذا المضمار . ورغم أن هذه التفسيرات تشكل أسبابا مخفضة للإخفاق الكامل إلا أنها لا تفسر كل شيء . هناك أسباب أخرى رئيسية ذاتية لتفسير إخفاق الجامعة وأجهزتها الإعلامية فى الدعوة العربية ، هى :

١ — الاستثمار السيء للكفايات البشرية والموارد المالية المتوفرة لدى الجامعة .

٢ — تعطيل الفعاليات الموجودة فى متاهات الروتين الإدارى الرث والتعليمات المالية المكبلة لأية مبادرة خلاّقة فى الحقل الدعائى .

٣ — عدم توفر جهاز مركزى للبحوث والدراسات يغذى باستمرار مراكز الدعوة فى الخارج . ويتضح من ذلك أنه بدلا من أن تقوم الأمانة

العامة بهذا الدور الأساسى أصبحت تسعى إلى تغذية نفسها عن طريق ما يرد إليها من مكاتبها الخارجية .

٤ — عدم وضوح الرؤية السليمة عن أهداف الدعوة العربية والافتقار إلى فلسفة إعلامية حديثة وعلمية وملتزمة .

٥ — انعدام التنسيق الضرورى بين الإدارات التى تتداخل اختصاصات أكثرها وتعمل بمعزل عن الأخرى مما يؤدى إلى ارتباك العمل وتعطيله .

ويستنبط الدكتور كلوفيس مقصود أسباب الفشل الذى منيت به الدعاية العربية فيقول : « إن الأسباب الكامنة فى جهاز الجامعة والخارجة عن نطاقها تفتح أمامنا مجالات واسعة لإعطاء الدلائل على المدى الذى أقعد الجامعة عن أداء مهامها فى المجال الدعائى . ولكننا الآن لسنا فى صدد التاريخ بقدر ما نحن فى حاجة إلى محاولة لاستنباط الحلول الفورية لأزمة الدعاية العربية فى الخارج حتى نتمكن من مقاومة تزايد النشاط الصهيونى فى هذا الحقل والتغلب عليه ؛ وإيجاد الأجواء الملائمة دولياً لإعادة فتح القضية الفلسطينية جديا على المستوى الوجدانى والسياسى والواقعى .

«ولابد لنا فى هذا المجال أن نفرق بين الإعلام العربى والدعوة العربية ، ورغم أن المجالين لا يتعارضان بل يتمان بعضهما البعض إلا أن الدعوة « أو الدعاية » لقضية هى غير الإعلام عنها . وإذا كان هذا التفريق صحيحا بشكل إجمالى فإن ضرورته تصبح أكثر إلحاحاً بالنسبة للظروف التى تكتنف قضايانا وللمراحل التى تمر بها .

« لقد كان الخلط بين الإعلام والدعوة ، أو الدعاية ، مسبباً فى كثير من المشاكل ومن سوء الفهم فى تحديد مهام أجهزة الدعوة العربية فى الخارج إذ أن السفارات العربية تصر على قصر مهام مكاتب الجامعة على الجانب

الإعلامى ، وكثيرا ما فقدت مكاتب الجامعة العربية قدراتها فى العمل وفوتت على نفسها فرصاً ثمينة للحوار والحركة عندما رضخت لضرورات ومستلزمات المجاملة والمراعاة لحساسيات السفارات العربية الناتجة عن منطق السيادة القطرية وضعف الالتزام القومى»[1] .

٦ — الفلسطينيون حرصوا على وطنهم وعلى اراضيهم حتى الاستشهاد :

وهنا لا بد من وقفة قصيرة عند مفهوم خاطىء لدى الكثيرين ، وهو أن شعب فلسطين هو الذى باع وطنه وأرضه .

أجل هناك كثيرون يعتقدون هذا القول الخاطىء ويتحدثون به ، بالرغم من بعده عن الحقيقة ، والواقع أن شعب فلسطين لم يبع وطنه أو أرضه مطلقا ، وإنما احتفظ بها بالرغم من موجات الإرهاب الاستعمارى لإرغامه على بيع أرضه ، وبالرغم من الإغراءات الكثيرة والأموال الضخمة التى عرضت على أفراده ، والتى فاقت حدود التصور .

فقد ذكر آخر تقرير رسمى لحكومة الانتداب البريطانى أن اليهود كانوا يملكون من أراضى فلسطين فى نهاية عام ١٩٤٧ ، أى عندما فرض التقسيم ، ٦¼ ٪ ليس إلا من مجموع أراضى البلاد ، فإذا عرفنا أن ٤ ٪ باعتها العائلات الإقطاعية وبعضها فى خارج فلسطين كسرسق، وبسترس ، والتيان ، والقبانى ، وسلاّم وغيرهم، يتبين لنا أن شعب فلسطين وفلاحيها المستوطنين والمستقرين فى بلادهم وأراضيهم لم يبيعوا أراضيهم بالرغم من المضايقات العنيفة والإغراءات .

ويكفى أن تعرف أن الفلاح كان يؤثر الاحتفاظ بدونماته القليلة من الأرض التى تعطيه دخلا سنويا لا يكاد يسد متطلباته المعيشية ، على أن يبيعها بألوف الجنيهات ، التى كانت تمكنه من العيش حياة سعيدة لو ارتحل إلى المدن أو إلى خارج البلاد .

---

(١) الأهرام فى ٢٩/٩/١٩٦٧ .

اضواء .. على الاعلام الاسرائيلى :

كم أرجو أيها القارىء العزيز أن نتدارس حقائق واقعية عملا بوصية المصطفى صلى الله عليه وسلم : « خذوا العلم من أى إناء » ، وأن نمارس مايتفق وطبيعتنا حتى نحقق تفوقا فى ميدان الإعلام . وأبرز لنا « أضواء .. على الإعلام الإسرائيلى » الدكتور منذر عنتباوى فى كتابه الذى أصدره مركز الأبحاث فى منظمة التحرير الفلسطينية ببيروت ، حيث تناول الإعلام وأهداف السياسة الخارجية الإسرائيلية ، الاستراتيجية العامـــة للإعلام الإسرائيلى ، والأدوات التنفيذية التى يستخدمها الإعلام الإسرائيلى .

ولنبدأ من المدخل بحقائق أقرب إلى صوت الرصاص :

إن الإعلام الإسرائيلى والصهيونى يزحف على مساحة العالم كله . وإن الحركة الصهيونية العالمية اهتمت بسلاح الإعلام منذ ولدت فى أول مؤتمر صهيونى عقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ .

وإن انحياز الرأى العام للصهيونية فى أوربا الغربية ، وأمريكا الشمالية ، يرجع تاريخه إلى ما قبل إسرائيل ، وانحيازه اليوم ليس إلا استمراراً لانحيازه القديم للصهيونية .

وإن الإعلام الإسرائيلى يبذل قصارى جهده لضمان استمرار ذلك الانحياز ، فوق أنه دائب النشاط نحو كسب قطاعات هامة وحيوية من الرأى العام فى العالم الثالث .

الاعلام .. والمخطط الصهيونى :

المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧ عقـد من إنشاء أجل وطن قومى يهودى فى فلسطين . ويومها أسفر المؤتمر عن برنامج عمل يهدف لإنشاء هذا الوطن ، معتمداً على أربعة بنود أهمها البند الثالث والخاص بإنشاء إعلام

صهيونى ، وهكذا وقف الإعلام الصهيونى فى طليعة الحلم الصهيونى وجنبا إلى جنب مع البنود الثلاثة الأخرى وهى :

١ — تطوير الاستيطان اليهودى فى فلسطين .

٢ — تنظيم يهود العالم فى مؤسسات صهيونية .

٣ — انتزاع تأييد الحكومات المختلفة لإنشاء الوطن القومى .

ويتضح ارتباط الإعلام الصهيونى بالهدف الصهيونى الأول ، عندما أسفر المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى نيويورك عام ١٩٤٢ عن برنامجه المعروف ببرنامج « بلتيمور » حيث برزت الدعوة رسمياً لإنشاء « دولة يهودية فى فلسطين كجزء لا يتجزأ من العالم الديمقراطى » .

الإعلام الصهيونى مشحون إذن ببرنامجى عمل أقرهما مؤتمران . والهدف : إنشاء وطن قومى لإسرائيل .

استراتيجية الاعلام الاسرائيلى :

طبقا لما تراه إسرائيل . . يتحقق هذا الهدف عن طريق خلق الإحساس لدى الرأى العام فى كل مكان ، بأن سلام العالم وأمنه ورخاءه ، إنما يرتبط إلى حد كبير ببقاء إسرائيل والمحافظة عليها .

وسياسة كسب الأنصار . . تنشط فى كل مكان من العالم . لا يهم أن تكون الحكومة صديقة لإسرائيل ، أو صديقة للعرب . . أو محايدة . واستمساكا بهذه العالمية . . تقوم سياسة كسب الأنصار على أساس دراسة عامة وعلمية للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى البلاد . . تتجه إليها ، وكذا المشكلات التى تعانيها والأمور التى تهم سكانها ، وخاصة أصحاب الرأى

والمكانة فيها ، ثم دراسة طبيعة العلاقات القائمة بين هذه البلاد وبين الدول العربية ، والخلافات الظاهرة والخفية بينهما .

وعلى ضوء هذه الدراسة . . يحدد الإعلام الإسرائيلي مدخلين إلى تلك البلاد : مدخلاً نظريا . . ومدخلاً تطبيقيا .

ثم يبدأ العمل ، وقد أصبحت استراتيجيته : ضمان وجود إسرائيل فى الخارج كضرورة عالمية .

الاهداف القومية لاسرائيل :

فى مارس عام ١٩٦٨ بعد أن استكملت إسرائيل احتلال فلسطين وسيناء ومرتفعات الجولان . . وقف أبا إيبان فى ندوة صحفية عقدها فى هولندا ، يقول : « إن أزمة الشرق الأوسط هى مشكلة بقاء إسرائيل ، وليست أزمة بقاء الدول العربية » . ومن قبل ذلك بسنوات خلت ، وفى ٢٨ نوفمبر عام ١٩٦٥ ، كتب البروفسور بنيامين أكرين أستاذ العلوم السياسية والقانون الدستورى فى الجامعة العبرية فى صحيفة جيروزاليم بوست يقول : « إن نقطة الارتكاز فى سياسة إسرائيل الخارجية يجب أن تكون ضمان وجود إسرائيل فى العائلة الدولية . أما معاهدات الصلح فإنها لاتضمن سلما دائما » . والضمان : هو أن تكون إسرائيل موجودة فى الخارج وعلى كافة المستويات وفى كل المجالات ليس فقط كضرورة يهودية . . و « غربية رأسمالية » ولكن أيضا كضرورة « شرقية اشتراكية » و « أمريكية لاتينية » و « آسيوية إفريقية » وتحاول الصهيونية أن تقنن وجودها على أرض فلسطين بالمزاعم الآتية :

١ — ادعاؤهم أن لهم حقاً فى فلسطين بناء على ما أسموه « أرض الميعاد » .

٢ — ادعاؤهم أن لهم حقاً فى فلسطين باعتبارها الوطن الأول للدولة اليهودية القديمة .

٣ — ادعاؤهم بأنهم اكتسبوا حقا فى فلسطين بناء على « وعد بلفور » .

٤ — ادعاؤهم بأن صك الانتداب البريطانى على فلسطين قد اعترف بحقهم فى فلسطين .

٥ — ادعاؤهم بأنهم اشتروا الأرض وأنشأوا مستعمرات زراعية فى فلسطين .

٦ — ادعاؤهم بأنهم أصحاب حق فى فلسطين بناء على قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ .

٧ — ادعاؤهم بأنهم استولوا على فلسطين ليرفعوا من شأنها وتقدمها .

الباب الثالث

دراسة تحليلية

وَعْد بِلفُور.. الانتِدابْ.. التقسِيمْ

أولا ـــ دراسات تحليلية لوعد بلفور

١ ـــ وعد بلفور ومعاهدة سايكس بيكو : Sykes—Picoul

لاريب أن لورنس المستشرق البريطاني قد أكد لنا نحن العرب أنه كان يعمل لصالح بريطانيا ووفقاً لأهداف صهيونية لتحقيق وعد بلفور، واستطاع أن ينتخب لبريطانيا العناصر المعتدلة للتعاون معها ومع زعماء الصهيونية فأعد لقاء بين وايزمن الزعيم الصهيوني وبين فيصل ـــ المرشح ملكا على العراق ـــ في القاهرة لتحقيق معاهدة سايكس / بيكو، ومن ثم يسهل على بريطانيا تحقيق وعد بلفور، بعد أن نجح هجارث في الحصول على تأييد من الحسين في مطلع عام ١٩١٨ . وكان فيصل عند حسن ظن بريطانيا وموضع ثقة وايزمن، إذ أكد بتصريحه لصديقته مسز أرسكين تأييد وعد بلفور، وتمخض هذا التصريح عن اتفاقية بين فيصل ووايزمن في ١٩١٩/١/٣ جاء في المادة الثالثة منها : « تقوم الدولة الفلسطينية بكل التدابير لتحقيق وعد الحكومة البريطانية في الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧ في دستورها وإدارتها »(١) . كانت هذه الاتفاقية هي السند القانوني الذي تقدم به وايزمن إلى لجنة التحقيق البريطانية عام ١٩٣٨ .

٢ ـــ الانسجام التام بين فيصل وزعماء الصهيونية :

بلغ الانسجام ذروته في خطاب فيصل إلى المستر فرانكفورتر ـــ القاضي والأستاذ بجامعة هارفارد، وعضو الوفد الأمريكي في مؤتمر الصلح والمتحدث الرسمي باسم الصهيونية الأمريكية ـــ في ٣ مارس ١٩١٩ جاء فيه : « إننا نعتبر العرب واليهود أبناء عمومة في الجنس وقد تعرضوا لاضطهادات على

---

(١) الهاشميون وقضية فلسطين للدكتور أنيس صايغ ص٦٩ .

أيدى قوى أقوى منهم . واستطاعوا لحسن الحظ أن يحققوا الخطوة الأولى نحو أهدافهم القومية ... فالحركة اليهودية قومية وليست استعمارية ، وحركتنا قومية وليست استعمارية ، ولكلينا مكان فى سوريا . بل إنى لا أظن أن لأى منا إمكاناً من النجاح بدون الآخر »(١) .

٣ — فيصل يسعى لتتويجه ملكا « يستجدى العرش من الامبريالية »(٢) :

كان فيصل يأمل تتويجه ملكا على سوريا ، ولكن سوريا بحكم التقسيم المقرر فى معاهدة سايكس — بيكو داخلة فى نطاق النفوذ الفرنسى . وكان لورنس يطمع — فيما لو استطاع فيصل أن يبنى لنفسه قوة شعبية فى سوريا — أن ينتزع سوريا من دائرة النفوذ الفرنسى ويحتفظ بها للنفوذ البريطانى . لكن كليمنصو رئيس وزراء فرنسا أصدر بيانه إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا باستمساك فرنسا بحقها فى سوريا طبقا لمعاهدة سايكس — بيكو ، ومن ثم ضرورة إبعاد فيصل عنها . وحاول فيصل محاولة أخيرة مع أمريكا أن توضع سوريا وأن يوضع عرشه معها تحت الوصاية والحماية الأمريكية ولكن وودرو ولسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وقتئذ لم يكن مهتما بالمشروعات الاستعمارية فرفض العرض .

٤ — عبدالله يتحرك للثار العربى من الفرنسيين فى سوريا :

وتفطن بريطانيا إلى خطورة زحف عبدالله لتحرير سوريا خصوصاً وأن فرنسا قد تظن أن بريطانيا هى المحرضة على ذلك ، فيصدر تشرشل قراره بأن يصبح الأمير عبد الله أميراً « حيث هو الآن » أميراً على عمان ، وهكذا قامت إمارة شرق الأردن .

---

(١) الأهرام فى ١٩٦٧/١/٢٠ .

(٢) « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » المائدة : ٥١ .

كما تقرر فى مؤتمر القاهرة عام ١٩٢٠ تتويج فيصل ملكا على العراق ، وتهدف من ذلك إلى :

١ — إرضاء الهاشميين الذين طردوا من سوريا .

٢ — الوفاء بمحادثات الحسين — مكماهون ، والتى عادت على الحلفاء وحدهم بالنفع .

٣ — إيجاد قوة عربية صديقة لبريطانيا بجانب فلسطين لتساعدها على تنفيذ وعد بلفور .

٤ — تقرير مبدأ التجزئة وتقسيم الوطن العربى حتى يمكنها السيطرة على الشرق الأوسط .

٥ — التركيب السياسى للحركة النضالية :

إن التركيب السياسى للحركة النضالية فى فلسطين يسلم مقاليدها لتكتل من الساسة المحترفين ، يتوزعون بين أحزاب ومؤسسات تختلف فى الأسماء ولكنها تلتقى كلها فى تزعيم أصحاب الوجاهات والأنساب ممن كانوا يمزجون بين النضال الوطنى والكسب الشخصى ، ولا يفرقون بين ولاء المواطنين فى الجهاد وعبودية العبيد فى أرضهم ، حتى كادوا لا يعرفون إذا ما كانوا يناضلون من أجل زيادة مكاسبهم أم يتكسبون لتغذية النضال .

مع هذا سلم الشعب مصيره السياسى لتلك الطبقة لأن وعيه السياسى لم يكن آنذاك قد تبلور تبلوراً يكفيه لأن يعرف كيف يفرض نفسه على السياسيين المحترفين : « لم تعد أصوات الجماهير هى التى تقرر خط السير الوطنى ، وإنما أصبحت أصوات الجماهير تساق وفقاً لإرادة السلطات الحاكمة وأصدقائها »[١] .

---

(١) من الميثاق للجمهورية العربية المتحدة .

وكان معظم العاملين فى الحركة السياسية من الطبقة ذاتها بحيث لم يكن للشعب أمل فى العثور على سياسيين عقائديين غير محترفين ، ومناضلين غير متكسبين ، ولأن طبيعة النضال واحتدام المعركة مع الصهيونيين والاستعمار وعملائها لم تكن تسمح للشعب بأن يثور على النظام السياسى ، وأن يخرق الذهنية التقليدية الموجودة منذ أجيال . ومضت عشرون سنة منذ اختيار المستشرق البريطانى لورنس لفيصل زعيما للثورة خلال الحرب العالمية الأولى . والشعب لم يتمكن بعد من التحرر من الأفكار التقليدية حتى ظهر سير رونالد ستورز زميل الكولونيل والمستشرق البريطانى لورنس ، ورأى الحاجة ماسة لصنع تاج فى فلسطين ، ولما لم تكن فرصة صنع تاج ميسرة صنع عمامة ، وكان أن اكتشف لها الحاج أمين الحسينى . فبفضل النسب الدينى العريق لآل الحسينى وسيطرتهم على الوظائف الإدارية والمناصب الدينية والقضائية فى عهد السلطان عبد الحميد ، كان الحاج أمين الحسينى يتمتع بنفس الحيثيات التى رشحت فيصلا من قبل .

ومن منصب الإفتاء انطلق أمين الحسينى إلى الزعامة الشاملة فى فلسطين ، وبالرغم مما بين فيصل والحسينى من اختلاف فى الطباع والشخصية والعقيدة ، إلا أنهما يتفقان فى أن ما أوصلهما إلى الزعامة أمران وهما :

١ — الوجاهة الدينية والاجتماعية :

فإن النسب الدينى لأسرة المصطفى صلى الله عليه وسلم يضفى على صاحبه مكانة فريدة وممتازة بين جمهرة المسلمين حتى فى وقت قريب .

٢ — رضاء صانع التيجان :

وصانع التيجان هو بريطانيا وهى صاحبة الحول والطول فى البلاد العربية وكان هذا الاختيار فى لحظة اشتبك فيها عرب فلسطين فى معركة حياة أوموت مع الصهيونيين والعملاء .

فلم تلبث زعامة الحسيني أن اتخذت طابعا أوسع من فلسطين ، إذ أصبح رمزاً لنضال ديني وروحي بوصفه قيما على الأماكن المقدسة في فلسطين ، وبالتالي لم يلبث أن أصبح أشهر زعيم عربي خارج القطر الذي ينتمي إليه ، ومن ثم فإن مصلحة الزعماء الذين جاءتهم الزعامة لاعتبارات الوجاهة والحسب والنسب كانت تتطلب منهم أن يحافظوا على الأوضاع القديمة ليحافظوا بالتالي على مراكزهم وعلى مقاعد الزعامة وسطوتها وامتيازاتها ، ووضح حرصهم على مراكزهم في دعوة الملك عبد الله لأصدقائه الصهيونيين في بلدة الشونة القريبة من القدس في ١٩٤٩/٣/٣٠ ، وكلف رئيس حكومته بالتحدث إلى الوفد رسميا وباسم الحكومة الأردنية ، فيقول توفيق أبو الهدى موجها كلامه إلى إيبان والملك صامت لا يتكلم : « أكلمكم باسم حكومة المملكة الأردنية الهاشمية ويحضر جلالة سيدنا ، وأرحب بقدومكم الذي نأمل منه كل خير لصالح البلدين .

« إذا ذكرنا الماضي نجد كيف تورط الأردن في الحرب ، والأسباب المباشرة كانت مدينة القدس القديمة ، ومحاولة قواتكم الاستيلاء عليها ، مما أدى إلى اشتباك الجيش العربي مع جنودكم اشتباكا فعليا . وما عدا ذلك لم تقع معارك من طرفنا .

« وتعلمون سعادتكم أن السياسة الأصلية التي سرنا عليها ، هي أن يقف الجيش العربي على حدود القسم العربي من فلسطين ولا يتعداه ولم يتعده بالفعل ، ولو أن تلك السياسة لم تقل أو تنشر ، إلا أنها كانت بالفعل مرسومة .

« ولم يكن هنالك ميل للحرب بالمرة ، ولا نية أكيدة ، ويمكنكم أن تقدروا صعوبة موقفنا في تنفيذ تلك السياسة المرسومة ، وفي الانحراف مع سياسة الدول العربية مجاراة لها وللتغطية فقط . . . والآن لن نتقيد بعد اليوم

بنصائح خارجية حتى ولا بالسياسة العربية ونرغب من كل قلوبنا أن نصل معكم إلى تسوية وصلح دائم . . . وإذا توافر لديكم حسن النية كما هو عندنا ، فلا شك بأننا سننهى كل المشاكل بما تمليه المصالح المشتركة وحسن الجوار بين بلدينا »[١] .

٦ — مولد وعد بلفور :

تحمس فريق من اليهود للدعوة إلى إيجاد وطن لليهود ، استهدافاً إلى تجديد كيان اليهود فى فلسطين ، على ما فى دعواهم من تناقض مع طبيعة الأمور والحقائق . والواقع أن مادفعهم إلى حرصهم على تجديد الكيان الإسرائيلى الروحى ، هو ما عاناه اليهود من حقد وضغينة وتجهم فى مختلف بلاد العالم ، وأممه الأخرى .

ومن هؤلاء إسرائيل زانجويل الذى ادّعى أن فلسطين وطن بلا شعب ، وهو بهذا الأسلوب قد تغابى عن حقائق قائمة ، منها أن فلسطين ليست بلاداً خالية من السكان أو هى منعزلة عن العالم أو متخلفة عن مثيلاتها من البلاد العربية التى تساهم بنصيبها فى بنيان نظام العالم وحضارته كما حاول الصهيونيون تصويرها إفكا وكذبا حتى استطاعوا أن يخدعوا العالم الغربى فحسب .

ومن هؤلاء أيضا ثيودور هرتزل الذى أراد أن يستند على حق قانونى ينتزعه من سلطان تركيا لتكوين مستعمرات يهودية بفلسطين .

ولما انكشفت مؤامرة هرتزل وفشل فى استمالة زعماء الأتراك المسلمين ،

---

(١) مذكرات عبد الله التل ص ٥٣١ .

وفى استمالة زعماء الألمان المسيحيين ، ولىّ وجهه شطر إنجلترا فى عـام ١٩٠٢
ولم يكن لإنجلترا فى ذلك الوقت علاقة بحكم فلسطين ولـكنها كانت قد احتلت
مصر قبل ذلك بعشرين عاماً ، وقد اقترح هرتزل على الحـكومة البريطانية
عدة اقتراحات لتـكوين الدولة اليهودية منها :

١ — استعمار الأرض المجاورة لفلسطين .

٢ — أو استعمار الأرض المجاورة للعريش فى الحدود المتاخمة لحـدود
فلسطين .

فلم يسع وزير المستعمرات البريطانية مستر « جوزيف تشامبرلين » والمعتمد
البريطانى فى مصر « لورد كرومر » إلا الرفض لمقترحات « هرتزل » خوفا من
إثارة ثائرة الشعب المصرى لوسمحت إنجلترا لليهود بذلك الاستعمار الصهيونى
لأرض مصرية ، فقد أبى الشعب المصرى عام ١٨٥٠ م أن يسمح للصهيونيين
أن يستعمروا أرض فلسطين حينما كانت تلك الأرض جزءاً من مصر .

وعلى الرغم من هذا الرفض فقد خطا المؤتمر الصهيونى المنعقد فى لاهاى
سنة ١٩٠٨ خطوة عملية : « إذ قرر تأسيس شركة للأراضى الفلسطينية ،
وتخصيص قرض يقدمه البنك الوطنى لبناء حى عصرى لليهود المهاجرين بالقرب
من « يافا » نواة مدينة « تل أبيب » ، كما قرر اعتبار اللغة العبرية لغة التخاطب
الرسمية للصهيونية » .

وفى ١٢ نوفمبر سنة ١٩١٥ أثناء قيام الحرب العالمية الأولى كتب الدكتور
حاييم وايزمن الزعيم الصهيونى إلى المستر سكوت رئيس تحرير جريدة مانشستر
جارديان رسالة جاء فيها : « إذا دخلت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطانى
ووفقت الحـكومة البريطانية على تشجيع إسكان اليهود فيها فإنه يمـكن أن

يصير لنا فى فلسطين خلال عشرين عاما أو ثلاثين عاما نحو مليون يهودى أوربا أو أكثر من ذلك فيشكلون حراسة عملية لقناة السويس » .

وفى ١٤ من أكتوبر سنة ١٩١٧ وجه وايزمن رسالة إلى وزارة الحرب البريطانية جاء فيها : « إننا نعلن لكم بصراحة واحترام أننا نترك مصيرنا الوطنى والصهيونى بين أيديكم آملين أن تنظروا إلى قضيتنا على ضوء مصالح الإمبراطورية » . وبعد أن نشرت هذه الرسالة أعلن ساسة الإمبراطورية البريطانية أن من مصلحة الإمبراطورية البريطانية أن تكون فلسطين يهودية . وهكذا يتضح أن مسألة خلق وطن قومى لليهود ليست إلا جزءاً من خطة استعمارية للسيطرة على الشرق العربى ، وليست إلا إسفينا أراد الاستعمار أن يدقه فى قلب العالم العربى للوصول إلى أهدافه .

وقد انتهى الاتفاق بين ساسة الإمبراطورية البريطانية وزعماء الحركة الصهيونية على أن تعلن الحكومة البريطانية عن وعد لليهود بإعطائهم فلسطين وطنا لهم ، وأن تقدم لهم المساعدات والمعونات بإنشاء دولة يهودية، وقد تحقق ذلك بإعلان الحكومة البريطانية تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ .

٧ — الدول الاستعمارية تؤيد وعد بلفور :

ولقى تصريح بلفور موافقة كل الدول الاستعمارية الأخرى ، فوافق الرئيس ولسن والحكومة الأمريكية على نص التصريح وعلى إصداره باسم بريطانيا ، كما أيدت فرنسا وإيطاليا التصريح بعد ذلك .

ولقد لقيت مسألة إنشاء دولة يهودية فى فلسطين موافقة الدوائر الاستعمارية الأمريكية منذ البداية ففى سنة ١٩١٩ أعلن الرئيس ولسن :

« أن الضرورة تقضى بأن تـكون فلسطين أساساً لـكومنولث[1] يهودى ».

وقال الرئيس هوفر : « إن موضوع تأسيس دولة يهودية ليستحق العطف والتشجيع الأدبى من الجميع » .

وقبل وعد بلفور بمائة عام كتب القنصل الأمريكى السابق فى تونس عام ١٨١٨ يقول : « إن القضاء على السيطرة التركية فى سوريا سيترتب عليه تحررهم « أى اليهود » وسيكون فى استطاعتهم السير مرة أخرى لامتلاك سوريا تحيط بهم هالات النصر » .

وهكذا توضح لنا حقائق التاريخ أن إنشاء وطن قومى لليهود كان يحظى بالتأييد الـكامل من جانب الاستعمار العالمى ، وأنه رغم أن عملية إنشاء هذا الوطن القومى كانت تنفرد فيها بريطانيا بدور رئيسى فإن الاستعمار الأمريكى — والذى كانت الحركة الصهيونية وثيقة الاتصال به — احتضن الحركة الصهيونية بشكل ثابت حتى ولادة دولة إسرائيل ، وليس هذا فحسب بل إن إسرائيل فى نظر الولايات المتحدة الأمريكية الولاية الحادية والخمسون .

٨ — الأحداث السياسية التى لازمت صدور وعد بلفور :

فى سنة ١٩١٤ أعلنت الحرب العالمية الأولى بين قوتين متنازعتين : الأولى تتزعمها ألمانيا وتركيا ، والثانية تتزعمها إنجلترا وروسيا وفرنسا . وكانت الإمبراطورية العثمانية تحـكم سوريا الـكبرى « الشام » والعراق والحجاز بالإضافة إلى مصر التى تتبعها اسميا رغم احتلال إنجلترا لها . وبمجرد إعلان الحرب فرضت بريطانيا حمايتها على مصر .

ولقد عانى العرب فى الشام والعراق والحجاز تعسف الحـكام الأتراك

---

(١) دولة حكومة Commonwealth .
a group of self — governing countries united unders one Central government, e. g. Australia .

أمثال القائد التركى جمال باشا الذى نصب المشانق وأعدم الكثير من أحرار الشعب وقادته فى ٦ مايو ١٩١٦ الذى عُرف بيوم الشهداء . وكان هذا اليوم نقطة تحول فى العلاقات بين تركيا والعرب ، جعلت الشعب العربى يثور للمطالبة بحريته واستقلاله . وكان من الطبيعى أن يعلن مساندته للحلفاء ، وكان الإنجليز أرحب صدراً وأبعد نظرا من الأتراك ، وتبودلت الرسائل بين الشريف حسين والمندوب السامى البريطانى فى مصر « السير هنرى مكماهون » حيث تم الاتفاق على وضع خطة للانتقام من تركيا ، نظير اعتراف إنجلترا باستقلال العرب من جبال طوروس شمالا إلى المحيط الهندى جنوبا .

وما كاد الحلفاء يدخلون أرض الشام بمساعدة العرب إثر ثورة عام ١٩١٦ حتى أخذ زعماء اليهود وأثرياؤهم ينتهزون الفرصة ليصلوا إلى ما يستطيعون من مكاسب ، وقد كسبوا « وعد بلفور » الذى حقق لهم أملا طالما رأوه بعيداً عن التحقيق .

٩ — منطوق وعد بلفور وتحليله :

« عزيزى روتشيلد . .

« يسرنى أن أبعث إليكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأمانى الصهيونية ، والذى عرض على الحكومة ووافقت عليه .

« تعتزم الحكومة البريطانية إقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل كل ما لديها من جهود لتحقيق هذه الغاية . . هذا مع العلم بأن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئا ينطوى على أى مساس بالحقوق الدينية والمدنية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ، ولا بحقوق اليهود الذين يعيشون فى دولة أجنبية أو نظام أحوالهم الشخصية .

« وأكون شاكراً لو تكرمتم بإبلاغ هذا التصريح إلى اتحاد الهيئات الصهيونية » .

إمضاء

٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ « جيمس أرثر بلفور »

ولندع كل هـــذه الظروف التي لابست ولادة وعــد بلفور لنناقش الوعد ذاته :

أولا : كل وعد يقتضى أن يكون لدينا واعد وموعود وموعود به . والواعد هنا هو بلفور أو إنجلترا ، والموعودون هم اليهود ، والموعود به هو فلسطين . هذا صحيح . ولـكن الوعد يقتضى أيضا أن يكون الواعد أهلا لما يعد به ، وقادراً على تنفيذه ، وهذا لايتأتى إلا إذا كان الواعد يمتلك الموعود به ، فإذا ما طبقنا هذا الشرط على بلفور أو إنجلترا وجدنا أن كلا منهما لم يكن يمـلك فلسطين باعتبارها الشيء الموعود به ، وفاقـد الشيء لا يعطيه ، ولقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن هذه الحقيقة فى رسالته إلى الرئيس الأمريكى الراحل جون كنيدى ، وقد جاء بهذه الرسالة : « لقد أعطى من لا يملك من لايستحق وعداً ، ثم استطاع الاثنان من لا يملك ومن لايستحق أن يسلبا صاحب الحق حقه فيما يملـكه وفيما يستحقه » . فالوعد إذن ينقصه عنصر هام وهو القدرة على تنفيذ ما وعد به ، ثم إن رسالة بلفور مجرد رسالة شخصية يعلن فيها رغبة إنجلترا ونيتها فى إقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ، إنها مجرد رغبة وهذه الرغبة لاتعطى اليهود الحق ، ولا يمكن أن تـكون لهم سنداً ، وعلى هذا نستطيع أن نقول إن وعد بلفور باطل وغير ملزم التنفيذ .

قد يكون الصهاينة حاولوا أن يكسبوا هذا الوعد صفة دولية حين طالبوا روسيا والولايات المتحدة وغيرها من الدول الأخرى بالاعتراف بما جاء فى رسالة بلفور ، ولـكن حتى هذا فإنه لم يحدث إلا بعد مدة من إصدار رسالة

بلفور ، ولم يتضح موقف هذه الدول بصورة قاطعة . . وحتى لو وافقت أو عارضت الدول ما جاء فى رسالة بلفور ، فإن هذا لا يغير من الواقع شيئا .

ثم للعرب حجة ، فقد وعدت إنجلترا العرب ممثلين فى شخصية الشريف حسين وابنه فيصل أن يساعدوهم فى الاستقلال بسوريا والحجاز ، وكان وعدها سابقا ولاحقا لوعد بلفور ، وجاء الوعد فى الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين ومكماهون ، ولاشك — مهما كانت الظروف — أن الشريف كان يمثل دولة لها كيانها ولها معالمها بعكس روتشيلد الذى لا يمثل أى دولة . لقد وعد الإنجليز الشريف حسين باستقلال العرب عن الدولة العثمانية وكان ذلك سنة ١٩١٦ . وعلى أساس الوعد قام العرب بثورتهم ضد العثمانيين وكانت ثورتهم عاملا كبيراً فى انتصار الحلفاء ، وحينما أحس العرب بخيانة إنجلترا وسوء نوايا الحلفاء ، قدم زعماؤهم فى مصر فى مارس سنة ١٩١٨ — وهو تاريخ متأخر عن وعد بلفور — مذكرة طالبوا فيها بأن تعلن إنجلترا حقيقة أغراضها فى فلسطين ، وردت وزارة الخارجية الإنجليزية تؤكد عزم إنجلترا على تنفيذ تعهدها للشريف حسين والاعتراف بسيادة العرب ، وأن يكون الحكم فى البلاد العربية وفقاً لرغبات الشعب العربى . وفى ١٧ فبراير ١٩١٨ أصدرت إنجلترا وفرنسا مذكرة تؤكدان فيها أن هدفهما هو تحرير الشعوب التى كانت ترزح تحت نير الاستعمار التركى .

معنى ذلك أن اعتراف إنجلترا بسيادة العرب على أرضهم سبق اعترافها بإقامة وطن لليهود فى فلسطين ، وإذا كان اليهود يقولون : إن وعد بلفور يلغى الأقدم أى يلغى ماجاء فى رسائل الحسين مكماهون فإننا نقول لهم : إن إنجلترا أكدت مرة أخرى وعودها للعرب

وكان ذلك بعد وعد بلفور أى سنة ١٩١٨ ، وبذلك يمكن أن نعتبر فى ذلك إلغاء لوعد بلفور .

ثانيا : نصت رسالة بلفور على « إقامة وطن للشعب اليهودى » :

فماذا يعنى بلفور وحكومته بتعبير « الشعب اليهودى » ؟ إن اليهودية كما ذكرنا من قبل دين سماوى شأنها فى ذلك شأن الدين الإسلامى أو الدين المسيحى ، وليس اليهود شعباً ، وإلا لكان فى العالم ثلاثة شعوب : شعب يهودى ، وشعب مسيحى ، وشعب إسلامى ... بالإضافة إلى الشعوب الأخرى التى تدين بالديانات الأخرى غير السماوية مثل البوذية والهندوكية والكنفوشيوسية .. ولكن الواقع غير ذلك ... إن العالم ينقسم إلى شعوب بناء على عوامل أخرى ومقاييس خلاف الدين . كالأصل والجنس والنشأة والموطن والعادات والتقاليد . وقد تدخل مجموعة من الشعوب تحت دين واحد ، فالشعب الأمريكى والشعب الإنجليزى وكذا الشعب الفرنسى والألمانى كلها تدين بالديانة المسيحية ومع ذلك فهى شعوب مختلفة ، والشعب العربى والشعب الباكستانى والشعب الإندونيسى وكذا الشعب التركى كلها شعوب مختلفة ، ولكنها جميعا تدين بدين واحد هو الإسلام .

فماذا يقصد بلفور بالشعب اليهودى ؟ هل يقصد كل من يدين بالديانة اليهودية ؟

أعتقد أن ذلك أمر مستحيل . فلا يعقل أن يجتمع بفلسطين أكثر من خمسة عشر مليوناً من اليهود لمجرد أنهم يدينون بالدين اليهودى !! وليس هناك جامعة من اللغة أو مصلحة تجمع بينهم كما هو الأمر فى الشعوب الأخرى . واللغة العبرانية ظلت لغة كتاب دينهم التى تجهلها أكثرية

اليهود الساحقة [١] ، وكل أمرها اليوم أنها تحاول إحياءها من جديد صناعياً وسياسياً إحياء لايمت إلى سبب قوى وعنصرى واقعى ، وفى فلسطين فحسب .

ومع ذلك فإنها مجهولة من كثرة كبيرة من يهود فلسطين ، وحالة يهود فلسطين ليست فى عمقها إلا حالة جماعات متغايرة فى الدم والعنصر والجنسيات والميول والثقافة واللغة والحياة الاجتماعية حشدت حشدا ، وليس بينها ذلك الانسجام الذى يقوم عادة بين أبناء الشعب « شعب واحد » ، وكثير منهم يود أن يعود من حيث أتى لو تيسر له السبب والأمن من إزعاج المنظمة الصهيونية ووسائل إرهابها مما لمسه كثير من المدققين فى حالتهم ، وكما تبين ذلك جليا أمام لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية .

ومن جهة أخرى فاليهود الأقدمون ليسوا سكان فلسطين الأصليين وإنما هم طارئون عليها ، ولم يملكوا فيها إلا جزءا ، ولم يدم ملكهم لها إلا أمداً قصيراً ، وأكثر إقامتهم فيها مرت بالفتن والقلاقل والاضطرابات والحروب مع سكان البلاد الأولين الذين ظلت فلسطين مكتظة بهم وظلوا محافظين على لغة أولئك السكان وعاداتهم ودياناتهم .

ولقد أثر سكان البلاد تأثيرا كبيرا فى اليهود فى مختلف أدوار إقامتهم فى فلسطين — قبل الميلاد — سياسياً واجتماعياً ودينياً كما يعترف تاريخ اليهود نفسه (٢) .

---

(١) «فى تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات وتصف كلام بنيهم باللسان الأشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى بل بلسان شعب وشعب » نحميا ١٣ : ٢٣ — ٢٦ .

(٢) « تقدم إلى الرؤساء قائلين لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأراضى حسب رجاساتهم من الكنعانيين والحثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموآبيين والمصريين والأموريين. لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس شعوب الأراضى . وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الخيانة أولا » عزرا ٩ : ١ ، ٢ .

وقد غادر اليهود فلسطين منذ ألفي سنة دون أن يتركوا فيها آثاراً ذات بال دينية أو عمرانية ، ثم أخذ العرب يقطنون أنحاء كثيرة منها ممتدين من بادية الشام والبلقاء وبلاد الغساسنة وتدمر والأنباط « البتراء » ثم كان الفتح العربي الإسلامي الأكبر في أوائل القرن السابع الميلادي وتوالت بعده الموجات العربية ، وامتزج السكان الأصليون بهم وصارت العروبة هي الطابع الوحيد لهذه البلاد .

والعرب ليسوا هم الذين طردوا اليهود من فلسطين وحلوا محلهم وامتلكوها منهم ، وإنما امتلكوها من البيزنطيين الذين أقروا الفتح بما عقدوه مع خلفاء العرب بعد ذلك من معاهدات وصلات سياسية وتجارية ، ولم يكن لليهود حين الفتح العربي أي كيان عدا عدد قليل منتشر في غير مدينة القدس ، التي اشترط بطريرك النصارى لتسليمها للخليفة عمر بن الخطاب عدم السماح لليهود بسكناها، وظل الأمر كذلك طيلة الحكم العربي الإسلامي بحيث لم يسجل التاريخ فيه — ومدته أكثر من ثلاثة عشر قرنا — وجود أكثر من بضعة آلاف من اليهود كانوا مندمجين في الدولة ومتمتعين بحمايتها وتسامحها ، وهكذا انقطعت صلة اليهود بفلسطين كشعب انقطاعاً تاماً منذ هذه القرون العديدة الضاربة في أعماق التاريخ وقبل الفتح العربي .

ويتضح من هذا وهن دعوى اليهود بأن فلسطين وطنهم وبأن من حقهم العودة إليها والاستيلاء عليها ، فضلا عن أن هذه الدعوى لا يمكن أن تستقيم أمام أي منطق بصورة عامة حتى ولو كانت الصلة التي تصل شعبا ببلاد غادرها أشد قربا ولحمة ؛ لأن هذا يعني انهيار نظام المجتمع الدولي انهياراً مستمراً لما طرأ أو يطرأ من تحولات وتطورات دائمة ونتيجة لأسباب متنوعة .

ومهما يكن من أمر فإن عروبة فلسطين أصح وأصدق وأقدم لأنها

امتداد لسكانها الأصليين الكنعانيين واليبوسيين ، فضلا عن أن اليهودية ليس لها خصائص شعب أو قوم أو عنصر ، وأنها ليست أكثر من نحلة دينية يصطبغ أتباعها بصبغة البلاد التى هم فيها قوميا وسياسيا واجتماعيا ولغويا ودماً أيضاً .

ثالثا : مما لا شك فيه أن وعد بلفور لا يتفق مع المبادىء التى نادى بها الرئيس الأمريكى ولسن .

ومن أهم مبادىء الرئيس ولسن ما يلى :

١ — حق كل دولة فى اختيار الحكم الذى يلائمها .

٢ — حق الشعب أن يختار بنفسه وبحرية نظام الحكم الذى يريده ويرتضيه .

٣ — حق كل أمة أن تختار الطريق الذى تريده دون أى تأثير من دولة أخرى . ولقد أكد ولسن آراءه أكثر من مرة ، وكان مما جاء فى خطاب ألقاه يوم ٤ يوليو سنة ١٩١٨ : « إننا لا نريد إلا سيادة الحق القائم على رضاء المحكومين أنفسهم » . ولقد كان العرب محكومين من العثمانيين ، وكان مايرضى العرب هو استقلالهم . وقد أعلنوا ذلك أكثر من مرة ، أعلنوه حين عقدوا مؤتمراً لهم فى دمشق سنة ١٩٢٠ وأعلنوا فيه استقلال سوريا بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين ، ورفضوا أن يأخذ الصهاينة أى شبر منها ، كما رفضوا بقاء الجيوش الإنجليزية أو الفرنسية فى الأراضى العربية ، ولم يوافقوا على الانتداب الإنجليزى أو الفرنسى على الدول العربية وهم بكل تأكيد وبإجماع لم يرضوا عما جاء فى رسالة بلفور ، إذ لا يتفق ما جاء بها مع حق تقرير المصير الذى أعلنه ولسن ! !

رابعا : مساعى الصهيونية العالمية لمولد وعد بلفور :

يوضح المستر لويد چورچ Lloyd George الظروف والملابسات التى خرج فيها التصريح إلى الوجود ، فيقول فى سياق شهادته التى أدلى بها أمام اللجنة الملكية لفلسطين — وكان لويد چورچ رئيسا للوزارة البريطانية : « كان إعلان تصريح بلفور أمراً اقتضته موجبات الدعاية » . ويشرح الموقف الذى كان يحيق بدول الحلفاء فيقول : « كانت معنويات الجيش الروسى قد أخذت فى الانحلال ، ولم يكن فى وسع الجيش الفرنسى آنئذ أن يقوم بهجوم واسع المجال ، وكان الإيطاليون قد فشلوا فشلا مروعا فى موقعة كابوريتو ، كما أن الغواصات الألمانية كانت قد أغرقت ما تبلغ حمولته ملايين الأطنان من السفن البريطانية ، ولم تكن الفرق الأمريكية قد وصلت بعد إلى الخنادق . وفى تلك الحالة الحرجة ساد الاعتقاد بأن اكتساب عطف اليهود أو مناوأتهم قد يكون له أثره الفعال فى توجيه كفة الميزان نحو قضية الحلفاء أو ضدهم ، ثم إن عطف اليهود من شأنه على الأخص أن يضمن معاضدة اليهود فى أمريكا ويجعل من الصعب على ألمانيا تخفيض قواها العسكرية وتحسين وضعها الاقتصادى فى الميدان الشرقى » .

وأضاف لويد چورچ : « إن الزعماء الصهيونيين قطعوا لنا وعداً أكيداً مآله أنه إذا أخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فإنهم — أى الزعماء — سيعملون كل ما فى وسعهم لإيقاظ عاطفة اليهود فى كافة أنحاء العالم وتأليبهم لمعاضدة قضية الحلفاء ... وقد بروا بوعدهم هذا ... » .

ويؤيد لويد چورچ فى وجهة نظره البروفسور الدكتور أرنولد توينبى[1] ، فقد علل صدور وعد بلفور بقوله[2] : « عامل سياسى آخر أظهرته

(١) هو المؤرخ البريطانى المشهور وأستاذ الدراسات الدولية فى جامعة لندن ومدير المعهد العلمى الملكى البريطانى للأبحاث الدولية .

(٢) دراسة فى التاريخ A Study of History

الحرب العالمية الأولى فى الميدان هو التنافس بين المتحاربين على كسب ود اليهودية العالمية ، فإن كسب التأييد اليهودى — بل — وأكثر من ذلك تجنب العداوة اليهودية كان أمراً على جانب عظيم من الأهمية للفريقين ؟ ومع أن تحرر اليهود النفسى فى منفاهم فى الغرب كان قد قطع شوطا بعيدا فى تقدير أصوات اليهود ومنحها وزناً هاماً بل وربما حاسما فى ميزان القوة الدولى المضطرب، لقد أصبح اليهود الآن قوة يحسب حسابها فى الحياة السياسية القومية لدى دول وسط أوربا وغربها على السواء ، وفى الولايات المتحدة كانت قوتهم لا تزال على مدى أوسع كثيراً ، وقد بلغ نفوذ يهود أمريكا مداه فى أعين المحاربين فى أوربا الذين بدأوا يتحققون أن الكلمة الأخيرة فى النزاع تنطق بها أمريكا ، وأن هذه الكلمة الأمريكية الأخيرة قد تتأثر بصورة ملحوظة بآراء المواطنين من يهود أمريكا » .

ثم يصف السباق بين الطرفين المتحاربين وينتهى إلى القول بأن التصريح كان الورقة الرابحة فى أيدى البريطانيين وحلفائهم .

لقد صدر التصريح نتيجة لجهود طويلة بذلها عدد كبير من زعماء اليهود ، ويأتى فى مقدمة هؤلاء اثنان كان لهما دور خطير أدى إلى إصدار التصريح ثم إلى تحقيق الأمل الكبير لليهود . . والاثنان هما :

١ — هربرت صموئيل الذى عين أول مندوب سام فى فلسطين .

٢ — حاييم وايزمن .

فالأول أصدر كتابه المسمى « ذكرى Memoir » وكتب فيه فصلا كاملا تحت عنوان « مسألة فلسطين ١٩١٤ — ١٩٢٠ » .

والثانى أصدر كتابه المسمى « تجربة وخطأ Trial and Error» وتحدث فيه عن جهوده من أجل تحقيق إقامة الدولة اليهودية .

ومن معالم ما ذكره الأول « هربرت صموئيل » :

١ — « كانت الصهيونية تعمل على نشر الفكرة وإنجاح البداية العملية لعودة اليهود إلى فلسطين ».

٢ — « اتصلت بالدكتور وايزمن الذى أصبح أحد زعماء المنظمة الصهيونية البارزين وحصلت منه على مطبوعاته وقرأتها بعناية ، وكلما ازددت قراءة لها ازددت تأثراً بنفوذها الروحى الذى أنمش بجلاء الحركة الصهيونية » .

٣ — «تحدثت مع مستر إدوارد جراى فى ٩نوفمبر حول مستقبل فلسطين، وقد ذكرت خلال الحديث أن موضوع مستقبل السيطرة على فلسطين قد يثار ، وأن اختلافات الدول الأوربية الكبرى قد تجعل من الصعب تخصيص فلسطين لواحدة منها . ولعل الفرصة سنحت لتنفيذ أمانى الشعب اليهودى القديمة وإعادة إنشاء دولة يهودية فيها . . إن تأسيس الدولة سيكون له تأثير على الملايين من الشعب اليهودى المشتتين فى عديد من بلاد العالم . . وإن النفوذ الإنجليزى يجب عليه أن يقوم بدور هام فى تأسيس مثل هذه الدولة لأن وضع فلسطين الجغرافى وقربها من مصر يجعل صداقتها لإنجلترا أمراً له أهميته للإمبراطورية البريطانية » .

٤ — « إن ضم فلسطين إلى الإمبراطورية البريطانية مع تشجيع الاستعمار اليهودى والتقدم الثقافى عمليا هو أحسن حل » .

ويقول الدكتور حاييم وايزمن :

١ — « لولا المشورة التى كان يقدمها لنا رجال مثل سير سايكس Sykes ولورد روبرت سيسل فى وقت لم تكن لنا فيه خبرة فى المفاوضات الدبلوماسية الدقيقة لارتكبنا دون شك أخطاء كثيرة .. لقد كان السير «رونالد جراهام» راغبا فى أن يرى شيئا يعمل للشعب اليهودى . . أما « ليوبولد أمرى » فهو

الذى أكد أهمية فلسطين اليهودية فى تنسيق شئون بريطانيا الاستعمارية . . .
ولا أستطيع أن أفى خدمات سايكس حقها من القول فهو الذى أرشدنا فى
عملنا إلى مداخل ومخارج أبعد مدى فى صبغتها الرسمية » .

٢ — « فى ربيع سنة ١٩١٦ زرت الصهيونى « تانشيستر » ثم ذهبت إلى
لندن وتحدثت إلى رئيس الاتحاد الصهيونى الإنجليزى وقررنا أن ننشر كتابا
صغيراً عن الصهيونية ، وكانت العقبة التى تقف فى سبيل نشره هى المال . وقد
أعطانا البارون إدموند المال « ٢٥٠ جنيها استرلينياً » فعهدنا بإخراج الكتاب
إلى « ليون سيمون » ، وظهر الكتاب باسم « الصهيونية والمستقبل اليهودى »
وكتبت أنا مقدمته ، ومما يدعو إلى الاستغراب أنه نفد بسرعة . وكان علينا
أن نعيد طبعه ، ولم يشتر الكتاب اليهود فحسب ، فقد كان الاهتمام عظيما
بالموضــوع ، وخاصة بعد التقريظ الذى وضعه اللورد كرومر فى صحيفة
اسبكتاتور Spectator » .

٣ — « تألفت أول لجنــة لنا سنة ١٩١٦ فى يناير « كانون الثانى »
وعملت اللجنة بالتشاور التام مع روتشيلد ، وهربرت صموئيل ، ثم تأسست
اللجنة الفلسطينيــة الإنجليزية التى قامت بدور هام فى إيجاد رأى عــام
يعطف علينا » .

٤ — « إن الصهيونية كانت تمر بسرعة من طور الدعاية الأولية والبحث
النظرى إلى الحقائق العملية ، ومنذ سنة ١٩١٦ كان الموضوع بين أخذ ورد
فى حكومات أوربا . وقد أعطى مستر « إدوارد جراى » تعليماته إلى سفير
بريطانيا فى روسيا لجس النبض « نبض الحكومة الروســية » فى مسألة
الاستعمار اليهودى فى فلسطين ، وحوالى شهر يناير سنة ١٩١٧ قدمت مذكرة
للسير « ماركس سايــكس » أعدتها لجنتنا ، وعقدت معه عدة مؤتمرات ،

وسميت المذكرة « خلاصة برنامج لإعادة الاستعمار اليهودى لفلسطين يتفق وأمانى الحركة الصهيونية » .

٤ — « فى شهر يناير ذهبت بصحبة سير رونالد ولورد روتشيلد لمقابلة بلفور ، وعرضنا عليه بوصفه وزيراً للخارجية أن الوقت قد حان لكى تصدر الحكومة تصريحاً نهائياً بالتأييد والتشجيع ، وقد وعد بلفور أن يفعل هذا ، وطلب إلى أن أقدم له تصريحا نرضى عنه وسيحاول هو أن يقدمه لوزارة الحرب .

«وقد وضع سوكولوف مسودة المشروع وقدمت إلى بلفور فى ١٩١٧/٧/١٨ وفى ٢ نوفمبر ١٩١٧ وبعد إجراء مباحثات نهائية فى وزارة الحرب أصدر بلفور كتابه الشهير ، وبينما كانت الوزارة مجتمعة لتصادق على النص النهائى كنت وقتئذ أنتظر خارج مكاتبها فحضر إلى سايكس قائلا : « إنه غلام يادكتور وايزمن».

أما مشتملات المذكرة التى قدمها وايزمن إلى سير سايكس فتحتوى على خمس مواد من أهم ما جاء فيها :

١ — يجب الاعتراف رسميا بإسكان اليهود فى فلسطين كأمة يهودية .

٢ — يجب أن يمنح يهود فلسطين كل تسهيل للحصول على الجنسية وشراء الأرض .

٣ — يجب أن تشكل شركة يهودية لاستعمار فلسطين تكون مهمتها :

(أ) تغذية الاستعمار اليهودى بكل وسيلة ممكنة .

(ب) تشجيع الهجرة وتنظيمها .

(ح) النهوض بفلسطين زراعيا وثقافيا وصناعيا وتجاريا .

(د) تسهيل حيازة أراضى الحكومة وحق بناء الطرق والسكك الحديدية والموانىء .

٤ — يجب أن يمنح يهود البلدان الأخرى كامل الحق فى الهجرة إلى فلسطين .

٥ — يجب إبداء الرأى عند تعيين حاكم وهيئة موظفين لإدارة فلسطين .

* * *

كما سبق أن أعلن الزعيم الصهيونى « إسرائيل زانجويل»[1] بعد مؤتمر بال لعام ١٨٩٧ بمدة قصيرة ادعاءه « بأن فلسطين وطن بلا شعب ، فيجب أن تعطى لشعب بلا وطن ، وأن من واجب اليهود فى المستقبل أن يضيقوا الخناق على سكان فلسطين العرب حتى يضطروهم إلى الخروج منها » .

١٠ — تحقيق الاهداف الصهيونية نتيجة تصريح بلفور :

كان التصريح نقطة تحول هامة فى تاريخ الحركة الصهيونية ، وذلك لأنه جعل اليهود يشعرون بسهولة تحقيق فكرة الوطن القومى ، كما أنه أزال الخلاف فى وجهات النظر حول مكان الدولة اليهودية المنتظرة .

ولقد أخذت المجهودات الصهيونية طابعا عمليا لإقامة الدولة فى فلسطين

One of their leaders; Israel Zangwill, stated "Palistine (1) is a country without people . It must be given to people without country .

"It is up to the Zionists , henceforth to make life a burden on Arabs of Palestine and thus compel them to go away " .

وبهذا الأسلوب وغيره استطاعوا أن يصوروا فلسطين لكثير من الشعوب فى إنجلترا وأمريكا وغيرها منذ السنين الأولى التى أعقبت الاحتلال البريطانى بل وقبله بكونها بلادا شبه خالية إلا من قبائل بدوية بدائية .

عقب هذا التصريح ، وساعدت بريطانيا اليهود ومهدت أمامهم الطريق وأمدتهم بكل المعاونات والتسهيلات لكى يحققوا أملهم المنشود وهدفهم الكبير .

وبالرغم من التبريرات المتعددة التى قيلت عقب صدور التصريح فإن التصريح يعتبر طعنة وجهتها بريطانيا إلى الوطن العربى الذى كان يأمل فى الحصول على استقلاله كاملا عقب انتصار الحلفاء فى الحرب بمؤازرة العرب .

ونسجل تقريراً للورد اللنبى لوزير الحربية يقول فيه : « لا أملك نفسى عن توجيه عاطر الثناء إلى سمو الأمير فيصل على إخلاصه القلبى وماقدمه الجيش العربى من مساعدة كبيرة للحلفاء فى الحصول على نتائج فاصلة فى الحرب » .

كان زعماء العرب لا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة ومن ثم استطاع خبراء السياسة الإنجليزية أن يعبثوا بهم فأضلوهم وأعطوهم الوعود ومنوهم بالآمال، وعندما أصبح الموقف فى أيديهم غدروا بهم وسلبوهم حياتهم ، بل سلبوهم ما هو أغلى من حياتهم، سلبوهم أرض فلسطين ، وسلبوهم استقلال الوطن العربى بأسره ووقفوا حائلا بين الأمة العربية ونهضتها حتى تظل ضعيفة هزيلة خاضعة للسيطرة المفروضة عليها مقيدة بالسلاسل لا تستطيع الانطلاق ولا السير .

ثانيا — دراسات تحليلية للانتداب

١ — الانتداب البريطانى على فلسطين :

فى ١٨ يونيو ١٩١٩ تم التوقيع فى مؤتمر فرساى على ميثاق عصبة الأمم الذى ينص فى المادة الثانية منه على ما عُرف بصك الانتداب الذى قام بصياغته ووضع نصوصه ومواده « بنيامين كوهين » اليهودى الأمريكى بمعاونة « كيرزون » سكرتير وزير الخارجية البريطانى . وجاء فى مقدمة هذا الصك : « إن دول الحلفاء قد وافقت على وعد بلفور وعلى أن تكون الدولة المنتدبة

مسئولة عن تنفيذه ، اعترافا بالصلة التاريخية التى تربط الشعب اليهودى بفلسطين ». وفى ٢٠ من إبريل عام ١٩٢٠ أقر مؤتمر سان ريمو San Remo[1] وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى على أن تلتزم بريطانيا تنفيذ وعد بلفور ، وكان انتداب بريطانيا بناء على رغبة الصهيونيين . وأذاع ملك بريطانيا رسالة إلى شعب فلسطين فى ٧ يوليو ١٩٢٠ جاء فى مقدمتها : « إن الدول المختلفة التى نالت الفوز الباهر فى هذه الحرب قد أودعت بلادى أمر الانتداب على فلسطين لكى تسهر على صوالحها وتكفل لبلادكم العمران السلمى الذى طالما كنتم تنشدونه » ، وجاء فيها : « ولا يخفى عليكم أن الدول المتحالفة والمشتركة قد قررت أن تتخذ التدابير لتضمن تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين بالتدريج ، وهذه التدابير لن تؤثر قطعيا على حقوق الأهالى الدينية والمدنية ولن تنقص من الرقى لعموم طبقات الشعب الفلسطينى » . وعند عقد معاهدة سيفر Sevres فى ١٠/٨/١٩٢٠ أدخل وعد بلفور ضمن نصوص المعاهدة وعرض على تركيا فقبلته ، ولو أن حكومة الثورة فى تركيا رفضت الاعتراف بهذه المعاهدة بعد قيام الثورة وبعد توقيع معاهدة لوزان .

٢ — الانتفاضة العربية ضد خدعة بريطانيا :

ووقفت الأمة العربية كلها مع أحرار شعب فلسطين ، وتكونت لجان الدفاع عن فلسطين ، وانضم إلى الثوار أعداد ضخمة من

---

(١) عقدت «اتفاقية» سايكس — بيكو » سراً بين إنجلترا وفرنسا عام ١٩١٦ وكانت تنص على أن :

(ا) تستولى فرنسا على سوريا وجنوب الأناضول والموصل .

(ب) تستولى إنجلترا على المناطق الواقعة من الخليج العربى إلى العريش تشمل : العراق ، وشرق الأردن ، وفلسطين .

(ج) تقام فى الأماكن المقدسة بفلسطين إدارة دولية خاصة .

(د) تستولى روسيا على القسطنطينية والمناطق المحيطة بالبوسفور .

العرب خارج حدود فلسطين . ولما فشلت السلطات فى إيقاف الثورة طالب عشرون نائبا بريطانيا بوجوب العدول عن التجزئة والاستجابة الفورية لطلبات العرب ، وعقد حزب الأغودات اليهودى مؤتمرا فى لندن دعا فيه إلى رفض إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، وضرورة الاتفاق مع العرب . واجتمع عدد من اليهود غير الصهيونيين فى واشنطن ووصفوا التقسيم بأنه حل غير عادل ، وصرحوا بأن فكرة الدولة اليهودية غير عملية ويجب العدول عنها .

وإزاء هـذه المواقف كلها خضعت الحكومة البريطانية واستسلمت وأصدرت فى ٩ / ١١ / ١٩٣٩ بيانا أعلنت فيه عدولها عن التقسيم فى ضوء تقرير لجنة « وود هيد » الذى جاء فيه : « إن إعلان سياسة التقسيم قد حول الاضطرابات فى فلسطين إلى ثورة قومية مسلحة ساهم فيها العرب المقيمون فى بعض الأقطار العربية . . إن اقتراح تقسيم البلاد انقلاب خطير لا يجوز أن يجريه الأوصياء من دون موافقة شعب فلسطين الذى هو ليس بالساذج المفتقر إلى الوصى ولا بالعاجز عن اتخاذ قرار سليم بهذا الشأن » .

ويهمنا فى هذا المجال أن نشير إلى ما جاء عن فلسطين فى تقرير اللجنة الأمريكية التى أطلق عليها لجنة « كنج كرين » King—Craner: « لا ينبغى لمؤتمر الصلح أن يتجاهل أن الشعور ضد الصهيونية فى فلسطين وسوريا بالغ أشده ، وليس من السهل الاستخفاف به فإن جميع الموظفين الإنجليز الذين حادثتهم اللجنة يعتقدون أن البرنامج الصهيونى لا يمكن تنفيذه إلا بالقوة المسلحة ، ويجب ألا تقل هذه القوة عن خمسين ألف جندى ، وهذا فى ذاته برهان واضح على ما فى البرنامج الصهيونى من الإجحاف بحقوق غير اليهود . لابد من الجيوش فى بعض الأحيان لتنفيذ القرارات ولكن ليس من المعقول أن تستخدم الجيوش لتنفيذ قرارات جائرة، هذا فضلا عن أن مطالب الصهيونيين

الأساسية فى حقهم على فلسطين مبنية على كونهم احتلوها منذ ألفى سنة وهذه دعوى لا تستوجب الاكتراث والاهتمام . . . وهناك أمر لا يجوز إغفاله إذا كان العالم يريد أن تصير فلسطين هى الأرض المقدسة عند اليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء ، يهم أمرها ملايين من المسيحيين والمسلمين فى العالم ولاسيما ما يتعلق من تلك الأحوال بالعقائد الدينية والحقوق . فمسألة فلسطين ومايتفرع منها مسألة دقيقة حرجة ، ومن المستحيل أن يرضى المسلمون والمسيحيون بوضع الأماكن المقـدسة تحت رعاية اليهود مهما حسنت مقاصدهم .

« والسبب فى ذلك هو أن الأماكن التى يقدسها المسلمون غير مقدسة عند اليهود بل مكروهة ، ولايستطيع المسيحيون والمسلمون فى هذه الأحوال وضع تلك الأماكن تحت إشراف اليهود .

« ثم هناك أماكن أخرى لها فى نفوس المسلمين مثل هذا الشعور ، ولما كانت هذه الأماكن مقدسة ومحترمة من المسلمين كانت وصايتهم عليها فيما مضى أمراً طبيعياً . فالذين يطلبون صيرورة فلسطين يهودية لم يحسبوا للنتائج حسابها ولا للشعور العدائى ضد الصهيونية فى فلسطين وفى جميع أنحاء العالم التى تعتبر فلسطين أرضاً مقدسة .

« وبناء على ما تقدم تشعر اللجنة مع عطفها على مسألة اليهود أن الواجب يقضى عليها بأن تشير على المؤتمر بألا يؤيد غير برنامج صهيونى معتدل يجب العمل فيه بالتدريج ، وبعبارة أخرى يجب تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والعدول بتاتا عن الخطة التى ترمى إلى جعـــل فلسطين دولة يهودية » .

هذا هو ماجاء فى تقرير اللجنة التى بعث بها الرئيس ولسن بقصد « جمع المعلومات وإسداء النصح لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية وممثليها لكى يتمكنوا من الاطلاع اطلاعاً كافياً على القضايا التى يطلب البت فيها » .

ولكن مع الأسف[1] لم يحدث هذا التقرير أقل تأثير فى مجرى الحوادث حتى أن الرئيس ولسن نفسه والساسة الأمريكيين لم يأبهوا لما جاء فيه بل أخذوا برأى لجنة الشرق الأدنى فى دائرة الاستخبارات الأمريكية[2] الذى رأى دعوة اليهود إلى فلسطين والاعتراف بها كدولة حالما تشكل هذه الدولة .

٣ — المؤامرة الامبريالية الصهيونية فى سطور :

٢ نوفمبر عام ١٩١٧ وعد بلفور ، وموافقة الرئيس ولسن عليه .

١٤ فبراير عام ١٩١٨ موافقة فرنسا على وعد بلفور .

٩ مايو عام ١٩١٨ موافقة إيطاليا على وعد بلفور .

١٨ يونيو عام ١٩١٩ ميثاق عصبة الأمم ، والموافقة على وعد بلفور .

٢٠ أبريل عام ١٩٢٠ معاهدة سان ريمو ووضع فلسطين تحت الانتداب .

١٠ أغسطس عام ١٩٢٠ معاهدة سيفر وإدماج وعد بلفور بها .

٢٤ يوليو عام ١٩٢٢ موافقة عصبة الأمم على صك الانتداب ،

٣ ديسمبر عام ١٩٢٤ موافقة أمريكا على صك الانتداب .

---

(١) قضية فلسطين — الدكتور نجيب صدقة — طبعة بيروت عام ١٩٤٦ .

(٢) Intelligence Section.

٤ — نضال الاحرار العرب كرد فعل للمؤامرة الامبريالية الصهيونية :

١ — ٨ مارس عام ١٩٢٠ مؤتمر دمشق — تأكيد قرارات مؤتمر بلودان للجنة كنج كرين سنة ١٩١٩

٢ — ٧ يوليو عام ١٩٣٧ مؤتمر بلودان — مواجهة لجنة « بيل » بمطالب عربية .

٣ — ٨ سبتمبر عام ١٩٣٧ مؤتمر بلودان — إعلان قرارات المؤتمر كاحتجاج على معاهدة سان ريمو .

٥ — الاحداث تسير فى صالح الصهيونية العالمية :

قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ فتجمد نشاط العرب بينما ازداد نشاط اليهود الذين استغلوا نفوذهم الكبير فى بريطانيا وأمريكا ، ودفعوا بالمسئولين إلى تحقيق تهويد فلسطين .

ودخلت أمريكا ميدان المشكلة تحت تأثير النفوذ اليهودى الذى نجح فى إثارة الاهتمام بالقضية ، فصدر فى مايو عام ١٩٤٣ بيان أمريكى يعلن موافقة أمريكا على قيام دولة يهودية فى فلسطين ، ورفضها للكتاب الأبيض الذى صدر عام ١٩٣٩ ، وتصميمها على إطلاق الهجرة اليهودية بدون حدود ، وعلى إنشاء جيش يهودى .

إن هذا البيان يعرف باسم « قرار بلتيمور » .

وفى ٣١ من أغسطس عام ١٩٤٥ بعث الرئيس ترومان رسالة إلى الوزير البريطانى أتلى يؤيد فيها فتح أبواب الهجرة إلى فلسطين لليهود النازحين من ألمانيا والسماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودى .

وفى ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ طلب الوزير البريطانى بيفن إشراك الولايات المتحدة فى حل قضية فلسطين ، فشكلت لجنة من الدولتين لدراسة القضية وقررت هذه اللجنة السماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودى فى الحال .

وغضب العرب لهذا القرار وعقدوا مؤتمرا فى بلودان فى ١٢ يونيو عام ١٩٤٦ ، وطالبوا بالدخول فى مفاوضات مع بريطانيا لإنهاء الوضع القائم على أساس ميثاق الأمم المتحدة وحقوق العرب فى البلاد . وتحدد يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ موعداً لعقد مؤتمر لندن . . وقرر وزراء الخارجية العرب عدم الاجتماع مع مندوب إسرائيل على مائدة واحدة وعدم قبول أى مشروع يهدف إلى التقسيم وعدم قبول تدخل الولايات المتحدة .

وبالنسبة لأهمية المذكرة التى بعثت بها الحكومات العربية بناء على قرار مجلس جامعة الدول العربية المنعقد فى بلودان فى ١٢ يونية سنة ١٩٤٦ فإننا نلخص فيما يلى ما جاء بهذه المذكرة :

١ — لا مبرر على الإطلاق لتشكيل لجنة إنجليزية أمريكية لدرس قضية فلسطين وخاصة أن القضية درست دراسة وافية من قبل لجان متعددة .

٢ — الحكومات العربية ترى أن بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على فلسطين هى المسئولة عما يقع من إهدار لحقوق العرب «عرب فلسطين» السياسية والمدنية ، وأنه ليس هناك مسوغ قانونى يبيح تدخل أمريكا للتأثير على الوضع القائم فى فلسطين .

٣ — الانتداب على فلسطين باطل من أساسه ، فإن تصريح بلفور الذى تضمنه صك الانتداب وما نجم عنه من حرمان عرب فلسطين من التمتع بحقوقهم السياسية والمدنية جاء مناقضا للفقرة ٤ من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم.

٤ — إن الحكومة البريطانية قد فسرت معنى الوطن القومى فى مناسبات مختلفة أهمها الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ والرجوع عن هذا التفسير يعتبر تحديا لحقوق العرب المشروعة .

٥ — واجب على الحكومة البريطانية أن توقف الهجرة فوراً وأن تقصى كل المهاجرين الذين دخلوا البلاد عنوة ، وإلى أن يتم هذا فلا يجوز أن يتمتعوا بالحقوق السياسية التى للرعايا الفلسطينيين .

عقد مؤتمر لندن فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ واستمر حتى ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٦ وقدمت بريطانيا مشروع موريسون الذى يرى إنشاء دولة فيدرالية من العرب واليهود تحت إشراف بريطانيا ، ورفض المندوبون العرب هذا المشروع ، وتقدموا بمشروع يقضى بقيام دولة مستقلة وتكوين حكومة انتقالية برئاسة المندوب السامى تتألف من سبعة من العرب وثلاثة من اليهود ، ووقف الهجرة ، واحترام الأماكن المقدسة ، وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا. ورفضت بريطانيا المشروع العربى وأصرت على قبول مشروع موريسون ، ثم عادت وقدمت مشروع بيفن الذى يرى وضع فلسطين تحت وصاية بريطانيا لمدة خمس سنوات تقسم خلالها إلى أقسام إدارية تتمتع بالحكم الذاتى ، ورفض العرب هذا المشروع .

ولم يعد هناك مفر من عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة ! !

* * *

هذه قصة الانتداب الإنجليزى على فلسطين ، والآن لنناقش معاً مشروعية هذا الانتداب وقانونيته .

ويفند شرعية الانتداب الأستاذ فتحى عبد المعطى[1] فيقول :

١ — إن قرار الانتداب هذا لم يكن وفقاً لرغبات الشعب العربى ، وهذا يتنافى مع مبادىء عصبة الأمم المتحدة من ناحية . . كما يتعارض مع المبادىء التى أعلنها ولسن . فقد جاء فى الفقرة الثانية من المادة ٢٢ لميثاق عصبة الأمم المتحدة ما يأتى : « إن بعض الشعوب التى كانت خاضعة

(١) المزاعم الصهيونية فى فلسطين — ص ٩٢ — ٩٨ .

للإمبراطورية التركية . . وصلت إلى درجة من التقدم يمكن معها الاعتراف مؤقتا بكيانها كأمم مستقلة خاضعة لقبول النصح والإرشاد والمساعدة من قبل الدولة المنتدبة عليها ، حتى ذلك الوقت الذى تصبح فيه هذه الشعوب قادرة على النهوض وحدها بتبعات الحكم ، ويجب أن يكون لرغبات هذه الشعوب المقام الأول فى اختيار الدولة المنتدبة عليها » .

ومن ناحية أخرى . . فإن الرئيس الأمريكى ولسن أعلن فى خطاب له فى ٤ يوليو سنة ١٩١٩ : « ان حل كل مسألة تتعلق بالأرض أو المسائل الاقتصادية والسياسية . . يجب أن ينبنى على قبول الناس الذين تتعلق بهم قبولا حراً على المصالح المادية ، وليس لفائدة أية دولة أخرى ترغب فى حل آخر خدمة لنفوذها الخارجى أو لسيادتها » .

وعلى ذلك . . . فقد كان من المفروض أن يؤخذ رأى العرب فى المصير الذى يرتضونه لأنفسهم ولأرضهم . . خصوصا بعد أن زالت عنهم السيادة التركية . . ولكن . . هل حدث ذلك ؟

الحقيقة أن العرب فوجئوا بقرار التقسيم ، وحينما جاءت لجنة كنج كرين لتأخذ رأيهم — رغم معارضة إنجلترا وفرنسا — أبدى العرب رأيهم بصراحة ، وأعلنوا أنهم يرفضون كل صورة من صور السيطرة ، ويطالبون بالاستقلال التام ، وأكدوا ذلك مرة أخرى فى القرارات التى أجمع عليها مؤتمر دمشق فى ٨ مارس « آذار » سنة ١٩٢٠ .

وكان من المفروض أن يوضع رأى العرب موضع التنفيذ . . ولكن الذى حدث هو عكس ذلك . . استمرت إنجلترا فى تنفيذ خطة انتدابها .

معنى ذلك أن الانتداب مبنى على غير الأسس التى فرضت له ، وحكم

ما بنى على غير أساس . . الهدم والبطلان ، وما بنى على قرارات تخالف عهد عصبة الأمم . . لا يعتبر ملزم النفاذ .

٢ — إن هذا الانتداب لم يأخذ صفته الرسمية من أول الأمر ، بمعنى أن صكوك الانتداب لم تقم عصبة الأمم بوضعها ، ولكن جماعة من الصهاينة هم الذين وضعوها ، وكان ذلك برئاسة القاضى الأمريكى الصهيونى فيلكس فرانكفورتر ، مع أن هذا مخالف لميثاق عصبة الأمم المتحدة ، وما نصت عليه الفقرة الثامنة من المادة ٢٢ ، وهذا الوضع لا يعطى لنصوص الانتداب الصفة الرسمية .

قد يقول الصهاينة : إن العصبة وافقت عليه فى يوليو سنة ١٩٢٢ لكننا نرد عليهم لنقول لهم : إن هذا لم يحدث فى أول الأمر كما كان مفروضا ، وإن عصبة الأمم فى الحقيقة لم توافق على بنود الانتداب لأنها كانت مقتنعة بها أو بمحض إرادتها ، وإنما لمجرد أنها وجدت نفسها أمام الأمر الواقع ، فكان ذلك تحصيل حاصل . . ومن الثابت كذلك أن كثيراً من الدول عارضت هذا الانتداب ، وأن الولايات المتحدة نفسها لم تعترف بهذا الانتداب إلا بعد إقرار عصبة الأمم المتحدة له بمدة طويلة . حدث ذلك حين تدخل اليهود لدى الكونجرس الأمريكى للموافقة على الانتداب .

وقد ثبت أيضا أن عصبة الأمم المتحدة حين عرضت عليها صكوك الانتداب . . . لم يحاول أعضاؤها مناقشة هذه الصكوك بصورة جدية ، وهذا ما يؤكد عدم اعتبارها صكوكا رسمية ملزمة التنفيذ ، وبالتالى فنحن لا نعترف بهذا الانتداب . حتى ولو كان قد حدث فعلا . فإننا نعتبره باطلا وما بنى على الباطل . . فهو باطل .

وحقيقة أخرى . . هى أن الأمين العام لعصبة الأمم المتحدة اعترض على قرار مجلس الحلفاء بالانتداب ، وأنه ذات يوم قدم مذكرة بذلك إلى العصبة يستنكر فيها هذا التصرف ، وكان ذلك فى أواخر يوليو سنة ١٩٢٠ ، كما أن كثيرا من الدول مثل بلجيكا وأمريكا أعلنت ذات يوم أن ما اتخذه مجلس الحلفاء فى اجتماعه لتوزيع الانتداب لا يتفق مع عهد عصبة الأمم المتحدة ، وهذه مخالفة صريحة لمبادىء الهيئة العالمية . فهل يبقى بعد ذلك شك فى عدم شرعية الانتداب ؟ ! !

هذا عن وضع الانتداب من الناحية القانونية . . ولكن هناك نقطة أخرى وهى : هل هذا الانتداب بالصورة التى تم بها والتى نص عليها يعتبر عادلا ؟ ! !

الحقيقة . . لا . . ونستطيع أن ندرك هذا إذا تتبعنا نصوص الانتداب والتى نورد هنا بعضاً منها :

١ — ففى المادة الثانية : « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن اليهودى .. وترقية الحكم الذاتى ، وتكون مسئولة أيضاً عن صيانة الحقوق الدينية والمدنية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس أو الدين » .

٢ — وجاء فى المادة الرابعة : « يعترف بوكالة يهودية كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين ، والتعاون معها فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التى تؤثر فى إنشاء الوطن اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين ، ولتساعد وتشترك فى ترقية البلاد ، على أن يكون ذلك خاضعاً لمراقبة الإدارة ، ويعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ، وعلى الجمعية الصهيونية أن تتخذ التدابير بعد استشارة حكومة إنجلترا

للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة فى إنشاء الوطن القومى لليهود » .

٣ — والمادة الخامسة تنص على أن « تـكون الدولة المنتدبة مسئولة عن عدم النزول عن أى جزء من أرض فلسطين إلى حكومة دولة أجنبية ، وعدم تأجيره أو وضعه تحت تصرفها بأية صورة » .

٤ — وفى المادة السادسة : « على إدارة فلسطين مع عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالى الأخرى أن تسهل هجرة اليهـود ، وأن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية . . حشد اليهود فى الأراضى الأميرية والأراضى البور غير المطلوبة للأغراض العمومية » .

٥ — وتنص المادة السابعة على أن « تتولى إدارة فلسطين مسئولية سن قانون الجنسية ، ويجب أن يشتمل ذلك القانون على نصوص تسهل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً لهم دائماً » .

٦ — وجاء فى المادة الحادية عشرة : « تتخذ إدارة فلسطين كل ما يلزم من تدابير تصون مصلحة الجمهور فيما يتعلق بترقية البلاد وعمرانها ، ويكون لها السلطة التامة فى وضع ما يلزم من الأحكام لتملك أى مورد من موارد البلاد الطبيعية أو الأعمال والمصالح والمنافع العمومية التى فى البلاد أو التى ستؤسس فيما بعد ، والسيطرة عليها بشرط مراعاة الالتزامات التى قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها » .

٧ — أما المادة الثانية والعشرون فتنص على أن « تـكون الإنجليزية والعربية والعبرية هى اللغات الرسمية لفلسطين ، وكل عبارة أو كتابة بالعربية وردت على طوابع أو عمـلة تستعمل فى فلسطين يجب أن تـكرر بالعبرية ، وكل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب أن تـكرر بالعربية » .

وإذا أمعنا النظر فى هذه الصكوك أدركنا مدى المؤامرة التى قام بها واضعو الانتداب ، وكيف أنهم قصدوا مصلحة اليهود دون مصلحة العرب .. بل بالعكس . . حاولوا أن يضيعوا حقوق العرب .

ويمكن أن ندلل على ذلك بما يأتى :

١ — كل بنود الانتداب تشير إلى تحقيق المصالح اليهودية الصهيونية مثل: إقامة وطن لليهود، والاعتراف بوكالة يهودية ، وتشجيع الهجرة اليهودية، وجعل اللغة العبرية لغة رسمية مثل العربية ، وغير ذلك من المكاسب التى تضمنها صك الانتداب وكلها من الأمور التى ترضى آمال اليهود وتمكنهم من السيطرة على فلسطين . وهذا يتنافى مع الغرض الذى قام من أجله الانتداب .

فقد حددت المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم وظيفة الدولة المنتدبة حيث نصت هذه المادة على أن الدولة المنتدبة مسئولة عن بذل المساعدة والإرشاد للدولة الخاضعة للانتداب حتى تصبح الأخيرة قادرة على النهوض وحدها بمسئوليات حكمها . فهل يعتقد العاقلون أن تلك الأسس التى رسمتها صكوك الانتداب تتفق مع ما نصت عليه المادة ٢٢ ؟

ولعل النتائج التى وضحت آثارها بعد ذلك تبين ما انطوت عليه صكوك الانتداب من أضرار ومشاكل . لقد ترتب على ذلك صراع طويل بين العرب واليهود ، وما صاحب ذلك من حروب ، وتلك الاعتداءات المتكررة على العرب ، وما يسود دول الشرق الأوسط الآن من علاقات سيئة قد تؤدى إلى حرب عالمية .

لقد كان الأجدر بمن وضعوا قوانين الانتداب أن يراعوا العدالة والحق ولكنهم لم يفعلوا .

٢ — الانتداب يحمل بين طيات نصوصه عناصر بطلانه ، فنصوصه مليئة بالتناقضات . . فقد جاء فى ديباجة الصك ما يؤكد الاعتراف بالعلاقة التاريخية والدينية بين الشعب اليهودى وفلسطين ، والأسباب التى تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومى فى تلك البلاد .

وورد أيضاً فى كثير من نصوص الانتداب مايؤكد ذلك ، « كما جاء فى المادة الثانية »، ومع ذلك وجدنا أن نصوص الانتداب تقرر « كما جاء فى المادة الخامسة » عدم التنازل عن أى جزء من أراضى فلسطين ، وكما جاء فى المادة السادسة التى نصت على عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالى غير اليهود أى المسلمين والمسيحيين . . فكيف يتأتى ذلك ؟ كيف تنفذ هذه الصكوك ؟ كيف نحرم تمليك فلسطين للأجانب ؟ وكيف لانفعل مايضر بالشعب العربى ، ثم مع هذا وذاك نقيم وطناً لليهود فى فلسطين ؟ ! ! أليس فى ذلك تعارض وتناقض عجيب ؟ ! ! نفس ماجاء فى كلام بلفور ! !

٣ — نصت صكوك الانتداب « فى المادة الرابعة » على الاعتراف بالوكالة اليهودية والجمعية الصهيونية وبدورهما فى حكم فلسطين ومساهمتهما فى إدارة شئون البلاد ، بل فى إقامة الوطن اليهودى ، فكان ذلك بمثابة حكومة داخل حكومة . . حكومة صهيونية داخل حكومة إنجليزية . . بينما لم تهيء صكوك الانتداب للعرب مثل هذه الفرصة ، ولم تنص على إقامة هيئة عربية . . بل لعل ذلك كان أولى لأن العرب هم الأكثرية وهم أصحاب حق !!

٤ — حتى « المادة الحادية عشرة » التى نصت على ترقية البلاد وعمرانها لم تكن صريحة ، ولم تحدد بالضبط ما المقصود بذلك ؟ وما مدى هذه الترقية وهذا العمران !!

ومع ذلك .. فهل لنا أن نسأل إنجلترا : هل استطاعت حكومات الانتداب خلال الفترة من سنة ١٩٢٠ — ١٩٤٨ أن تفعل شيئا من أجل فلسطين أو من أجل عرب فلسطين ؟ لا . . ! لقد فعلت الكثير من أجل اليهود ، ولم تخرج من فلسطين إلا وقد مكنتهم منها . ولكنها بالنسبة لفلسطين أخرتها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وليس وجود إسرائيل فى هذه المنطقة إلا دليلا على هذا التأخر .

ونستطيع أن ندلل على سوء الإدارة الإنجليزية فى فلسطين خلال فترة الانتداب بما بذلته بريطانيا من جهود لطرد العرب من ديارهم وإعطائها لليهود .

قد يزعم الصهاينة أنهم أصحاب حق فى فلسطين ، لأنهم — على حد قولهم — اشتروا أرضها ، ودفعوا لها ثمنا من أموالهم الخاصة ، فهم بحكم قانون الملكية أصحاب حق فيها . . !!

وإذا نحن أمعنا النظر فيما يزعمه الصهاينة . . وجدنا أنه بعيد كل البعد عن الحقيقة ، فإن الإحصائيات الرسمية تبين أن اليهود . . رغم كثرة محاولاتهم تملك الأرض فى فلسطين بشتى الطرق القانونية وغير القانونية . . إلا أنهم لم يستطيعوا حتى سنة ١٩٤٨ ، وهو تاريخ إعلان إسرائيل ، امتلاك أكثر من ٧ ٪ من مساحة فلسطين أى حوالى مليونى دونم . وهذه المساحة الضئيلة انتقلت ملكيتها بطرق مختلفة معظمها طرق غير مشروعة يمكن أن نلخصها فيما يأتى :

١ — خلال الحكم العثمانى لفلسطين تمكن اليهود من الاستيلاء على ٦٥٠,٠٠٠ دونم [1] .

---

(١) الدونم = ١٠٠٠ متر مربع .

٢ — قامت حكومة الانتداب الإنجليزية خلال سيطرتها على فلسطين في الفـترة من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٤٨ ببيع كثير من الأراضي الأميرية للوكالة اليهودية بثمن بخس ، وفي الوقت نفسه حرمت الحكومة على العرب شراء الأراضي الفلسطينية ، وكان ذلك إحدى الخطط التي اختطتها حكومة الانتداب لتنفيذ المخطط الصهيوني ، وبلغ جملة ما استولى عليه اليهود بهـذه الطريقة حوالي ٢٠٠٫٠٠٠ دونم .

٣ — أن حكومة الانتداب كانت تستولى على كثير من المناطق العربية بحجة أنها مناطق عسكرية محرمة ، وبذلك تصبح هذه المناطق ملـكا للدولة ، ثم تقوم الحكومة بعد ذلك بمنحها لليهود . . . ولم تجد حكومة الانتداب من يقف في وجهها ويمنعها من هذا التصرف . وقد بلغ جملة ما استطاع اليهود الحصول عليه بهذه الطريقة حوالي ٣٠٠٫٠٠٠ دونم .

٤ — بعض هذه الأراضي انتقلت ملـكيتها إلى اليهود بطريق الشراء من ملاك ليسوا فلسطينيين من أمثال عائلات : سرسق والتويني وسلام . . وهؤلاء ممن اضطروا لمغادرة فلسطين نتيجة لتلك الظروف السياسية والاقتصادية المتقلبة التي كانت تسيطر على فلسطين خـلال فترة الانتداب . وتدل الإحصائيات على أن مساحة ما استولى عليه اليهود بهذه الطريقة ٦٥٠٫٠٠٠ دونم من الأراضي والتي توجد في أرض ابن عامر ٤٠٠٫٠٠٠ دونم ، وفي الحولة ١٦٥٫٠٠٠ دونم ، وفي وادي الحرات ٣٫٢٠٠٠ دونم ، والباقي في مناطق أخرى مثل الناصرة وعكا وبيسان وجنين وطولـكرم .

٥ — نسبة ضئيلة جداً لا تتجاوز ٢٥٠٫٠٠٠ دونم تملـكها اليهود عن طريق الشراء من العرب ، وهذه حقيقة تـكمن وراءها مأساة مما دفع الفلسطيني إلى بيع أرضه ، فإن العربي الفلسطيني لم يـكن يبيع أرضه لليهودي لمجرد البيع

أو الربح ، وإنما كانت هناك ظروف أخرى اضطرته إلى هذا التصرف على كره منه منها :

١ — الضرائب الفادحة التى كانت تفرضها حكومة الانتداب على العرب ، وقد كانت من الفداحة بحيث يعجز العربى عن دفعها مما يعرضه للاستدانة أو رهن الأرض أو يضطره إلى ترك أرضه . فإذا ما أراد الاستدانة لم يجد أمامه سوى اليهودى ، ولم يكن الفلاح العربى يجد البنوك العربية التى تقرضه ما يريد ، وكانت البنوك الموجودة كلها بنوكا يهودية أو تخضع للسيطرة اليهودية . وهنا يخطط اليهود خططهم ويرسمونها بإحكام من أجل تحقيق مأربهم ، فتراهم يقرضون الفلاح العربى بالربا الفاحش وبشروط ليس من السهل تحقيقها حتى يوقعوا العرب فى حبائلهم ، وتمضى السنوات والعربى لا يستطيع تسديد ما عليه ، وتتضاعف الأرباح وتتراكم الديون ، وهنا يطارد اليهودى العربى ، ويعجز العربى عن السداد ويضرب اليهودى ضربته التى رسم لها من قبل فينتزع من العربى أرضه تسانده فى ذلك حكومة الانتداب .

وحتى لا يدعى اليهود أننا نتجنى عليهم . . . نسوق هنا بعض ما كتبه الخبراء البريطانيون عن هذه الظروف . ففى تقرير للخبير الإنجليزى سمبسون (١) يقول فيه : « إن الفلاح العربى كان فى حالة يأس شديد ، فقد كان مثقلا بالديون ، فضلا عن أنه كان مكلفا بدفع ضرائب فادحة » .

٢ — القوانين الاستثنائية التى أسرعت الحكومة بإصدارها لطرد العرب ، كما حدث فى مناطق مثل الحولة وغور بيسون وطبيعون وغيرها ، وكان من أعجب تلك القوانين ذلك القانون الذى أصدرته الوكالة

---

(١) كان سمبسون قد زار فلسطين فى منتصف سنة ١٩٣٠ .

اليهودية (١) والذى نص على أن الأرض التى يشتريها اليهود من العرب تصبح ملكا ثابتا لليهود ، ولا يمكن إعادتها للعرب مرة أخرى . وهكذا استطاعت هذه الوكالة أن تساهم مساهمة فعالة فى انتقال ملكية الأراضى من العرب إلى اليهود فحرمت على العربى استرداد أرضه ، وسهلت لليهودى الاستيلاء على الأرض العربية ، وبهذه الطريقة استطاع اليهود الاستيلاء على حوالى ٠٠٠ ر ٣٠٠ دونم من أملاك العرب .

وهنا يحق لنا أن نتساءل : لماذا وافقت حكومة الانتداب الإنجليزية على أن تنتقل ملكية الأرض الفلسطينية من العرب إلى اليهود ، بينما حرمت إنجلترا على السكان الأصليين فى جنوب إفريقيا بيع أراضيهم للأجانب ؟

إن الإجابة الصحيحة عن هذا السؤال توضح مدى التحيز الإنجليزى وتبين مدى دناءة الخطة التى رسمتها الصهيونية بإشراف الإنجليز ، أو رسمها الإنجليز بإشراف الصهاينة . فما لاشك فيه أن هذه التصرفات من أكبر العوامل لانتقال الأرض إلى اليهود ، والدلائل قائمة بأسانيد ثابتة . وفى تقرير الخبير الإنجليزى سمبسون يقول : « إن العرب الذين أكرهوا على بيع أرضهم إنما كان ذلك بسبب السياسة الصهيونية التى سارت عليها حكومة الانتداب » .

وفى تقرير للخبير شو يقول : « ثبت لنا أن معظم الفلاحين العرب كانوا يتمسكون بأرضهم ، وبالرغم من الظروف القاسية التى كانت تحيط بهم ، ومع ذلك فقد كانوا يرفضون التنازل عنها بأى ثمن لليهود » .

وفى الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ والذى عرف بكتاب باسفيلد (٢) ذكر صاحبه صوراً كثيرة من تلك الصور المخزية التى كانت تدور فى فلسطين ،

---

(١) قد نص عليها قانون الانتداب فى المادة الرابعة .

(٢) باسفيلد : هو وزير المستعمرات البريطانية فى ذلك الوقت .

والتى ترمى إلى استيلاء اليهود على أملاك العرب ، وقد نادى باسفيلد فى كتابه هذا بضرورة وقف انتقال أملاك العرب إلى أيدى اليهود وناشد حكومته العمل على بحث الظروف التى تسبب ذلك . . وهنا نجد اليهود يثورون ويرفعون أصواتهم بالاحتجاج ، ثم يتدخلون لدى الحكومة الإنجليزية التى تسارع بسحب الكتاب ، وتتضح معالم الفضيحة ولا يجد باسفيلد بداً من الاستقالة ، وتستمر السياسة الإنجليزية قائمة فى فلسطين لتنفذ ما رسمته الصهيونية وليتنزع اليهود مزيداً من الأرض العربية لتضاف إلى الأملاك اليهودية ! !

وبهذا استطاع اليهود أن يستولوا من أرض فلسطين على مليونى دونم موزعة فى خمسة عشر قضاء من أقضية فلسطين وتذكر الوكالة اليهودية وفى صفحة ٤٣٥ من إحصاءاتها المطبوعة عام ١٩٤٧ أن ما يملكه اليهود من أراضى فلسطين فى نهاية شهر سبتمبر عام ١٩٤٦ بلغ ١٫٨٠٧٫٠٠٠ دونم أى ما يعادل ٦٫٨٪ من جميع أراضى البلاد .

٦ — حق تقرير المصير ودفاع احمد الشقيرى :

ومهما طال الأمد فإن الحق لابد أن يتكشف والضمائر لابد أن تثوب إلى رشدها وتنهض من سباتها ، ويأخذ الحق مجاله فى زهو وانتصار ، ويزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .

ويتصدى السيد/ أحمد الشقيرى فى أكتوبر عام ١٩٥٩ للممثل الإسرائيلى أمام هيئة الأمم المتحدة ، وإزاء موقف إسرائيل المتعنت من القضية الفلسطينية برمتها بقوله :

« لو أصبح حقاً لكل إنسان أن يتكلم عن حق تقرير المصير فإن على إسرائيل أن تلزم الصمت ، إذ ليس لديها ما تقوله فى هذا الشأن . فالكارثة

التى حلت بالقضية الفلسطينية برمتها هى ثمرة التنكر لحق تقرير المصير . وكان العرب يدافعون عن قضية فلسطين عام ١٩٤٧ على أنها قضية واحدة من قضايا تقرير المصير ، وفى وسع كل واحد منا أن يرجع إلى سجلات الأمم المتحدة ليرى بنفسه حقيقة ما أقوله . . وقد أعلنا أن ليس فى وسعكم تقسيم فلسطين على الرغم من مشيئة أهلها ، إذ أن لهؤلاء الحق فى ممارسة تقرير المصير

« كان هذا موقفنا . ولكن الصهيونية يؤيدها الاستعمار نجحت فى تنحية حق تقرير المصير جانبا .

« بل إن وجود إسرائيل الآن مدين لعامل واحد ليس إلا ، وهو أن شعب فلسطين لم يتمكن من ممارسة حقه فى تقرير مصيره . ولو طبق هذا الحق فى حينه لما حلت الكارثة كلها ، ولما ظهرت مشكلة اللاجئين ، ولما وجدت إسرائيل .

« وإن وجود إسرائيل اليوم ليس ثمرة تنفيذ حق تقرير المصير ، وإنما هو ثمرة التنكر له ، بالنسبة إلى شعب عميق الجذور فى وطنه ، ويرجع فى تاريخه إلى أقدم ما تعيه الذاكرة .

« وتحتل إسرائيل اليوم مقعدها على حطام مبدأ تقرير المصير وعلى أشلائه وبقاياه ، بعد أن حطمتها ، وقذفت بها فى مهب الرياح والأعاصير .

« ولو قدر لهذا الحق أن يحترم لما اقتعدت إسرائيل هنا مقعدها فى الأمم المتحدة ، لتتحدث بمثل هذه الصلافة والعجرفة عن مبادىء حق تقرير المصير ، ولكان هؤلاء السادة الإسرائيليون يجلسون فى مقاعد النظارة والزائرين لا فى مقاعد الأعضاء الممثلين لبلادهم .

« ولكان جديرا بأن يحتل هذا المقعد ممثل عن جميع فلسطين يتحدث باسم جميع أهلها الشرعيين من يهود ومسيحيين ومسلمين على السواء . هذه هى قضية

مبدأ تقرير المصير الذى حطمته إسرائيل، ثم جاءت اليوم تندبه وتبكيه بدموع هى دموع التماسيح .

«أما قصة الحرب الفلسطينية فأمرها طويل ، وأوثر ألا أذكرها. فبالاختصار كانت القوات الصهيونية هى التى شنت حربا إجرامية من الغدر والدمار والحرائق ، وكان تدخلنا وحده هو الذى أنقذ اللاجئين والأماكن المقدسة من مصير محتوم فى فلسطين لا يعلم مداه إلا الله وحده .

« وقالت اللجنة التى أوفدتها بريطانيا وأمريكا سنة ١٩٤٦ للتحقيق : « إن فلسطين ثكنة حربية » . وقالت : « لقد انتعشت من جديد حركة الهجرة غير المشروعة بعد انتهاء الحرب الكونية الثانية » . وقالت : « من الظواهر المشئومة فى السنوات الأخيرة تطور قوات عسكرية غير مشروعة تؤلف القوة الرئيسية فى الجيش الصهيونى فى فلسطين تسمى بالمنظمة العامة بالهاجاناه ، وهى قوة منظمة تمام التنظيم تحت إشراف مركزى موحد ولها قيادات إقليمية فرعية، وكانت تأتى بالسلاح طيلة سنوات طويلة » . ووصف جزء آخر من التقرير الهاجاناه : « بأنها منظمة عسكرية يربو عددها على الستين ألفا وهى حسنة التسلح وجيدة التنظيم ، وتشرف على جهاز إذ اعتها السرى الخاص بها » .

« هذه هى الحقائق التى أعلنتها اللجنة بعد تحقيق واف على الطبيعة بأرض فلسطين .

« ويتحدث التقرير عن موضوع الأمن العام فيقول : « جاءت التهديدات المباشرة للأمن العام منذ سنة ١٩٤٦ احتجاجا منهم على سياسة الكتاب الأبيض » .

«وقد قال المستر ونستون تشرشل متحدثا عن الإرهاب الصهيونى مانصه :
« يبدو أن جميع أحلامنا فى الصهيونية ستتبدد مع دخان مسدسات القتلة ،

ومع هذا النتاج الجديد من القتلة ، الذى لا يليق إلا بألمانيا النازية ، ولذا فإن الكثيرين من أمثالى سيجبرون على إعادة النظر فى المواقف التى حافظوا عليها طويلا فى الماضى ومن الواجب تحطيم هؤلاء المسئولين أصلا وفرعا » .

« وها هو ذا الناطق الإسرائيلى يدعو الإجراءات الدفاعية العربية عن وطنهم وأملاكهم وأراضيهم والتى اتخذت عام ١٩٤٨ بالنسبة إلى هذا الأصل وذلك الفرع من الإرهاب الصهيونى عدوانا عربيا ، وليس من العسير على إسرائيل أن تسمى الإجراء الدفاعى بالعمل الهجومى، وليست القضية بالنسبة إلى إسرائيل إلا تغييراً فى بعض الحروف ليصبح الدفاع هجوما . وقد اختارت إسرائيل بنفس الأسلوب ولصالحها اعتبار هجومها الغادر على مصر عام ١٩٥٦ بالعمل الدفاعى البرىء » .

إن إسرائيل فى وضعها الراهن لا يصلح معها إلا حرب تنزعها من أرض فلسطين كما عبر عن ذلك السيد الرئيس جمال عبد الناصر : « ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة » .

ثالثا — دراسة تحليلية للتقسيم

١ — الملابسات حول التقسيم :

قال المسيح : « كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب ، وبيت منقسم على بيت يسقط »(١) ، وتحضرنى قصة القطتين اللتين تنازعتا قطعة جبن فذهبتا إلى القرد ليقسم لهما القطعة ، ففاز القرد بالجبن وتركهما فى تنازعهما تتناحران .

---

(١) لوقا ١١ : ١٧ .

والأحداث تؤكد صدق قول المسيح وصدق رواية تلك القصة . فإن تمرد الشريف حسين وأبنائه على سلطان تركيا أطمع الإمبريالية فى السيطرة على الشرق الأوسط، وإن التدخل الأجنبى فى البلاد العربية أطمع الصهيونية لتحقيق آمالها فى فلسطين .

وإن استجداء فيصل للعرش واستجداء الصهيونية لوطن قومى فى فلسطين مكن الإمبريالية الأنجلو أمريكية من السيطرة على الشرق الأوسط .

حتى قيض الله للأمة العربية محرراً لها من سيطرة الاستعمار وعملائه ، إنه السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى قاد ويقود البلاد إلى الحرية والعزة والسيادة ، وسيتحقق النصر — بتطهير الأراضى العربية من أرجاس الإمبريالية والصهيونية العالمية — على يديه بإذن الله .

أما فلسطين فتشبه تنازع امرأتين على وليد لإحداها ، وتذهبان لتحتكما إلى سليمان عليه السلام ، فيأمر بشطر الطفل وإعطاء كل منهما نصفه ، وترضى الأم المدعية بشطر الطفل أما الأم الحقيقية فحنت أحشاءها على وليدها ولم تجد بدا من الإبقاء على حياته إلا أن تتنازل عنه . ومن هنا استطاع سليمان بحكمته أن يميز بين الأم الحقيقية والأم المدعية فأمر على الفور بتسليم الوليد حيا إلى أمه التى أشفقت عليه(١) . لقد ادعى الصهاينة بحقهم فى فلسطين ، وتحولت القضية برمتها إلى هيئة الأمم المتحدة . وتقترح الهيئة التقسيم ، فيرفض الفلسطينيون سكان البلاد التقسيم بينما يطالب بالتقسيم ويلح عليه الصهيونيون ، ويتوضح النزاع بين سكان أصليين وهم العرب لا يريدون التقسيم ، وأشتات اليهود الذين ينشطون فى كل الدوائر السياسية لإقرار التقسيم ، وأنى للعالم سليمان الحكيم لإقرار الحق وإقرار السلام ؟ ؟

---

(١) ١مل ٣ : ١٦ — ٢٦ .

٢ — مجلس الأمن وقضية فلسطين :

يقول الدكتور يحيي عويس : « إننا نعلم أننا نعيش فى مجتمع دولى طبقى تتميز فيه دول عن أخرى رغم المساواة النظرية بينها فى السيادة والحقوق ، وفى هذا المجتمع الطبقى تستأثر الأقلية القوية بالنفوذ ، تماما كما تستأثر الأقلية الرأسمالية فى المجتمعات اللاديمقراطية بنفوذ الحكم والسيطرة . . . إن هذا المجتمع هو الذى يسمى بالدول الكبرى — وهى الدول التى كانت مسئولة أولا وآخراً عن مصير فلسطين — وهى الدول التى منها استخدم « حق الفيتو » لا ليقر الحق ، ولا ليقف محايداً ، بل استخدم هذا النفوذ للتمادى فى التأثير على الدول الصغرى وإرغامها على تأييد قرار تشتيت عرب فلسطين وتفتيت أراضيهم ونهب أموالهم »(١) .

٣ - المناورات السياسية فى نيويورك وواشنطن :

ويقول كرمت روزفلت(٢): «لقد أرغمت « تلك الدول » على تأييد قرار التقسيم ، ولم يحفل الصهيونيون وأعوانهم فى الحكومة الأمريكية بتلك الاعتبارات الأخلاقية ، والمثل العادلة التى كان يجب مراعاتها كحق تقرير المصير ، ولم يهمهم الظلم الذى يلحق ببلد نتيجة تقسيمه متجاهلين رغبة الغالبية العظمى من سكانه ، ولم يهم هؤلاء أن تكون لتلك الدول « التى سلط عليها الضغط » مصالح يجب مراعاتها . فبعض تلك الدول تضم جماعات وأقليات لكل منها أثر فى الحياة السياسية فى أمريكا .

« فيوجد فى ليبريا ، والصين ، والفليبين جماعات كبيرة من المسلمين ، ولكل من الحبشة واليونان مصلحة حيوية فى الإبقاء على حسن الجوار مع جيرانهما من الدول

---

(١) إسرائيل والدول الكبرى ص ٢١ — ٢٤ ، ص ١٢٦ — ١٣٢ .

(٢) Middle East Journal — January 1948 .

الإسلامية ، ولقد كانت كلها دولا صغيرة أو ضعيفة ، فلماذا أجبرت على أن تعطى أصواتها لتأييد قرار التقسيم . قرار يهم فئة خاصة تسيطر على السياسة الداخلية لدولة كبرى كالولايات المتحدة ؟ » .

لقد تدفقت على وفود تلك الدول « الصغيرة » وحكوماتها البرقيات والمكالمات التليفونية والخطابات والتهديدات ، ومعظمها كان من أعضاء الكونجرس ، والكثير منها يتحايل باسم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وباسم هيبتها . . لقد قام أحد الديمقراطيين المعروفين — وكان على صلة وثيقة بالبيت الأبيض — بمهمة مخاطبة حكومة هايتى تليفونيا ، وكان يتكلم بلهجة يفهم منها نفوذه وسلطته .

كما قام أحد الاقتصاديين المعروفين بصلته الوثيقة بالبيت الأبيض وعلاقاته كمحور اتصال مع الصهيونيين باستخدام نفوذه لإقناع وفد ليبريا . . وكانت النتيجة أن هذه الدولة وسابقتها « هايتى » أيدتا قرار التقسيم ، ولاشك أنه كان من الصعب على وفود الدول الصغرى الموجودة أن تقدر الأمور حق قدرها وتحكم بميزان العدل والحق والمصلحة العليا لبلادها ، وما حدث فى هيئة الأمم كان تكراراً لما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية من استخدام الصهيونية نفس الأساليب التى نجحت بها ، ونفس التأييد أعطته الولايات المتحدة لمساعدة الصهيونيين فى الوصول إلى هدفهم .

النقد اللاذع من روسيا وانجلترا :

وقد نشرت جريدة « نيويورك بوست »(١) تعليقاً على سياسة أمريكا :

---

(١) العدد الصادر فى ١٩٤٧/١١/٣٠ .

« عمل الأمريكيون — من الرئيس ترومان إلى بقية المرءوسين — على الضغط فى شتى النواحى لنجاح قرار التقسيم . وقد صدرت الأوامر إلى أوستن للقيام بحملة واسعة بمساعدة هرشل جونسون ، وجنرال هليدرنج ، وبالتدريج تحقق للأمريكيين ما أرادوا ، ولو أن « جروميكو » مندوب روسيا عاق على ذلك تعليقاً لاذعا بقوله : « إن الاتحاد السوفيتى كان مؤيداً للتقسيم من أول الأمر ، ولم يكن فى حاجة إلى التلاعب للحصول على الأصوات المؤيدة » .

وحتى جريدة « المانشستر جارديان »[1] التى عرفت بموالاتها الدائمة للصهيونية ونقدها التهجمى للقضية العربية ، حتى تلك الجريدة لم يستطع معلقها أن يخفى الحقيقة إذ كتب : « . . . والجنرال رومولو مندوب الفليبين ، هو واحد فقط من فريق الساخطين ، فقد ألقى خطاباً حماسياً معادياً لقرار التقسيم ، وسافر عائداً إلى بلاده مزهوا بانتصاره ، فإذا به يسمع وهو فى عرض البحر أن حكومة بلاده قد أبرقت إلى مساعده فى هيئة الأمم ليطرح المبادىء والمثل جانبا ويقترع مع الجانب الآخر » .

٤ — ترومان . . . الصهيونية . . . التقسيم :

يقرر الفريدليلينتال[2] : « ما إن تسلم ترومان الرئاسة بعد وفاة روزفلت ، حتى تبدلت الحالة بالنسبة للصهيونية ، فقد كان خليفة روزفلت الجديد حليفا عميلا للصهيونية بحكم علاقته السابقة بعدد من اليهود ، حتى أنه اصطدم ذات يوم بالمستر بيفن وزير خارجية بريطانيا من أجل الصهيونية ، كما أنه أرغم وزارة الخارجية الأمريكية على أن تماشيه فى سياسته الودية للصهيونية .

«وقد اعتمدت المنظمات الصهيونية كثيرا على المكتب التنفيذى للبيت

---

(١) العدد الصادر فى ٢/١٢/١٩٤٧ .

(٢) أمريكى الجنسية يهودى المعتقد شغل وظيفة ديبلوماسية كبيرة فى الشرق الأوسط عدة سنين ثم عمل مستشارا للوفد الأمريكى فى مؤتمر سان فرانسيسكو لهيئة الأمم « ثمن إسرائيل » .

الأبيض ، والذى يرجع إليه الفضل الأكبر فى توجيه اهتمام ترومان الدائم نحو الصهيونية .

« وحدث حين انتهت مدة رئاسة ترومان عام ١٩٥٢ ، أن نشرت بعض الصحف الأمريكية تعليقا على الدور الذى لعبه دافيد نايلز ، أحد مستشارى الرئيس الأمريكى ، فوصفته بأنه كان العامل الأول فى حمل ترومان على خلق دولة إسرائيل وإنعاشها ، أما الفضل فى تعيين نايلز فى البيت الأبيض فيرجع إلى هارى هوبكنز ، وقد أخذ نايلز يترقى بعد ذلك فى منصبه ، حتى أصبح فى عهد ترومان عضواً فى الهيئة المختارة لمستشارى الرئيس السريين ، وأطلقوا عليه عندئذ لقب « رجل ترومان الغامض » .

« أما الدور الحقيقى الذى لعبه نايلز فى القضية الفلسطينية فقد ظل مجهولا من الرأى العام الأمريكى حتى اليوم .

« ففى عهد الرئيس روزفلت كلف نايلز بمعالجة بعض القضايا المتعلقة بالأقليات ، وعندما أثقل كاهل الرئيس بالمسئوليات الجسام ، أضيفت إلى عمل نايلز الرئيسى قضايا أخرى .

« وهكذا أخذ يتدرج حتى تولى أرفع المناصب فى البيت الأبيض ، وسمى فيما بعد السفير اليهودى الأول فى البيت الأبيض .

« وعندما تولى ترومان الرئاسة ، كانت قضية فلسطين قد احتلت مكان الصدارة ، وكان نايلز يوليها كل اهتمامه ، فتضافرت جهود آدى جاكيسون ، وترومان ، ونايلز من أجل إقامة دولة إسرائيل ، والثابت أن نايلز ، كان محور الحركة ، فقد كان قبل مجىء ترومان إلى البيت الأبيض يبذل المساعى لخلق الدولة اليهودية » .

ويستنبط الدكتور يحيى عويس[1] من هذه التيارات السياسية فيقول :
« وهكذا بفضل السياسة المادية الماكيافيلية التى تجلت فى نيويورك بأجلى مظاهرها، وافقت الجمعية العامة فى ١٩٤٧/١١/٢٩ على قرار تقسيم فلسطين بثلاثة وثلاثين صوتا مقابل ثلاثة عشر صوتا معارضاً ، وبامتناع عشر دول عن التصويت . ولم يكن أمام الدول العربية بعد هذا الامتهان لكرامة دولة شقيقة إلا أن ينسحب ممثلوها من قاعة الاجتماع ناقمين على سياسة الضغط، وعلى انتهاج بعض الدول سياسة تبعد كل البعد عن المثل والقيم التى يجب أن تكون أساسا للمعاملات الدولية . لقد كان موقف ممثلى بعض الدول بعد تغيير سياسات حكوماتهم وتألبهم ضد القضية العربية محرجا إلى درجة بلغت حدود الخجل والخزى ، وبلغ من شدة حرج مندوب هايتى أنه وزع خطابات على ممثلى الدول العربية يعتذر فيها عن تغيير موقفه، بعد أن كان متحمسا للقضية العربية ، ويقول إن حكومته قد أرغمت وفدها على الاقتراع فى صالح الصهيونية . . ولكن هذا الاعتذار لم يفد العرب فى شىء » .

وإذ يثبت لنا أن مصالح الأقلية الموالية للصهيونية فى الولايات المتحدة كانت سببا فى كل تلك المناورات التى انتهت بفوز قرار التقسيم فى هيئة الأمم، فإن المرء ليتساءل عن الدوافع أو المصالح القومية التى دفعت الدول الأخرى إلى تأييد ذلك القرار ؟

١ — لماذا اتخذت فرنسا مثلا هذا المسلك المضاد لمصالح الأمة العربية وهى الدولة التى لها مصالح عديدة فى أقاليم عربية ، ويهمها أن تساهم فى تأييد أمانى العرب ومساندة قضيتهم ، إذا هى أرادت أن تبقى على العلاقات الطيبة معهم ؟

(١) إسرائيل والدول الكبرى .

إن فرنسا كدولة كبرى مسئولة إلى حـــد كبير من مصير العلاقات السياسية فى العالم ، لم تأبه بمصالح الأمة العربية ، وإنما كانت تنظر إلى مصالحها الذاتية ؛ فهى تدعى غضبتها من جامعة الدول العربية لتدخلها فى شئون شمال إفريقيا العربى ، وتتخذ من ذلك ذريعة للتنـكيل بالدول العربية .

ثم إن فرنسا كانت تأمل من السير فى ركاب السياسة الأمريكية أن يأتى اليوم الذى فيه تخدم الولايات المتحدة الأمريكية مصالح فرنسا بتأييدها استعمار فرنسا لشمال إفريقيا .

وهذا هو ما حدث فعلا خلال السنين الأخيرة فى هيئة الأمم المتحدة . وإن صح مايقال من جانب بعض الـكتاب من أن فرنسا كانت تريد التنكيل ببريطانيا والانتقام منها لأنها كانت مسئولة عن إنهاء الحـكم الفرنسى فى سوريا ولبنان ، فما ذنب الأمة العربية ؟ وما ذنب فلسطين العربية لـكى يهدر كيانها بسبب تنازع النفوذ بين دولتين كبريين ؟

٢ — وما الذى حدا بالصين الوطنية — وهى أيضا دولة كبرى من الناحية النظرية وإن لم تـكن كذلك من الناحية العملية — إلى أن تخذل القضية العربية وهى الدولة التى حاربت سنين متواصلة متوالية ضد العدوان اليابانى وضد الاستعمار الغربى ؟ أيكون السبب ذلك القرض المالى الذى كان شيانج كاى شيك ينتظر استجداءه من الولايات المتحدة ؟ أم لأن مصير الصين الوطنية وكيانها مازالا رهناً بإشارة الولايات المتحدة الأمريكية ؟ ومن ثم كان على سياسة الصين الوطنية أن تخضع لإملاء البيت الأبيض .

٣ — وماذا كان وراء السياسة الروسية فى تأييد قرار التقسيم ؟ كيف حدث هذا التوافق التام بين المصالح الروسية والمصالح الأمريكية ؟ إن روسيا

قد فشلت فى سياسة الضغط الذى سلطه الكرملين على كل من تركيا واليونان فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . وربما كان تأييد روسيا لتقسيم فلسطين يستهدف فتح باب آخر لتدخل الاتحاد السوفيتى فى شئون الشرق الأوسط . ولعل روسيا كانت تعلم أن تقسيم فلسطين سوف يؤدى إلى سلسلة من الاضطرابات وعدم الاستقرار فى الشرق الأوسط ، وبذا يوجد الجو الذى تستغله لخدمة مصالحها وإلحاق الضرر بمصالح الدول الغربية. وربما كانت سياسة روسيا فى تأييد التقسيم مبنية على أملها فى الاستفادة من الصهيونيين فى المستقبل، أو لاتخاذ الدولة الصهيونية نواة للتسلل الشيوعى فى الشرق الأوسط، أو للتأكد من القضاء على النفوذ البريطانى فى فلسطين . . . أو غير ذلك من المصالح الذاتية التى ليست إلا نتيجة للصراع بين الشيوعية الروسية والرأسمالية الغربية ، وهو صراع مهما تكن حقيقته فليس لعرب فلسطين ذنب فى أن يكونوا ضحيته .

وقد تكون هناك دوافع أخرى وراء تأييد الاتحاد السوفيتى لقرار التقسيم . لقد كان من الشائع فى أوساط هيئة الأمم المتحدة أن تنفيذ ذلك القرار سيتطلب إرسال قوة عسكرية بموافقة الأمم المتحدة إلى فلسطين للإشراف على تنفيذ التقسيم وضمان التزام العرب بنصوصه ، أى للقضاء بالقوة الجبرية على كل مقاومة عربية للأهداف الصهيونية . كان هذا هو الشائع — وقد حققته الأحداث فى الأشهر التالية فى مجلس الأمن — وكانت روسيا تأمل فى أن يكون لها نصيب فى الإشراف على تنفيذ قرار التقسيم بإرسال قوات عسكرية أو بعثات مدنية روسية إلى فلسطين . . وربما كان تأييد روسيا لقرار التقسيم محاولة منها لإقرار هذا المبدأ باعتبار أنه ضمان لحقوق الأقلية حتى يتاح لها تطبيقه فى أقاليم تهمها مثل أذربيجان وكردستان .

وكل تلك الاحتمالات كما نرى لا تكشف إلا عن مصالح ذاتية لدولة من الدول الكبرى ، أو عن تضارب المصالح بين تلك الدول ، ولم يكن لفلسطين العربية ثمة ذنب في أن تذهب ضحية تلك الاتجاهات المادية والأنانية فى السياسة الدولية .

وما يقال عن الدول الكبرى من عدم ارتباط مصالحها العليا والقومية ارتباطا مباشرا بالأهداف الصهيونية ، يقال أيضا عن الدول الصغرى التى أيدت قرار التقسيم ، فتلك الدول لم تكن على دراية بحقيقة الموقف فى فلسطين، ولم يكن ثمة مصلحة فى تأييد جانب الصهيونية ، وإنما كانت مخدوعة بالدعاية الصهيونية ، أو كانت حكوماتها خاضعة للضغط الصهيونى من الداخل أو الخارج ، أو كانت خاضعة للإملاء المباشر من البيت الأبيض ، وحتى إذا قلنا إن مثل هذا الضغط وهذا الإملاء لم يكن السبب الرئيسى فى تألب تلك الدول على الأمة العربية ، وإذا افترضنا انتفاء المصلحة الذاتية ، وقلنا إن تلك الدول أيدت قرار التقسيم بدافع المنطق والاقتناع بوجاهة الأهداف الصهيونية، فمن العبث أن يقال إن الرأى العام الدولى كان يناصر فكرة تقسيم فلسطين ، فإن ثلاثة أرباع الجنس البشرى كانوا إما خارج عضوية الأمم المتحدة ، أو مناهضين لقرار التقسيم ، والدول الثلاث والثلاثون التى أيدت ذلك القرار والتى لا تمثل فى مجموع سكانها إلا ربع سكان العالم ، كانت دولا بعيدة من الناحية الجغرافية عن فلسطين ، ولا دراية لأغلبها بحقيقة القضية . . ولكن السياسة المادية للدول الكبرى شاءت أن تجعل من تلك الدول الصغرى أمثال هايتى وليبريا ولكسمبرج وأيسلندة وبلجيكا وهولندة مجرد أعداد تتجمع فى جانب واحد ، فيقال إن الغالبية من الأمم المتحدة اتخذت ذلك القرار — قرار إهدار كيان فلسطين العربية .

وفيما يلى نتيجة التقسيم :

١ — الدول التى وافقت على قرار التقسيم وهى :

الولايات المتحدة الأمريكية	روسيا البيضاء	روسيا	فرنسا
كندا	أستراليا	جنوب إفريقيا	نيوزيلندة
أيسلندة	تشيكوسلوفاكيا	البرازيل	بلجيكا
بوليفيا	الدومينكان	كوستاريكا	النرويج
الدانيمرك	أكوادور	السويد	لكسمبرج
هولندة	جواتيمالا	هايتى	نيكاراجوا
باراجواى	أراجواى	بناما	بيرو
بولندة	أوكرانيا	فنزويلا	الفليبين
ليبريا			

٢ — الدول التى عارضت قرار التقسيم وهى :

مصر	سوريا	لبنان	اليمن
العراق	باكستان	أفغانستان	الهند
إيران	تركيا	اليونان	كوبا
المملكة العربية السعودية			

وكلها دول آسيوية ذات صلة وثيقة بفلسطين بالإضافة إلى مصر وهى فى التقاء إفريقيا بآسيا شمال شرق إفريقيا وهذه الصلة الوثيقة تعزز قرار المعارضة .

٣ — الدول التى امتنعت عن التصويت :

إنجلترا	الأرجنتين	الصين	الحبشة
كولومبيا	سلفادور	هندوراس	المكسيك
يوغوسلافيا	شيلى		

٥ — دراسة تحليلية للموقف :

وإذا حللنا الموقف . . وجدنا أن الأعضاء الذين وافقوا على التقسيم من الدول الاستعمارية ، أو من التى تسير فى فلكها طواعية أو كراهية ، وكلهم جميعاً يحاولون تحقيق آمال اليهود وبالتالى هدم الكيان العربى واغتصاب حقوقه . وتعرض البيت الأبيض وهيئة الأمم المتحدة للضغط الصهيونى حتى أن الرئيس الأمريكى ترومان صرح بقوله : « فى الحقيقة أن الضغط الذى وقع على الأمم المتحدة فى ذلك الوقت لم يكن له نظير أبداً . لقد تعرض البيت الأبيض فى الوقت نفسه لضغط لم يتعرض له فى أى وقت آخر . وكم ضايقنى كثيرا ، وأزعجنى حقا كثرة إلحاح الزعماء الصهيونيين الذين كانت تحركهم دوافع سياسية مصحوبة بالتهديدات حتى أن بعضهم كان يطالبنا بالضغط على دول أخرى ذات سيادة للحصول على الأصوات المطلوبة فى الجمعية العامة للأمم المتحدة » .

ولقد استيقظ ضمير الولايات المتحدة الأمريكية فقدم مندوبها فى ١٩ مارس عام ١٩٤٨ مذكرة أعلن فيها سحب حكومته لقرار التقسيم لاقتناعها بعدم إمكان تنفيذه ، وطالب المندوب الأمريكى بوضع فلسطين تحت الوصاية وإعادة النظر فى القضية مرة أخرى .

ومما لاشك فيه أن القرار الذى صدر تحت هذه الظروف وبتلك الصورة غير الطبيعية لا يمكن أن يعتبر صحيحا . فمن الضرورى للعدالة أن تجد المتنفس الذى تبدو فيه الحقائق .

فلكل قضية ظروفها وحقائقها ومعالمها ، ومن واجب القضاة أن يكتشفوا الحقيقة ح الأمور جلية واضحة ، وعملية التهديد ووسائل الضغط تبعد

الحق عن أعين القضاة ، وتغير الواقع إلى غير الواقع ، وبالتالى تكون النتيجة فى جانب الباطل . وهذا أمر لا يمكن قبوله شكلا ولا موضوعا .

إن قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة . . لو قدر له أن يعاد بحثه مرة أخرى لكان مصيره الإلغاء . . يؤكد ذلك أن بلجيكا وكندا وهما من الدول التى وافقت على قرار التقسيم فى جلسة ٢٩/ ١١ / ١٩٤٧ أحستا بخطئهما فاقترحتا إعادة النظر فى مشروع قرار التقسيم .

فإذا حذفنا الدول الثلاث وهى : كندا وبلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية من الدول التى وافقت على التقسيم ، وضح لنا مقدار الذبذبة التى كانت ستحدث بالنسبة للقرار ، ومما لاريب فيه أن الدول الأخرى الباقية وعددها ٢٩ دولة لا بد أن بعضها أحس بالجريمة ، ولو أن الموضوع أعيد بحثه لكانت النتيجة عكس ماحدث . . نعم لكانت النتيجة رفض المشروع ، وبالتالى لما استطاع اليهود أن يتمكنوا من فلسطين .

إلا أن انجلترا عز عليها أن تفلت الفرصة من يدها ، لذلك رأيناها تسرع بلا سابق إنذار وتعلن انسحابها من فلسطين ، ثم رأيناها تسلم لليهود المواقع الهامة . . . لماذا ؟

ليصبح الخيال حقيقة ، ولتكون الأمم المتحدة أمام الأمر الواقع ، وتؤكد لأعضائها أن ما لا يمكن تنفيذه قد نفذ فعلا ، وكأن إنجلترا تقول لهيئة الأمم المتحدة : إذا كنتم ترغبون فى إعادة بحث الموضوع لأن قرار التقسيم لا يمكن تنفيذه فها نحن أولاء ننفذه ، وهاهم اليهود يستولون على جزء من فلسطين ، فلا حاجة لكم فيما تعتزمونه .

٦ — أساليب الضغط الصهيونى :

يقول الفريد ليلينتال: « فى إبان الصراع الحاسم وعندما كانت النتيجة غير مضمونة لمشروع التقسيم ، وقف عضو الكونجرس الأمريكى عمانوئيل سيلر يهاجم بشدة وفد الولايات المتحدة الأمريكية الدائم فى هيئة الأمم المتحدة لأن وزارة الخارجية تولت وحدها اختيار أعضاء الوفد .

« وكانت حجة سيلر الصهيونى تنحصر فى أن الوفد الأمريكى لم يسع كما لم تسع وزارة الخارجية للضغط أو التأثير على أى عضو من مندوبى هيئة الأمم المتحدة !

« وبينما كان الشيخ وارن أوستن رئيس وفد الولايات المتحدة لهيئة الأمم يعبر عن ارتياحه لأنه مكن اليهود الأمريكيين غير الصهيونيين من عرض وجهة نظرهم على أعضاء الوفود الأجنبية ، عن طريق حكومات تلك الوفود ، فى هذه الأثناء كان دعاة الصهيونية يتقدمون بجرأة من مفوضيات عدة دول أجنبية للحصول على تأييدها مستخدمين شتى وسائل الإغراء ! وكان فى طليعة هؤلاء الصهيونيين الذين لعبوا دورهم الكبير القاضى جوزيف بروسكاوير رئيس اللجنة الأمريكية اليهودية ، والاقتصادى روبرت ناثان ، ودافيد نايلز مستشار البيت الأبيض لشئون الأقليات .

« فقد اتصل هؤلاء الثلاثة بالحكومات الأجنبية وبممثليها بوصفهم « مجرد مواطنين أمريكيين » وكانوا رجالاً أذكياء يعرفون الوصول إلى أهدافهم . . فقد استطاع روبرت ناثان بوسائله الخاصة أن يضعف مقاومة ليبريا ، ويجعلها توافق على قرار التقسيم بعد أن عارضه مندوبها فى اجتماعات اللجنة الخاصة . كما أن هؤلاء اليهود الثلاثة وغيرهم من رجال البيت الأبيض المسئولين أخذوا

يلوحون لعدد من مندوبى جنوبى أمريكا بأن تأييدهم لقرار التقسيم سيساعد كثيراً على تحقيق مشروع الطريق الأمريكى بين الجمهوريات الشمالية والجنوبية . . . من الاعتمادات الأمريكية الضخمة .

« حتى اليانور روزفلت بذلت الجهود الجبارة ، واستعانت بأصدقائها ونفوذها للضغط على عددمن مندوبى الدول الأجنبية ، كما كانت تلح باستمرار على خليفة زوجها هارى ترومان لـكى يضغط على موظفى وزارة الخارجيـة الذين كانوا يحصرون نشاطهم فى مناقشات سامية مع ممثلى الدول الأخرى .

«وعندما كان مصير قرار التقسيم مازال سراً غامضـاً قام برنارد باروخ بمساع خاصة مع فرنسا ، المستفيدة من مساعدات مشروع مارشال، كما اتصلت عدة شخصيات أمريـكية بمندوبين آخرين أمثال مندوبى هايتى والحبشـة والفليبين والباراجواى واللوكسمبرج وضغطت عليهم لتأييد قرار التقسيم . وكانت جميع وسائل الضغط والإغراء التى استخدمت تعتمـد على موارد الولايات المتحدة الأمريكية ونفوذها الواسع» .

وقد فضح الصحفى « درو بيرسون » وهو صديق قديم للصهيونية المخابرة الهاتفية التى جرت بين أدولف بيرل المستشار الرسمى لحـكومة هايتى وبين رئيس جمهوريتها ، والتى أسفرت عن تأييد هايتى لقرار التقسيم .

وكذلك تحدث عن الاتصالات التى جرت بين هارفى فيرستون صاحب مزارع المطاط الشاسعة فى ليبريا وبين حكومة ليبريا ، والتى انتهت بأن وقفت ليبريا إلى جانب التقسيم .

وفى أثناء مأدبة غداء أقيمت فى اليوم الأول من ديسمبر سنة ١٩٤٧ قال روبرت لوفيت سكرتير وزارة الخارجية بصراحة : « إننى ماتعرضت فى حياتى

لمثل الضغط والإغراء اللذين تعرضت لهما خلال الأيام الثلاثة التى سبقت طرح قرار التقسيم على الجمعية العمومية » .

وأضاف لوفيت يقول : « إن حميا النشاط اليهودى قد بلغت أقصاها حتى طغت على المطالب الإيجابية العادلة . . » .

ولقد كان فى مقدمة الذين اتصلوا بلوفيت وضغطوا عليه : هربرت بايارد سواب ، وروبرت ناثان ، واستنادا لأقوال لوفيت نفسة ثبت أن شركة فايرستون للمطاط استغلت نفوذها فى ليبريا للضغط مباشرة على حكومتها لقبول التقسيم .

أما المهزلة الكبرى فهى التى مثلت لكسب الفليبين إلى جانب التقسيم ، فقد غادر الجنرال رومولو الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد أن أعلن معارضته الشديدة لقرار التقسيم ، وبعد سفره مباشرة اتصل سفير الفليبين برئيس الجمهورية روكساس هاتفيا ، وأنبأه بالضغط الشديد الذى تعرض له رومولو وأعضاء الوفد ، ثم أبدى وجهة نظره ، وهى تقضى بضرورة تأييد قرار التقسيم ، لاسيما أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ووفدها فى هيئة الأمم مصممان على إقرار المشروع ، وأبلغ السفير الفليبينى رئيسه أن مصلحة الفليبين هى فى تأييد الولايات المتحدة الأمريكية فى موقفها . . وكان أن وافق رئيس جمهورية الفليبين على وجهة نظر السفير .

وفى هذه الأثناء تلقى الرئيس روكساس أيضا برقية موقعة من سبع وعشرين شخصية أمريكية من أنصار الصهيونية فى مقدمتهم عضو الكونجرس الأمريكى روبرت واكز ، وفيها يطالبون بإلحاح تأييد مشروع التقسيم ، ويذكرون المسئولين فى الفليبين بالفوائد التى ستجنيها الجزيرة من جراء هذا الموقف .

وهذه البرقية نفسها كانت قد أرسلت إلى اثنى عشر مندوباً من مندوبى الدول فى هيئة الأمم المتحدة ، وكان من نتيجتها أن أربعة منهم انقلبوا إلى تأييد المشروع بعد أن كانوا معارضين له . كما تحول سبعة مندوبين من المعارضة إلى الامتناع عن التصويت .

وكانت اليونان الدولة الوحيدة التى احتفظت بموقفها المعارض على الرغم من الإغراء والضغط اللذين تعرض لهما وفدها فى أورقة هيئة الأمم المتحدة .

وعندما انتهى الاقتراع على المشروع وقف ظفر الله خان يعلق على النتيجة:

« لقد سعينا إلى إحقاق الحق الذى استوحيناه من الله . . ونجحنا فى إقناع عدد من مندوبى الدول ليروا الحق كما نسناه .. ولكن مساعينا ضاعت فى التيار الجارف . . نحن لانحقد على زملائنا المندوبين الذين أكرهوا تحت الضغط والإغراء الشديدين أن يبدلوا موقفهم ويقترعوا على مشروع لاتقره العدالة ولا الإنصاف » .

وما إن مضت بضعة أشهر على تلك النتيجة حتى اعترف دين روسك رئيس مؤسسة روكفلر أمام جميع ممثلى المنظمات الوطنية الأمريكية بالفضيحة التالية :

« إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقم بأى ضغط مباشر مع مندوبى هيئة الأمم ، ولكن عدداً من كبار الشخصيات الأمريكية المسئولة أساء استخدام مراكزه الحكومية ونفوذه ، للضغط والتأثير على بعض مندوبى الدول . . . » .

وأضاف روسك : « إنه فى سبيل إقرار التقسيم ذهب هذا الفريق من المسئولين الأمريكيين يوهم بعض مندوبى الدول بأن مشروع التقسيم إنما هو مشروع أمريكى ! ! » .

ولقد لعب العامل الدينى دورا هاما فى قرار التقسيم وإقراره وخاصة لدى الطائفة الإنجيلية المستمدة تعاليمها من التوراة،وكان هذا العامل من جملة العوامل التى حملت إيرل بلفور والجنرال سمطس على تأييد إقامة وطن يهودى فى الأراضى المقدسة . فقد كان للعبارة التالية الواردة فى صك الانتداب البريطانى على فلسطين : « العلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين » أثرها الكبير فى معركة التقسيم ونجاحها . ففى الخطاب الذى ألقاه الحاخام سيلفر أمام اللجنة الخاصة شدد على هذه العبارة : « العلاقة التاريخية للشعب اليهودى بفلسطين » واستند إليها فى مطالبته بإنشاء الوطن القومى .

٧ — لماذا التقى الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة الأمريكية على مشروع التقسيم :

كان مشروع تقسيم فلسطين القضية الأولى والوحيدة التى جمعت بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى فى صف واحد وجعلت بينهما نوعا من الانسجام منذ أنشئت هيئة الأمم المتحدة .

وقد صرح مندوب فنزويلا السنيور زولو أنما بكل بساطة : « إن هذا التفاهم فى السياسية الروسية الأمريكية على قضية فلسطين هو أعظم حدث تاريخى هام فى حياة هيئة الأمم ، ويجدر بنا الاعتراف أن الحكومة الأمريكية برهنت فى وقوفها مع روسيا فى صف واحد على جهلها بالأساليب السوفيتية » .

كانت العناصر المسيطرة على الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت ترى فى إسرائيل وسيلة للتخلص من يهود الكتلة الشرقية فيما أعتقد ، بالإضافة إلى تأثير الدعاية الصهيونية واستغلالها لموقف ألمانيا النازية من اليهودية .

ويصرح الكوماندور ا . ه . هتشيسون[1] بقوله :

يعتبر الاتحاد السوفيتى من أشد الدول اهتماما بمراقبة ما يدور فى الشرق

(١) الهدنة الدامية ص ١٢٠ — ١٢٤ .

الأوسط من أحداث ، وقد ظل السوفيت أعواما يسعون إلى مركز للنفوذ فى العالم العربى دون نجاح كبير . . ثم وقع الاختيار أخيراً على المشكلة الفلسطينية كوسيلة لتحقيق هذا الغرض ، وكان السبب الأكبر هو معاملة «الطفل المدلل» التى يغمر بها الغرب إسرائيل ، وقد قام السوفيت بعرض شحنات من الأسلحة بأسعار مخفضة ، وقبلت مصر العرض ، مدفوعة إلى ذلك باستعراض العضلات الذى تقوم به إسرائيل على طول الحدود . . وارتفعت مكانة عبد الناصر إلى عنان السماء وحتى الدول العربية الموالية للغرب وافقت على أن هذه الخطوة كانت خير ما يتخذ فى مثل هذه الظروف .

والواقع أن دخول الشيوعيين إلى العالم العربى لم يكن مهمة سهلة ، ذلك لأن الاتحاد السوفيتى لم يفز منذ البداية بمركز طيب فى الشرق الأوسط عندما أصبح الدولة الثانية التى اعترفت بدولة إسرائيل الجديدة ، وكان العرب يدركون أيضا أن إسرائيل كسبت حربها فى سنة ١٩٤٨ ليس فقط بتأييد الغرب ولكن كذلك بمساعدات قيمة من الأسلحة تلقتها فى الوقت المناسب من الدول الواقعة وراء الستار الحديدى ، وفى مقدمتها تشيكوسلوفاكيا .

ولكن الشيوعيين لم يتهاونوا فى بذل الجهود لكسب صداقة الشعوب العربية ، وتهيأت لهم الفرصة آخر الأمر نتيجة للكراهية المتبادلة بين الدول العربية وإسرائيل ، وهى الكراهية التى زادها حدة خوف العرب من نوايا إسرائيل العدوانية.

ومهما يكن من أمر التقدم الذى أحرزه الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط،فإن الزعماء الدينيين يؤكدون أن المنهج الشيوعى السوفيتى لا يمكن أبداً أن يتلاءم مع التعاليم الإسلامية ، وهم يتخذون موقفا حازما ضد انتشار الشيوعية .

ويشيرون إلى حقيقة واقعة هى إسرائيل،إذ هى الدولة الوحيدة بين الدول

المشتركة فى المشكلة الفلسطينية التى تسمح بقيام حزب شيوعى بين أحزابها السياسية .

وجدير بالذكر أن حزبين إسرائيليين آخرين بالإضافة إلى الحزب الشيوعى الإسرائيلى يعترفان بأنهما مواليان للسوفيت ، وقد أدت الانتخابات التى أجريت فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٥ إلى فوز الشيوعيين والموالين للسوفيت بخمسة وعشرين مقعداً فى الكنيست .

فإذا أضفنا إلى ذلك الأربعين مقعداً التى فاز بها حزب ما باى الاشتراكى فإن المجموع يصبح خمسة وستين مقعدا يشغلها الأعضاء اليساريون ، أى أكثر من نصف مجموع أعضاء الكنيست الذين يبلغون ١٢٠ عضوا . وقد أسفرت الانتخابات عن التقسيم التالى :

	مقعداً
حزب ماباى « اشتراكى »	٤٠
« الصهيونيين العموميين « رجال الأعمال »	١٣
« حيروت « جناح يمينى متطرف »	١٥
« مزراحى « جماعة دينية متطرفة »	١١
« آحدوت آفودا « يسارى موال للسوفيت »	١٠
« مابام « يسارى متطرف وموال للسوفيت »	٩
« أغودات إسرائيل « جماعة دينية معتدلة »	٦
« الشيوعيين	٦
« التقدميين « غير اشتراكى »	٥
« ماباى العربى	٥
	١٢٠

وقد ازداد حزب حيروت والأحزاب الثلاثة الموالية للسوفيت قوة نتيجة للانتخابات ، بينما قل نفوذ حزب الماباى والصهيونيين العموميين .

وكانت وزارة بن جوريون تضم أعضاء من أحزاب الماباى ، ومزراحى والتقدميين والمابام وأحدوت آفودا واثنين من الشيوعيين .

ويقرر الكوماندور ا . ه . هتشيسون أنه استند فى الخصائص والاتجاهات التى نسبها إلى الأحزاب السياسية سالفة الذكر إلى معرفته الشخصية بالموقف السياسى فى إسرائيل ، وإلى المرجع الأول الذى استند إليه فى المناهج السياسية التى أعلنتها الأحزاب نفسها فى كتاب « دولة إسرائيل . . حقائق وأرقام » لعام ١٩٥٣ وقد سبق بيان عن هذه الأحزاب فى الباب الثانى .

٨ — النضال العربى على المستوى الدولى ازاء التقسيم :

حاول ممثلو الدول العربية جهدهم لإقناع بقية الوفود بوجهة النظر العربية ، بيد أنه كان إقناعا يستند إلى الحق والعدل والأسس الأخلاقية ، وهى كلها دوافع لا مكان لها فى سياسة القوة ، وإزاء سياسة الرئيس ترومان التى كانت إنجلترا تقف أمامها مكتوفة الأيدى .

« إنى برىء من دم هذا البار . أبصروا أنتم »(١) . عبارة قالها بيلاطس الوالى الرومانى لليهود ، لكن هذه العبارة لم تنقذ المسيح من إصرار اليهود على قتله ، وحسبما جاء بالأناجيل أنهم صلبوه وتحملوا وزر عملهم : « وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا » (٢) .

وتسير بريطانيا على سياسة بيلاطس، فيحاول مندوبها « كريتسن جونز » أن يحذر اللجنة السياسية التى كانت تناقش موضوع التقسيم من عواقب الانحراف تجاه تأييد التقسيم ، فقال إن حكومته لن تتحمل مسئولية

---

(١) متى ٢٧ : ٢٤ .   (٢) متى ٢٧ : ٢٥ .

إقرار التقسيم ضد رغبة العرب ، كما هاجم تواطؤ بعض الدول مع الصهيونية وتزويدها الإرهابيين بالسفن والمعدات الحربية والأسلحة الحديثة والذخيرة والأموال لتحريضهم على الهجرة غير المشروعة إلى فلسطين .

وكان رد مندوب الولايات المتحدة هرشل جونسون Herschel Johnson يحمل معنى ظاهراً ، إذ أصر على أن تكون بريطانيا مسئولة عن تهيئة الفرصة « قبل الميعاد المقرر لإنهاء الانتداب » لليهود ، حتى تكون المناطق المخصصة لهم معدة ومهيأة ومنظمة من الناحية الإدارية ، حتى يتسنى لهم استلامها من بريطانيا دون إثارة اضطراب أو خلل إدارى ، فكأن جونسون كان يتكلم عن التقسيم كقضية مسلم بها .

٩ — المعوقات للنضال العربى على المستوى الدولى :

إن الأدلة كثيرة على أن الضغط الصهيونى لعب دورا هاما فى التأثير على سياسة الولايات المتحدة فى القضية الفلسطينية وجعلها تتخذ طريقا مضاداً لمصلحتها العليا ، وبالتالى جرت معها حكومات أخرى كانت إما مترددة أو معارضة للتقسيم .

ومن الكتاب والمؤرخين من يؤكد أن الرئيس ترومان نفسه قام بدور هام فى تلك السياسة الموالية للصهيونية (١) ، ومن الثابت أيضا أن اللجنة المركزية للحزب الديمقراطى أشارت على الرئيس ترومان فى تلك الفترة بأن الاكتتابات المالية للحملة الانتخابية القادمة تتوقف على تأييده للصهيونيين (٢) .

وتم تأييد ترومان لاقتراح التقسيم رغم اعتراض المختصين من مستشارى وزارتى الخارجية والدفاع ، وبقى أمام الرئيس أن يتحدى هؤلاء المستشارين

---

(١) Daniels ; The Man of Independence, P. 317.

(٢) Mills; The Forrestal Dairies P. 304.

ويسعى للحصول على تأييد الدول الأخرى لأهداف الصهيونية ، فإن تلك الأخيرة كانت تعلق آمالا كباراً على نفوذ الولايات المتحدة وضغطها على الدول الصغيرة وبعض الدول الكبيرة . وفى وصف المستر سمنر ولز(١) لتلك الفترة من تاريخ السياسة الأمريكية ما يؤيد أن الصهيونيين تكاتفوا مع بعض المسئولين فى البيت الأبيض ، وبمساعدة فريق من أعضاء الكونجرس للقيام بحركة استغلت فيها كل وسائل الضغط للتأثير على الوفود الأخرى فى هيئة الأمم وإرغامها على تأييد اقتراح التقسيم .

١٠ — الصهيونية . . برنادوت . . جونار يارنج :

نشرت جريدة هاآرتس الإسرائيلية مقالا بقلم كاتبين إسرائيليين يعرضان فيه لحقيقة مصرع برنادوت ، إذ رأت عصابة « ليحى »(٢) فى وساطة برنادوت عقبة تهدد الكيان الإسرائيلى الجديد . فبالرغم من أن تقريره الذى انتهى إليه كان فى إطار الاعتراف بالوجود الإسرائيلى ، فإنه كان يفترض تعديلات لهذا الوجود . كان يقترح ضم النقب إلى العرب ، وكان يرى ضرورة أن تظل القدس عربية ، وكان يرى تدويل مطار اللد وميناء حيفا ، وكان يرى ضرورة أن يعود ٣٠٠٫٠٠٠ لاجىء إلى فلسطين إلى أراضيهم المغتصبة . وثارت ثائرة العصابة الصهيونية وقررت إزاحة برنادوت من الطريق . على أن اعترافهم الصريح بهذه الجريمة إنما يقدم للعالم دليلا ماديا جديدا على مدى احتقارهم للوساطة الدولية ، واستخفافهم بالرأى العام العالمى ، وإصرارهم على تنفيذ مخططاتهم بحد السلاح وبمختلف وسائل التآمر والإجرام ، وليس موقفهم الراهن الممتلىء تعاليا وصلفا من جونار يارنج مبعوث الأمم المتحدة الجديد ، إلا امتداداً لمسلكهم الإجرامى القديم من سلفه الأسبق الكونت برنادوت .

---

(١) Sumner wells ; We meed not fail, P. 63.

(٢) كانت تسمى نفسها بالمناضلين من أجل حرية إسرائيل .

١١ — الصهيونية والدعاية فى هيئة الامم :

دأب الصهيو نيون على إثارة الحملات ضد مصلحة العرب داخل هيئــــة الأمم وخارجها . فالعراقيل توضع أمام الوفود ، ولا تقوم السكرتارية بنشر خطبهم على حقيقتها ، ولا تيسر لهم استخدام أدوات الدعاية بنفس القــدر الذى تيسره للوفود المؤيدة للصهيو نية . والصحافة الأمريكية زاخرة بالدعاية للصهيو نية يوماً بعد يوم ، ومحطات الإذاعة والتليفزيون تحت تصرف دعاة الصهيو نية . والصحف تضلل الرأى العام الأمريكى ، وتشوه له الحقائق ولا تشير بمجرد إشارة إلى وجهة النظر العربية . ورغم تلك الدعايات المغرضة والمضللة فإن مندوبى العرب شرحوا قضيتهم من جميع نواحيها ، وأعطوا تاريخا مفصلا لفلسطين العربية ، وبينوا وجهة العدالة فى مطالبة العــرب بحقوقهم ، واستندوا إلى ميثاق الأمم المتحدة الذى يحتم إعطاء أهل فلسطين الشرعيين حقهم فى تقرير مصيرهم ولــكن دون جدوى !!

١٢ — مندوبو العرب لم يكونوا على المستوى الدولى فى المفاوضات :

وفى ٩ من أكتوبر عام ١٩٤٧ أعلنت الحــكومة البريطانية عزمها على تصفية الانتداب خلال الأشهر المقبلة ، فيسرى صدى ذلك فى «قرارات هامة» للجامعة العربية وتعلن أن « قرارات بلودان » السرية الخطيرة ستنفذ إذا ما أخل بحقوق العرب فى فلسطين ، وأنه يتحتم على الدول العربية أن تتخــذ الاستعدادات الحربية والاحتياطات اللازمة على حدود فلسطين حتى تمد يد المساعدة إلى سكانها العرب ،وتعلن توجيهات ونداءات الجامعة لمد يد المساعدة المــادية والمعنوية لعرب فلسطين . . إلى غير ذلك من القرارات التى وإن لم تــكن جدية وإيجابية وعملية فى إمكان تنفيذهاعلى أى الحالات فإنهاكانت تلزم الحــكومات العربية قانونيا ومعنويا ! كما أنها أعطت لمؤيدى التقسيم فرصة

للتفكير فى خطورة تأييدهم لمثل ذلك الاقتراح . ومن هنا يبدو الدهاء الصهيونى والانتهازية الصهيونية لتتخذ من التهديدات العربية خطة إيجابية لفرض الدولة بالقوة وهم يملكونها ، وخططوا لها منذ سنوات طويلة خلت ، فسارع الصهيونيون إلى إرسال مذكرة إلى الأمين العام للهيئة — عن طريق عملائهم فى نيويورك — يشيرون إلى أن الدول العربية « لن تستطيع خوض معركة مسلحة فى فلسطين إلا إذا حصلت على الأسلحة من الدول الكبرى . . وأن لدى منظمة الهاجاناه وحدها قوة تعادل ٧٠ ألفا ، كافية للوقوف فى وجه أى اعتداء ولتدمير كل قوة مهاجمة ، والدفاع عن فلسطين لمدة عام كامل » . وكان الغرض من تلك المذكرة إقناع المترددين من أعضاء الأمم المتحدة بأن الصهيونية لن تخشى تهديدات الحكومات العربية ، وأن العصابات الصهيونية سوف تحقق تهويد فلسطين رغم أنف الدول العربية ودول العالم أجمع ، وأن قرار التقسيم إذا صدر من هيئة الأمم سيكون له أثره فى إلزام العرب بتنفيذ نصوصه والاستسلام لمطالب اليهود .

ويبدو أن تلك المناورة كان لها أثرها على بعض الوفود ، فبدأ العرب يفقدون بعض المؤيدين لوجهة نظرهم ، وبدأت بوادر انهزام القضية العربية تلوح فى الأفق ، خصوصا أن الاتحاد السوفيتى — ومن ورائه الدول الضالعة معه — أعلن تأييده لاقتراح التقسيم .

ومرة أخرى حاول ممثلو الدول العربية إنقاذ الموقف ، فاقترحوا نظام وصاية مؤقت فى فلسطين ، واقترحوا نظاما فيدراليا ، واقترحوا عرض المشكلة على محكمة العدل الدولية ، وتوسلوا بالمنطق واستشهدوا بأسس العدالة

والمثل الأخلاقية وحقوق الشعوب فى تقرير المصير وكأن لم تكن هناك أذن تسمع ! !

وبينما كانت وفود الدول العربية تستند إلى وعود حكومة الولايات المتحدة الأمريكية باتخاذها موقفاً محايدا وعدم تأثيرها على وفود الدول الأخرى [١]، كانت المؤامرات تدبر سراً وعلانية للحصول على الأغلبية الكافية لإقرار اقتراح التقسيم . فقام الرئيس ترومان — تحت ضغط بعض مستشارى حزبه — ببذل الجهود لضمان تأييد قرار التقسيم من جانب الدول التى تخضع لنفوذ الولايات المتحدة أو مشورتها ! وكلف الرئيس الأمريكى قاضيين معروفين من قضاة المحكمة العليا لبذل الجهود لتحقيق ذلك الغرض [٢]. ولم يكن هذا الضغط السياسى يخاف على الكثيرين ، وكان الرئيس ترومان يقوم بتنظيمه ضد رغبة الإخصائيين فى وزارة الخارجية الأمريكية ، ورغم نصيحتهم له بخطورة تلك السياسة ، كما شهد بذلك المستر سمنر ولز ، وكما شهد المسئولون البريطانيون . وهكذا تحولت هيئة الأمم المتحدة بفعل الضغط الذى سلطه ترومان على أعضائها، تحولت من ذلك المنبر العالمى الحر الذى تسوى فيه المشاكل الدولية ، إلى ميدان للسياسة المادية وسياسة الضغط وإقرار الباطل وامتهان كرامة الدول وحقوق شعوبها . هكذا كان يسلط الضغط السياسى فى عاصمة الولايات المتحدة الزعيمة الكبرى للعالم الحر .

١٣ — مولد دولة :

ما إن أعلن قرار التقسيم يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ حتى تحولت الأرض المقدسة إلى ساحة حرب سفكت فيها الدماء ، وسادها الرعب والاضطرابات ،

---

(١) كما صرح بذلك نورى السعيد فى ذلك الوقت اعتماداً على ماوصفه من اتصالات دارت بين الوفود العربية والمسئولين من الأمريكيين .
The Forrestal Dairies : P.P. 309-323, 344-358

(٢) مضابط مجلس العموم .

وقتل ١٧٠٠ نفس فى المائة يوم الأولى التى تلت ذلك القرار المشئوم .

وبينما كانت الفوضى تعم الأرض المقدسة ، والاضطرابات تزداد يوما بعد يوم تنذر بهبوب العاصفة ظلت هيئة الأمم صامتة ساكنة وأخذ دعاة التقسيم ينادون بضرورة التدخل المسلح لوقف هذا الصراع العنيف ، إن لم يكن عن طريق هيئة الأمم فبواسطة الولايات المتحدة وحدها . وكان فى طليعة المتحمسين لهذا التدخل المسلح السيدة اليانور روزفلت ، وسمنر ولز ، والسناتور هربرت ليهمان ، وألبرت توماس ، والسناتور تافت . وهذا الأخير اقترح إنشاء جيش خاص لفلسطين .

وعندما انعقد مجلس الأمن فى ليك سكس لبحث القضية توجه مندوب أمريكا وارن أوستن إلى واشنطن ، حيث تداول الموضوع مع وزير الخارجية مارشال ، ثم عاد إلى ليك سكس وأبلغ أعضاء مجلس الأمن بوجهة نظر الحكومة الأمريكية ، التى تعترف بأن ليس من صلاحية المجلس فرض التقسيم بقوة السلاح وفقاً لميثاق الهيئة ، وأنه لا يمكنه التدخل إلا فى حالة تهديد السلم العالمى .

وهكذا وقفت الولايات المتحدة فى وجه التدخل المسلح لفرض التقسيم ، وأصرت وزارة الخارجية على تجنب سفك دماء الفريقين بفلسطين وتعريض القوات الأمريكية لمواقف حرجة .

ويبدو أن ترومان نفسه كان متردداً فى إرسال قوات أمريكية إلى فلسطين وكان حريصا كل الحرص على عدم تدخل هيئة الأمم المتحدة ، لأن تدخلها يعنى إشراك قوات روسية فى التدخل المسلح .. وهذا ما تعارضه أشد المعارضة وزارة الحربية الأمريكية ومجلس الدفاع الوطنى ، حتى لا يفتح باب الشرق الأوسط أمام القوات الروسية ، فتدخله تحت ستار هيئة الأمم . وعلى ضوء هذه

الحقائق أخذت السياسة الأمريكية بأهون الشرين ، وراحت تجاهد فى أن تجد تدابير مؤقتة لحل القضية الفلسطينية ضمن الحدود القانونية .

وهكذا انقسمت الكلمة بين الدول الخمس الكبرى .

بريطانيا التزمت جانب الحياد . .

وروسيا السوفيتية ارتاحت لما حدث فى فلسطين لأنها كانت ترغب فى تفاقم الحالة كيما يتسنى لها التدخل .

وفرنسا كانت تسعى لإيجاد نوع من المصالحة بين الفريقين المتنازعين .

أما الصين ، فقد طالبت بتدخل سريع ومعاملة اليهود والعرب معاملة متساوية .

وكانت الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية الدولتين الوحيدتين الراغبتين فى التثبت من الحالة فى فلسطين ، وفيما إذا كانت تهدد السلم العالمى .

وفى التاسع عشر من شهر مارس ١٩٤٨ ، دعا مندوب أمريكا وارن أوستن مجلس الأمن لوقف جميع التدابير المتخذة بشأن تنفيذ قرار التقسيم والسعى لإقرار هدنة فى فلسطين ، ثم دعوة الجمعية العمومية لجلسة خاصة ، للموافقة على إقرار نظام جديد للوصاية على فلسطين بإشراف هيئة الأمم نفسها .

الباب الرابع

ظلال.. جوهر.. قرارات

ظــلال

١ — الاضطهادات . . . الهجرات . . . المأوى :

حاول وليم توك — السكرتير الأول لمنظمة اللاجئين الدولية — أن يوضح للأمريكيين الهائجين أن فلسطين لا يمكن اعتبارها ملجأ أمينا « للمشردين الذين لا مأوى لهم » كما أن صحيفة « نيويورك تايمز » ذكرت فى عددها الصادر فى ٥ مايو ، إحصائيات موثوقة تفيد أن غالبية يهود أوربا المشردين ، كانت قد أعلنت فى عام ١٩٤٧ عن رغبتها فى الذهاب إلى فلسطين ، ولكن ثمانين فى المائة من هؤلاء اليهود يريدون الاستيطان فى الولايات المتحدة ، « وأنهم لا يرغبون مطلقا فى الذهاب إلى الأرض المقدسة . . » ، ولكن هذه الأصوات المخلصة ضاعت أيضا فى ضجيج الدعاية الصهيونية .

وإسرائيل اليوم امتداد لإسرائيل الأمس حينما قال لهم بيلاطس : « فماذا أفعل بيسوع الذى يُدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب . فقال الوالى : وأى شر عمل . فكانوا يزدادون صراخا قائلين : ليصلب . فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا : إنى برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا »(١) .

ويقرر لوقا طغيان الباطل على الحق وإرادة إسرائيل وإصرارها على صلب الحق فى شخص المسيح ، فيقول فى إنجيله : « فناداهم بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع ، فصرخوا قائلين : اصلبه اصلبه . فقال لهم ثالثة : فأى شر عمل هذا ؟ إنى لم أجد فيه علة للموت . فأنا أؤدبه وأطلقه . فكانوا يلجون بأصوات

(١) متى ٢٧ : ٢٢ — ٢٥ .

عظيمة طالبين أن يصلب ، فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة ، فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم »(١) .

ففى القديم تآمروا على خاتم أنبيائهم ورسول السلام والمحبة وأصروا على قتله وصلبه ، وتم لهم ما أرادوا .

واليوم تآمروا على شعب فلسطين وقويت أصواتهم على صوت الحق ، وعندما عين الجنرال جون هيلدرنج ، مستشارا خاصا لشئون فلسطين فى وزارة الخارجية الأمريكية ساد الاعتقاد بأن الولايات المتحدة أدخلت تبديلا جديدا على سياستها ، فإن الجنرال هيلدرنج كان قد صرح أمام المجلس اليهودى الحيزى ، قبل يومين من تعيينه فى منصبه الجديد « بأنه يؤيد التقسيم » .

بالإضافة إلى هذا التغيير فقد أعلن وايزمن قبل أيام معدودة من جلاء القوات البريطانية وانتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين مانصه :

« لقد تمكنت من توطيد علاقاتنا بأصدقائنا فى واشنطن وتأكدت أنه سيتم الاعتراف بالدولة اليهودية فى اللحظة التى يعلن فيها عن إنشائها . . » .

وفى ١٣ مايو كتب وايزمن رسالة خاصة إلى ترومان يطالب فيها : « أن تعترف الولايات المتحدة حالا بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة ..» .

وحتى تلك الساعة كانت الجمعية العمومية لم تبطل بعد قرار التقسيم الصادر فى نوفمبر ١٩٤٧ ، كما أنها لم تكرر تأييدها له ، بل ظلت تتلهى بمعالجة القضية الطارئة ، وهى كيفية إنقاذ الأرواح فى فلسطين .

وفى هذه الأثناء وتحت حافزين: حافز عربى أصيل فى إنقاذ فلسطين وحافز بريطانى خسيس فى قيادة الجيوش العربية وتحركاتها بالقدر الذى يحقق للاستعمار أهدافه فى خلق إسرائيل ـ فى هذه الأثناء كانت الجيوش العربية

---

(١) لوقا ٢٣ : ٢٠ — ٢٤ .

تهدد بالزحف إلى الأرض المقدسة ، وكانت الخطة الإمبريالية الصهيونية تنتهز هذا الزحف لتحقق ضربة قاصمة تعطى لإسرائيل حقوق الغزاة الذين استولوا على البلاد بالانتصار فى المعارك الحربية .

وكانت حكومة الولايات المتحدة ماتزال — ظاهريا — تعرض مشروع « هدنة وإقامة نظام للوصاية » ، وهى السياسة التى أملتها الهيئات العسكرية العليـا .

وفى صباح ١٤ مايو ١٩٤٨ ، تمكن كلارك كليفورد مستشار الرئيس الأمريكى الخاص — والذى كان على اتصال مستمر بزعماء الحزب الديمقراطى وقادة الصهيونية — من إقناع رئيسه ترومان بوجوب القيام بعمل فورى لإنقاذ الحزب الديمقراطى من هزيمة محققة فى الانتخابات المقبلة ، لاسيما أن قادة الحملات الانتخابية فى الحزب أبلغوه أن « مشروع الوصاية » الذى عرضته حكومة واشنطن سوف يؤدى بترومان وحزبه إلى فشل ذريع ، وأن هناك ثورة داخلية فى الحزب ضده .

وإزاء هذه التطورات السريعة ، رأى كليفورد أن من الضرورى كسب الأصوات اليهودية مهما كلف الأمر .

وهكذا اختلى ترومان طيلة يوم ١٤ مايو بمستشاريه المقربين وبحث معهم الموقف بصورة جدية ، كما اجتمع بفرانك جولدمان رئيس مؤسسة « بناى بريث »[1] الصهيونية التى ينتمى إليها صديق ترومان الحميم وشريكه اليهودى القديم « ادى جاكبسون » كما أن عضو الكونجرس « سول بلوم » أبرق إلى ترومان يقول :

---

(١) راجع كتاب « إسرائيل والتلمود » عن المنظمات الصهيونية ، للمؤلف .

« إن على الولايات المتحدة أن تعترف بالدولة اليهودية الجديدة ، وبذلك تساعد على منع نفوذ السوفيت من التغلغل إلى فلسطين والشرق الأوسط »(١).

وطيلة ذلك اليوم ظل البيت الأبيض معتصما بالصمت المطبق ، وحوالى الساعة الحادية عشرة والنصف من قبل ظهر ذلك اليوم استدعى البيت الأبيض الياهو أبشتاين (وكان فى ذلك الوقت يمثل الوكالة اليهودية بواشنطن ، وهو الذى سمى فيما بعد الياهو إيلات وأصبح السفير الأول لإسرائيل فى الولايات المتحدة) ، وأبلغه أن حكومة الولايات المتحـدة قررت أن تعترف اعترافا واقعيا بدولة إسرائيل فور إعلانها ، شرط أن توجه الدولة الجديدة كتابا تطلب فيه الاعتراف بها . . .

وأجاب أبشتاين بأن الدولة الجديدة لا يسعها إرسال مثل هذا الـكتاب قبل مولدها (أى قبل الساعة السادسة مساء حسب توقيت واشنطن) ، ووعد بأن يتصل بتل أبيب ويبلغها رغبة الرئيس ترومان .

جرت كل هذه التطورات الخطيرة فى جو بالغ الـكتمان ، بل إن البيت الأبيض قرر إبقاء قرار الاعتراف فى طى الـكتمان وخاصة عن وزير الخارجية مارشال ، لتحاشى أى معارضة قد يثيرها وزير الخارجية ، ولأن نايلز وكليفورد كانا يخشيان أن يعمد ترومان إلى تأجيل الاعتراف ، ولأن الرئيس ترومان لا يريد إبلاغ الخبر قبل موعد إذاعته إلى وزارة الخارجية أو إلى الوفد الأمريكى بنيويورك حيث توالى هيئة الأمم اجتماعاتها لبحث مشروع الوصاية الذى تقدمت به أمريكا نفسها .

---

(١) حتى طلباتهم لا تخلو من ركيزة تنتزع الموافقة ، فإثارة التغلغل السوفيتى ترهب المطامع الأمبريالية فى الشرق الأوسط وتورط أمريكا وتدفعها للاستجابة .

وفى الساعة السادسة تماماً حسب توقيت واشنطن (الساعة ١٢ حسب توقيت القاهرة) أعلن نبأ نهاية الانتداب على فلسطين ، وفى الساعة السادسة والدقيقة الأولى ، أعلن قيام دولة إسرائيل الجديدة .

وفى الساعة السادسة وإحدى عشرة دقيقة تم اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بالدولة الجديدة ، فقد دعا تشارلز روس الملحق الصحفى بالبيت الأبيض ، رجال الصحافة إلى مكتبه وتلا عليهم قراراً مؤلفاً من سطرين ، يتضمن اعتراف الرئيس ترومان بدولة إسرائيل اعترافا واقعيا ، وقد شفع القرار بتمنيات الرئيس الأمريكى للدولة الجديدة ، لإقرار السلام فى تلك الربوع .

وبينما كانت الإدارة الأمريكية فى واشنطن تعترف بسيادة إسرائيل واستقلالها ، كان المندوب الأمريكى فى هيئة الأمم مازال يدافع عن مشروع الوصاية على فلسطين ! !

وفى هذه الأثناء تلقى دين روسك أوامر من البيت الأبيض بإبلاغ السفير أوستن قرار الرئيس ترومان ، فتولى نقل النبأ إلى أوستن فى غرفته فى فندق والدورف استوريا . . . ومن حسن حظ أوستن أنه لم يكن حاضراً آنذاك اجتماع الجمعية العمومية التى كانت تواصل بحث مشروع الوصاية الأمريكى ! !

وعلى إثر إذاعة النبأ . . انتشرت الشائعات المتضاربة فى فلاشنج ميدوز محاولة أن تفسر الدوافع التى أدت إلى إصدار هذا القرار . والطريف فى الأمر أن الجمعية العمومية ظلت ، على الرغم من كل هذا ، تواصل عقد اجتماعها الخامس والثلاثين بعد المائة برئاسة المندوب الأرجنتينى لمناقشة مسألة تدويل القدس ، بعد أن تم التصويت على تعيين مفوض سام من قبل هيئة الأمم على المدينة المقدسة .

وقد حدث حوالى الساعة السادسة أن وقف مندوب كولومبيا السنيور جونزاليس فرناندز يسأل مندوب الولايات المتحدة الأمريكية عما إذا كان فى وضع يسمح له أن يؤكد الأنباء الواردة فى الصحف عن قيام دولة إسرائيل واعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بها عقب إعلان مولدها . . فأجابه فرنسيس ساير ، أحد أعضاء الوفد الأمريكى ، أنه لم يتلق حتى الآن معلومات رسمية عن الموضوع . ولم يتمالك مندوب كوبا عندها من أن يقف مبديا دهشته واستغرابه لجهل الوفد الأمريكى بهذا الموضوع وقال :

« يبدو لى أن مندوبى روسيا السوفياتية وبولونيا أكثر اطلاعا على التطــورات الأخيرة التى جرت فى واشنطن من أعضاء الوفد الأمريكى نفسه ! ! » .

وخلص المندوب الكوبى إلى القول :

« إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد اعترفت بالدولة اليهودية الجديدة فلا حاجة بنا بعــد الآن لمناقشة المشروع المعروض على بساط البحث . . . » .

ولم يمض وقت طويل على هذا الحديث ، حتى وقف البروفسور فيليب جسب ، نائب رئيس الوفد الأمريكى ، يعلن أن الوفد الأمريكى تلقى معلومات رسمية يمكن إطلاع الهيئة عليها وهذا نصها :

« لقد تلقت هذه الحكومة معلومات تفيد أن دولة يهودية قد قامت فى فلسطين ، وهى تطلب الاعتراف بحكومتها المؤقتة ، وقد اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالحكومة المؤقتة اعترافا واقعيا كسلطة مسئولة عن دولة إسرائيل » .

على هذه الصورة . . تلقى الوفد الأمريكى فى هيئة الأمم قرار الرئيس ترومان التاريخى !

ولقد كانت العبارة الواردة فى قرار ترومان والقائلة : « . . . وهى تطلب الاعتراف بحكومتها المؤقتة » غير قانونية ، لأن الرئيس الأمريكى لم يتلق سوى رساله مؤرخة فى ١٤ مايو — ١٩٥٨ من الوكالة اليهودية ، وموقعة من الياهو ابشتاين ، وتقول : « لقد تقرر أن إيذاع نبأ إعلان إسرائيل فى منتصف ليل ١٤ مايو . . »

وقد كانت السلطة الرسمية فى فلسطين فى الوقت الذى كتبت فيه هذه الرسالة وتلقتها الدوائر المسئولة فى البيت الأبيض ، هى السلطة البريطانية المنتدبة دون غيرها .

ولكن الذى حدث . . أنه بعد ٢٤ ساعة من عزم الرئيس على اتخاذ هذا القرار ، تلقت وزارة الخارجية الأمريكية برقية من الحكومة المؤقتة لدولة إسرائيل ، تطلب فيها الاعتراف بها .

وهكذا ارتفع فى سماء فلسطين عند الساعة الثانية عشرة والدقيقة الواحدة حسب توقيت القاهرة ، أول علم لدولة إسرائيل كما ارتفع فى نفس اللحظة علم مماثل فى واشنطن على بناية الوكالة اليهودية « سابقا » .

وبينما كان المندوب السامى البريطانى ، السير آلن كوننجهام ، يغادر مرفأ حيفا ، طاويا آخر عهد للانتداب البريطانى على فلسطين الذى استمر أكثر من ربع قرن ، فى تلك اللحظة بالذات ، كان زعماء الصهيونية يعلنون قيام دولة إسرائيل بهذه الكلمات :

« إن هذا العمل هو اعتراف من قبل هيئة الأمم المتحدة ، بحق الشعب اليهودى فى إعادة بناء دولته المستقلة . . .

« وهذا العمل لا يمكن بطلانه . .

« وزيادة على ذلك ، فهو حق صريح للشعب اليهودى ، ليكون أمة كسائر الأمم ، ضمن دولة مستقلة . . .

« وبناء عليه ، فنحن أعضاء المجلس الوطنى الممثل للشعب اليهودى بفلسطين ، والحركة الصهيونية فى العالم ، قد عقدنا هذا الاجتماع الرهيب ، واستناداً إلى الحق التاريخى والوطنى للشعب اليهودى ، وقرار الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة ، نعلن فى هذه الساعة قيام الدولة اليهودية فى فلسطين باسم دولة إسرائيل . . .

« ونتوجه بالدعوة إلى الشعب اليهودى بأسره فى العالم ، ليقف إلى جانبنا فى تسهيل الهجرة وإنعاش دولتنا ، ومساعدتنا فى صراعنا الكبير ، لتحقيق حلم الأجيال فى استرداد أرض إسرائيل . . » .

٢ — أمريكا جنت على نفسها بهذا القرار :

لم تكن فلسطين وحدها هى التى قسمت ، بل شمل التقسيم يهود أمريكا أنفسهم وشطرهم شطرين بسبب تلك السياسة الخاطئة .

وقد أثارت الوكالة اليهودية قضية لم يجرؤ أحد من اليهود على إثارتها بمثل هذه الصراحة والتحدى ، وهى قضية المواطنين الأمريكيين اليهود ، وازدواج إخلاصهم لدولتين معاً « إسرائيل أولا وأمريكا ثانيا » ، فإن الوكالة اعترفت فى أحد تقاريرها الرسمية بوجود مثل هذا الازدواج منذ أن قامت

إسرائيل ، وقالت إن هناك عقبات جمة تعترض تطبيقه لمصلحة إسرائيل ، خاصة عندما تتعارض مصالح إسرائيل وسياسة الدولة التى يعيش فيها المواطنون اليهود .

ومما قاله بن جوريون بهذا الصدد ، فى اجتماع الجمعية التنفيذية الصهيونية بالقدس مانصه : « من واجب الصهيونيين المنتشرين فى أنحاء العالم ، أن يجدوا فى نفوسهم الجرأة الكافية ، لكى يقفوا بجانب إسرائيل ، حتى ولو كانت حكوماتهم ضدها ! » .

وقد تصدى لهذا الازدواج البرت أينشتاين فصرح بقوله : « إننا نتوجه إلى اليهود فى أمريكا وفلسطين بألا يتركوا أنفسهم تتردى فى يأس قاتل أو فى بطولة زائفة قد تودى بهم فى مهاوى الدمار والانتحار » . ولم يجرؤ يهودى واحد على كتابة ما كتبه الدكتور يهودا ماغنز ، رئيس الجامعة العبرية بالقدس عندما قال :

« إنه من السهل جداً رفع الصوت بالإعلان أن اليهود الإرهابيين هم وحدهم المسئولون عن الجرائم الوحشية التى حدثت فى الأرض المقدسة، ولكن من هو المسئول عن الإرهابيين ؟ .. إن كل واحد منا — أى اليهود — يحمل شيئاً من المسئولية ، ولكن الوزر الأكبر يقع على عاتق الأمريكيين الذين ساندوا هؤلاء الإرهابيين ... ومن بينهم فريق من الشيوخ وأعضاء الكونجرس ورجال الصحافة ودور النشر والكتاب وعدد من كبار الأغنياء اليهود ، الذين ساندوا الحركة ماديا ومعنويا . . » .

إن من حق كل مواطن أمريكى أن يعطف على إسرائيل ، ويمد لها يد المساعدة إذا شاء ذلك ، دون أن يلومه أحد .

ولكن زعماء الصهيونية لم يكتفوا بهذه المساعدة أو ذاك العطف ، بل

أخذوا ينشرون دعايتهم الواسعة والعلنية بين يهود أمريكا ، يحضونهم على بذل المساعدات المادية والمعنوية لإسرائيل ، والتوجه بالولاء والإخلاص لها أولا وأخيراً ، «لأنهم يهود إسرائيليون قبل أن يكونوا مواطنين أمريكيين».

وهذه الدعايات تناقض ما أعلنه الرئيس الأمريكي وودرو ولسن منذ أربعين سنة عندما قال : « لا يمكنك أن تصبح أمريكيا صحيحا ومخلصا ، إذا كنت تعتبر نفسك تنتمي إلى طائفة معينة ، لأن أمريكا لا تضم طوائف وجماعات متفرقة . فالرجل الذى ما زال يعتبر نفسه ينتمي إلى جماعة معينة ، لم يصبح أمريكيا صحيحا بعد ، وإن الذى يأتي إليك ليتاجر بوطنيتك عن هذا الطريق لا يستحق أن يظله العلم الأمريكي ويحميه . . » .

وعلى الرغم من هذا القول الصريح ، يطلقه أحد رؤساء الجمهورية الأمريكية ، فما زال فى الولايات المتحدة فريق من الصهيونيين واليهود المتهوسين ، يملك الجرأة الكافية ليعلن صراحة وفى أمريكا ما نصه : «لاشك أن العلم الإسرائيلي هو علم دولة أجنبية وأن اللغة العبرية هى لغة أجنبية أيضا ، ومع ذلك فهذه الأشياء تخصنا ونتمسك بها ، لأن مستقبل اليهود مرتبط ارتباطا وثيقا بإسرائيل » .

وبالفعل أبدى الصهيونيون الأمريكيون ولاءهم وتمسكهم بإسرائيل ، على الرغم من أن هذا التمسك وذاك الولاء كانا يضران بمصالح الولايات المتحدة .

وهذا ما حدث من تدخل الصهيونية فى شئون أمريكا السياسية . . !

فقد حدث عندما أثيرت قضية إعادة تنظيم ألمانيا الغربية من الوجهتين العسكرية والسياسية ، لتكون حاجزاً منيعاً فى وجه التيار الشيوعى الرابض فى الطرف الآخر من برلين ، أن قامت قيامة اليهود الأمريكيين ، وبالتالى

دولة إسرائيل الناشئة وأخذت الصهيونية تدخل فى أذهان ساسة واشنطن أن تسليح ألمانيا سوف يؤلف خطراً يتهدد اليهود عامة وإسرائيل خاصة .

وعندما وقعت معاهدة الصلح بين الحلفاء وألمانيا الغربية أرسلت إسرائيل إلى واشنطن مذكرة شديدة اللهجة تحتج فيها على توقيع مثل هذه المعاهدة .

وهناك حادثة أخرى أيضا حدثت فى نهاية عام ١٩٤٩ . . . كانت قضية تدويل القدس آنذاك ما تزال موضوعة فى جدول أعمال الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ، وكان وزير خارجية إسرائيل موسى شاريت قد حضر إلى الولايات المتحدة بنفسه ، لمناشدة « اليهود » كى يمدوا يد المساعدة لإنقاذ وضع إسرائيل وبذل النفوذ والجهود لعرقلة تدويل القدس . وبالفعل نشطت المنظمات الصهيونية واليهودية للعمل ، وأخذت تطوق البيت الأبيض وتطرق أبواب أعضاء وزارة الخارجية ، ومندوبى الولايات المتحدة فى هيئة الأمم ، لإقناعهم بالوقوف ضد تدويل المدينة المقدسة .

وفى أثناء مناقشة القضية فى هيئة الأمم ، وقبل طرحها للتصويت ، وقفت الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل ، ضاربة بحرمة الأماكن المقدسة عرض الحائط ، ولكن ما إن طرح قرار التدويل للتصويت عليه فى الجمعية العامة ، ونال الأكثرية المطلوبة ، حتى تراجعت الولايات المتحدة عن قرارها وأعلنت تمسكها بقرارات الأغلبية . وإمعانا فى احتقار قرارات هيئة الأمم المتحدة أخذ بن جوريون يعلن فى تل أبيب أن دوائر حكومته ستنتقل إلى القدس لتتخذ منها عاصمة لدولة إسرائيل .

كما قامت فى أمريكا المنظمات الصهيونية تؤيد سياسة بن جوريون ، وتصرح علنا بأن اليهود الأمريكيين يناصرون إسرائيل فى كل الخطوات التى تتخذها للدفاع عن المدينة المقدسة .

والمدهش حقـا أن زعمـاء الصهيونية نجحوا فى إقناع الأمريكيين المسيحيين ، وفريق كبيرمن ساسة أمريكا ، ورجال الصحافة فيها ، بأن لليهود معتقدات خاصة تختلف كل الاختلاف عن المعتقدات الأمريكية ، وهذه المعتقدات تفرض عليهم العزلة والتـكتل كطائفة منفردة ضمن البيئة التى يعيشون فيها .

وبالرغم من كلمة الرئيس ولسن المأثورة (١) : « إن أمريكا لا تتألف من طوائف وجماعات بل من أمة واحدة » ، فمازالت الصهيونية الأمريكية مقتنعة بأن لها مصيرا خاصا يفضل على مصلحة أمريكا نفسها . وهذا الاعتقاد متأصل فى تاريخ اليهودية الأمريكية ويصعب إزالته ، وقد نشأت عنه تجربة جديدة ، مزجته بعنصرين متنافرين هما : جوهر الدين وظلال الوطنية .

فإن الدين فى نظر الرجل اللاهوتى معتقد مستمد مما وراء الطبيعة ، يتصل بأصل الـكون ، ومعنى الحياة البشرية . وبمعنى أوضح إنه يتناول اعتقاد الإنسان بقوة جبارة ، غير منظورة ، تسيّر الـكون ، وعليه احترامها وتقديم فروض العبادة لها .

وعلى هذا فإن اليهودية هى معتقد دينى ، ولـكن قليلين هم الذين يعتبرون أنفسهم يهوداً ينطبق عليهم هذا التعبير .

ولا جدال فى أن الصهيونية عرضت الديانة اليهودية لأخطار جسيمة عندما لجأت إلى تحويل اتجاهاتها الدينية المتأصلة فى قلوب يهود العالم إلى فـكرة سياسية ، ولا يمـكننا الآن أن نعرف نتائج هذا التحويل وأخطاره على هذه

---

(١) الفريد ليلينتال « ثمن إسرائيل » ص ١٩٠ ، ١٩١ .

الديانة ، وما إذا كانت ستتمكن من أن تعيش ، كقوة دينية ، أم أنها ستزول من الوجود بعد أن حقق دعاة الصهيونية أغراضهم بواسطتها .

إن فى كلمات النبى ميخا عبرة لأولئك الذين يريدون دفن اليهودية ثم ذرف دموع التماسيح عليها ، وجمع الدولارات على جثتها ، لإنعاش وطنيتهم اليهودية الزائفة .

لقد قال النبى ميخا : « قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح ، وماذا يطلب منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع إلهك » (١) .

وكذلك فى كلمات النبى أشعياء إذ يقول : « هكذا قال الرب : احفظوا الحق وأجروا العدل . طوبى للإنسان الذى يعمل بهذا وطوبى لابن الإنسان الذى يتمسك به » (٢) .

وكذلك فى كلمات النبى إرمياء إذ يقول : « هكذا قال الرب : أجروا حقا وعدلا وأنقذوا المغصوب من يد الظالم . والغريب واليتيم والأرملة لا تضطهدوا ولا تظلموا ولا تسفكوا دما زكيا » (٣) .

ثم يقول : « اطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام » (٤) .

والحق يقال ، إن هذه التعاليم هى الأهداف التى لم تحققها اليهودية كدين ، ولهذا فالحاجة ملحة لإنعاش اليهودية روحيا خاصة فى هذا الزمن . فإذا ما انتعشت اليهودية روحيا ظهر بينها أمثال حزب أغودات إسرائيل الذى ينادى بعقيدتهم : « بأن أية محاولة للقيام بمجهود إنسانى بغية محاولة العودة

---

(١) ميخا ٦ : ٨ .

(٢) أشعياء ٥٦ : ١ ، ٢ .

(٣) إرمياء ٢٢ : ٣ .

(٤) إرمياء ٢٩ : ٧ .

لن تكون أكثر من تجن واغتصاب يتجاوز حدود الدين ولا يقبل به الرب » .

ويرى الفريد ليلينتال حيث أن إسرائيل محاطة بملايين العرب من كل جهة فمن واجبها أن تأخذ درساً لم يتعلمه يهود فلسطين من قبلها ، وهو أن وضعها الجغرافى يحتم عليها أن تعيش بوئام مع جيرانها العرب لتتمكن من الاستمرار فى الحياة وذلك :

أولا : بالإقلاع عن مطالبة يهود العالم ، وخاصة يهود أمريكا بالإخلاص لدولة إسرائيل ، لأن الدولة التى لا تقف سيطرتها عند حدودها الطبيعية ليست دولة طبيعية ، ولا يمكنها أن تعيش بوئام وسلام مع جيرانها .

ثانيا : على إسرائيل قبل كل شىء أن تنفذ قرارات هيئة الأمم المتحدة ، وأهم هذه القرارات إنشاء نظام دولى للإشراف على القدس ، وتسوية قضية اللاجئين العرب ، وتعويضهم ، لأن على إسرائيل وحدها تقع مسئولية تشريد اللاجئين العرب ، ومن واجبها الإنسانى أن تخفف من ويلات هؤلاء التعساء المشردين . وبهذا يمكن لليهود أن يعيشوا فى سلام وصداقة مع العرب .

أما أنا فأرى غير ذلك ، إذ أن مصير الأمة العربية رهن بقوتها ونضوجها السياسى واعتدادها بنفسها ، وعليها مضاعفة الجهد لتخطيط وحدة عربية من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى على المستوى السياسى والعسكرى والاقتصادى والاجتماعى ، والتصميم على استعادة أرض فلسطين ، وردها إلى أهلها وعودة الفلسطينيين إلى بلادهم .

ومن الظلم أن تغتصب إسرائيل الشريط الساحلى المطل على البحر المتوسط وعليه يقع كثير من الموانىء الهامة مثل عكا وحيفا ويافا وتل أبيب وكلها من الموانىء ذات الأهمية الاستراتيجية ، كما أخذت

جنوب فلسطين ، فكان لها بذلك واجهة بحرية على البحر الأحمر ، ولقد خدمت هذه المنطقة إسرائيل كثيرا خصوصا أن سفنها ممنوعة من المرور فى قناة السويس .

حتى صحراء النقب دخلت هى الأخرى فى أملاك اليهود ، وهذه المنطقة لها أهمية كبيرة ، لكونها مصدرا عظيما للإنتاج الحيوانى ، وبعض الإنتاج الزراعى حيث تتوفر الآبار والعيون فى الواحات ، بل إن اليهود يحاولون تنفيذ مشروع نهر الأردن لجر المياه إلى هذه المنطقة واستصلاح مساحات كبيرة لاستغلالها فى الزراعة ، كما تمثل منطقة النقب صمام أمن لإسرائيل .

وهكذا يبدو جليا أن اليهود قد استحوذوا بناء على قرار التقسيم على الأجزاء الهامة والجيدة من فلسطين بالإضافة إلى ما اغتصبوه فى عدوانهم على الدول العربية بهدف التوسع الإسرائيلى .

٣ — دول الاستعمار تدعم كيان اسرائيل :

لم تكتف دول الاستعمار بما ارتكبته من جريمة بشعة فى حق الإنسانية وفى حق شعب تألبت كل قوى الشر للقضاء عليه وتشريده من أرض أجداده التى عاش فيها منذ آلاف السنين، بل سعت أيضا إلى محو اسم فلسطين عن الجزء المتبقى من أرض فلسطين . ففى ٤ إبريل سنة ١٩٥٠ أعلن مجلس الأمة الأردنى الذى ضم ممثلين عن الأجزاء الفلسطينية التى يسيطر عليها الجيش الأردنى توحيد هذه الأجزاء مع «شرق الأردن» فى دولة واحدة أطلق عليها «المملكة الأردنية الهاشمية» .

ولم تعترف الدول العربية بهذا التوحيد وإنما اعتبرت أن هذه الأجزاء الفلسطينية « الضفة الغربية للأردن » وديعة لدى الأردن لحين التسوية النهائية

للقضية ، فيما عدا العراق التى اعترفت بوحدة الأجزاء الفلسطينية مع الأردن .

وهكذا وبعد أن أطلق اليهود اسم « إسرائيل » على الأجزاء المحتلة من فلسطين زال كيان فلسطين ورفع اسمها من خريطة العالم لأول مرة فى التاريخ .

لقد كان لهذه الكارثة والمأساة التى حلت بالشعب العربى كله أثر كبير فى نفسيته ، فعمت جميع الأوساط روح النقمة والسخط على الدول الاستعمارية وعملائها، وانتشرت روح العداء لهذه الدول، وبدأت الأوساط الشعبية العربية تتحدث عن ضرورة استعادة الوطن السليب وعودة اللاجئين والاستعداد لجولة ثانية مع إسرائيل . واتضحت أمام الشعب العربى حقيقة الدور القذر الذى قامت به كل من بريطانيا وأمريكا لخلق هذا الكيان الجديد المصطنع تنفيذاً لسياسة الاستعمار العالمى من العمل على فصل الجزء الإفريقى من المنطقة العربية عن جزئها الآسيوى وإقامة حاجز بشرى قوى وغريب فى منطقة الجسر البرى الذى يربط آسيا وإفريقيا ويربطهما معا بالبحر المتوسط ، بحيث يشكل فى هذه المنطقة على مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدواً لسكان المنطقة .

واتضح لدول الاستعمار أن الخطر بدأ يحدق بمخلوقهم الجديد، ففى ٢٥ مايو سنة ١٩٥٠ صدر « التصريح الثلاثى المشهور » من بريطانيا وأمريكا وفرنسا الذى أكدت فيه الدول الثلاث تدخلها باسم الأمم المتحدة إذا تبين أن إحدى دول منطقة الشرق الأوسط تستعد لانتهاك حرمة الحدود التى رسمتها اتفاقيات الهدنة ومعارضتها لأى استخدام للقوة أو التهديد بالالتجاء إليها . كما أكدت الدول الثلاث اتفاقها على مقاومة إرسال الأسلحة إلى هذه الدول ، وسباق التسلح بينها إلا فى الحالات المحددة المتفق عليها .

ولم تقنع دول الاستعمار بذلك بل أخذت تدعم إسرائيل سياسيا واقتصاديا

وعسكريا ، وصرح كثير من الساسة الأمريكان « أن إسرائيل وجدت لتبقى ، وأن أمريكا هنا لتؤمن حياتها » .

كما انهالت المعونات المالية على إسرائيل ، فقد بلغت قيمة المعونات الأمريكية فى الفترة ما بين عامى ١٩٤٨ ، ١٩٥٣ [1] حوالى مليار دولار ، علاوة على ماتقدمه من معونات عينية بما يوازى ٣٠٠ مليون دولار سنويا ، كما أجبرت أمريكا [2] ألمانيا الغربية على دفع ٨٧٥ مليون دولار تعويضا لإسرائيل عن الخسائر التى حدثت لليهود أثناء الحكم النازى فى أوربا .

وتناسى العالم أن إسرائيل إنما قامت على الاغتصاب والعدوان ، وأن مليون عربى لا يزالون حتى اليوم يعيشون فى الكهوف والخيام بعد ما طردوا من ديارهم ونهبت أملاكهم . وبالرغم من الجرائم التى ترتكبها إسرائيل فى حق العرب الذين لا يزالون يقيمون بها ، وبالرغم من إصرارها على عدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بعودة اللاجئين وتعويضهم ، فلا تزال دول الاستعمار حتى يومنا هذا تدعم إسرائيل ، وترتفع الأصوات فى كل من بريطانيا وأمريكا للتستر عليها والدفاع عن جرائمها واعتبارها حقوقاً شرعية للدفاع عن النفس وعن كيانهم بحجة تأمين إمكانيات الحياة لهذا الجيش الكبير من المهاجرين .

---

(١) يقول المعلق السياسى وسترفيلد فى كتابه عن « السياسة الخارجية والحزبية فى أمريكا » : « لقد كان العبء المالى على الخزانة العامة للولايات المتحدة نتيجة مساعدتها لدولة إسرائيل يقدر بعشرات الملايين من الدولارات . . وهذا لا يعتبر ثمنا كبيرا . أما الخسارة التى خسرتها أمريكا فهى فقدها ثقة العرب وصداقتهم وهذه خسارة لا تعوض ولم يقدرها المسئولون » .

(٢) وهل أجبرت أمريكا إسرائيل على تنفيذ القرار رقم ١٩٤ ؟ !

جوهـــر

١ — المشكلة اليهودية ومسئولية الحلفاء تجاهها :

قال تشرشل فى عام ١٩٢٢ فى كتابه الأبيض : « إن إنشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين لا يعنى أبداً إقامة حكومة يهودية للتسلط على السكان العرب هناك فنحن لن نسمح لفريق أن ينتزع قسرا حقوق الفريق الآخر » .

إلا أن ظروف الحرب العالمية الثانية دفعت بالحلفاء إلى خلق مشكلة فى الشرق الأوسط لا يمكن حلها إلا باستئصالها من جذورها . فلقد انتهت الحرب العالمية الثانية وخلفت وراءها مشكلة إنسانية قاسية هى مشكلة الأشخاص الذين نزحوا عن أوطانهم هربا من الموت الذى كان يلاحقهم به أعوان هتلر ، وقد كانوا خليطا من سكان النمسا وهولندا وهنغاريا ورومانيا ، وهم ينتمون إلى عدة دول وأديان ومذاهب ، منهم حوالى نصف مليون كاثوليكى ومائة ألف بروتستانتى ، وحوالى ٢٢٠ ألف يهودى ، وكان مائة ألف من هؤلاء اليهود محتشدين فى معسكرات الاعتقال بألمانيا والنمسا وإيطاليا ، بينما توزع حوالى ٥٠ ألفا فى بريطانيا ، و١٢ ألفا فى السويد، وعشرة آلاف فى سويسرا .

كانت مشكلة . . . وكان على الحلفاء المنتصرين أن يجدوا لها الحل . . ولو أن تلك الدول فتحت صدرها لهجرة مشردى أوربا إلى بلادها ومستعمراتها، ولو أنها كانت جادة ومخلصة فى ترحيبها وعادلة فى سياستها ، لو أن جزءا من هذا حدث ، فهل كنا نسمع بمشكلة فلسطين ؟ وهل كنا نسمع أدعياء أوربا من اليهود المشردين يدعون كذبا بأن بلدهم هو فلسطين ؟

أى يهودى يفضل الهجرة إلى فلسطين حيث الضيق الاقتصادى على أن يهاجر إلى كندا أو أمريكا حيث العيش الرغد والمجال المتسع للمشروعات والأعمال ، وحيث لا تعصب نازيا ضدهم ؟ !

وقد كتب الرئيس ترومان فى ٣١ يوليو سنة ١٩٤٥ رسالة إلى رئيس الحكومة البريطانية كليمنت أتلى يقول فيها : « إن إصدار مائة ألف بطاقة هجرة إلى الولايات المتحدة قد يساعد على حل قضية مشردى أوربا » . وقد نشر نص هذا الكتاب السناتور جى جيليت بعد مضى ثلاثة أشهر من إرساله .

أما الحكومة البريطانية فقد أعلنت موقفها من هذه القضية فى تصريح رسمى صدر فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ قالت فيه إنه لا يمكنها الموافقة على سياسة انتقال اليهود من أوربا أو الحيلولة دون استيطانهم فى البلدان الأوربية ، دون تمييز فى العنصر ؛ لأن وجودهم فى تلك البلدان يساعد فى إعادة بناء أوربا وازدهارها .

وقد بذل الرئيس روزفلت جهدا ضخما واهتماما خاصا لمساعدة مشردى أوربا وإنقاذهم من الشقاء الذى يعانونه ، فاقترح أن تقوم كل دولة من دول العالم الحر ببعض واجباتها ، وتوافق على إسكان عدد من أولئك المشردين فى بلادها ، دون تمييز بين عنصر وعنصر أو بين دين ودين .

واعتقد الرئيس الأمريكى أن بالإمكان إنقاذ نصف مليون مشرد على الأقل ، إذا تضافرت جهود العالم الحر ، وضمنت لهؤلاء المشردين ملجأ أمينا .

وتمشيا مع هذه السياسة الإنسانية ، قصد موريس أرنست اليهودى وأحد المقربين إلى الرئيس الأمريكى — قصد لندن لمفاوضة المسئولين البريطانيين فيما إذا كانوا يوافقون على احتضان مائة أو مائتى ألف من أولئك المشردين ، وكان الرئيس الأمريكى واثقاً كل الثقة أن أستراليا وكندا وبعض بلدان أمريكا الجنوبية لا تعارض مطلقا فى فتح حدودها أمام عدد كبير منهم .

وكان مفتاح حل المشكلة فى لندن . . ! !

فهل كتب النجاح لموريس أرنست فى مهمته فى لندن ؟ ؟

عاد أرنست إلى بلاده أخيراً ينقل إلى رئيسه نتيجة مساعيه فى عاصمة الإنجليز ، وخلاصتها أن بريطانيا ساعية لتطبيق برنامج جديد للهجرة فى العالم ، وهى مستعدة لإيواء ١٥٠ ألف مشرد على أن تساهم أمريكا بإيواء مثل هذا العدد فى أراضيها ، وقد أبدى الرئيس روزفلت للوهلة الأولى ارتياحه لهذه الخطوات .

٢ — الضغط الصهيونى يصيب مشروع ارنست بالفشل :

ولكن بعد مضى أسبوع واحد على هذا التصريح ، زاره صديقه موريس أرنست مرة ثانية وتداول معه فى مشكلة مشردى اليهود فى أوربا ، وإذا بروزفلت يعلن عندها : « أنه اقتنع تمام الاقتناع أن ذلك البرنامج لن يحل المشكلة ، ولا سيما أن قادة الصهيونية فى أمريكا رفضوا هذه الحلول . . » . واستطرد يقول : « وإنهم على حق فى معارضتهم ، لأنهم يدركون أن فلسطين يجب أن تصبح عاجلا أو آجلا الملجأ الأمين لمجتمعهم » .

وقد صعق موريس أرنست لهذه الأقوال يجاهر بها رئيسه وصديقه فى وقت كان هو يسعى فيه إلى تحقيق ذلك البرنامج القاضى بإغاثة جميع مشردى أوربا وفى مقدمتهم اليهود .

وكنتيجة حتمية لمعارضة الصهيونية للمشروع توقفت جهود روزفلت من أجل تحقيقه .

وفى ديسمبر سنة ١٩٤٥ أصدر الرئيس ترومان تعليمات صريحة إلى وزارتى الخارجية والحربية لتقديم كل التسهيلات الممكنة لهجرة اليهود إلى الولايات المتحدة ضمن قوانين الكوتا .

ولكن هذه التسهيلات لم تجد نفعا لتخفيف وطأة مشكلة المشردين ، وقد تنبه إلى حالة هؤلاء السناتور الأمريكي وليم ستراتون فأثار هذه القضية فى الكونجرس عام ١٩٤٧ ، إذ طالب بفتح أبواب الهجرة أمام المضطهدين الذين لاوطن لهم ، على أن يكون عدد الداخلين إلى الولايات المتحدة مساويا لكمية الكوتا غير المستعملة خلال سنى الحرب الأخيرة . وبموجب مشروع ستراتون تقرر السماح لحوالى ٤٠٠ ألف مشرد من مختلف الأديان والأجناس بدخول الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد استمرت اللجنة التى تألفت لدرس هذه القضية ، مدة أحد عشر يوما فى اجتماعات متتابعة ، وضعت فى نهايتها تقريرا يقع فى ٦٩٣ صفحة كان منها إحدى عشرة صفحة فقط تضمنت آراء المنظمات اليهودية ومطالبها . وكانت كلها تبدى عدم اهتمامها وحماسها لهذا المشروع . . ولكن عندما بحثت اللجنة الخارجية اقتراح « رايت كومبتون » الذى يوصى بإنشاء دولة يهودية على غرار دول « الكومنولث » ، أبدت كافة المنظمات الصهيونية وحلفاؤها التأييد المطلق للاقتراح ، كما بعثت آلاف البرقيات والرسائل وكلها تشيد به وتؤيده . هذا مع أننا رأينا هذه المنظمات نفسها تقابل مشروع ستراتون بالفتور التام والصمت المطبق ، ولم ترتفع حينذاك سوى أصوات قليلة من المنظمات اليهودية الأمريكية التى أيدت المشروع ومن بينها صوت السناتور هربرت ليهمان .

وصرح رئيس المنظمة الصهيونية فى أمريكا بأهداف المنظمة بقوله : « إن الصهيونية ليست حركة من أجل قضية المشردين ، ولم تكن أبداً وليدة الحرب العالمية الأولى أو الثانية كما يظن البعض . . وهى ، وإن لم يوجد يهود مشردون فى أوربا أو فى غيرها من العالم ، ستظل قضية حية . . وإنما هى حركة من أجل إنشــــاء دولة يهودية » . وبمناسبة الذكرى الثامنة لمؤتمر

« ميزناح » اليهودى كتب الصهيونى سولتز برجر صاحب جريدة نيويورك تايمز يقول :

«ليس من واجبنا أن نحصر الجهود فى إدخال اليهود إلى فلسطين فحسب، بل من واجبنا أيضا أن نسعى لتوطين أولئك المشردين من اليهود وغيرهم فى بلاد تستوعبهم » .

وقد كانت كلمة برجر هذه موجهة إلى أولئك الصهيونيين الذين يضعون نصب أعينهم هدفا واحداً فقط . . هو إقامة دولة يهودية فى فلسطين .

٣ — اقتراح تدويل فلسطين :

ولقد دعا رئيس الحكومة البريطانية فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ بعد أن صرح أن بريطانيا لا يمكنها الموافقة على سياسة انتقال اليهود من أوربا أو الحيلولة دون استيطانهم فى البلدان الأوربية دون تمييز فى العنصر ، دعا إلى إجراء تحقيق مشترك فى هذه القضايا من قبل لجنة أمريكية بريطانية .

فرحب الرئيس ترومان بهذه الدعوة ، بينما ثار لها زعماء الصهيونية وقابلوها بالاحتجاج ووصفوها بأنها خيانة جديدة لقضيتهم لن يخضعوا لنتائجها .

وعلى الرغم من ذلك ، تألفت بعثة التحقيق الأمريكية — البريطانية فى نوفمبر سنة ١٩٤٥ وكانت مكونة من ستة أعضاء أمريكيين بريطانيين ، وكانت مهمتها درس الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى فلسطين دراسة دقيقة ، على أن تولى عناية خاصة قضية هجرة اليهود إلى أرض الميعاد ، وإمكانية إقامتهم فيها .

وكان من مهمتها أيضا درس وضع اليهود الأوربيين ، لتحديد العدد الذى يرغب الهجرة إلى فلسطين أو إلى غيرها من البلدان خارج أوربا .

وكان من بين أعضاء البعثة القاضى الأمريكى جوزيف هوتشيسون

والدكتور فرانك أيديلوت مدير الدراسات العليا فى جامعة برنستون ، وسفير أمريكا السابق وليم فيلبس ، وجيمس ماكدونالد الذى أصبح فيما بعد سفيرا للولايات المتحدة الأمريكية فى إسرائيل ، والنائب البريطانى كروسمان .

وعقدت البعثة أول اجتماعاتها فى واشنطن فى مطلع شهر يناير سنة ١٩٤٦، واستمعت إلى وجهات نظر ممثلين عن المنظمات اليهودية وعن المسيحيين وعن المسلمين ، ثم تتابعت اجتماعاتها فى لندن ، بعد أن انبثق عنها عدة لجان فرعية كلفت بالطواف فى أنحاء أوربا لدرس حالة اللاجئين بها .

ثم عقدت البعثة عدة اجتماعات بعد ذلك فى مصر بكامل أعضائها استمعت خلالها إلى ممثلى الوكالة اليهودية — وهى المنظمة الرسمية التى كان لها حق التكلم باسم يهود فلسطين — كما استمعت إلى المنظمات والهيئات العربية .

وقبل أن تنهى البعثة تحقيقاتها فى بلاد الشرق الأوسط زارت لجنة فرعية من أعضائها عواصم : سوريا ولبنان والعراق والسعودية العربية والأردن، واستمعت إلى آراء المسئولين هناك فى القضية الفلسطينية ، ومن بعدها انتقلت إلى سويسرا فوضعت تقريرها النهائى الذى أذيع فى واشنطن ولندن فى وقت واحد يوم ٣٠ إبريل سنة ١٩٤٦ . وأهم ما جاء فى التقرير : « أن البعثة أوصت بمنح مائة ألف من يهود أوربا المشردين الذين قاسوا الاضطهاد والتعذيب فى العهدين النازى والفاشستى حق الدخول إلى فلسطين » .

ويضيف التقرير : « بأن اليهود لن يسيطروا على العرب ، وأن العرب لن يسوءوا اليهود فى فلسطين ، لأن هذه الأرض المقدسة لن تكون يوما دولة يهودية وعربية ، ولأن فلسطين ستبقى أرضاً مقدسة فى نظر المسيحى واليهودى والمسلم ؛ ولهذا فلا يمكن أن تكون أرضا يدعى ملكيتها شعب معين أو ديانة معينة » .

٤ — الصهيونية وموقفها من التقرير :

ولقد لاقى البند الأول من توصية البعثة ترحيباً حاراً فى أوساط المنظمات اليهودية ، وهو البند الخاص بإدخال مائة ألف يهودى إلى فلسطين ، بينما شنت هذه المنظمات حملات عنيفة على بقية ما تضمنته التوصية من بنود .

كما كانت البعثة نفسها هدفا لبعض هذه الحملات لأنها لم توص بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

٥ — الامبريالية الانجلوامريكية تعمل لتوطين مشردى اوربا من اليهود :

وفى مطلع عام ١٩٤٧ قامت بريطانيا بآخر محاولة لتقريب وجهات النظر بين العرب واليهود ، وحمل الفريقين على التفاهم ، فوضعت اقتراحا عرضته على الفريقين كأساس للتفاهم ، وهو ينص على إدخال أربعة آلاف يهودى إلى فلسطين شهريا لمدة سنتين أى ٩٦٫٠٠٠ يهودى ، وبانتهاء المدة تنظم الهجرة وفقا لقدرة البلاد على الاستيعاب ، ولكن الوكالة اليهودية رفضت هذا الاقتراح ، بحجة أنه يقيد حرية اليهود فى الهجرة والإقامة فى فلسطين ، وبالتالى فى إنشاء دولة لهم فى أرض الميعاد .

وقد بذل الرئيس روزفلت جهدا ضخما واهتماما خاصا لمساعدة مشردى أوربا ، وإنقاذهم من الشقاء الذى يعانون منه ، فاقترح أن تقوم كل دولة من دول العالم الحر ببعض واجباتها ، وتوافق على إسكان عدد من أولئك المشردين فى بلادها ، دون تمييز بين عنصر وعنصر ، أو بين دين ودين .

٦ — الدعاية العربية والتحول الامريكى لصالح الصهيونية :

واقترب ميعاد إنهاء الانتداب البريطانى ، فأخذ الصهيونيون يستعدون لإعلان دولتهم ، بينما كانت حكومات الجامعة العربية تبالغ فى تصريحاتها عن عزمها لإنقاذ فلسطين ، وبينما كانت الصحافة العربية تتسابق فى نشر الأرقام الخيالية عن الجيوش العربية الجرارة التى أحاطت بأراضى فلسطين

استعداداً لإنقاذها ، كانت الصهيونية تحقق أكبر فائدة من هذه المبالغات ، إذ كانت تعرضها بحرفيتها على الرأى العام الدولى فتستنجد وتقول : « انظروا كيف أن اليهود البائسين الذين قاسوا الأمرين على أيدى الفاشية النازية يستهدفون اليوم لعدوان الجيوش النظامية لسبع دول عربية ! ! ».

وهكذا كسب الصهيونيون عطفاً جديداً على قضيتهم ، وخسر العرب كثيرين ممن كانوا يؤيدون حقوقهم بسبب المبالغات العاطفية والأكاذيب الخيالية التى كانت تكتب فى الصحف .

٧ — المساعى الصهيونية والتواكل العربى :

بينما كان مندوب بريطانيا يعلن فى هيئة الأمم أن حكومته لا تريد إقرار وضع فى فلسطين يتنافى مع ضميرها ، وأنها تريد تشكيل لجنة خاصة لدراسة الموقف هناك وتقديم تقرير عنه للجمعية العامة فى دورتها المقبلة ، وبينما كانت الصهيونية تعد عدتها لحبك المناورات فى نيويورك ، كانت الجامعة العربية تفكر — مجرد تفكير — فى الخطوة التالية التى تتبعها .

واستغرق تفكيرها ثلاثة أسابيع انتهت بقرار إرسال مذكرة «عن طريق مندوبى الدول العربية الخمس الممثلة فى هيئة الأمم » إلى أمانتها العامة طالبة إدراج البند التالى فى جدول أعمالها : « إنهاء الانتداب فى فلسطين وإعلان استقلالها » .

وكان الفضل الأكبر لعملاء الصهيونية فى سكرتارية الأمم المتحدة وغالبيتهم من اليهود المعروفين بميولهم الصهيونية ، فى تسويف البت فى طلب الدول العربية ثم رفضه فى اللجنة العامة « التى تقر جدول الأعمال » « بثمانية أصوات مقابل صوت واحد »(١) .

(١) يجدر بالذكر هنا أن الاتحاد السوفيتى كان يؤيد الاقتراح العربى ، إذ رأى فيه فرصه للعمل على إنهاء نفوذ بريطانيا فى فلسطين .

وصدر قرار الجمعية العامة بهيئة الأمم المتحدة بتشكيل لجنة خاصة لدراسة الموقف فى فلسطين ، وتقديم تقرير عنه لبحثه ، واتخاذ قرار بشأن مشكلة فلسطين على ضوئه . ولقد كان تشكيل تلك اللجنة صدمة أخرى للدول العربية ولقضية عرب فلسطين ، إذ كانت الغالبية من الدول الممثلة فيها « باستثناء إيران والهند » معروفة بميلها للصهيونية أو خضوعها للضغط الأمريكى .

أما المندوب اليوغوسلافى فقد كان تصرفه ينم فى أول الأمر على أن حكومته قد بيتت النية على تأييد كل ما هو ضد بريطانيا . وقد كان وجود صهيونيين بارزين ضمن أعضاء تلك اللجنة دليلا كافيا لإدانتها بالتحيز ومؤازرة الصهيونية مؤازرة واضحة .

كان أحدهما هو « چورج جارسيا جرانادوس » — وكان معروفا باتصالاته بالبيت الأبيض ومعظم المسئولين فيه — مندوب جواتيمالا الذى عرف بصهيونيته المتطرفة ومساعيه المتواصلة للتأثير على اللجنة ، والآخر هو مندوب أوروجواى ، وهى دولة تتحكم فى سياستها المنظمات اليهودية ذات النفوذ المتركز فى عاصمتها ومدنها الرئيسية .

ومرة أخرى كان رد الجامعة العربية رداً ينم على قصر النظر السياسى والتمسك الجامد بالمثل والمطالبة بالحق رغم أن الدلائل كانت كلها تشير إلى سياسة الضغط والمناورات التى كانت متبعة فى أمريكا والغرب فى ذلك الوقت . ردت الجامعة برفضها التعاون مع اللجنة الخاصة(١) لأنها لم تعلن ضمن مهامها : « إنهاء الانتداب ، وإعلان استقلال فلسطين » ، ولأن هذا البند لم يدرج ضمن جدول أعمال الجمعية العامة لهيئة الأمم ، ولأن هيئة الأمم لم تفرق بين مشكلة

(١) لجنة هيئة الأمم الخاصة بفلسطين ، المكونة من مندوبى إحدى عشرة دولة .

مشردى أوربا وقضية فلسطين . . ولأن . . . ولأن التعاون مع تلك اللجنة معناه الإضرار بمصالح العرب ،والاشتراك فى مؤامرة استعمارية يدبرها الغرب . . ومن ثم وجهت الجامعة العربية نداءها إلى عرب فلسطين بعدم التعاون مع اللجنة واتباع سياسة المقاطعة . . وهذا بالفعل ما كانت تريده الصهيونية . . ألا يتصل بأعضاء اللجنة من يكون لديه من قوة الإقناع والبرهان ما يثبت على الأقل لبعض أعضائها عدالة القضية العربية من نواحيها العملية الواقعية .

قاطعت الدول العربية اللجنة الخاصة ولم تزودها بالمعلومات والحقائق ، ووجهت اهتمامها إلى الدعاية فى الصحافة ضد مطامع اليهود ومطامع الاستعمار . . الصحافة العربية التى لا يقرؤها الغرب ولن يقرأها أعضاء اللجنة الخاصة . . ولن يقرأها سوى الشعب العربى وهو أدرى بعدالة قضيته .

٨ — مقارنة بين النمط الصهيونى والنمط العربى فى علاج قضية فلسطين :

إن العرب إذ قاطعوا اللجنة الخاصة فى تلك اللحظة الفاصلة وبعد وضوح سياسة أمريكا ونياتها ، كان ذلك بمثابة توقيع صك إعدام الحقوق العربية ، لا فى نظر هيئة الأمم فحسب ، وإنما من الناحية العملية أيضا .

أما الصهيونيون فقد أغرقوها بالكتب والنشرات والإحصائيات والبيانات — وإن كان أغلبها مشوها — زود الصهيونيون اللجنة بتسعة عشر كتابا تفصيليا منها مرجع صهيونى أساسى يقع فى ٦٨٦ صفحة باسم القضية اليهودية أمام لجنة التحقيق الانجلو — أمريكية ، ستمائة وست وثمانون صفحة من الدعاية الصهيونية المنتقاة التى أمدت أعضاء اللجنة الخاصة بالبراهين والحجج ووسائل الإقناع ! ! كما أرسلت المنظمات الصهيونية فى أوربا وأمريكا تسعة وتسعين مستنداً — وهى كلها باطلة — تحتوى على مئات الصفحات من الدعاية الصهيونية التى تكفى لهدم القضية العربية مهما يكن حياد الجهة التى احتكم إليها .

ومن الناحيـة القانونية درست اللجنه تقريراً مقدما من الحـكومة البريطانية(١) عن فلسطين فى ظل الانتداب ، وكان هذا التقرير تبريراً لأعمال الإدارة البريطانية خلال ثلاثين عاما من حكمها ، ولم يذكر فيه أن العرب كانوا قد رفضوا الانتداب من أساسه وحاربوه منـذ أولى خطواته كأسلوب استعمارى ، هذا بينما ذكر التقرير البريطانى ما يفهم منه أن منشأ الانتداب هو وعد بلفور ، دون أن ينص على مبلغ مقاومة العرب ومناهضتهم لوعد بلفور هذا .

وباختصار كان تقرير الحـكومة البريطانية هذا مطابقا للحجة التى يستند إليها اليهود ولتبرير مطالبهم .

وبعد فهل كسب العرب شيئا من مقاطعتهم للجنة أو خسروا جولة أخرى ؟ وهل كسب الصهيونيون ؟

إن نظرة واحدة إلى خططهم وأسلوبهم الإرهابى أثناء زيارة اللجنة الخاصة لفلسطين لا تترك أدنى شك فى تقرير مـكاسبهم المادية والمعنوية والسياسية لتحقيق أهدافهم .

وهناك دليل يشهد على الأعمال الإرهابية وما يتبعها من السلب والنهب إذ صرح بن جوريون بقوله : « إن المستوى الذى نزل إليه اليهود من مختلف الطبقات بارتـكابهم أعمال النهب والسلب فى المدن العربية ليعتبر من المشاهد المخزية المؤلمة »(٢) .

---

(١) The Political History of Palestine under the British Mandate , Memorandum . presented by H. M. Government , London July 1947 .

(٢) Israel Government Handbook 5712 London 1951 .

لقد كانت « الاستراتيجية » الصهيونية — إن صح هذا التعبير — محكمة متقنة من جميع نواحيها ، فالدعاية الصهيونية العالمية مستمرة لكسب عطف الرأى العام الدولى بما أسمته مأساة مشردى أوربا !! ولا أدل على ذلك مما ذكره الفريد ليلينتال بقوله : « فى ٢٨ إبريل سنة ١٩٤٧ عقدت الجمعية العامة جلسة خاصة فى نيويورك لبحث قضية فلسطين ، واقتصرت أبحاثها على عرض مختصر للقضية من مختلف وجوهها . وتقرر تأليف لجنة التحقيق من إحدى عشرة دولة صغيرة هى : أستراليا ، كندا ، تشيكوسلوفاكيا ، الهند ، جواتيمالا ، إيران ، هولندا ، بيرو ، السويد ، أوروجواى ، يوغوسلافيا — وعين القاضى السويدى إميل ساند ستروم رئيسا لها »(١) .

ومنذ الساعة الأولى التى أعلنت فيها أسماء أعضاء اللجنة بدأت محاولات الصهيونية للضغط والتأثير على الأعضاء . . كما أخذت المنظمات والمؤسسات اليهودية تبذل الجهود والمساعى خلال اجتماعات الجمعية العامة لكسب التأييد والمساعدة للقضية الصهيونية .

ووجه رئيس حاخامى فلسطين بيانا إلى هيئة الأمم المتحدة ، ناشدها فيه أن يأتى قرارها عن فلسطين منسجما ومصلحة اليهود ، كما تضافرت جهود المؤسسات والهيئات اليهودية فى الولايات المتحدة : كالمؤتمر اليهودى الأمريكى ، واللجنة اليهودية لفلسطين ، واليانور روزفلت عقيلة الرئيس السابق روزفلت ، والمجلس الوطنى اليهودى ، واللجنة المسيحية الأمريكية لفلسطين — تضافرت جهودها كلها لمساندة المطالب الصهيونية ، وإصدار كل منها بيانات صريحة فى هذا المعنى .

حتى المؤسسات الاقتصادية اليهودية اشتركت فى هذا الصراع المحموم ،

---

(١) ثمن إسرائيل ص ٤٠ .

فأذاعت الشركة اليهودية الاقتصادية ، وهى شركة يهودية خاصة ، نشرة قالت فيها : « إن صحراء النقب يمكن الاستفادة منها واستيطانها بعد تزويدها بمياه الرى فى فترة لا تزيد عن السنة الواحدة » .

وقالت صحيفة « الشعب » التى يشرف عليها ممولون يهود إن العرب كانوا من أنصار المحور خلال الحرب الأخيرة ، وطالبت هيئة الأمم المتحدة باتخاذ قرار يقضى بإقامة دولتين مستقلتين بفلسطين .

وفى أمريكا تستمر الدعاية الصهيونية وجهاز « تنظيم الضغط السياسى » لضمان تنفيذ حكومة الولايات المتحدة أهداف الصهيونية بحرفيتها وكامل أطماعها ! وفى هيئة الأمم المتحدة يقوم فريق الصهيونيين بالاتصال بالوفود واستمالتهم ، بينما يعد عملاء الصهيونية من أعضاء السكرتارية عدتهم لدحض كل مجهود من قبل الدول العربية حتى يخفت أثر دعايتها ، وتشوه قضيتها بما توافر لتلك الأداة من الإمكانيات ! كل هذا والعصابات الإرهابية تنزل بالسلطات البريطانية الضربة تلو الأخرى ، بينما تتلقى المكاتب الصهيونية فى لندن ومدن إنجلترا الكبرى التعليمات المنتظمة من الوكالة اليهودية للرد على كل ما يكتب فى الصحف البريطانية عن فظائع الإرهاب الصهيونى فى فلسطين، حتى لا يثور الرأى العام ويطالب حكومته بتدابير صارمة ضد الصهيونية . وبالإضافة إلى كل هذا وغيره من التدابير ،كان المكتب السياسى للوكالة اليهودية يعد التقارير والاقتراحات لكى يساعد بها اللجنة الخاصة على الاهتداء إلى سبيل لحل قضية فلسطين !

كما قام مكتب خاص بإعداد الإحصائيات المشوهة عن المناطق المختلفة وعدد اليهود القاطنين بها ، حتى إذا ما جاء وقت التقسيم على أساس توزيع

الأغلبية من السكان « عرباً أو يهوداً » فى أنحاء فلسطين ، وجدت اللجنة أمامها خريطة يكاد لا يخلو جزء فيها من « أغلبية يهودية » وتحاط المناطق « العربية » فيها « بمستعمرات » قيل إن بها آلاف اليهود .

هذا كان استعداد الصهيونية خلال زيارة اللجنة الخاصة لفلسطين ، ولم يخل هذا الإعداد المحكم بالنواحى الأخرى من التنظيم الصهيونى ، فالوكالة اليهودية تعد العدة ، وتدبر الخطط الحربية والإرهابية للاستيلاء على فلسطين بالقوة ، وتدرب عصاباتها على ذلك ، بينما تتولى الفروع الأخرى من الوكالة تدريب اليهود على القيام بالوظائف الإدارية المختلفة حتى لا تفاجأ بالفوضى التى قد تترتب على تخلى السلطات البريطانية عن مهامها الإدارية التى يقوم بها موظفون بريطانيون طيلة وجود الانتداب .

ولقد استغلت الصهيونية اللجنة الخاصة بطريقة انتهازية تتفجر دهاء وخداعا ، فعندما طلبت السلطات البريطانية فى فلسطين إبداء وجهة نظرها أمام اللجنة الخاصة فى اجتماع سرى بدافع مقتضيات الأمن ، احتج الصهيونيون على هذا الإجراء ، وأيدهم جارسيا جرانادوس « مندوب جواتيمالا » والعضو البارز فى اللجنة فى احتجاجهم ، وأقر حق الوكالة اليهودية فى أن تعامل أمام اللجنة أسوة بالسلطة البريطانية « الحكومية » ، حتى يثبت بذلك حق الوكالة فى اتخاذها صبغة رسمية كالأداة أو السلطة التى تمثل حكومة فلسطين المستقلة بعد انتهاء الانتداب .

عدالة قضية فلسطين

١ — إدوين مونتاجو . ٢ — جيمس ماكدونالد .

٣ — الكونت برنادوت . ٤ — جيمس فورستال .

٥ — ظفر الله خان .

١ — ادوين مونتاجو :

صرح إدوين مونتاجو وزير شئون الهند فى الفترة من سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٢٢ يقول : « إن بريطانيا قد خضعت لرغبات الصهيونى المليونير اليهودى روتشيلد ، فوعدت بإقامة وطن قومى لليهود ، مع أنه لا توجد قومية لليهود » .وجاء فى الوثيقة التى كتبها بخط يده : « إننى يهودى ولكننى أعترف بأنه لا توجد قومية يهودية ، وأن فلسطين ليس لها علاقة باليهود .

« فالوصايا العشر أعطيت لليهود فى شبه جزيرة سيناء ، وإذا كان اليهود يتعلقون بفلسطين لأنها المكان الذى شيد فيه معبدهم ، فإن فلسطين تكون أهم بالنسبة للمسيحيين لأنها أرض موعظة الجبل ، وكل المقدسات الخاصة بالمسيحية » .

وقد قدم هذه الوثيقة إلى الحكومة البريطانية فى ١٩١٧/٨/٢٣قبل ولادة وعد بلفور الذى ولد فى ١٩١٧/١١/٢ محذراً من إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

ومضى مونتاجو يقول : « إن هؤلاء الذين نادوا بعقيدة الصهيونية يغلب عليهم أن يكونوا من اليهود فى روسيا الذين اندفعوا إلى هذه العقيدة تحت ضغط القيود التى فرضت عليهم . وحتى هذا الموضوع تغير فى روسيا» . وأوضح مونتاجو التناقض البين فى الفكرة الصهيونية وأبرز الخطوط التالية :

١ — لا توجد قومية يهودية .

٢ — إن إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ستؤدى إلى :

(ا) أن الدول الأوروبية والأمريكية ستتخلص من مواطنيها اليهود .

(ب) ستصبح فلسطين برج بابل إذ تجمع أشتاتا من المهاجرين مختلفى اللغة والتقاليد والثقافات ، ولا يخاطب بعضهم بعضا إلا عن طريق المترجمين .

٣ — وقد فهمت وأنا من اليهود ، وقبل أن تنشأ الصهيونية أن تجميع اليهود لا يتم إلا بإرادة إلهية ، ولكننى الآن أرى أن كلا من مستر بلفور ولورد روتشيلد يود أن يبرهن على أنه المسيح المنتظر .

واستطرد مونتاجو قائلا : « إننى لا أنكر أن لليهود حقوقا للتعمير فى فلسطين مثلهم مثل باقى الأديان . ولكننى أعتبر إقامة دولة على اعتبار دينى نوعاً من التحيز وضيق الأفق ، وأن إعطاء مركز لليهود ليس لهم حق شرعى فيه إنما يؤكد هدفا استعماريا لإيجاد قلعة استعمارية فى قلب الوطن العربى » .

ثم يقول « إنى أشعر أن الحكومة البريطانية قد طلب منها أن تصبح أداة منفذة لرغبات المنظمات الصهيونية ، وإن هذه الرغبة يدعو لها أفراد ينتمون بأصلهم إلى دول الأعداء ، وإنهم بهـــــذه الوسيلة يطعنون الحرية وفرص الاستقرار السانحة للمواطنين البريطانيين جنسية اليهود ديانة فى هذا الوطن » .

٢ — جيمس ما كدونالد :

حدث قبل صدور مرسوم تعيينه سفيراً لأمريكا فى إسرائيل ، أن عقد اجتماع فى البيت الأبيض حضره كل من دافيد نايلز ، وكلارك كليفورد ، والجنرال هيلدرنج ووزير الخارجية مارشال ، وأبدى مارشال خلال الاجتماع سخطه على هذا التعيين ، كما انتقد بعنف قرار الاعتراف بإسرائيل ، الذى تم دون استشارة المسئولين فى الحكومة .

والحقيقة أن تعيين ما كدونالد سفيراً للولايات المتحدة فى إسرائيل كان عملا فريداً فى نوعه ، فإن ما كدونالد ، بالإضافة إلى كونه ممثلا لبلاده لدى إسرائيل ، كان فى نظر اليهود يمثل الحزب الديمقراطى الحاكم ، ومهمته تزويد

الرئيس الأمريكى ، وزعماء الحزب بالمعلومات والإرشادات التى من شأنها الاحتفاظ بالسيطرة على « الأصوات اليهودية » ويبرز ذلك واضحا فى الرسالة التى وجهها ترومان إلى سفيره ماكدونالد بتاريخ ١٣ يوليو عام ١٩٤٨ إذ قال له فيها بعد أن تمنى له التوفيق فى منصبه الجديد :

« . . . وأرجو منك أن تزودنى باستمرار بالمعلومات المتعلقة بمنع شحن الأسلحة ، والوقت المناسب للاعتراف الكامل بإسرائيل وأنواع المساعدات المطلوبة للنهوض بالدولة الجديدة . . . » .

وفى الطريق إلى إسرائيل عرج جيمس ماكدونالد على لندن ، حيث قابل وزير خارجيتها أرنست بيفن ، وبحث معه الأسباب التى جعلت حكومة بريطانيا تتأخر فى الاعتراف بإسرائيل ، ثم أشار بلباقة إلى أن المصلحة المشتركة للحكومتين تقضى بأن يوجد ممثل بريطانى إلى جانبه فى تل أبيب لمراقبة الوضع عن كثب .

وقد انتفض بيفن لهذه الغمزة الخفية ، واحمر وجهه غضبا ثم أجابه : « لا أريد الآن مناقشة هذه القضية » .

فأبدى ماكدونالد اعتذاره عندها ، وقال إنه لا يوجه سؤالا وإنما يريد تسجيل حقيقة واقعة .

ومن هنا يبدو جلياً أن ماكدونالد كان سفيراً لإسرائيل أكثر منه سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية فى إسرائيل .

وعندما وصل ماكدونالد إلى جنيف ، قابل الدكتور حاييم وايزمن ، رئيس دولة إسرائيل المؤقتة وكان يستشفى هناك ، وبحث معه بعض قضايا الدولة الجديدة ، وقد توسل وايزمن إلى ماكدونالد أن يذكر زملاءه فى إسرائيل

بأن يوافوه بأخبارهم وتطورات القضية فى مستشفاه بعد أن قطعوا عنه هذه الأخبار .

وفى تل أبيب تابع ماكدونالد انتهاج خطته السابقة فى الدعاية لإسرائيل ، فواصل اتصالاته بالبيت الأبيض ، بدلا من الاتصال بوزارة الخارجية بوصفه تابعا لها مباشرة . وفى ٢٤ يوليو كتب ماكدونالد إلى واشنطن يقول :

« . . . وفى رأيى ، وبما أن الرئيس ووزارة الخارجية متفقان على إقرار السلم فى ربوع فلسطين ، فإنه يجب حصر الجهـــود فى السعى للتمهيد لمباحثات الصلح .

« ومن أجل ذلك أرى أن على الولايات المتحدة ألا تتأثر بوجهات نظر الوسيط ، أو الحكومة البريطانية نفسها ، لا سيما أن الأخيرة قد بدأت تفقد ثقة اليهود والعرب معاً » .

وهكذا يبدو أن السفير الأمريكى قد حكم على الكونت برنادوت الوسيط الدولى بالموت ، قبل أن يصرعه الإرهابيون الصهيونيون .

٣ — الكونت برنادوت :

كان الحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى يتنافسان على استجداء أصوات اليهود بشتى الوسائل ، فى الوقت الذى عرض فيه الوسيط الدولى الكونت برنادوت مقترحاته على هيئة الأمم المتحدة لحل الخلاف بين العرب واليهود .

فانتهز الحاكم ديوى فرصة موافقة وزير الخارجية مارشال على مقترحات برنادوت ، وأخذ يذيع فى الأوساط اليهودية أن الحزب الديمقراطى الحاكم قبل مقترحات الوسيط الدولى ، التى توصى بضم منطقة صحراء النقب الجنوبية إلى العرب .

كما أصدر بيانا مشتركا مع فوستر دالاس أعلنا فيه عـــدم تقيدهما بتلك المقترحات التي وافق عليها وزير الخارجية مارشال ! !

وعندما بدأت الحملة الانتخابية فى عام ١٩٥٢ ، وخلال اجتماعات مؤتمر الحزب الجمهورى ، نصح ممثل المجلس الوطنى الأمريكى اليهودى قادة الحزب بألا يضمنوا برنامجهم الانتخابى وعوداً صريحة لإسرائيل ، ولـكن عضو الـكونجرس جازيت — الذى كان يدافع عن وجهة نظر المجلس الصهيونى فى الحزب — أصر على وجوب معاملة إسرائيل معاملة خاصة،وكان له ما أراد ، وهذا هو نص الفقرة الخاصة بإسرائيل الواردة فى برنامج الحزب السياسى :

« إن الحزب الجمهورى قد أبدى منذ البدء تأييده التام لفـكرة إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى ، لإنقاذ الآلاف من اليهود من التعذيب والاضطهاد اللذين تـكبدوهما خلال سنى الحرب الأخيرة ، وإن قيام إسرائيل يتفق مع أعمق أهدافنا الإنسانية .

« وسنثابر على إتمام تأييدنا ومهمتنا فى تدعيم هـــذه الدولة ، وكذلك سنستخدم نفوذنا لإقرار السلام بينها وبين الدول العربية ، وسنبذل ما فى وسعنا لإحلال الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى فى تلك المنطقة ».

بينما تجنب الحاكم أدلاى ستيفنسون خلال حملته الانتخابية التلميح بأى وعد خاص من أجل كسب الأصوات اليهودية ، بل أعلن تحرره التام من ضغط الأقليات على اختلاف طوائفها ، ولعل كونه عضواً فى الوفد الأمريكى لهيئة الأمم جعله يشاهد كيف كانت تتخذ القرارات كلما عرضت قضية خاصة بإسرائيل والدول العربية ، كما أنه طالما سمع بيرنز يشـكو ويتذمر من تقلص سلطة وزارة الخارجية فيما يتعلق بفلسطين ، حتى أن مارشال لم يستشر

فى موضوع قرار ترومان القاضى بضم النقب إلى إسرائيل ، وكادت تحدث اصطدامات وخلافات بين وزير الخارجية مارشال ، وبيرنز ، وبين الرئيس ترومان حول هذه القضية بالذات .

ومع ذلك ، فلو أن الفوز كتب لستيفنسون فلم يكن من المستبعد أن يبدل موقفه تحت ضغط العوامل السياسية ، تلك العوامل التى حملت ترومان أن يضحى بمصالح الأمة الأمريكية استرضاء لخاطر قادة الصهيونية .

وكان موقف الكونت برنادوت المعتدل هو الذى جعل الصهيونيين الإرهابيين يغتالونه فى وحشية كطريقتهم فى التخلص من مناصرى الحق أينما وجدوا ، ليبقى الباطل وتخيم الظلمة ، وتحت أستار الظلام والظلم ينفذون وينفذون أعمالهم .

٤ — جيمس ماكدونالد وفورستال :

كتب «أرنست لندلى» فى صحيفة «واشنطن بوست» أن سياسة الولايات المتحدة تجاه فلسطين قد تأثرت كثيرا بلا شك بنفوذ الصهيونيين الأمريكيين. ولقد كان للسياسة المحلية العامل المسيطر والأول فى توجيه الوضع بفلسطين لمصلحة الصهيونية .

وفى ٤ سبتمبر سنة ١٩٤٧ اقترح الجنرال هانيغان على الرئيس ترومان إصدار بيان يؤيد فيه إدخال ١٥٠ ألف يهودى إلى فلسطين وقال هانيغان إن إصدار مثل هـذا البيان سيكون له الأثر الكبير فى زيادة القروض للجنة الوطنية الديمقراطية لتعزيز هذه اللجنة الديمقراطية .

وعلق الجنرال فورستال فيما بعد ، على هذا الحديث بقوله : « إن النتيجة جاءت مخيبة لآمال ترومان والحزب الديمقراطى معاً ، لأنها لم تسفر عن النتائج

المنتظرة فى حملة الانتخابات بنيويورك ، حيث يملك اليهود عـــدداً كبيراً من الأصوات . . » .

وقد بذل الجنرال فورستال ، إبان حملة الانتخابات ، ما فى وسعه لـكى يقنع كلا من الحزبين المتنافسين « الديمقراطى والجمهورى » بإبعاد قضية فلسطين عن المعترك السياسى ، حتى لا يستغلها أحد الحزبين فى الدعاية لحملته الانتخابية .

ولـكن هذه الفـكرة لم ترق أبداً لرئيس اللجنة الديمقراطية هوارد ماكغراث الذى قال إن قسما كبيراً من المبالغ المتبرع بها للجنة الديمقراطية إنما جاءت من شعب يريد أن يثبت أن بإمكانه التعبير عن وجهات نظره فى قضايا معينة ، كقضية فلسطين بالذات ، وأنه — أى ماكغراث — لا يمـكنه أن يفهم رأى فورستال القائل : « بأنه يفضل أن يخسر أصوات تلك الولايات على أن يعرض البلاد بأجمعها لأخطار جسيمة قد تنشأ عن الاندفاع وراء قضية فلسطين ، وأنه لا يجب السماح لأى فئة من المواطنين فى هـذه البلاد أن تؤثر فى سياستنا، أو أن تعرض سلامتنا الوطنية لأخطار لا تعرف نتائجها » .

وقد كتب فورستال عن محادثاته مع وزير الخارجية السابق جيمس بيرنز يقول بأن بيرنز لم يوافق على قرار الرئيس ترومان فى تحوير « تقرير كريدى » الذى أوصى بإقامة دولة فيدرالية بفلسطين ، أو إنشاء دولة عربية واحدة هناك . ثم ذكر بيرنز كيف أن الرئيس ترومان وجه انتقادات مرة إلى البريطانيين لموقفهم من قضية فلسطين ، مما أحرج موقف رئيس الحـكومة البريطانية « أتلى » ووزير خارجيتها « بيفن » .

وأضاف بيرنز أن المسئولية الـكبرى لهذه السياسة الحمقاء تقع على عاتق

داڤيدنايلز ، وسام روزنمان المقربين من الرئيس الأمريكى ، كما أكد وزير الخارجية السابق لفورستال ، أن زعماء الحزب الجمهورى لن يوافقوا أيضا على إبعاد قضية فلسطين عن النضال السياسى المحلى ، لأن الحاخام سيلڤر هو من مؤيدى الجمهوريين ومن الأصدقاء المقربين للسناتور الجمهورى تافت .

وعلى الرغم من كل تلك الصدمات ، واصل فورستال مساعيه فى هذا المضمار ، فطلب من قادة الحزبين المتنافسين : ديوى وستاسن وتافت وماكفرات والجنرال برادلى أن يحصروا اهتمامهم فى أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية وإبعاد خطر تسرب السوفيت إليه ، دون التدخل فى أوضاعه الداخلية . وظل يعمل بضعة شهور ، دون أن يتمكن من الوصول إلى نتيجة ، بل إنه لم يتمكن من إقناع المعتدلين من الحزب الجمهورى أمثال ونتروب الدريتش ، وجون فوستر دالاس ، والسناتور آرثر فاندنبرج .

وقال جيمس ماكدونالد فى كتابه «مهمتى إلى إسرائيل» عن فورستال : « لم يكن فورستال عدوا للسامية ، أو لإسرائيل ، كما أنه لم يكن متأثراً بمنابع البترول . ولكنه اقتنع أن قرار التقسيم لا يتفق ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية كل الاتفاق ، فعارضه . . . ومن المؤكد أنه لا يستحق أن تشن عليه مثل هذه الحملات الخبيثة ، التى ساعدت على تحطيم جسده وعقله ، ولأن هذه الحملات المغرضة تقف كأبشع مثال على رغبة الساسة وأبطال الدعايات فى استخدام أحقر الوسائل — باسم الوطنية — للقضاء على الرجال المخلصين من أبنائنا » .

هذا إقرار من أول سفير للولايات المتحدة الأمريكية فى إسرائيل وأحد أنصار الصهيونية ، وهو إنما ينصف الحقيقة ولو كره الصهيونيون ، ويقف

إلى جانب فورستال لتخفيف حملات الاضطهاد ضده والتى دعاها « بالحملات الخبيثة » للقضاء على الرجال المخلصين من أبنائنا .

• — جيمس فورستال والأسرار السياسية :

ابتهج الصهيونيون وأعوانهم بصدور قرار التقسيم ، وأخذوا يعدون العدة لنقله إلى حيز التنفيذ .

وبينما كانت الحكومات العربية تواصل احتجاجاتها — وهى لم تكن قد أفاقت بعد من ذهولها إثر الصدمة التى نزلت بها من جراء تصرفات الدول الغربية — كان بعض ذوى الرأى فى الولايات المتحدة ممن يزنون الأمور بميزان العقل ويقدرون المصلحة العليا الحقيقية لوطنهم يواصلون الجهود لإظهار مدى خطأ السياسة التى اتبعتها الإدارة « الترومانية » ومدى خطورة خضوع السياسة الخارجية الأمريكية لأهواء الصهيونية وضغطها ، وبخاصة بعد أن زادت مشكلة فلسطين تعقداً بقرار التقسيم .

وكان المستر جيمس فورستال فى مقدمة المخلصين الذين عملوا على تصحيح الأوضاع وإخراج قضية فلسطين من الصراع الحزبى الداخلى فى الولايات المتحدة ، حتى تستطيع حكومتها أن تضع أسسا سليمة لسياستها الخارجية فى الشرق الأوسط يكون من شأنها تجنب انهيار العلاقات بين أمريكا والدول الإسلامية .

وشجع فورستال على محاولاته وجهوده المخلصة وجود فريق من المختصين بشئون الشرق فى وزارتى الخارجية والدفاع ممن كانوا يشاركونه بعد النظر وتقدير خطورة الاندفاع فى تيار الضغط الصهيونى [١] ؛ ولم تقتصر جهوده

---

(١) H.B Westerfield. Foreign Policy and Party Politics. P.231

على محيط الديمقراطيين ، بل إنه استأذن ترومان فى الاتصال بالمسئولين فى الحزب الجمهورى لإقناعهم بالعدول عن الجرى وراء النفوذ الصهيونى . وكان رد عضو الشيوخ فاندنبرج عندما فاتحه فورستال فى هذا الشأن أن الديمقراطيين قد استغلوا مسألة فلسطين بما فيه الـكفاية ، وأنه من حق الحزب الجمهورى أن يستغلها بنفس القدر . . فيجب أن تتاح الفرصة للجمهوريين للمشاركة فى مغانم السياسة الخارجية الأمريكية كما يرغمون على المشاركة فى محنها .

ولم يتطرق اليأس إلى فورستال وهو المخلص فى إيمانه بمصالح بلاده ، فحاول محاولة أخرى مع الزعيم الجمهورى ديوى ، فـكان رد هذا الأخير(١) على وساطة فورستال أنه ما من شك فى أن الحزب الديمقراطى لن يتنازل عن استغلال الأصوات اليهودية فى الانتخابات ، فلماذا ينتظر من الجمهوريين أن يفعلوا ذلك .

ورأى فورستال أن يقدم تقريراً رسمياً إلى وكيل الخارجية لفت يضمنه رأيه صراحة لعله ينير الطريق أمام الرئيس ترومان .

وقد جاء فى هذا التقرير : « إن الديمقراطيين يعترفون بخطورة المشكلة الفلسطينية ، ولـكنهم يعيرون اهتماما أكثر للحصول على الاكتتابات المالية من الصهيونيين الذين يحاولون الحصول على « أمر الأداء » والوفاء بالدين على حساب سياستنا القومية »(٢) .

وفى تلك الأثناء كانت الحال تتفاقم فى فلسطين ، وبدأت الاشتباكات

---

(١) Walter Millis (ed) : The Forestall Diaries P. 348.

(٢) Waltar Millis (ed) : The Forestall Diaries P. 15.

تزداد بين الإرهابيين والمجاهدين العرب ، والإدارة البريطانية منهمكة فى تصفية شئونها توطئة لإنهاء الانتداب .

وكان المجاهدون العرب يقاومون الإرهاب الصهيونى بكل ما أوتوا من قوة وإيمان رغم افتقارهم إلى المعدات والتنظيم والإمكانيات .

وخشى الصهيونيون أن تفوت عليهم الفرصة للاستعداد الكامل قبل جلاء السلطات البريطانية عن فلسطين ! فسعوا مرة أخرى لدى أمريكا كى تضغط على الحكومة البريطانية وتجبرها على تسليم اليهود ميناء بحريا كامل المعدات قبل المدة المحددة للجلاء ، وذلك لكى يتسنى لليهود تيسير هجرة الآلاف من الصهيونيين الأوربيين الذين أعدوا للانخراط فى صفوف عصابات الإرهاب . ولما لم تفلح تلك المناورة أخذ عملاء الصهيونية فى أمريكا يشكون ويولولون زاعمين أن بريطانيا تزود الدول العربية بالمعدات الحربية « طبقا للمعاهدات بينها وبينهم »، بينما اليهود محرومون منها بعدأن صدر قرار أمريكا بحظر تصدير الأسلحة إلى الشرق الأوسط وعدم السماح للأمريكيين بالخدمة فى صفوف قوات مسلحة أجنبية .

وفى الوقت نفسه كانت حملات الدعاية تشن ضد بريطانيا بدعوى أن السلطات البريطانية فى فلسطين تسوى فى المعاملة بين المعتدين والمدافعين ! ! بين المعتدين « العرب » وبين المدافعين « اليهود » !! وبين العرب الذين يهدمون هيبة الأمم المتحدة بمعارضتهم قرار التقسيم ، واليهود الذين يحترمون قرارات تلك الهيئة !!

كانت تلك الأكاذيب والتضليلات تنتشر فى الأوساط الرسمية والصحافة الأمريكية ، بينما كانت آلاف الأطنان من المواد المتفجرة والمعدات والأسلحة تشترى بواسطة عملاء الصهيونية فى نيويورك ، وتشحن سراً على السفن المتجهة صوب فلسطين .

وغالبا ما كان يحدث هذا بعلم السلطات الأمريكية ورضائها[١] ، وكان عملاء الصهيونية يشكون ويتظاهرون بافتقارهم لوسائل الدفاع عن أنفسهم ، فى الوقت الذى كانت شحنات الأسلحة التشكوسلوفاكية تنهال فيه على يهود فلسطين ويدفع ثمنها بالدولارات التى اكتتب بها يهود أمريكا[٢]. « ولم تكن تشيكوسلوفاكيا قد استهدفت بعد للانقلاب المعروف». وبدأت تلوح فى الأفق العربى آثار تهور الحكومة الأمريكية فى سياستها فى الشرق الأوسط، كما أصبح واضحا أن قرار التقسيم لابد أن ينفذ بالقوة العسكرية ، وأن للولايات المتحدة مصالح اقتصادية وبترولية واستراتيجية سوف تضار من جراء تذمر الدول العربية وسخطها ، إلى غير ذلك من الاعتبارات التى حاول الإخصائيون إلقاء الضوء عليها [٣] . وإزاء ذلك أعدت مذكرة بمعرفة وزارتى الخارجية والدفاع فى ٢٠ يناير سنة ١٩٤٨ مؤداها أن قرار التقسيم الصادر من هيئة الأمم لن يتيسر تنفيذه ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية ليست ملزمة بتنفيذه إذا لم يكن هناك سبيل إلى ذلك دون الالتجاء إلى القوة المسلحة ، وأنها « أى الولايات المتحدة » سوف تتخذ الإجراءات المناسبة لسحب القرار [٤].

وجدير بالذكر هنا أن الدافع الأساسى الذى حدا بإخصائيي وزارتى الدفاع والخارجية إلى التراجع عن فكرة التقسيم بقوة عسكرية لم يكن تخوفهم من سخط الأمة العربية بقدر ما كان تخوفهم من اشتراك الاتحاد السوفيتى وإصراره

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى جريدة التايمز اللندنية فى أعدادها الصادرة فى ٥ ، ١٠ ، ١٢ يناير ، ١٨ / ٢ / ١٩٤٨ .

(٢) من الأمثلة العديدة لاعتراف الصهيونية بتهريب الأسلحة من أمريكا وغيرها من الدول ما جاء تفصيله فى الكتابين الصهيونيين : Sacher, Israel pp. 263—272
Kimche, Seven fallen Pillars, P. 214 .

(٣) Council of Foreign Relations, U.S. in World Affairs 1947 | 8 P. 339.

(٤) Walter Millis (ed): The Forestall Diaries pp. 360,411.

على إرسال جنوده ومراقبيه ضمن أية هيئة ترسلها الأمم المتحدة للإشراف على تنفيذ قرار التقسيم .

واشتم الصهيونيون أن الحكومة الأمريكية قد تثوب إلى رشدها ، وأن بعض المسئولين بدءوا يتشككون فى نتيجة السياسة التى اتبعها الرئيس ترومان ومستشاروه ، وخاف الصهيونيون أن يؤدى هذا التشكك والتردد إلى تغيير فى سياسة الولايات المتحدة والحيلولة دون تنفيذ أهدافهم .

وهناك رأى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة — تريجفى لى — أن يستغل نفوذه ومركزه فى المساهمة لصالح الأهداف الصهيونية التى أخذ على عاتقه أن يسخر إمكانيات وظيفته لخدمتها ، فأعلن — وقد خيل له أن ينذر العرب بسوء المصير — أن الجمعية العامة سبق لها أن قررت تشكيل لجنة من الدول الصغرى للإشراف على تنفيذ قرار التقسيم ، وأن تلك اللجنة سوف تحصل على المساعدة المسلحة اللازمة لتنفيذ هذا القرار [١] . نعم لقد أراد عملاء الصهيونية أن تتخذ هيئة الأمم المتحدة أداة للضغط المسلح على عرب فلسطين حتى يرضخوا للأهداف التى يريد الصهيونيون تحقيقها ، بيد أنه عندما طلبت اللجنة « التى كان مقدراً لها أن تشرف على تنفيذ قرار التقسيم » إلى مجلس الأمن بناء على إيعاز الأمين العام ، أن يوصى بإعداد قوة مسلحة لتنفيذ التقسيم ، ظهرت أمام المجلس الصعوبة القانونية التى لا تريد سياسة القوى ولا حكومات الدول الكبرى أن تعيرها أى اعتبار رغم ماتدعيه من احترام القانون الدولى .

فقرار التقسيم أقرته الجمعية العامة لا مجلس الأمن ، وهو طبقا لنصوص الميثاق وروحه لم يكن إلا توصية لا تعتبر نافذة قانونا على أى دولة

---

(١) A | AC 21 | SRI وثيقة هيئة الأمم .

من الدول إلا إذا أقرت تلك الدولة قبوله[١]، وليس من سلطة مجلس الأمن أن يتخذ تدابير عسكرية إلا فى حالات الاعتداء التى يقرها المجلس وفى حدود ما نص عليه الفصل السابع من ميثاق هيئة الأمم المتحدة .

أسرار التراجع الأمريكى :

وفى ١٩ مارس سنة ١٩٤٨ فاجأ وارن أوستن — مندوب الولايات المتحدة الأمريكية فى مجلس الأمن — دول العالم باقتراحه وضع فلسطين تحت نظام الوصاية [٢] ، أى أنه رجع إلى الاقتراح الذى سبق أن قبله الجانب العربى فى الأشهر السابقة . ويقال إن اقتراح أوستن هذا جاء مفاجأة للرئيس ترومان نفسه ، وهو الذى كان قد أعطى وايزمن «وعدا قاطعا بأن التقسيم سيتم وينفذ بمعرفة أمريكا وقواتها العسكرية »[٣] .

على أن الأسباب التى دفعت وزارتى الخارجية والدفاع الأمريكيتين إلى هذا الاقتراح كانت أقوى من مجرد الوعود التى قطعها ترومان للصهيونية . فالانقلاب الشيوعى فى تشيكوسلوفاكيا ، وفوز الحزب الشيوعى فى إيطاليا ، وتدهور الحالة عموما فى الشرق الأوسط ، وتخوف أمريكا من تدخل روسيا عسكريا فى فلسطين ، كانت كلها أسبابا دفعت الإخصائيين الأمريكيين إلى التراجع الاستراتيجى تجاه الجانب العربى .

ومن الثابت أيضا أن القيادة الأمريكية كانت قد اعترضت على اقتراح ترومان بالتدخل العسكرى من قبل الأمم المتحدة فى فلسطين ، إذ أنهم قدروا القوة العسكرية اللازمة لتنفيذ قرار التقسيم بالإكراه بحوالى ١٠٤,٠٠٠

---

(١) راجع التحليل القانونى لقرار التقسيم فى المجلة الأمريكية للقانون الدولى عدد ابريل سنة ١٩٤٨ .

(٢) وثائق مجلس الأمن الرسمية عام ١٩٤٨ (٣٦ — ٥١) .

(٣) Daniels , A man of Independence P. 318 ,

جندى ولم تكن الولايات المتحدة آنذاك فى موقف يمكنها من الاستغناء عن فرقة عسكرية أمريكية واحدة[١] .

وكان من المنتظر أن يقابل ترومان هذا الاقتراح بالاعتراض الشديد ، وقد برر اعتراضه بأنه تلقى آلاف البرقيات التى شهد سكرتاريو ترومان أن ٩٩ ٪ منها كانت تحمل أسماء يهودية .

ولا يخفى أن حملة الضغط على البيت الأبيض فى تلك الأثناء اقترنت بحملات من الإرهاب الوحشى فى فلسطين ، ومجاهرة الصهيونيين بأنهم سيقاومون كل محاولة لإقرار نظام الوصاية على فلسطين حتى ولو كانت الوصاية لفترة قصيرة .

ومرة أخرى نجحت الصهيونية ، ففاتح ترومان المسئولين بتذمره إزاء تصرفات وزارة الخارجية ، وطرد هندرسون المستشار المسئول عن شئون فلسطين ، وعين مكانه الجنرال هيلدرنج المعروف بتحمسه لإنشاء دولة يهودية ، وبديهى أن يتشجع الصهيونيون أمام هذا التصرف ، ويبلغ بهم استمراء نجاح سياسة الضغط الصهيونى على ترومان أن يقف ممثلهم موسى شرتوك «شاريت» فى مجلس الأمن فى ١٩٤٨/٤/١ ليقول : « إن اليهود قد اجتازوا باب الكيان الدولى ، وإنهم لن يتراجعوا بعد اليوم » ، بل قد تمادى شرتوك فى تحديه واستناده إلى مظاهرة ترومان له ، فوقف يعلن اتهامه للسلطات البريطانية بأنها تتواطأ مع العرب وتسمح لهم بالتسلل عبر حدود فلسطين[٢] .

كانت تلك المناورات تدور فى نيويورك وواشنطون بينما يتمادى الإرهابيون فى ارتكاب أبشع المجازر وأفظعها ضد العرب فى فلسطين ، وظل

---

(١) H.B. Westerfield, Foreign Policy and Party Politics P.233

(٢) المحاضر الرسمية لمجلس الأمن (١٩٤٨ — ١٩٥٢) .

جيمس فورستال يناضل من أجل فلسطين ومن أجل حقوق العرب حماية لهيبة الولايات المتحدة الأمريكية من الضغط الصهيونى حتى وقع فريسة المرض والانهيار النفسى ، ومن سيئات القدر أن الذى أشرف على علاجه طبيب يهودى صهيونى اسمه Menninger .

تواطؤ الولايات المتحدة مع الأعمال الارهابية للعصابات الصهيونية :

قامت حملة مسلحة من عصابتى الاشترن والأرجون وأكرهت السكان الآمنين فى قرية « دير ياسين » على إخلاء القرية ، فأذعن فريق منهم وبقى آخر ، فما كان من الإرهابيين إلا أن هاجموا القرية بالمدافع والقنابل وأبادوا سكانها ، وقد شهد مندوبو الصليب الأحمر فى فلسطين — رغم تهديدات الصهيونيين ومنعهم لهم من مشاهدة آثار تلك الجريمة الشنعاء — بأن مذبحة دير ياسين كانت مجزرة بشعة تنم على وحشية متعمدة لا مبرر لها على الإطلاق سوى الزهو بالقتل والتنكيل بالعرب الآمنين (١) .

وفى الوقت نفسه كانت أمريكا ترحب بمناحيم بيجن قائد منظمة أرجون زفاى ليومى ، والمؤيد لأعمال الإبادة والتخريب فى فلسطين من نسف فندق الملك داود بما فيه من النزلاء الأبرياء ، إلى وضع قنبلة موقوتة تحت مبنى القنصلية البريطانية ، إلى شنق عدد من الجنود البريطانيين ، إلى ذبح النساء والأطفال والشيب من عرب فلسطين ، حتى أن صحيفة نيويورك تايمز جعلته فى مصاف الغزاة الفاتحين فكتبت مقالا عنه تحت عنوان : « الرجل الذى هزم إمبراطورية وكسب المجد لإسرائيل » ، والمعروف أن سياسة مناحيم بيجن تنادى بضم الأردن والبلدان المجاورة إلى إسرائيل حتى تتكون الدولة الجديدة من الحدود الأصلية لأرض كنعان .

---

(١) Reynier; A Jérusalem un drapeau pp. 69 — 70 .

الثأر العربى ورد الفعل الاسرائيلى :

لم تشأ كرامة المجاهدين العرب إلا أن يثأروا لإخوانهم شهداء مذبحة دير ياسين ، فردوا على الإرهاب الصهيونى بمعركة « الهداسا » ، ولكن ما أعظم الفرق بين هذه وتلك ! ! فالحقائق التى أقرها مراقبو هيئة الصليب الأحمر (١) تشهد أن الإرهابيين اليهود كانوا يتسترون وراء علامة الصليب الأحمر « أو ما يقابلها » فينقلون المؤن والذخائر والمعدات الحربية خفية على أنها شحنات طبية إلى مستشفى الهداسا والجامعة العبرية التى اتخذ الإرهابيون منها موقعا استراتيجيا محصنا ، وذلك لوجودها على ربوة عالية تكشف القدس العربية .

وتحت ستار راية الصليب الأحمر كانت القوافل المسلحة تمر تباعا لتموين العصابات الإرهابية وتجديد القوات وإمدادها بالعدد والذخائر . فما كان من المجاهدين العرب إلا أن هاجموا إحدى القوافل بعد حادثة دير ياسين ، وأجهزوا على رجالها ، وكشف مراقبو الصليب الأحمر عن خداع الإرهابيين وانتهاكهم لاتفاقيات جنيف الخاصة بحرمة المستشفيات وقوافل الجرحى ، إذ كانوا ينقلون معدات حربية فى قوافل مسلحة تحت ستار علامة الصليب الأحمر .

وقد علق رينيه Reynier على هذا المسلك الشائن بقوله : « كان على اليهود أن يختاروا إما علامة الصليب بمعناها المتفق عليه فينقلوا مرضاهم وجرحاهم فى قوافل عزل من السلاح ، وإما أن يتنقلوا فى قوافل مسلحة لأغراض حربية غير متسترة وراء قناع الصليب الأحمر .

« ولكن الصهيونيين أرادوا أن يستغلوا الطريقين إلى أبعد حدود الاستغلال فكان عليهم تحمل العواقب » .

---

(١) شهد بذلك رئيس الصليب الأحمر فى فلسطين فى كتابه :

(٢) Reynier, A Jérusalem un drapeau, pp. 69 — 70.

وسارت الحال من سيء إلى أسوأ ، والإرهابيون يعدون عدتهم كاملة ويقرنون هذا الاستعداد بالضغط السياسي والمراوغة والتحايل واستغلال نفوذ الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى نيويورك وواشنطن بصفة خاصة .

٦ — ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان :

قال موجها حديثه إلى الدول الغربية : « لا تنسوا أنكم ستحتاجون فى المستقبل إلى حلفاء وأصدقاء فى الشرق الأوسط ، ولهذا فأرجو ألا تخسروا ما لكم من رأسمال فى تلك البلاد » .

ثم أضاف يسأل الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية : « ما الغاية من إنشاء دولة يهودية ؟ أهو من باب الدافع الإنسانى . . . ؟ إذا كان الأمر كذلك فلماذا أقفلتم أبواب حدودكم فى وجه اليهودى الذى لا ملجأ له . . ؟ ولماذا تصرون إذن على إسكانهم فلسطين ، بل ومساعدتهم على إقامة دولة . . حتى يصبح ذلك اليهودى الذى كان بالأمس بلا مأوى يحكم العربى الفلسطينى . . ؟ » .

وأخيراً أنهى خطابه بالتهكم على الحجج والأسباب التى بررت بها الدول الكبرى إقرار مشروع التقسيم .

وعندما انتهى الاقتراع على المشروع وقف ظفر الله خان يعلق على النتيجة بقوله :

« لقد سعينا لإحقاق الحق الذى استوحيناه من الله . . ونجحنا فى إقناع عدد من مندوبى الدول ليروا الحق كما لمسناه . . ولكن مساعينا ضاعت فى التيار الجارف . . نحن لا نحقد على زملائنا المندوبين الذين أكرهوا تحت الضغط والإغراء الشديدين أن يبدلوا موقفهم ويقترعوا على مشروع لا تقره العدالة ولا الإنصاف » .

القرارات

١ — مؤتمر بلودان ١٩٣٧/٩/٨ :

رفض العرب توصيات لجنة بيل ٧/٧/١٩٣٧ التى تنص فى الباب الثالث منها على مشروع بتقسيم فلسطين ، وعادت ثوراتهم من جديد وهى أكثر ما تكون صمودا وثباتا . وضج العالم العربى كله بالشكوى ، واحتجت حكومات العراق ومصر والسعودية على مسلك الإنجليز والصهيونية ، وعقد العرب مؤتمراً لهم فى بلودان ، وفيه أعلنوا عدة قرارات كان من أهمها :

١ — رفض مشروع بيل رفضا باتا .

٢ — اعتبار فلسطين دولة عربية وهى جزء من الوطن العربى .

٣ — ضرورة العمل على إلغاء الانتداب الإنجليزى .

٤ — وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

٥ — العمل على منع اليهود من الاستيلاء على الأراضى العربية الفلسطينية.

وأحست إنجلترا بالخطر يحدق بها ، ويبدو أنها كانت تتوقع الحرب العالمية الثانية فرأت أن تسترضى العرب ليقفوا مع الحلفاء فى حربهم مع الألمان ، وحتى لا يقوموا بثورة ضد الإنجليز كما فعلوا فى الحرب الأولى مع الأتراك . لذلك أسرعت إنجلترا بإصدار ما أسمته بالكتاب الأبيض ، وفيه أعلنت عدولها عن فكرة التقسيم ، وأنها تنوى إقامة دولة فى فلسطين يحكمها ثمانية منهم ستة من العرب واثنان من اليهود ، ويرأس هذه الدولة حاكم بريطانى وذلك لمدة عشر سنوات تصبح فلسطين بعدها قادرة على حكم نفسها بنفسها . ونص على الهجرة حتى يصبح عدد اليهود نصف عدد السكان فى فلسطين أى مساويا لعدد العرب .

كان الكتاب الأبيض بهذه الصورة يبدو فى ظاهره لمصلحة العرب ، ولكنه فى الحقيقة لم يكن إلا مرحلة من مراحل التآمر الصهيونى على فلسطين.

٢ — مطالب العرب امام لجنة كنج كرين King Crane ، ومؤتمر دمشق فى ٨ مارس ١٩٢٠ لتاكيد هذه المطالب :

تكونت لجنة كنج كرين سنة ١٩٢٠ وسافرت إلى سوريا ، واتصلت بزعماء العرب ، وعرفت آراءهم ومطالبهم ، وكانت هذه المطالب تتلخص فى :

١ — ضرورة استقلال سوريا الكبرى « لبنان والأردن ، وفلسطين ، وسوريا الحالية » على أن يصبح الشريف حسين ملكا عليها .

٢ — استقلال العراق على أن يصبح الأمير فيصل ملكا عليه .

٣ — يرفض العرب كل ما جاء فى اتفاقية سايكس / بيكو لأنه يتعارض مع رغباتهم .

٤ — يعلن العرب فى عزم أكيد رفضهم لما جاء فى تصريح بلفور ، ويصرون على أن فلسطين دولة عربية .

٥ — يصر العرب على الاستقلال ، ويرفضون كل صورة من صور التدخل والسيطرة . . . حتى لو كانت فى صورة الانتداب .

إلا أن إنجلترا وفرنسا كانتا واثقتين من نفسيهما ، ومن إهمال مقترحات لجنة كنج كرين . . لذلك عادتا تؤكدان مرة أخرى عزمهما على تنفيذ ما جاء فى قرارات مؤتمر الصلح ، ولم توافقا على قرارات مؤتمر دمشق ، ولم تكد تمضى أيام قليلة حتى اجتمع مجلس الحلفاء فى سان ريمو فى إبريل عام ١٩٢٠ ، وأعلن أعضاؤه وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، وفلسطين والعراق وشرق الأردن تحت الانتداب الإنجليزى .

٣ — مؤتمر بلودان فى ١٢ يونية ١٩٤٦ :

فى ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ طلب بيفن إشراك الولايات المتحدة فى حل قضية فلسطين فشكلت لجنة من البلدين لدراسة القضية ، وقررت هذه اللجنة السماح

بهجرة ١٠٠ ألف يهودى فى الحال ، وغضب العرب لهـذا القرار ، وعقدوا مؤتمراً فى بلودان فى ١٢ يونيو عام ١٩٤٦ ، وطالبوا بالدخول فى مفاوضات مع بريطانيا لإنهاء الوضع القائم على أساس ميثاق الأمم المتحدة وحقوق العرب فى البلاد ، وتحدد يوم ١٠ سبتمبر عام ١٩٤٦ موعداً لعقد مؤتمر لندن للمفاوضة . وقرر وزراء الخارجية العرب عدم الاجتماع مع مندوب إسرائيل على مائدة واحدة ، وعدم قبول أى مشروع يهدف إلى التقسيم ، وعدم قبول تدخل الولايات المتحدة الأمريكية .

وبالنسبة لأهمية المذكرة التى بعثت بها الحكومات العربية بناء على قرار مجلس جامعة الدول العربية المنعقد فى بلودان فى ١٢ يونيو ١٩٤٦ ، فإننا نلخص فيما يلى ما جاء بهذه المذكرة :

١ — لا مبرر على الإطلاق لتشكيل لجنة إنجليزية أمريكية لدرس قضية فلسطين وخاصة أن القضية درست دراسة وافية من قبل لجان متعددة .

٢ — الحكومات العربية ترى أن بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على فلسطين هى المسئولة عما يقع من إهدار لحقوق العرب السياسية والمدنية فى فلسطين ، وأنه ليس هناك مسوغ قانونى يبيح تدخل الولايات المتحدة الأمريكية للتأثير على الوضع القائم فى فلسطين .

٣ — الانتداب على فلسطين باطل من أساسه فإن تصريح بلفور الذى تضمنه صك الانتداب ، وما نجم عنه من حرمان لعرب فلسطين من التمتع بحقوقهم السياسية والمدنية ، جاء مناقضا الفقرة ٤ من المـادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم .

٤ — أن الحكومة البريطانية قد فسرت معنى الوطن القومى فى مناسبات

مختلفة أهمها الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ والرجوع عن هذا التفسير يعتبر تحديا لحقوق العرب المشروعة .

٥ — واجب على الحكومة البريطانية أن توقف الهجرة فوراً ، وأن تقصى كل المهاجرين الذين دخلوا البلاد عنوة ، وإلى أن يتم هذا فلايجوز أن يتمتعوا بالحقوق السياسية التى للرعايا الفلسطينيين .

عقد مؤتمر لندن فى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ واستمر حتى ٢ أكتوبر سنة١٩٤٦ وقدمت بريطانيا مشروع موريسون الذى يرى إنشاء دولة فيدرالية من العرب واليهود تحت إشراف بريطانيا . ورفض المندوبون العرب هذا المشروع وتقدموا بمشروع يقضى بقيام دولة مستقلة ، وتكوين حكومة انتقالية – برئاسة المندوب السامى – تتألف من سبعة من العرب وثلاثة من اليهود ووقف الهجرة واحترام الأماكن المقدسة وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا . . ورفضت بريطانيا المشروع العربى وأصرت على قبول مشروع موريسون . ثم عادت وقدمت مشروع بيفن الذى يرى وضع فلسطين تحت وصاية بريطانيا لمدة خمس سنوات تقسم خلالها إلى أقسام إدارية تتمتع بالحكم الذاتى ، ورفض العرب هذا المشروع .

ولم يعد هناك مفر من عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة .

٤ — دور الاستعمار فى تدعيم كيان اسرائيل :

فى ٤ إبريل سنة ١٩٥٠ أعلن مجلس الأمة الأردنى الذى ضم ممثلين عن الأجزاء الفلسطينية التى يسيطر عليها الجيش الأردنى توحيد هذه الأجزاء مع « شرق الأردن » فى دولة واحدة أطلق عليها « المملكة الأردنية الهاشمية » .

ولم تعترف الدول العربية بهذا التوحيد إنما اعتبرت أن هذه الأجزاء

الفلسطينية « الضفة الغربية للأردن » وديعة لدى الأردن لحين التسوية النهائية للقضية ، فيما عدا العراق التي اعترفت بوحدة الأجزاء الفلسطينية مع الأردن .

وهكذا وبعد أن أطلق اليهود اسم « إسرائيل » على الأجزاء المحتلة من فلسطين زال كيان فلسطين ورفع اسمها من خريطة العالم لأول مرة فى التاريخ .

٥ — عرض عام للتآمر الامبريالى الصهيونى :

انتقلت قضية فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة ولم يسبق لها مثيل فى بواعثها وظروفها ومسارها وتتلخص فيما يلى :

١ — أن فلسطين بلد عربى منذ ثلاثة عشر قرنا .

٢ — ثورة العرب على الأتراك بزعامة الشريف حسين بهدف الاستقلال، وانضمامهم إلى الحلفاء محاربين فى صفوفهم على أمل نيل استقلالهم ، ووعدتهم إنجلترا بتحقيق أمانيهم .

٣ — تأكيد بريطانيا لتحقيق آمال العرب فى الاستقلال باسم الحلفاء فى رسائل حسين/ مكماهون .

٤ — أن هدف العرب حق طبيعى أيدته المبادىء التى نادى بها الحلفاء وأكدها الرئيس ولسن ، وضمنها ميثاق عصبة الأمم «حق تقرير المصير» .

٥ — أن الحلفاء غدروا بالعرب فلم يفوا بوعودهم وفرضوا على بلادهم نظام الانتداب بمقتضى اتفاقية سايكس / بيكو ، وقرارات مؤتمر سان ريمو فى ذات الوقت الذى اعترفوا فيه بحق العرب فى الاستقلال وحق العرب فى تقرير مصيرهم بأنفسهم .

٦ — انتهى الانتداب على سورية ولبنان والعراق وتمتعت بالاستقلال والسيادة مع ارتباطها بمعاهدات مع إنجلترا وفرنسا قبل التحرر

الـكامل ومولد الجمهورية العربية المتحدة ، إلا فلسطين ، وهى داخلة فى نطاق المادة ٢٢ من ميثاق الأمم المتحدة ولـكنها حرمت مما تمتعت به مثيلاتها .

٧ — أن سبب الحرمان هو تصريح آرثر بلفور الذى صدر باسم حكومة بريطانيا لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وكان أهم باعث عليه مطامعها الاستعمارية فى فلسطين كمنطقة استراتيجية لمصالحها فى الشرق .

٨ — بالرغم من أنه لاحق لبريطانيا فيما وعدت به ، ونـكثها بعهدها مع العرب ، فقد استطاعت التآمر مع اليهود فى إقحام التصريح فى صك الانتداب على فلسطين .

٩ — أن صك الانتداب حمل بريطانيا مهمة تسهيل تهويد فلسطين وإنشاء الوطن القومى لليهود .

١٠ — أن صك الانتداب وتصريح بلفور اشترطا ألا يكون حيف على أهل فلسطين ومركزهم من جراء إنشاء ذلك الوطن اليهودى .

١١ — لقد كان الصك والتصريح يحتويان على التزامين متعارضين ، ولـكن الحقيقة أن الحـكومة البريطانية اندفعت فى قيامها بالتزامها لليهود فألحقت بحقوق العرب ومركزهم أكبر الأضرار .

١٢ — أن اليهود غذوا وما زالوا يغذون حركتهم بدعايات مضللة بما يملـكونه من وسائل بارعة وقوية فى مختلف أنحاء العالم .

١٣ — أن اليهود بنوا حركتهم على صلتهم التاريخية بفلسطين وخدعوا بها الأمم مع أن هذه الصلة قد انتفت نهائيا منذ تخريب الإمبراطور تيطس للهيكل سنة ٧٠م وتشتيتهم فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية سنة ١٣٥ م فى عهد الإمبراطور هادريان .

١٤ — أنهم ادعوا أن فلسطين مهجورة مقفرة مع أنها مكتظة بالعرب وهم أصحابها ، وفى درجة من الرقى الاجتماعى والثقافى والعمرانى لا تقل عن أحسن البلاد فى الشرق الأدنى والشرق الأوسط .

١٥ — أن الباعث على حركتهم هو ما لقيه اليهود فى أوربا الشرقية خاصة من اضطهاد لا يد للعرب فيه ، فليس من الحق أن يحملوا تبعته .

١٦ — أن فلسطين لا يمكن أن تحل ما يسمى بمشكلة اليهود « المشردين والمذلين » .

١٧ — لقد انهدم الباعث على اضطهاد اليهود بعد انتصارات الديمقراطيات وصار فى مقدور دولها أن تضمن لليهود أمناً وطمأنينة فى بلادها لو أن تلك الدول فتحت صدرها لهجرة مشردى أوربا إلى بلادها ، ولو أنها كانت جادة مخلصة فى توجيهها ، وعادلة فى سياستها ما كنا نسمع بمشكلة فلسطين ، وما كنا نسمع أدعياء أوربا من اليهود المشردين يدعون كذبا أن بلدهم هو فلسطين ! ! بل أى يهودى أمثال ألبرت أينشتاين ، وفايرستون يفضل الهجرة إلى فلسطين حيث الضيق الاقتصادى ، على أن يهاجر إلى كندا أو أمريكا حيث العيش الرغد والمجال المتسع للمشروعات والأعمال ، وحيث لا تعصب نازياً ضدهم ؟ !

١٨ — أن فى أمريكا ، وأستراليا ، وإفريقيا ، وجزر الباسفيك الواسعة الغنية والمقفرة من السكان وغيرها متسعا لليهود إذا ما أرادوا أن ينشئوا لهم كيانا .

١٩ — ليس اليهود اليوم شعباً ولا قوماً ، وإنما هم نحلة دينية ومحاولتهم إنشاء وطن لهم محاولة شاذة ، لأنها ترمى إلى جمع مختلف الجنسيات والأهواء فى وطن واحد على أساس الدين .

٢٠ — أن اليهود فى موقفهم فى فلسطين يماثلون النازية وبالتالى يناوئون الديمقراطية مع اختلاف الدوافع ، إذ أن النازية اضطرت إلى استئصال اليهود وإبادتهم لأنهم كانوا السبب المباشر فى هزيمة ألمانيا فى الحرب الكونية الأولى وإذلالها وامتصاص دماء الشعب الألمانى ، أما العرب فهم قوم مسالمون متسامحون لا ذنب لهم فيما وقع على اليهود من العذاب والتنكيل والتشريد :

إن اليهود يمارسون أعمال النازية مع اختلاف الدوافع إليها ليفرضوا كيانهم وأقليتهم على الأكثرية العربية ، وإرغام العرب على التخلى عن وطنهم لهم وقبول هجرتهم إلى فلسطين .

٢١ — لقد استطاع اليهود بنفوذهم وإغراءاتهم ومنظماتهم وتغلغلهم فى نيويورك وفى واشنطن وفى لندن وفى باريس وفى موسكو أن يحصلوا على تأييد أوساط مهمة فى أمريكا وبريطانيا لمطالبهم وتأييد أساليبهم ومواقفهم الشاذة رغم مخالفتها لمبادىء الديمقراطية .

٢٢ — لن يكتب للهدف اليهودى فى فلسطين أى نجاح سياسيا واقتصاديا لاعتبارات وجيهة سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية .

٢٣ — إن العرب والمسلمين فى الشرق الأدنى والأوسط لن ييئسوا من النضال ضد ذلك الهدف وضد مؤيديه مهما طال الزمن ، وسيتطور هذا النضال تطوراً خطيراً .

٢٤ — أن هذه الحركة حركة استيطان اليهود على حساب طرد العرب من أراضيهم هى بذرة شر وفتنة وقلاقل ودسائس مستمرة فى الشرقين الأوسط والأدنى .

٢٥ — أن هذه الحركة نقلت جرثومة اللاسامية إلى هذين الشرقين .

٢٦ — لقد استنكر العرب فى فلسطين وغيرها هذه الخطة منذ الأصل ، وكانت الحكومة البريطانية تكابر وتستمر فى محاباتها لليهود والتنقص من حقوق العرب بالقوة ، فكان هذا مما دعا إلى تكرار الاضطرابات العربية .

٢٧ — أرسلت الحكومة البريطانية لجان تحقيق عديدة منها :

(أ) لجنة الاستفتاء الأمريكية فى يونيو عام ١٩١٩ .

(ب) لجنة شو فى ٢٤ أكتوبر عام ١٩٢٩ .

(حـ) تقرير الخبير جون سمبسون عام ١٩٣٠ .

(د) لجنة التحقيق الملكية فى نوفمبر عام ١٩٣٦ .

(هـ) اللجنة الأمريكية الانجليزية فى ديسمبر عام ١٩٤٥ .

وأذاعت كتبا بيضاء لتصحيح الأوضاع وانتهاج سياسة الحق والعدل ، ومن هذه الكتب البيضاء :

(أ) الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢ أصدره ونستون تشرشل وزير المستعمرات .

(ب) الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ أصدره باسفيلد وزير المستعمرات .

(حـ) الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ . وقد قابل عرب فلسطين والدول العربية هذا الكتاب بتحفظ شديد لسابق خبرتهم بألاعيب بريطانيا ، أما اليهود فقد سارعوا إلى رفض هذا المشروع الجديد لأنه يخالف جميع اتفاقيات بريطانيا السرية والعلنية معهم .

ومع هذا لم تنفذ بريطانيا ما كان فى صالح العرب من توصيات وعهود .

٢٨ — فى سنة ١٩٣٩ اعترفت بريطانيا بأخطائها وتناقض التزاماتها وقيامها بواجبها نحو اليهود على حساب العرب المواطنين ، وقررت تصحيحاً للأوضاع

أنها ستمنح فلسطين استقلالها وتلغى عنها انتدابها وتوقف الهجرة اليهودية إليها ، ولـكنها لم تتقدم خطوة ما لتنفيذ ذلك .

٢٩ — فى سبتمبر سنة ١٩٤٦ عقـد مؤتمر لندن الثانى واشترك فيه مندوبون عن مصر والعراق وسوريا والأردن والمملـكة السعودية واليمن وفلسطين كما حضره مندوبون عن الوكالة اليهودية .

وكان هذا المؤتمر فرصة ذهبية لبريطانيا للتحلل من التزاماتها الواردة فى الـكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ . وفى هذا المؤتمر قدم العرب مشروعا على أساس ما أعلنته بريطانيا فى سنة ١٩٣٩ فرفضته هذه المرة ، كما رفض اليهود مشروع موريسون الذى يقضى بتقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية تتمتع بنوع من الحـكم الذاتى . وأصدرت بريطانيا مشروع بيفن نسبة إلى مستر بيفن وزير الخارجية وهو لا يختلف كثيراً عن مشروع موريسون ، وقد رفض العرب هذا المشروع الجديد أيضا وتمسكوا بضرورة إلغاء الانتداب وإعلان استقلال فلسطين وإعطاء شعبها حق تقرير المصير .

٣٠ — لقد كان الإرهاب الصهيونى على أشده نتيجة لتساهل الحـكومة البريطانية ، وإن العرب — والحق يناصرهم والعدالة تؤيدهم — يأبون النظر فى قضية فلسطين على أساس تسوية خلاف بينهم وبين اليهود الدخلاء ، ويرفضون أشد الرفض أى تسوية للقضية على أى شكل من أشكال التقسيم وإنشاء كيان قومى خالص لليهود ، فإن فلسطين عربية وستظل عربية .

٦ — جريمة الصهيونية فى القرن العشرين :

إن جريمة الصهيونية ومن ساندوها لا تعادلها جريمة فى التاريخ ، والجريمة لا تزال مستمرة ، وأسنادها القدماء لا يزالون هم أسنادها الجدد المحدثين . . إن ما يجـرى فى القـدس الآن هو ما جرى طوال العشرين سنة الماضيـة :

« طرد العرب من ديارهم ، وإحلال اليهـود محلهم » ، وقد آن الأوان لـكى تتوقف الجريمة ، ويلاقى من أعدوها ونفذوها وساندوها جزاءهم الأوفى والعادل ، ولن يكون ذلك إلا بإزالة إسرائيل من الوجود ، وانتزاع فلسطين منهم وردها إلى أهلها العرب .

إن أكثر من مليون ومائتى ألف عربى من سكان فلسطين تحولوا منذ عام ١٩٤٨ إلى لاجئين مشردين فى الخيام والأكواخ يعيشون حياة الفقر والمرض على فتات مساعدات الأمم المتحدة .

ولم يبق فى فلسطين حتى ٥/٦/١٩٦٧ من سكانها العرب الشرعيين إلا حوالى ٢٧ ألفا يعيشون تحت وطأة الاحتلال الصهيونى حياة معسكرات اعتقال جماعية فى ظل عملية اضطهاد عنصرية دائمة .

٧ — القرار رقم ١٩٤ «٣» :

قدمت لجنة الاستقصاء الاقتصادى المنبثقة عن الأمم المتحدة والتى عرفت تحت اسم « لجنة كلاب » فى ديسمبر عام ١٩٥٠ تقريرا إلى الجمعية العامة بعد أن عهد إليها بدراسة وسائل إعادة كيان اللاجئين الاقتصادى جاء فيه :

« يعتقد اللاجئون أن من مقتضيات الحق والعدالة أن يسمح لهم بالعودة إلى بيوتهم ومزارعهم وقراهم ، وإلى المدن الساحلية كحيفا ويافا ، التى جاء الـكثيرون منها . . . إنهم يحنون إلى ديارهم ويريدون العودة إليها حتى ولو قيل لهم إن الأوضاع تبدلت فى غيابهم ، وإنهم لن يكونوا سعداء إذا ما عادوا . وحتى لو قيل لهم إن منازلهم وبيوتهم قد دمرت، أجابوا : لا بأس فالأرض باقية... » .

وقدم مدير الوكالة فى عام ١٩٥١ تقريراً جاء فيه : « من الغريب أن معنويات اللاجئين العامة أرفع مما كان متوقعا ، لا سيما وقد قضوا أكثر من

عامين فى حياة النفى والتشريد ، وفى ظل أقسى الأوضاع وأشقها ، فاللاجىء يريد قبل كل شىء أن يعود إلى بيته السابق . . . وهو يعتبر الأمم المتحدة مسئولة عن الأوضاع التى تردى فيها » .

ثم رفع المدير العام تقريراً فى سنة ١٩٥٣ ثم آخر فى سنة ١٩٥٤ ثم آخر فى سنة ١٩٥٥ تضمن ما يلى : « ستظل رغبـــة اللاجئين العارمة فى العودة إلى وطنهم ، العامل البارز فى تــكييف مواقفهم ، وفى التأثير على سياسات حــكومات الشرق الأدنى تجاه هذه القضية ، ولم يضعف هذا الشعور خلال هذا العام ، وعلينا ألا نقلل من قيمة ما فيه من قوة ، فنداء العودة ينبع بصورة رئيسية من حنين الشعب الحنين الطبيعى إلى دياره القديمة » .

ورفع المدير العام تقريرا فى سنة ١٩٥٦ ثم آخر فى سنة ١٩٥٧ جاء فيه :

« تعتقد جماهير اللاجئين الغفيرة حتى الآن أن إجحافا عظيما ألحق بهم ، وهم يواصلون الإعراب عن رغبتهم فى العودة إلى وطنهم، وهم يطلبون بصورة خاصة تنفيذ الفقرة الثانية من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ «٣» الصادر فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » .

ووجه المدير العام الإنذار بما فيه من معان وأغراض إلى الجمعية العامة فى عام ١٩٥٧ أى بعد ثمانى سنوات من قيام الوكالة ونصه : « ما لم يعط اللاجئون حق الاختيار بين العودة والتعويض ، فسيكون مما يجافى الواقعية أن تعتقد الجمعية العامة بإمكانية إنجاز أى تقدم حاسم . . فى طريق إدماج اللاجئين فى حياة الشرق الأدنى الاقتصادية سواء بطريق العودة أو بطريق الإسكان » .

ويشير المدير العام إلى أنهـــا ليست جريرة اللاجئين ، ولا جريرة الدول العربية ، وإنما هى جريرة إسرائيل ، فهى برفضها عودة اللاجئين قد عرضت

مهمة الوكالة للفشل ، وهو الفشل الذى لا تحتاج الوكالة فى تجنبه إلى سحر أو معجزة ، إنما هو ثمرة حتمية لتحدى إسرائيل وغلوائها .

وأشار المدير العام فى تقريره إلى الدورة الثالثة عشرة للجمعية العامة من جديد إلى فشل الإدماج ، فقال : « وستظل العراقيل قائمة فى طريق الجهود التى تبذلها وكالة الأمم المتحدة لتشغيل اللاجئين الفلسطينيين وإغاثتهم فى تنفيذ المهمة الموكولة إليها فى تحقيق إدماج اللاجئين فى حياة الشرق الأدنى الاقتصادية عن طريق العودة أو الإسكان وذلك بسبب الافتقار إلى حل لهذه المشكلة السياسية » .

ثم رفع تقريراً فى سنة ١٩٥٨ ثم آخر فى عام ١٩٥٩ جاء فيه :

« ما زال الأمل الذى يساور نفوس اللاجئين بالاختيار بين العودة إلى ديارهم السابقة وبين التعويض وفقا للفقرة الثانية من القرار رقم ١٩٤ «٣» غير منفذ على الرغم من مضى أحد عشر عاما من المآسى وتثبيط الهمم والعزائم » .

ويرى المدير أن تنفيذ هذه الفقرة سيظل فى رأى اللاجئين الحل الجوهرى المقبول الطويل الأمد .

وقد توالت قرارات تضاف إلى القرار الأصلى ١٩٤ «٣» الصادر فى عام ١٩٤٨ ، وجميع هذه القرارات المتعلقة بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ذكرت الصورة فى أشكال متعددة ومختلفة إما بالتذكير بالقرارات السابقة ، أو بتأكيد العودة ، أو بملاحظة عدم تنفيذها ، أو باستخدام عبارة : « دون المساس بحقوق اللاجئين » ، أو بذكرها بصورة خاصة عند ترديد الفقرة الثانية من قرار عام ١٩٤٨ ، وقد أدرجت مثل هذه العبارات فى كل قرار من القرارات التى أصدرتها الجمعية العامة حتى يومنا هذا منها :

٢١٣ « ٣ »	٣٠٢ « ٤ »	٣٩٣ « ٥ »	٣٩٤ « ٥ »	٥١٢ « ٦ »	٥١٣ « ٦ »
٦١٤ « ٧ »	٧٢٠ « ٨ »	٨١٨ « ٩ »	٩١٦ «١٥»	١١٩١ «١٢»	١٣١٥ «١٢»
١٠١٨ «١١»					

لقد أصدرت الجمعية العامة قرارها المعروف رقم ١٩٤ « ٣ » الذى يعرف بقرار العودة ، وقد نص فى فقرته الثانية على وجوب عودة اللاجئين الذين يرغبون فى العودة إلى بيوتهم فى أسرع وقت ممكن ، وتعويض أولئك الذين يؤثرون عدم العودة ، ولم تكتف الجمعية العامة بإعلان هذا الحق ، بل أقامت وكالة لها دعتها بلجنة التوفيق تتولى تذليل العقبات فى طريق العودة ، وأقامت الجمعية فى الدورة نفسها وإلى أن تتم العودة وكالة منفصلة عن الأمم المتحدة بموجب قرارها رقم٢١٢«٣» تتولى تزويد اللاجئين بالإغاثة لفترة مدتها تسعة أشهر . وهكذا تكون الجمعية العامة فى دورتها الثالثة قد اتخذت قراراتها بصدد ثلاث قضايا وهى :

١ — عودة اللاجئين .

٢ — تشكيل لجنة لتنفيذ العودة .

٣ — وضع برنامج للإغاثة يطبق انتظاراً للعودة .

وفى الدورة الرابعة تقرر أن تخلف وكالة الغوث هيئة أخرى تسمى وكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم ، وهى الوكالة عينها التى ظلت تصطرع مع مشكلاتهم حتى يومنا هذا .

٨ — تحقير اسرائيل لقرارات الأمم المتحدة :

فى أحد اجتماعات الجمعية العامة لهيئة الأمم عام ١٩٥٢ اقترح ثمانية من مندوبى الدول الصغرى على الهيئة ، مشروعا يقضى بدعوة الدول العربية

وإسرائيل لتسوية خلافاتها ، ولـكن مندوبى الدول العربية رفضوا المشروع ، مشترطين قبل البحث فيه إرغام إسرائيل على تنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى ، بشأن تدويل القدس ، وحق العرب الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم .

وهذا المشروع كانت اللجنة السياسية الخاصة قد أقرته بأكثرية ٣٢ صوتا ضد ١٣ صوتا ، وتغيب الـكتلة السوفيتية . وعندما أحيل إلى الجمعية العـامة لإقراره بصفة نهائية ، انضم إلى الدول العربية والآسيوية المعارضة للمشروع سبع دول من جمهوريات أمريكا اللاتينية وبذلك رفض المشروع . والسبب الذى دفع هذه الدول إلى الوقوف إلى جانب الـكتلة العربية والآسيوية هو تصريح نشرته جريدة « نيويورك تايمز » لدافيد بن غوريون قال فيه : « إن قضية القدس أمر واقعى ، فلا يجب البحث فيه » ؛ والمعنى الواضح لهذا القول : هو تحقير لقرارات هيئة الأمم المتحدة وتحد سافر لها ، هذه الهيئة التى اتخذت ثلاثة قرارات متتالية بوجوب تدويل القدس، ومنحت كافة الصلاحيات للجنة التوفيق الدولية ، لاتخاذ الخطوات اللازمة للتدويل .

والجدير بالذكر ، أنه فى الدورة النهائية للاقتراع على إجراء مباحثات بين العرب وإسرائيل ، وقفت الـكتلة السوفيتية إلى جانب العرب ، كما أيدت شـكوى شمالى إفريقيا ضد فرنسا وإنجلترا وأمريكا .

وهكذا اتسعت الهوة بين الدول العربية وأمريكا ، وأصبح إيمان العرب بالنظام الديمقراطى ضعيفا ، بينما ازداد اقتناعهم بأن الروس هم حماة الحرية والمدافعون عن الشعوب الصغيرة المستضعفة .

وبينما كانت ألمانيا الشرقية تتودد إلى العرب أخذت ألمانيا الغربية، بضغط من الولايات المتحدة الأمريكية ، تحاول استرضاء إسرائيل ، فوافقت على دفع

مبلغ ٧١٥ مليون دولار كتعويضات لليهود عن الخسائر التى أنزلها بهم الحكم النازى ، كما وافقت على دفع ١٠٧ مليون دولار إلى ٢٢ مؤسسة يهودية فى أمريكا ، مقابل الأملاك اليهودية فى ألمانيا .

والطريف فى الأمر أنه لكى تتمكن ألمانيا الغربية من تسديد هذه التعويضات وافقت أمريكا على منحها القروض اللازمة ، ولما كانت الدول العربية تعتبر نفسها فى حالة حرب مع إسرائيل ، فقد اعترضت على هذه التعويضات واعتبرت موافقة ألمانيا الغربية خرقا للحياد، مستشهدة بموقف ألمانيا الشرقية التى رفضت دفع مبلغ ٥٠٠ مليون دولار طالبت بها إسرائيل كتعويضات .

٩ — النضال العربى الفلسطينى :

تصدى للنضال من أجل فلسطين جامعة الدول العربية ، وظل الشعب الفلسطينى غائبا عن مجال قضيته أو على الأصح معزولا — رسميا على الأقل — عن حقه فى تقرير مصيره ، وحقه فى توجيه قضيته حسبما يرى ، وحسبما يريد ، مما ترك آثاراً سلبية على القضية وعلى الشعب على حد سواء .

ولعل أصالة الوعى الثورى وقوته سيطرت على اتجاهات الشعب الفلسطينى ، ومنحته إدراكا لدوره فى توجيه النضال الوطنى مما يحتم وحدة النضال قيادة وتنظيما تحت راية منظمة التحرير الفلسطينية ، هذه المنظمة التى ثبت شرعيتها مؤتمر القمة للرؤساء والملوك الذى عقد بمدينة الإسكندرية فى سبتمبر عام ١٩٦٤ .

وهذه المنظمة هى امتداد للشخصية الفلسطينية التى ظلت قائمة على مدى ثلاثين عاما متجسدة فى الثوار الأحرار تناضل منذ عام ١٩١٩ ضد قوى

الاستعمار البريطانى . إن شعب فلسطين العريق فى أصوله كبقية الشعوب العربية ، أصيل فى أرضه ووطنه كبقية الأراضى والأوطان العربية .

وفى عهد الانتداب برزت هذه الشخصية الفلسطينية قائمة بكفاحها ونضالها وقائمة بالإضراب العام لفترة مداها ستة أشهر لعام ١٩٣٦ ، وقائمة بأعمالها البطولية الفدائية وبقوائم شهدائها الذين قدمتهم خلال ثلاثين عاما ، والشعب الفلسطينى يناضل ويجاهد الاستعمار البريطانى ومؤامراته مع الصهيونية على انتزاع أرض فلسطين وطرد أهلها واغتصاب أملاك العرب .

واليوم تبرز الشخصية الفلسطينية بكفاحها ونضالها بالحروب الفدائية لاسترداد الأرض بالقوة .

إن كل القضايا التحررية فى الأمم المتحدة كان شعبها وراءها منظما فى المحافل الدولية ومكافحاً فى أرض الوطن ، قضايا إفريقيا ، القضايا العربية ، القضايا الآسيوية كلها كانت موجودة فى الأمم المتحدة وشعوبها وراءها منظمة ومكافحة ومناضلة .

أما قضية فلسطين فكانت تدافع عنها الوفود العربية ، والجميع يسألون : أين الشعب الفلسطينى ؟ أين وفد فلسطين ؟

إن نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ تستحق الدراسة الطويلة ، فإن الأسباب التى أدت إلى وقوعها هى الأسباب نفسها التى حركت الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر القمة للملوك والرؤساء لإبراز الكيان الفلسطينى ، فولدت منظمة التحرير الفلسطينية عملاقاً جباراً متأهباً لاسترداد أرضه ووطنه .

بل إن العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ كان نقطة يقظة للأمة العربية تولدت عنها انتفاضات قومية من معارك مستعرة ومستمرة لتصفية الرجعية العميلة فى الأقطار العربية ، ومناوأة الاستعمار ، وتطهير الوطن العربى منه ، مما أدى إلى المواقف البطولية لشعب الجزائر ، والانتصارات الرائعة التى أحرزها المناضلون الجزائريون من أجـــل الحرية والاستقلال . وإن هذه الانتصارات وإن كانت ذات صبغة قومية واسعة إلا أنها تحمل بين جنباتها انتصارات تمهيدية تعبد الطريق لمعركة التحرير المرتقبة فوق ربوع فلسطين .

إن إسرائيل لا تزال الخطر الرئيسى على الأمن فى منطقة الشرق الأوسط منذ عام ١٩٤٨ إلى الآن، وبالتبعية فهى خطر على السلم العالمى. إن منطقة الشرق الأوسط مهددة بانفجار كل لحظة وتنذر بعد كل اعتداء أو استفزاز بحرب جديدة فى المنطقة ، وأصبح الاعتماد على هيئة الأمم غير مجد نظراً لتسلط دول الاستعمار والنفوذ الصهيونى عليها .

كما أن الاعتماد على « التصريح الثلاثى » الذى صدر عام ١٩٥٠ أصبح غير مجد بعد ما اشتركت دولتان من الدول الثلاث الموقعة على هذا التصريح مع إسرائيل فى العدوان على مصر عام ١٩٥٦ ، وبعد ما تآمرت الدولة الثالثة مع إسرائيل فى العدوان على الجمهورية العربية المتحدة فى مايو ويونيو سنة ١٩٦٧ .

وأصبحت جميع التسويات والقرارات والحلول التى وضعت لحل القضية غير مجدية للوصول إلى حل نهائى . إن الحل العملى الوحيد هو القضاء على إسرائيل خدمة لمستقبل أمتنا العربية وتأكيداً لحق شعب فلسطين فى العودة إلى أراضيه المغتصبة وصيانة للأمن والسلام العالمى .

القضية الفلسطينية فى المؤتمرات الدولية

القضية الفلسطينية فى ثلاثة وثلاثين مؤتمراً دولياً من ١٩٥٤ الى ١٩٦٦ :

أعدت الأستاذة ليلى سليم القاضى سجلا عن هذه المؤتمرات نقتطف منه نماذج للاستشهاد بها على عدالة القضية الفلسطينية :

١ — مؤتمر كولومبو الاول :

الذى انعقد فى كولومبو وكاندى ، سيلان ، فى الفترة من ٢٨ إبريل إلى ٢ مايو ١٩٥٤ ، واشترك فيه خمس دول .

جاء فى متن القرار : « أبدى رؤساء الوزراء عند بحث الوضع فى الشرق الأوسط قلقا بالغا على مايعانيه اللاجئون الفلسطينيون، وحثوا الأمم المتحدة على إعادة جميع حقوق هؤلاء اللاجئين فى فلسطين ، وقد عبر رؤساء الوزراء عن تفهمهم لوضع اللاجئين وأكدوا أمنيتهم فى أن يروا حلا معجلا وعادلا للقضية الفلسطينية » .

٢ — المؤتمر الآسيوى الافريقى :

الذى انعقد فى باندونج ، أندونيسيا ، فى الفترة من ١٨ إلى ٢٤ إبريل ١٩٥٥ واشترك فيه تسع وعشرون دولة .

جاء فى الفقرة ٥ ، رقم ٣ : « نظراً للتوتر السائد فى الشرق الأوسط بسبب الوضع القائم فى فلسطين ، ونظراً للخطر الذى يشكله هذا التوتر على السلام العالمى أعلن المؤتمر الإفريقى الآسيوى تأييده لحقوق شعب فلسطين العربى ودعا إلى تنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين وإلى إيجاد حل سلمى للقضية الفلسطينية » .

٣ — المؤتمر الاول للدول الافريقية المستقلة :

الذى انعقد فى أكرا ، غانا ، فى الفترة من ١٥ إلى ٢٢ إبريل ١٩٥٨ واشترك فيه ثمانى دول .

جاء فى الفقرة ٩ من القرار رقم ١٠ : « يعبر المؤتمر عن قلقه البالغ حول القضية الفلسطينية باعتبارها عاملا مهدداً للأمن والسلام العالميين، ويحث المؤتمر على إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية » .

٤ — مؤتمر بريونى :

الذى انعقد فى بريونى ، يوغوسلافيا ، فى الفترة من ١٨ إلى ١٩ يوليو ١٩٥٩ ، واشترك فيه ثلاث دول .

جاء فى القرار رقم ٩ : « . . . ضرورة حل مشكلات الشرق الأوسط فى ضوء مصالح شعوب المنطقة وحريتها وإرادتها كما يعتبر الموقف فى فلسطين بصفة خاصة خطراً على السلام . . لذلك يؤكد الرؤساء المجتمعون قرار مؤتمر باندونج الخاص بها » .

٥ — مؤتمر الدار البيضاء :

الذى انعقد فى الدار البيضاء — المغرب — فى الفترة من ٣ إلى ٧ يناير سنة ١٩٦١ ، واشترك فيه ثمانى دول .

جاء فى القرار رقم ١ : « . . . إن مؤتمر الدار البيضاء بعد أن درس قضية فلسطين الهامة ، وأمام القلق العميق الذى يشعر به المؤتمر من جراء الوضعية الناشئة فى فلسطين على أثر حرمان عرب فلسطين من حقوقهم المشروعة ، قد اتخذ القرارات التالية منها :

١ — يلح على ضرورة حل هذه المشكلة حلا عادلا طبقا لما نصت عليه مقررات الأمم المتحدة وقرار المؤتمر الإفريقى الآسيوى فى باندونج، كما يلح على أن تعاد إلى عرب فلسطين حقوقهم المشروعة .

٢ — يلاحظ باستنكار أن إسرائيل قد انحازت دائما إلى جانب الاستعماريين كلما كان الأمر يتعلق باتخاذ موقف حيال المشاكل الحيوية التى تواجه إفريقيا ، وخاصة منها قضايا الجزائر والكونغو والتجارب الذرية

فى صحراء إفريقيا ، ولذلك فإن المؤتمر ليندد بإسرائيل بصفتها أداة طيعة فى أيدى الاستعمار القديم منه والجديد ، لا فى الشرق الأوسط فحسب بل وفى إفريقيا وآسيا أيضاً » .

٦ — المؤتمر الاول لرؤساء الدول او الحكومات للبلدان غير المنحازة :

الذى انعقد فى بلغراد ، يوغوسلافيا، فى الفترة من ١—٦ سبتمبر سنة ١٩٦١ واشترك فيه ثمان وعشرون دولة .

القرار رقم ١٠ من الجزء الثالث من البيان الختامى :

« يندد المشتركون فى المؤتمر بالسياسة الاستعمارية التى تنتهج فى الشرق الأوسط ، ويعلنون تأييدهم لإعادة حقوق الشعب العربى فى فلسطين كاملة طبقا لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها » .

٧ — المؤتمر الثانى لرؤساء الدول او الحكومات للبلدان غير المنحازة :

الذى انعقد فى القاهرة — الجمهورية العربية المتحدة — فى الفترة من ٥ — ١٠ أكتوبر ١٩٦٤ واشترك فيه سبع وأربعون دولة ، ومراقبون من عشر دول... جاء فى الفقرة ٥ رقم ١ :

«إن المؤتمر إذ يندد بالسياسة الاستعمارية، يقرر وفقا لميثاق الأمم المتحدة :

١ — تأييد استعادة حقوق الشعب العربى الفلسطينى فى وطنه استعادة كاملة وكذلك حقه الطبيعى فى تقرير المصير .

٢ — إعلان تأييده التام للشعب العربى فى فلسطين فى كفاحه للتحرر من الاستعمار والصهيونية » .

٨ — المؤتمر الثالث لتضامن الشعوب الافريقية الآسيوية :

الذى انعقد فى موشى، تنجانيقا ، فى الفترة من ٤ — ١١ فبراير سنة ١٩٦٣، واشترك فيه وفود من أربع وخمسين دولة .

جاء فى الفقرة ب القسم ١٣ :

١ — يؤكد المؤتمر جميع القرارات السابقة التى أصدرتها مؤتمرات تضامن الشعوب الإفريقية والآسيوية حول قضية فلسطين بتأييد حق الشعب العربى الفلسطينى بالعودة إلى بلاده وعودة بلاده إليه .

٢ — يؤيد المؤتمر حقوق شعب فلسطين فى إقامة كيان موحد مستقل فى أرضه وفى وطنه فلسطين .

٣ — يشجب المؤتمر المؤامرة الصهيونية الجديدة والتى دبرتها السياسة الاستعمارية الأمريكية ومن خلفها المسماة بمشروع الصلح بين الدول العربية وإسرائيل التى تستهدف تصفية قضية فلسطين وإبعاد الشعب الفلسطينى عن تقرير مصيره والحيلولة دون استرداده لبلاده .

٤ — يستنكر المؤتمر ويعلن مقاومته للهجرة الجماعية التى يحشدها الاستعمار والصهيونية لتقوية الاحتلال العدوانى العسكرى الجاثم على فلسطين العربية ، ويطالب المؤتمر جميع الدول الآسيوية والإفريقية بوقف هذه الهجرة المسخرة لصالح الاستعمار الجديد والصهيونية .

٩ — الدورة الثانية للمؤتمر الاسلامى العام :

الذى انعقد فى مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، فى الفترة من ١٧ — ٢٤ إبريل سنة ١٩٦٥ واشتركت فى المؤتمر وفود ستين دولة .

جاء فى متن القرار :

« أما بصدد قضية فلسطين فقد اعتبرها المؤتمر قضية إسلامية ودعا الدول الإسلامية إلى الإسهام فى تحرير أراضى فلسطين المقدسة التى احتلها الصهيونيون ، كما اعتبر الصهيونية حركة عدوانية وقرر أنها باغتصابها جزءاً

عزيزاً من أرض فلسطين ، إنما أعلنت حربا عدوانية على المسلمين وعلى المبادئ الإنسانية وحرية الشعوب » .

وقرر المؤتمر أيضاً رفض الاعتراف بالأمر الواقع القائم على الظلم والعدوان في فلسطين ، كما أعلن رفض مقررات التقسيم الدولية .. ودعا الدول الإسلامية إلى تدريس تاريخ فلسطين وقضيتها وجعلها مادة إلزامية فى جميع معاهد التعليم في كافة الدول الإسلامية .

١٠ — اجتماع الامانة العامة لجمعية الصحفيين الافرو اسيوية :

الذى انعقد فى بكين ، الصين الشعبية ، فى الفترة من ٢٠ — ٢٤ إبريل سنة ١٩٦٦ واشتركت فيه وفود من تسع عشرة دولة .

جاء فى متن القرار :

« إن الاجتماع الكامل الرابع « الموسع » للأمانة العامة لمنظمة الصحفيين الإفريقيين الآسيويين بعد ...

— الاستماع إلى تقرير الوفد الصحفى الفلسطينى للاجتماع ...

— ودراسة الظروف التى خلقت فيها إسرائيل وتحليل دورها فى خدمة الاستعمار الجديد ...

— وملاحظة التزييف المستمر للتاريخ والحقائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطينى والدور الحقيقى لإسرائيل والصهيونية ... ذلك التزييف الذى يقوم به الإمبرياليون بزعامة الولايات المتحدة وصحافتهم فى العالم أجمع ..

— واعتقاداً بحق الشعوب فى الحرية والاستقلال وتقرير المصير ، يقرر ما يلى :

١ — يعتبر الصهيونية حركة استعمارية من حيث طبيعتها بالذات ، وعدوانية وتوسعية فى أهدافها ، وعنصرية فى بنيانها ، وفاشية فى وسائلها وأساليبها .

٢ — يعتبر إسرائيل قاعدة وأداة طيعة للإمبرياليين بزعامة الولايات المتحدة لاستخدامها من أجل العدوان والتغلغل والتسلل الاستعمارى الاقتصادى والسياسى والثقافى فى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية .

٣ — يشجب الحركة الصهيونية ووجود إسرائيل فى الجزء المحتل من فلسطين .

٤ — يطلب من الصحفيين التقدميين الإفريقيين الآسيويين الكفاح فى سبيل قطع كافة العلاقات السياسية والدبلوماسية مع إسرائيل ومقاطعتها اقتصاديا وثقافيا وطردها من المنظمات الدولية .. ويطلب على وجه الخصوص من كافة الأحزاب التقدمية والحركات الثورية مضاعفة جهودها لمكافحة التسلل الصهيونى فى بلدانها .

٥ — يهيب بكافة الصحفيين التقدميين الإفريقيين الآسيويين لتقديم تأييدهم يوميا للشعب الفلسطينى فى كفاحه ضد الصهيونيين .

٦ — يؤيد تمام التأييد منظمة التحرير الفلسطينية فى كفاحها لتحرير فلسطين .

٧ — يعتبر يوم ١٥ مايو من كل عام يوماً لفلسطين فى الصحافة الإفريقية الآسيوية ، ومناسبة لزيادة تفهم القضية الفلسطينية لشعوبنا ولكشف قناع المخططات الإمبريالية الاستعمارية التى يتطلبها وجود إسرائيل » .

١١ — مؤتمر علماء المسلمين من ١٣ — ١٦ مايو سنة ١٩٦٦ :

جاء فى متن القرار :

« مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثانى المنعقد فى رحاب الأزهر الشريف والذى يمثل خمسا وثلاثين دولة من دول آسيا وأفريقيا وأوربا يعلن — باسم المسلمين جميعا — استنكاره الشديد لموقف حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية من قضية فلسطين، واعترافها بحكومة إسرائيل، ويعرب عن تأييده الكامل للدول العربية فى قطعها للعلاقات مع حكومة ألمانيا الاتحادية، ويدعو سائر الدول الإسلامية إلى أن تقف من قضية فلسطين الموقف الذى يحتمه الدين عليها، وأن تؤيد الدول العربية فى قرارها بقطع العلاقات مع ألمانيا الاتحادية» .

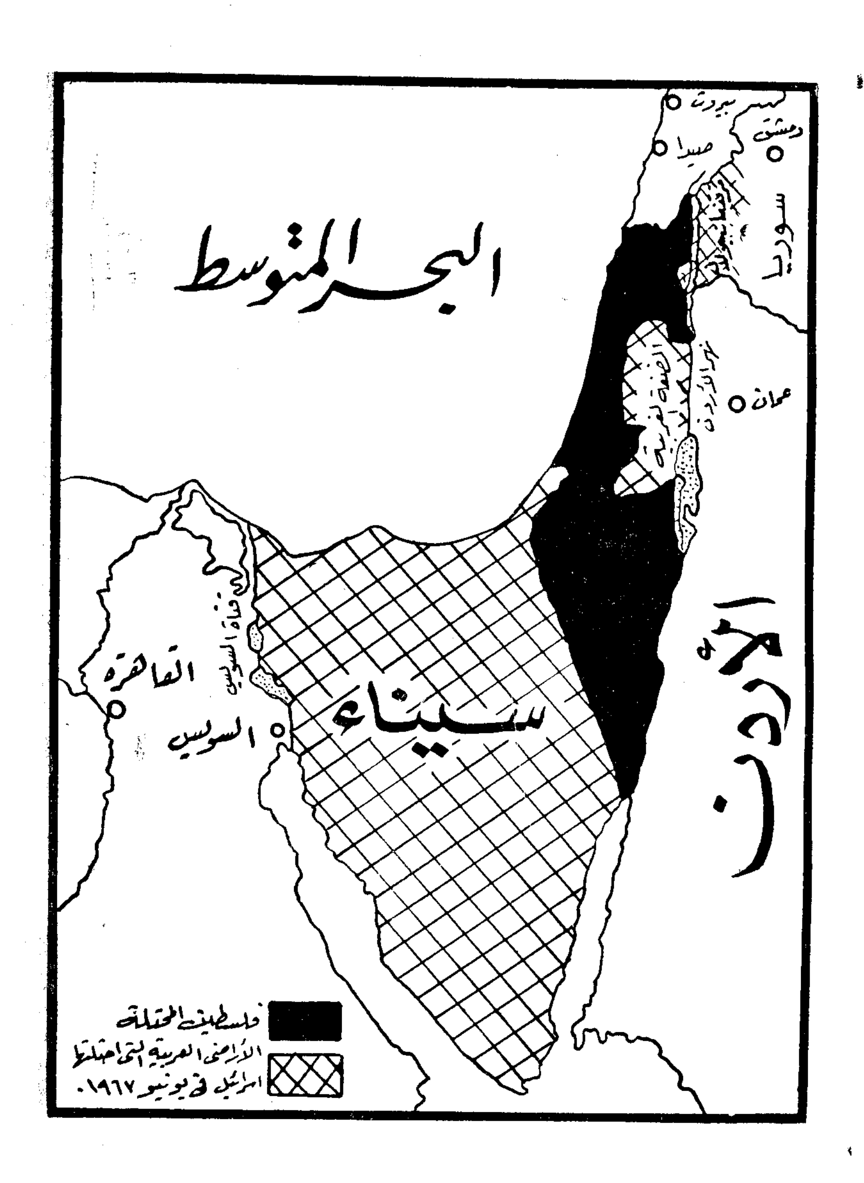
١٢ — مؤتمر علماء المسلمين من ٢٧ سبتمبر – ٦ من اكتوبر عام ١٩٦٨ :

(ا) يعلن المؤتمر استنكاره الصارخ لمساندة بعض الدول لإسرائيل، وتأييدها لعدوانها، ويعتبر هذه المساندة وذلك التأييد تحديا وعداء للأمة الإسلامية واستهانة بمشاعر المسلمين .

(ب) يعلن المؤتمر أن المسلمين فى مختلف بلادهم لن يقفوا مكتوفى الأيدى أمام الأطماع الصهيونية العنصرية فى العالم العربى الإسلامى ولن يتوانوا عن بذل النفوس والأرواح فى سبيل الدفاع عن أوطانهم ومقدساتهم واسترداد أرضهم السليبة .

١٣ — مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧ :

على أثر عدوان إسرائيل على الدول العربية فى يونيو عام ١٩٦٧ واستيلائها على مساحات شاسعة من الأراضى العربية انعقد مؤتمر قمة عربى بالخرطوم واتخذ القرارات الآتية : ١ — لا اعتراف بإسرائيل .
٢ — ولا صلح مع إسرائيل . ٣ — ولا مفاوضة مع إسرائيل .
٤ — ولا تصرف بالقضية الفلسطينية لأنها ملك لشعب فلسطين .



بيروت
صيدا
دمشق
سوريا
البحر المتوسط
الضفة الغربية
نهر الأردن
عمان
الأردن
قناة السويس
القاهرة
السويس
سيناء
فلسطين المحتلة
الأراضي العربية التي احتلتها
اسرائيل في يونيو ١٩٦٧.

١٤ — تحذيرات منظمة التحرير الفلسطينية لمبعوث الامم المتحدة :

أعلنت المنظمة أهدافها فيما اتخذته من قرارات فى ديسمبر ١٩٦٧ مضمنة البلاغ العسكرى لمجلس قيادة الثورة لتحرير فلسطين وينص على مايلى :

١ — القدس بشطريها القديم والجديد هى عاصمة وطننا ، ولن نتخلى عنها مهما تكبدنا من تضحيات .

٢ — وحدة الضفتين الشرقية والغربية حتمية كحتمية القدر .

٣ — سيواصل مجلس قيادة الثورة كفاحه المسلح وراء منظمة التحرير الفلسطينية فى نضالها القومى وقيادتها لشعب فلسطين لتحرير وطنه وإزالة العدوان اللاحق والسابق .

وتحقيقا لهذه الأهداف المقدسة سيواصل الشعب العربى الفلسطينى كفاحه المسلح لتحرير وطنه ، مدعما بالأمة العربية ، مؤيداً بجميع الشعوب المحبة للحق والحرية والسلام .

* * *

ويعلن السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى ١٩٦٧/١١/٢٣ بأنه ليس هناك تعارض بين تجربة الحل السياسى وبين الاستعداد للحل العسكرى ، وأن المشروع البريطانى بصياغته وبالتفسيرات التى أعطيت له ليس كافيا لحل المشكلة ، فلن نسمح لإسرائيل مهما كان الثمن ومهما كانت التكاليف أن تمر فى قناة السويس لأن المرور فى قناة السويس جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين وليس جزءاً من قضية إزالة آثار العدوان .

وأعلن الرئيس أن الوقت فى صالحنا ، وإسرائيل ليست ذلك العدو الرهيب الذى لا يقهر . وأعلن أن خسائرنا فى السويس لم تكن بالقدر الذى صورته الدعاية المعادية ولقد نجحنا فى الرد بالمدافع على مدافع العدو . ودعا سيادته إلى :

١ — عقد مؤتمر قمة عربى لتدارس الموقف .

٢ — تطوير الجامعة العربية لتتحمل مسئولياتها كاملة .

٣ — زيادة فاعلية العمل السياسى .

النصر معقود لواؤه للعرب

ما هى ارض فلسطين ؟

إنها أرض الإسراء والمعراج ، ومهد الأنبياء بل هى أرض المعارك التاريخية الكبرى الفاصلة . . . ففيها وقعت معركة اليرموك سنة ٦٣٦ م والتى فتح فيها المسلمون فلسطين وقوضوا الحكم الرومانى فى ربوع الشرق .

ومعركة حطين عام ١١٨٧ م التى انتصر فيها صلاح الدين الأيوبى لا بأبناء فلسطين وحدهم ولا بأبناء مصر فحسب بل بالجحافل الإسلامية العربية من مصر والشام والعراق ومن كل الديار الإسلامية حيث رد الصليبيين إلى الأبد عن فلسطين .

واستطاعت مصر أن تجرد حملاتها لمناهضة الصليبيين فانتصرت عليهم عام ١٢١٩ ، ١٢٢١ وتم أسر الملك لويس التاسع ملك فرنسا فى مدينة المنصورة وبهذا استرد العرب كل أراضى الشام .

وفى فلسطين دارت معركة «عين جالوت» عام ١٢٦٠م حيث انتصر السلطان قطز وقائده المظفر الظاهر بيبرس بجيوشها الإسلامية وبطلائع جيش مصر إذ ردا المغول « التتار » عن ديار العروبة ، وحفظا الإسلام من كيد الكائدين .

لقد حرر المسلمون فلسطين بعد أن أزالوا ما بينهم من فتن وخلافات ووحدوا صفوفهم وقياداتهم .

وإن تحرير فلسطين واسترداد الأراضى العربية موقوف بوحدة العرب ووحدة الأهداف فى وحدة النضال الفكرى والنضال العسكرى، والاستمساك بقوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .



كلمة ثناء وتقدير

إننى بكل اعتزاز أقدم لك أيها القارىء هذا الكتاب ، ومن راء هذا الكتاب قلب مؤمن تناوله بالدراسة والمراجعة الدقيقة حتى اكتملت لهذا الكتاب كل عناصر التحقيق العلمى والتاريخى . ولا يسعنى إزاء هذا الجهد إلا أن أقدم تحياتى فى احترام وتبجيل وتقدير للسيد الأستاذ حامد محمد سليمان ويسعدنى أن يذكر اسمه مقرونا باسمى كمحقق للكتاب فإن تحقيق الكتاب لا يقل عن الجهد فى تصنيفه . والله أسأله أن يوفقنى أن أكون موضع ثقة قرائى وكل من يعملون من أجل تحرير الوطن العربى والله المستعان ؟

أشهر المراجـــع

١ – تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى
هنرى بريستيد . تعريب حسن كمال

٢ – فلسطين ... جريمة ... ودفاع — الدكتور أرنولد توينبى

٣ – حرب السويس — بول جونسون

٤ – مشكلة اليهود فى العالم الجديد — جيمس باركنز طبعة ١٩٤٦

٥ – ثمن إسرائيل — الفريد ليلينتال

٦ – كيف ضاع الشرق الأوسط — الفريد ليلينتال

٧ – أزيلوا إسرائيل — إيلين بيتى الكاتبة الأمريكية

٨ – خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية
اللواء عبد الله التل

٩ – كارثة فلسطين — اللواء عبد الله التل

١٠ – التطورات الأخيرة فى قضية فلسطين — خيرى حماد

١١ – الطريق إلى السويس
أرسكين تشيلدرز .. تعريب الأستاذ خيرى حماد

١٢ – إسرائيل والدول الكبرى — الدكتور يحيى عويس

١٣ – المزاعم الصهيونية فى فلسطين — فتحى فوزى عبد المعطى

١٤ – فلسطين عربية — العقيد محمد فرج

REFERENCES

The Story of Civilization, Will Durant .

A.Caesar and Christ.

B. The Age of Faith , New York 1950 .

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

صفحة